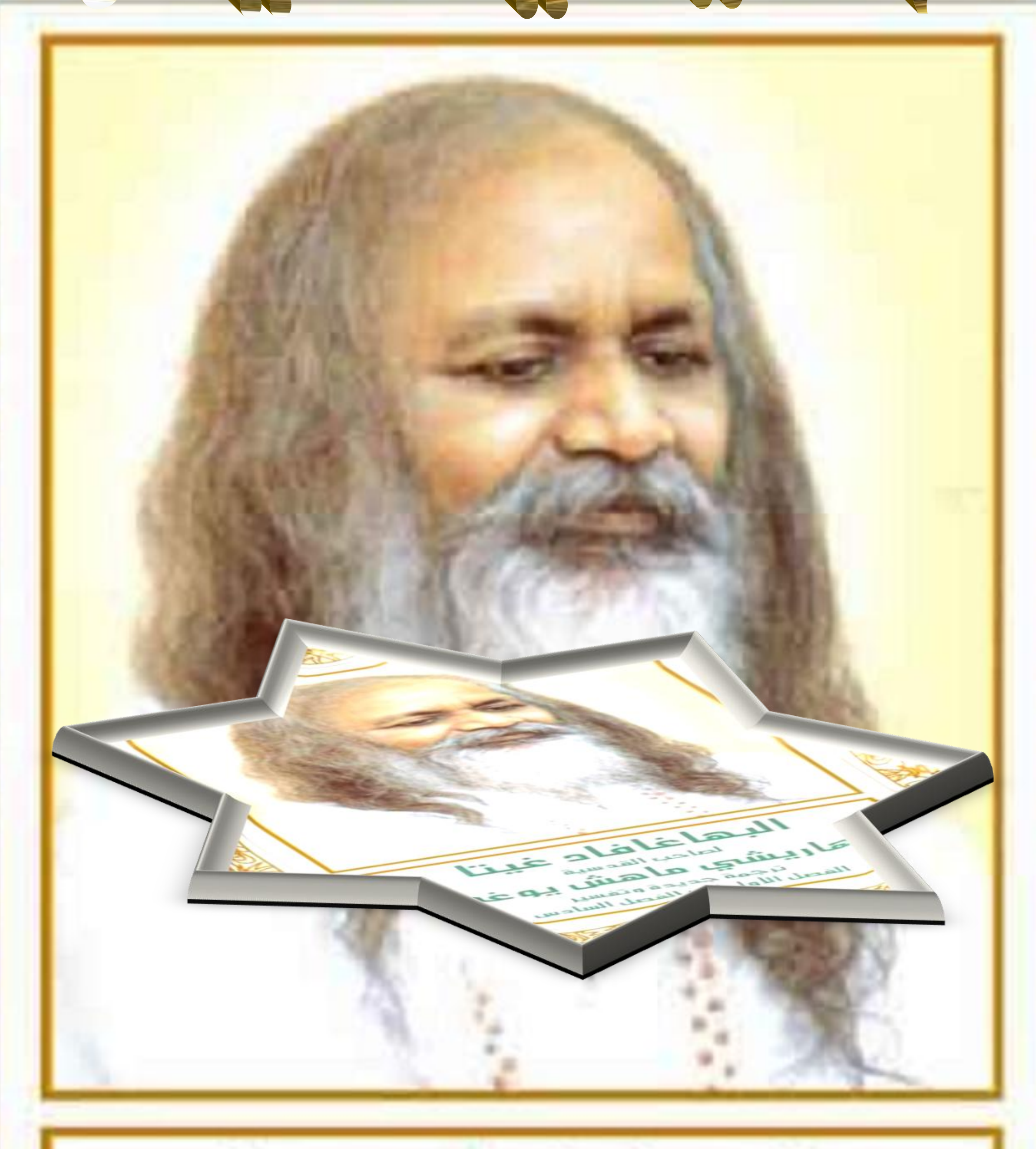
من تجلياتي : علي مولا



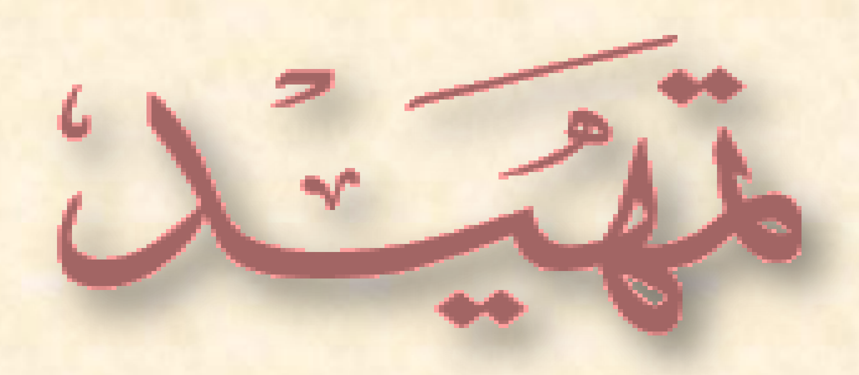
البهاغافاد غيتا

لصاحب القدسية

مهاريشي ماهش يوغي

ترجمة جديدة وتفسير

الفصل الأول إلى الفصل السادس



الفيدا هي منارة الحكمة الأبديّة التي تقود الإنسان إلى الخلاص وتلهمه إلى الاكتمال الأسمى.

إنها الحضور الدائم للكينونة الأبدية، غير ظاهرة ومطلقة؛ منزلتها في ذلك الذي هو، حتى في التنويع الظاهر للخليقة؛ وإمكانية إدراك الكينونة من قبل أيّ إنسان من ناحية ذاته – هذه هي الحقائق العظيمة للفلسفة الدائمة للفيدا.

تكشف الفيدا الوحدة الثابتة للحياة التي تقع تحت التعدّد الواضح للخليقة، لأن الحقيقة هي الظاهر غير الظاهر كليهما معاً، وذلك وحده موجود. "أنا هو ذلك، أنت هو ذلك وكلّ هذا هو ذلك" إنها الحقيقة؛ وهذا هو لبّ التعاليم الفيدية، التي يمجدها الراءون كونها التعاليم التي "تستحقّ الاستماع وتمعّن والإدراك."

إنّ حقيقة الحكمة الفيدية بطبيعتها الأساسية هي غير معتمدة على الزمن ولذلك لا يمكن أن تضيع أبداً. وعندما، على أية حال، تصبح رؤية الإنسان أحادية الجانب ويكون ممسكاً بشدّة بالتأثير الملزم للعالم الظاهري مستثنياً الوجهة المطلقة للحقيقة، وعندما يكون هكذا منحصراً في النواحي المتغيّرة باستمرار للوجود، تفقد حياته الاستقرار ويبدأ بالمعاناة. عندما تنمو المعاناة، تتحرّك القوة المنيعة للطبيعة لتضع رؤية الإنسان على الحقّ وتؤسّس له طريقة للحياة تعيد ثانية اكتمال الغاية العليا لوجوده. يدوّن التاريخ

الطويل للعالم العديد من الحقب الزمنية المماثلة التي نسيا فيها أولاً النمط المثالي للحياة وبعد ذلك أعيد للإنسان.

فيدا فياسا، الحكيم صاحب الرؤية المتنورة والأعظم بين مؤرخي العصر القديم، يسجّل نمو عدم الأحقية في عائلات أولئك الذين حكموا الناس قبل حوالي خمسة آلاف سنة .ولذلك السبب جاء المولى كريشنا لتذكير الإنسان بالقيم الحقيقية للحياة والمعيشة .لقد أعاد ذلك الاتصال المباشر بالكينونة التجاوزية التي يمكنها وحدها أن تعطي الاكتمال إلى كلّ نواحي الحياة. لقد كشف الكينونة المطلقة كونها الحقيقة الأساسية للحياة وثبتها، على أنها الأساس لكلّ تفكير، الذي بدوره الأساس لكلّ عمل. هذه الفلسفة للكينونة والتفكير والعمل هي الفلسفة الحقيقية للحياة المتكاملة. إنها لا تساعد الفاعل فقط لكسب النجاح في تعهّده، لكن وفي الوقت ذاته، تحرّره من عبودية العمل، وتجلب الاكتمال إلى كلّ مستوى. إن مثل هذه التعاليم للحقيقة الأبديّة، أعطية من قبل المولى كريشنا إلى أرْجونا في البها غافاد غيتا.

كادت هذه التعاليم أن تنسى بشكل تدريجي، لذلك وبعد ألفي سنة حتى أن مبدأ الكينونة كونها الحقيقة المطلقة، التي هي المصدر والأساس لكلّ الخليقة، قد حجبت بالمعتقدات الخاطئة التي مجّدت الأوجه النسبية للحياة فقط "إن انقضاء الزمن الطويل"، يقول المولى كريشنا، هو السبب لخسارة هذه الحكمة.
عندما تم إعادة فلسفة الحياة المتكاملة من قبل المولى كريشنا غاب عن النظر، ونمت الفكرة بأن كلّ شيء يمكن للحياة أن تقدّمه هو حاضر على المستويات الجليّة للوجود، وبالتالي قد يكون عديم الفائدة للتطلّع إلى أيّ شيء قد يتواجد في مستوى أعمق من الظواهر الخارجية. أصبح المجتمع تحت سيطرة وجهة النظر السطحية هذه، وفقدت البصيرة إلى الحقيقة، ونسيا الحس الصحيح للقيم وتحطّم الاستقرار الحياة. وساد التوتّر والتشويش والخرافة والحزن والخوف.

جاء المولى بوذا لمعالجة هذه الحالة. وبوجود الانحراف في حقل العمل. جاء برسالة العمل الصحيح. متكلّماً من مستواه من الوعي الثابت في الكينونة، في الحرية الأبديّة (النرفانا)، علّم المولى بوذا فلسفة العمل في

الحرية. دعا للتأمل لكي ينقّي حقل الفكر من خلال الاتصال المباشر بالكينونة وجلب حالة العمل الصحيح في المجتمع. كانت رسالة المولى بوذا كاملة لأنه دمج حقول الكينونة والتفكير والعمل في موضوعه للإحياء. لكن وبسبب إخفاق أتباعه في ربط هذه الحقول المختلفة للحياة بطريقة منهجية من خلال ممارسة التأمل التجاوزي، أصبح إدراك الكينونة بأنها أساس الحياة المرفّهة محجوباً. ولم يصبح التركيب الكامل لتعاليم المولى بوذا مشوّها فقط، بل انقلب رأسا على عقب أيضاً. لقد أخطأ التأثير بالسبب. وكانت الغاية من العمل الصحيح كوسيلة لكسب النرفانا، بينما العمل الصحيح هو في الحقيقة نتيجة هذه الحالة للوعي في الحرية .

لقد كان من سوء حظ كلّ معلّم بأنه، حينما يتكلّم من مستوى وعيه، يمكن لأتباعه أن يتلقوا رسالته فقط من مستواهم؛ والهوّة بين التعاليم والفهم تتوسع مع الوقت .

إنّ تعاليم العمل الصحيح من بدون التأكيد الصارم على الضرورة الأولية لإدراك الكينونة هو مثل تشييد جدار من بدون أساسات. يتداعى بالريح وينهار سريعاً. خلال ثلاثمائة أو أربعمائة سنة اختفت كلّ صلة حقيقية بين التعاليم الأساسية للمولى بوذا والحياة اليومية لأتباعه. وضاعت مرّة أخرى البصيرة إلى مبدأ الحياة المتكاملة. ومع نسيان الأهمية الرئيسية للإدراك الكينونة، أصبح المجتمع منغمساً مرة أخرى في الخرافات السطحية للحياة .

لن تسمح الطبيعة للبشرية أن تكون محرومة من رؤية الحقيقة لمدة طويلة جداً .جلبت موجة من الإحياء شنكرا لإعادة تثبيت أساس الحياة وتجديد الفهم البشري. أعاد شنكرا حكمة المطلق وثبّتها في الحياة اليومية للناس، مقوّياً حقول التفكير والعمل بقوّة الكينونة. لقد جلب رسالة الاكتمال من خلال الإدراك المباشر للكينونة التجاوزية في حالة الوعي الذاتي، الذي هو أساس لكلّ ما هو جيد في الحياة .

نجم تأكيد شنكرا على الإدراك الذاتي عن الفلسفة الأبديّة للحياة المتكاملة التي عبّر عنها المولى كريشنا في البها غافاد غيتا عندما يسأل أرجونا أن يكون أولاً من دون الغونات الثلاثة وبعد ذلك أداء

العمال حينما يكون بذلك ثابتاً في الكينونة .بأنه يجب على كلّ البشر وفي كل وقت أن يعيشون وعي الغبطة للكينونة المطلقة، وبأنّه يجب أن يعيشوا حالة الاكتمال في وعي الله في من خلال كلّ من التفكير والكلام والعمل؛ هذا هو جوهر رسالة شنكرا، وهو جوهر رسالة المولى كريشنا والفلسفة الفيدية بالكامل.

إن البركة الأعظم التي قدمتها تعاليم شنكرا إلى العالم هي مبدأ الامتلاء للتطوّر الفكري والعاطفي في حالة التنوير، المرتكز على الوعي الصافي التجاوزي، الذي فيه يكون القلب صافياً جداً لكي يكون قادراً على التدفّق وفيضان بأمواج من الحبّ العالمي والولاء إلى الله، بينما يكون العقل صافياً جداً لكي يتمتّع بإدراك الطبيعة القدسية كونها منفصلة عن عالم العمل.

هذا التعبير التلقائي لعقل شنكرا وقلبه في هذه الحالة من الحرية والاكتمال كان مصدر الإلهام لكل أولئك الذين يعيشون بالقلب وكلّ أولئك الذين يعيشون بالعقل .أثبت وعيه الحالة الأعلى للتطوّر البشري؛ يعبّر قلبه عن الولاء تجاوزي الأسمى إلى الله (بارا بهاكتي)، في حين يعبّر عقله عن إدراك الذات بأنها منفصل عن حقل العمل) غيانا). هذا ما قاد خطاب شنكرا ليصبّ في نشوة التعبّد وفي الوقت ذاته إلى التعبير الواضح عن المعرفة، أي الحقائق الجافّة والعنيدة المتعلّقة بالطبيعة القدسية المنفصلة من العالم. هذان هما وجهتا الحقيقة الحيّة للحياة في الاكتمال الكامل.

لم يحيي شنكرا حكمة الحياة المتكاملة فقط ويجعلها شعبية في أيامه، لكنه أسّس المقامات الرئيسية الأربعة للتعاليم في الأقسام الأربعة من الهند لإبقاء تعاليمه صافية ولضمان بأنّها ستنتشر بكمالها جيل بعد الجيل. بقية تعاليمه لعدّة قرون حيّة في أتباعه، الذين عاشوا الحالة المثالية للمعرفة بالولاء والتعبّد (غيان وبهاكتي). لكن وبالرغم من كلّ بصيرته ومساعيه، عانت رسالة شنكرا حتماً مع الوقت، سوء الحظ ذاته مثل أولئك المعلمين العظماء الآخرين.

إذا نسي المقيمين في البيت الأساسات، يكون ذلك بسبب أن الأساسات هي تحت الأرض، مخفية عن النظر. إنه ليس بالأمر المفاجئ بأن تضيع الكينونة عن النظر، لأنها تكمن في الحقل التجاوزي للحياة.
إن حالة الحقيقة، كما يصفها المتنورون، لا يمكنها أن تصبح الطريق للباحث، لا يمكن لنقطة الصول أن تستبدل بالطريق الذي يؤدّي إليها. عندما تصبح الحقيقة بأن الكينونة تشكل الأساس لحالة التنوير محجوبة، تصبح تصاريح شنكرا حول طبيعة الهدف خاطئة نسبة للطريق إلى الإدراك.

لقد زاد سوء الفهم هذا لبلاغة شنكرا الرائعة الجمال. فاعتبر تعبيره عن الولاء العميق في حالة الاستسلام والوحدانية الكاملة مع الله، واعتبرت توضيحاته الفكريّة في حالة إدراك الطبيعة القدسية، اللذان هما ممتلئان وكاملان جداً بذاتهما بأنهما كما فهما من المستوى العادي للوعي، يقدمان طريقتان مستقلتان إلى التنوير :طريق المعرفة وطريق الولاء والتعبّد.

هذه هي مأساة المعرفة، المصير المأساوي بأن معرفة يجب عليها أن تصل إلى أيدي الجهل. إنه أمر حتمي، لأن التعاليم تأتي من مستوى معين من الوعي وتستلّم إلى مستوى مختلف تماماً. يجب أن تتحطّم معرفة الأحادية بمرور الزمن على صخور الجهل الصلبة .لقد أثبت التاريخ ذلك مراراً وتكراراً. لم تستطع تعاليم شنكرا أن تثبت الاستثناء عن القاعدة.

أصبحت فكرة الطريقين أكثر سيادة بسبب إهمال المؤتمنون على تعاليم شنكرا .وبما أنهم اتبعوا طريق التنسك في الحياة، كانوا مهتمّون بشكل طبيعي بأفكار انفصال القدسي عن العالم؛ ، وباستمرار هذه الحالة جيل بعد الجيل، بدأت وجهة المعرفة تسيطر على تقليد شنكرا على حساب وجهة الولاء وبذلك فقدت وجه الولاء والتعبّد أهميتها بشكل تدريجي. فأصبحت التعاليم أحادية الجانب، ومحرومة من شموليتها، وفقدت انتشارها العالمي في النهاية. وأصبح ينظر إليها بأنها مايافادا، أي فلسفة الوهم، التي تعتبر أن العالم هو وهمٌ فقط وتؤكد على طريقة الانفصال في الحياة.

ومع اختفاء مبدأ الكينونة عن الأنظار أكثر فأكثر، أصبحت طريقي الولاء والمعرفة منفصلة أكثر فأكثر إلى أن انقطع الرابط بينهم. فافتقد مبدأ التطور الكامل للقلب والعقل من خلال عملية واحدة (التأمل التجاوزي). وفقدت الطبيعة التكاملية للإدراك كما فقدت الحكمة الحقيقية لاكتمال الحياة، التي تكمن في التطور التلقائي للقلب والعقل. أما الفكرة بأنه يجب أن يكون كل من الولاء والمعرفة منفصلان كانت الضربة الأعظم لتعاليم شنكرا.

في غياب القمر، تسيطر النجوم وتشع ما يمكنها من النور. عندما اختفى المستوى المثالي لشنكرا للولاء التجاوزي عن البصر، قام رآمانوجا ومادهفا وغيرهما من المعلمين بإتباع طريق الولاء، بالرغم من أنّها لم تكن بقاعدتها الصحيحة في الكينونة. تبعهم الناس، وهكذا نشأ العديد من الطوائف التعبدية كلّها على مستوى العاطفة وكلّ واحدة تأسست على الأسس المريحة للأمل بأنه "يوما ما سوف تكون صلاتنا مسموعة، يوما ما سيجيء هو إلينا ويدعونا إليه". في الحقيقة كانت راحة إلى القلب لكن، وللأسف، مثل هذا الولاء هو على المستوى الخيالية للشعور! إنه بعيد، بعيد جداً عن حقيقة الاتصال الفعلي بين المتعبّد وإلهه. إن الإدراك في حالة الكينونة هو وحده الذي يجعل الحقل الكامل للتعبّد حقيقي.

تعتبر كلّ هذه الطوائف بأنّ الولاء التجاوزي هو المرحلة الأخيرة لانجازات المتعبّد. لكن مبدأ شنكرا للولاء هو مرتكز على الوعي التجاوزي منذ البداية. إنّ الخطوة الأولى لشنكرا هي الخطوة الأخيرة لهذه الطوائف التعبدية، الخطوة التي يعتبرونها طبقاً لفهمهم بعيدة تتخطى منال الإنسان العادي.

بضياع الفكرة بأن الولاء يجب أن يبدأ من الوعي التجاوزي من قبل المؤتمنين على حكمة شنكرا، أغلق أمامه المدخل إلى حقل الولاء. فيبقى الباحثون عن الله يبحثون في الهواء الرقيق، ويبقى أحباء الله يبكون من أجله دون أن يجدوه.

ومع كما بقاء الولاء مجرّداً على مستوى التفكير وبافتراض موقف من الشعور) تصنعّ المزاج)، لذلك التقت المعرفة بالمصير ذاته عندما ضاع الطريق المباشر لإدراك الوعي التجاوزي. إن فهم أحادية الحياة لا يمكن أن تكون مهمّة إلا عندما يفهم الفرد بعمق، وبالاختبار المباشرة، بأنّ طبيعته القدسية الداخلية هي منفصلة عن عالم العمل .إذا لم يكسب الإنسان الوعي في الكينونة من خلال ممارسة التأمل التجاوزي، سيواصل الحياة في الجهل والعبودية. لأنه لم يفتح ذاته بعد على اختبار انفصال القدسي عن العالم، إن فكرة الأحادية ليست لها استعمال عملي لهذا الإنسان. وليس له شيء ليتّحد به .

في الحقل الخصب للوعي التجاوزي تجد كل من المعرفة والولاء اكتمالها. لكن عندما نسي هذا المبدأ وفقدت تقنية تطوّر الوعي التجاوزي، مات العديد من الأجيال من بدون رؤية نور الله ومن بدون كسب الاكتمال. تلك كانت هي الحالة لأكثر من ألف سنة .إن سوء الفهم بحد ذاته هو الذي أضاع التقليد الذي، لسوء الحظ عرف بتقليد شنكرا. هذه الخسارة العظيمة للحياة البشرية يمكن أن تعوّض بصعوبة؛ لكن كان ذلك فصلاً من التاريخ. لا يمكن استرداد الوقت. ولا ينفع الندم على الماضي .

في مراجعتنا لصعود وانهيار الحقيقة، لا يجب أن نتغاضى عن التأثير العظيم الذي أنتجه شنكرا في الحياة الهندية. كان الكمال لما تقدّم به هو الذي سبّب في قبول تعاليم شنكرا بأنه صميم الحكمة الفيدية ووضعها في صدارة التراث الهندي. أصبح متلازم جداً مع طريقة الحياة الهندية التي، وعلى مر الزمن، عندما أضاعت هذه التعاليم صفاتها العالمية وتم تفسيرها بأنها نظام التنسك فقط، بدأت الأسس الكاملة للثقافة الهندية تعتبر بأنها أيضاً في طريق حياة التنسك، المرتكزة على الزهد والإعتاق .

عندما أصبحت هذه النظرة الانفصالية للحياة مقبولة بأنها أساس الحكمة الفيدية، فقدت شمولية الحياة واكتمالها. سيطر هذا الخطأ في الفهم على التراث الهندي لعدة قرون وقلبت مبدأ الحياة رأساً على عقب. الحياة على أساس الانفصال! هذا هو التشويه الكامل للفلسفة الهندية. إنه لم يحطّم طريق الإدراك فقط لكنه

قاد الباحثين عن الحقيقة بشكل مستمر في الضلال. وفي الحقيقة تركهم من دون إمكانية إيجاد الهدف مطلقاً .

لم يضيع الطريق إلى التنوير فقط، بل اختفى فن الحياة الكامل في غيوم الجهل التي حجبت كلّ مراحل الحياة. حتى الدين أصبح فاقداً البصر لذاته. وبدلاً من أن يساعد الناس مباشرة على كسب وعي الله والتصرّف بشكل صحيح على تلك القاعدة، بدأ المبشرون الدينيون بالتعليم أن العمل الصحيح في بذاته طريق التنقية وبالتالي يؤدي إلى وعي الله .

من دون الكينونة، غزى التشويش للسبب والمسبب كلّ حقل الفهم إلى أن أسر الحقل الأكثر عملية لفلسفة اليوغا أيضاً. بدأ فهم الكارما يوغا (نيل الإتحاد عن طريق العمل) بأنها تستند على الكارما (العمل)، في حين أن قاعدتها هي اليوغا، التوحيد، الوعي التجاوزي. كما تم إساءة تفسير مؤسس فلسفة اليوغا، بتنجلي بنفسه، وعكسوا نظام المراحل الثمانية لطريقته. وفهمت ممارسة اليوغا بأنها تبدأ بالياما ومن ثم نياما، وهكذا (المزايا العلمانية)، في حين أنه في الواقع يجب أن تبدأ بالسمادي .لا يمكن اكتساب السمادي بممارسة الياما ومن ثم نياما، وهكذا. إن البراعة في المزايا يمكن أن تكسب فقط بالاختبارات المتكرّرة للسمادي. لقد كان ذلك لأن التأثير قد أخطأ فيه بسبب أنّ هذه الفلسفة العظيمة للحياة أصبحت مشوّهة ومنعت الطريق إلى السمادي .

ومع خسارة البصيرة في اليوغا، فقدت الأنظمة الكلاسيكية الأخرى الخمسة من الفلسفة الهندية قوّتها. فبقوا على المستوى النظري للمعرفة، لأنه ومن خلال اليوغا وحدها تخطو تلك المعرفة إلى الحياة العملية .

هكذا نجد بأن كلّ حقول الدين والفلسفة تم إساءة فهما وترجمة بشكل خاطئ لعدّة قرون ماضي. هذا ما منع الطريق إلى التطوّر الأكمل للقلب والعقل، التي تم إحيائها من قبل شنكرا تحديداً .

إن تفسيرات البها غافاد غيتا والكتب المقدّسة الهندية الأخرى هي الآن مليئة بفكرة التنسك التي ينظر إليها بالارتياب من قبل الأشخاص العمليين في كلّ جزء من العالم. يتردّد العديد من الجامعات الغربية في تعليم الفلسفة الهندية لهذا السبب .تقع المسؤولية لهذه الخسارة للحقيقة إلى العالم بأكمله على عاتق مترجمي تعاليم شنكرا؛ ومع فقدان جوهر حكمته، كانوا غير قادرين على حماية العالم من الهبوط في أعماق الجهل والمعاناة .

لكن هذا العصر له الحظ السعيد. لقد شهد على المثال الحيّ لإنسان ملهم بالحكمة الفيدية في شموليتها وبالتالي قادراً على إحياء فلسفة الحياة المتكاملة بكلّ حقيقتها وامتلائها. إنه صاحب الإلوهية سوامي برمهانندا سرسفاتي، إنه الإلهام والنور المرشد لهذا التفسير للبها غافاد غيتا. لقد زيّن مقعد شنكراتشاريا للشمال، وتوهّج في الإشعاع القدسي، جسّد في ذاته رأس وقلب شنكرا. شرح الحقيقة في طبيعتها الشاملة. كلماته الهادئة، التي يجيء من الحبّ غير المحدود من قلبه، تخرق قلوب كلّ الذين سمعوها وتجلب التنوير إلى عقولهم. كانت رسالته رسالة امتلاء القلب والعقل .يحرّك مثل التجسد الحيّ للحقيقة وكان يلقّب بتجسّد فيدانتا من قبل الفيلسوف الهندي العظيم، الذي هو الآن رئيس الهند، الدّكتور رادهاكريشنا .

كان اهتمام غورو ديفا، صاحب الإلوهية سوامي برمهانندا سرسفاتي، في تنوير كلّ البشر في كل مكان ما أدى إلى تأسيس حركة التجديد الروحية العالمية في العام 1958، بعد مغادرته عنّا بخمس سنوات. إن الهند هي البلاد التي تهتمّ كثيراً بالحقيقة، والشعب الهندي هو الشعب الذي يعنيه الله أكثر. شهدت الأراضي الهندية الكثير مراحل إحياء فلسفة الحياة الحقيقية. لم يتردد الشعب الهندي أبداً في العودة مرة أخرى إلى الطريق الصحيح حينما يشار إليها بإقناع وبأنّ طريقة حياتهم قد أخذت المنحى الخاطئ .هذا التقبّل للحقيقة للشعب الهندي كان دائماً مصدر الإلهام وإشارة الأمل إلى كلّ الحركات التي تهدف نحو إحياء الحياة والمعيشة الحقيقية .

ليكن هذا التفسير الحالي للبها غافاد غيتا، منتجاً للتأثير المطلوب ردّاً على الضرورة التاريخية للحاضر.
إنّ غاية هذا التفسير هي في إعادة الحقائق الأساسية للبها غافاد غيتا وبذلك تعيد أهمية تعاليمها. إذا تم إتباع هذه التعاليم، ستتحقق الفعالية في الحياة، وسيكتمل البشر على كلّ المستويات وستكتمل أيضاً الحاجة التاريخية للعصر.

مهاريشي ماهش يوغي

ذي أولدر مانور، ألدبورن
ويلتسشاير، إنجلترا
12 يناير/كانون الثّاني 1965



البـهاغافاد غيتا هي نـور الحياة، أنـارها الله على مذبـح الإنـسان، لحماية البـشرية من ظلام الجهل والمعانـاة. إنـها كتاب مقدّس يعيش أطول من الزمن، ويـمكن الإقرار بـه أن لا غنـى عنـه لحياة أيّ إنـسان في أيّ عصر. إنـه موسوعة الحياة، ويؤمن هذا التفسير دليلاً له.

سيكون هنـاك دائماً التشويش والفوضى في الحقول النسبية للحياة وسيقع عقل الإنـسان في الخطأ والتردد دائماً. إنّ البـهاغافاد غيتا هو الدليل الكامل للحياة العملية. إنـه موجود دائماً لينـقذ الإنـسان في أيّ حالة. إنـه مثل المرساة لسفيـنـة الحياة التي تبـحر في الأمواج العاصفة للزمن.

يجلب الاكتمال إلى حياة الفرد. وعنـدما يقبله مجتمع، ستكون النـتيج في الأمان الاجتماعي والفضيلة، وعنـدما يـسمعه العالم، سيعمّ السلام العالمي الدائم.

يقدّم البـهاغافاد غيتا علم الحياة وفنّ المعيشة. ويعلّم كيف نـكون، كيف نـفكّر وكيف نـعمل. إن تقنـيتـه لتمجيد كلّ أوجه الحياة من خلال الاتصال بـالكينـونـة الداخلية، هي مثل سقاية الجذر ولجعل الشجرة خضراء بـالكامل. إنـه يتفوّق على أيّ حكمة عملية من الحياة ويعتز بـه أبـداً المجتمع البـشري.

للبهاغافاد غيتا العدد الأكبر من التفسيرات من أيّ كتاب مقدّس معروف آخر .والسبب في إضافة تفسير آخر هو لعدم وجود أيّ تفسير يكشف النقطة الأساسية حقاً للتعاليم الكاملة.

كشف المفسّرون الحكماء، في محاولتهم لتحقيق حاجة عصرهم، حقيقة التعاليم كما وجدوه. وبقيامهم بذلك ضمنوا مكاناً في تاريخ الفكر البشري. يبرزون بأنهم يحملون المشاعل على الممر الطويل للزمن. لقد غاصوا في أعماق بحر الحكمة. ورغم ذلك ومع كلّ إنجازاتهم المجيدة لم يظهروا النقطة المركزية للبهاغافاد غيتا. من المؤسف أن يفتقد هذا الجوهر الحقيقي لهذه الحكمة القديمة.

تحتاج البهاغافاد غيتا إلى التفسير الذي يعيد صياغتها بكلمات بسيطة التعليم والتقنية الأساسية التي أعطاها المولى كريشنا إلى أرجونا في ساحة المعركة. هناك تفسيرات تسبيح حكمة طرق المعرفة، الولاء والعمل في البهاغافاد غيتا، ولكن لا يوجد التفسير الذي يظهر أنها تؤمن المفتاح العام لفتح باب كلّ هذه الطرق المختلفة لتطوّر الإنسان بشكل تلقائي. لا يوجد أي تفسير حتى الآن يظهر بأنّه من خلال تقنية بسيطة واحدة معلنة في البهاغافاد غيتا، يمكن لأيّ إنسان، ومن دون الحاجة لترك طريقة حياته، أن يتمتّع ببركات كلّ هذه الطرق.

لقد كتب هذا التفسير ليقدّم ذلك المفتاح إلى البشرية ويبقيه للأجيال القادمة.

إنّ البهاغافاد غيتا هو الكتاب المقدّس لليوغا، الكتاب المقدّس للتوحيد القدسي. غايته في الشرح النظري والعملي لكلّ ما نحتاج إليه لرفع وعي الإنسان إلى أعلى مستوى ممكن. إنّ أعجوبة لغتها وأسلوبها هي بأن كلّ تعبير منه يجلب التعاليم المناسب لكل مستوى من مستويات تطوّر الإنسان.

أساساً هناك أربعة مستويات للوعي يتغيّر على كلّ منها طبيعة الممارسة: حالة اليقظة والوعي التجاوزي والوعي الكوني ووعي الله. كلّ تعاليم البهاغافاد غيتا لها تطبيقها على كلّ من هذه المراحل من التطوير.

لذلك يجب أن يكون كلّ تعبير مفسراً بأربعة طرق مختلفة لكي تشرح بشكل نظري وبالممارسة، التقدم التصاعدي للحديث على كلّ هذه المستويات الأربعة المختلفة. هكذا إنه من الواضح أن البهاغافاد غيتا ككل يجب أن تفسّر أيضاً بأربعة طرق مختلفة لكي يمكن شرح الطريق الكامل لإدراك الله بوضوح.

بما أن اللبهاغافاد غيتا لم تفسر حتى الآن بهذا الأسلوب، بقيت الرسالة الحقيقية لهذا الكتاب مخفية. من المهم جداً أنّ تكتب هذه التفسيرات الأربعة، ليس فقط من أجل إنصاف الكتاب لكن أيضا لتقديم الطريق المباشر إلى الباحث وإعطائه الحكمة العميقة لهذه الفلسفة العملية.

تتطلّب المعرفة الشاملة لأيّ موضوع بأنّ تكون صلاحيتها مثبّتة بالمعايير المحددة في الأنظمة الستة للفلسفة الهندية: نيايا، فايشيشيكا، سانكهيا، يوغا، كارما ميمانسا وفيدانتا.

ولكي يكون التفسير كامل، يجب أن تكون كلّ وجهة نظرية وتطبيقية وبأي مرحلة من التطور كانت، قابلة للإثبات بكلّ هذه الأنظمة الستّة بشكل تلقائي. وبالتالي تتبع تلك التثبيتات الستة لكل من التفسيرات الأربعة المذكورة أعلاه التي هي ضرورية لكشف الأهمية الكاملة للبهاغافاد غيتا.

يجب أن يعتبر التفسير الحالي القاعدة العامّة لهذه التفسيرات أربع وعشرون .وإذا سمح الوقت، سوف تكتب هذه التفسيرات. لكن لأن العالم هو بأمس الحاجة للمبدأ الأساسي للتطوّير الروحي، نعتقد أنه من الضروري إصدار التفسير الحالي من دون مضيعة للوقت.

من المفيد للقارئ أن يعرف بأنّ هذا التفسير قد أصدر فقط بعد التحقق من التقنية في حياة آلاف الناس من الجنسيات المختلفة في كل أنحاء العالم، تحت رعاية حركة التجديد الروحية التي تأسّست من أجل غاية وحيدة للتجدّد الروحانية لحياة كلّ البشر في كلّ جزء من العالم. إنها تقدّم الحقيقة الخالدة والكونية،

حقيقة الحياة التي تناسب كل البشر على حد سواء، بصرف النّظر عن الاختلافات في الإيمان أو الثقافة أو الجنسية.

إنّ المفهوم العامّ لهذا التفسير هو أنه مكمل للرؤية الفريدة والحكمة العميقة لشنكرا العظيم، كما يظهر ذلك في كتابه غيا بهاشيا. هذه الحكمة هي هدية عظيمة من غورو ديف. كلّ المجد له! إنها تقدّم نور الحياة وتضع مجرى الحياة لتجد اكتمالها في بحر الكينونة الأبدية، في الولاء إلى الله وفي غبطة وعي الله.

فليستعمل كلّ إنسان هذه الحكمة العملية الواردة في الآية الخامسة والأربعون للفصل الثاني وبذلك يمجّد كلّ أوجه حياته وينال الحرية الأبديّة في الوعي القدسي

الفصل الأول

نظرة على التعاليم في الفصل الأول

الآية 1. يبتدئ الفصل بسؤال يتطلب معرفة تفصيلية من ساحة معركة الحياة والمدى الكامل لتطور الإنسان.

الآية .2 يبدأ الجواب بالكلمات التي يمكن أن تترجم لتوضيح الفلسفة الكاملة لتكامل الحياة؛ ليس فقط فلسفة اليوغا، أو التوحيد القدسي، إنما كلّ الأنظمة الستّة للفلسفة الهندية، التي تمثل اليوغا جزء واحد منها فقط إنّ المعرفة الأكثر منهجية للمدى الكامل للحياة والتطور يتم تقديمها هنا في آية واحدة.

الآية .3 إنّ الضرورة للإدراك بأنّ القوات المضادة على ساحة معركة الحياة هي من صنع الفرد.

الآيات 4 إلى 6. جرد حساب للقوات التي تدعم الخير.

الآيات 7 إلى 11. جرد حساب للقوات التي تدعم الشرّ.

الآيات 12 إلى 13. يبتهج الشرّ في تحدّي الشرّ.

الآيات 14 إلى 19. يردّ الخير على تحدي الشرّ.

الآيات 20 إلى 24. يأخذ الباحث عن الحقيقة موقفاً له بين القوات المضادة للخير والشر.

الآية .25 يكون وعيه مرفوعاً بموجة من المحبّة الملهمة إلهياً.

الآيات 26 إلى 28. يرى حقيقة ساحة معركة الحياة؛ ويرى نزاع القوات المضادة كأنها من الصميم الحياة.

الآيات 29 إلى 46. يتقصّى بعمق ويجد ستّ عشرة مشكلة أساسية تشكّل قاعدة لكلّ النزاعات .يريد حلاً لكي يمكنه أن يعيش حياة خالية من المشاكل.

الآية .47 تقديره للمشاكل الأساسية المتأصّلة في الحياة هو حادّ جداً بحيث يصبح شعوره بنفس شعورهم بالكامل. فيقف صامتاً، ومنغمس جداً، يبحث عن حلّ على مستوى الاستحالة، حيث لا يوجد أي حلّ.

هذه هي الحالة الأكثر تطرفاً التي يمكن أن تواجه الباحث عن الحقيقة. ومن أجل حلّ هذه الحالة المتطرّفة، تزوّد النصوص القديمة للتوحيد القدسي حلاً بسيطاً واحد لكلّ المشاكل في الحياة.

ملخص سريع

يهيّئ هذا الفصل الأرضية ويضع المشهد للحوار المجيد لأغنية المولى، البهاغافاد غيتا .بالرغم من أنّ الفصل لا يحتوي الحديث الفعلي للمولى، والذي يبدأ فعلاً في الفصل الثاني، فهو يقدّم المشاكل الأساسية للحياة ويعطي المولى كريشنا الفرصة لاقتراح الفلسفة والممارسة اللتان تمكّنان الإنسان على عيش حياة خالية من المعاناة. إنه فصلٌ ذات قيمة عظيمة لمساهمته في علم الحياة.

يخدم الفصل كعريضة من ممثل الجنس البشري إلى تجسّد القدسّي – عريضة لتقول بأنه وبالرغم من أنّنا نحاول أفضل ما يمكن كي نعيش حياة الأحقية، إلا أن المعاناة لا تبدو أنها تفارقنا. فيكون المطلب: أعطنا حياة خالية من المعاناة.

هناك جملة قصيرة واحدة في هذا الفصل تكلّمها المولى كريشنا إلى أرْجونا في ساحة المعركة .الكلمة الأولى التي تخرج من شفاه المولى تملأ أرْجونا بالمحبّة وترفع قلبه إلى الطبقة المرتفعة من عقله. يكسب كلّ من قلب أرْجونا وعقل ، بالرغم من أنه ثابت في مستوى عالي من اليقظة، تلك الحالة من الاكتفاء الذاتي حيث

يضيع التواصل بينهما تقريباً، وبذلك يفقد الدافع إلى النشاط لكن داخلياً يرتفع وعي أرْجونا إلى ذلك المستوى العالي للتعليق الذي ينقّي قلبه وعقل من كلّ الشوائب ويمكّنه من تقبل حكمة المطلق، الرسالة الخالدة للحياة لمنفعة الكلّ، في فترة قصيرة.

عندما يرى دوريودهانا جيشه الخاص والجيش المقابل له متراصون في ساحة المعركة، يعطي الإشارة للعراك وأرْجونا، النبّال الأكبر في زمانه، مدروس وواعي، صمّم على معارضة الشرّ ومع فيض قلبه بموجة من المحبّة، يتصوّر نتائج الحرب ويصل إلى حالة التعليق بين ما يمليه عليه قلبه و ما يمليه عليه عقله. تعطي هذه الحالة، حيث يكون الوعي في حالة من التعليق، وحيث يكن كل من العقل والقلب على الحدّ الأعلى من اليقظة، المناسبة المثالية للذكاء القدسي ليتخطى ويحدد قدر الإنسان.

إن الحياة هي ساحة المعركة للقوات المضادة. ومن يلجأ إلى الذكاء القدسي، مثل أرْجونا، يتلقى النور ويشترك في الغاية الكونية لاكتمال ذاته والآخرون. لكنّ من يؤخذ بالإغراء، مثل دوريودهانا، يصبح عائقاً على الحياة؛ فيعيق تطوره الخاص ويعيق تقدّم الآخرين أيضاً.

يقدّم هذا الفصل ميكانيكية الطبيعة ويكشف أساسيات الحياة والمجتمع. في حين يبقى على المستوى البشري، فهو يصوّر مرتفعات الوعي البشري الذي به ينزل القدسي على الأرض .إنه يؤمن ألأسس القويّة لصرح تعاليم المولى كريشنا – حكمة الحرية الأبديّة في الحياة.

يبدأ الفصل مع دهريتارشترا في قصره الملكي في هاستينابور يسأل سانجايا لإخباره عن المعركة.

آيات الفصل الأول

١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧	١٨
١٩	٢٠	٢١	٢٢	٢٣	٢٤	٢٥	٢٦	٢٧	٢٨	٢٩	٣٠	٣١	٣٢	٣٣	٣٤	٣٥	٣٦
٣٧	٣٨	٣٩	٤٠	٤١	٤٢	٤٣	٤٤	٤٥	٤٦	٤٧							

الآية الأولى

قال دْهْريتارَشْتْرا:
يتجمعون في ساحة الدهرما، يا سَنْجايا،
في ساحة الكوروس، متلهفون للقتال،
قل لي ماذا ينوي شعبي أن يفعل مع البانْدافا؟

الدْهرما هي تلك القوّة المنيعة للطبيعة التي تدعم الوجود. إنها تحافظ على التطور وتشكّل القاعدة الأساسية للحياة الكونية. إنها تدعم كلّ ما هو مساعد للتطور وتحبط عزيمة كلّ ما هو معارض له. الدْهرما هي تلك التي تروّج للازدهار الدنيوي والحرية الروحية. لكي نفهم دور الدْهرما في الحياة، يجب أن

نتعرّف على ميكانيكية التطور.

عندما تتطوّر الحياة من حالة إلى أخرى، تضمحل الحالة الأولى تظهر الثانية في الوجود. وبكلمة أخرى، تجري عملية التطور تحت تأثير قوتان متعارضتان – الأولى لتهدم الحالة الأولى والأخرى للتسبّب بالحالة ثانية. تعمل هذه القوى الخلاقة والهدّامة بالتوافق مع بعضها البعض وتحافظ على الحياة وتسرّع عجلة التطور. تحافظ الدْهرما على الاتزان بينها. وبالحفاظ على الاتزان بين القوى الكونية المتعارضة، تحمي الدْهرما الوجود وتدعم طريق التطوّر، وطريق الصواب.

إن حياة الإنسان هي متطوّرة جداً بحيث يتمتّع بحرية العمل في الطبيعة. هذا ما يمكّنه على العيش بالطريقة التي يرغب، إمّا للخير أو للشرّ. وكما يتصرّف، كما ينال. عندما يزيد الخير في الحياة وتميل القوى الإيجابية إلى ترجيح الحالة الطبيعية للوجود، عندئذ تؤدي عملية الدْهرما، التي تعيد الاتزان، إلى مشاعر السعادة في القلب والرضاء في العقل. وبالطّريقة ذاتها، عندما يزيد الشرّ في الحياة وتسود القوى السلبية، تنتج قوّة الدْهرما، التي تعيد التوازن، أحاسيس الألم والمعاناة.

إن الحياة هي كما نريدها – إمّا نعاني أو بفرح. عندما نسمح للقوى الإيجابية والسلبية في البقاء في حالتهما الطبيعية للتوازن، نعيش بفترات طبيعية من الحياة. أما مساعدة نمو القوى السلبية يؤدّي إلى المعاناة؛ عندما نساعد القوى الإيجابية لكي تزيد، نشارك في بهجة الحياة. يكشف هذا القول "كما تزرع، كما تحصد"، دور الدْهرما في الحياة العملية.

تحلّ الأزمات والكوارث الفواجع في المجتمع أو البلد بسبب زيادة القوى السلبية التي تنتج عن الأعمال الشريّرة التي يقوم بها أغلبية الناس. ينتج عن الدرجة العالية من القوى السلبية المركّزة، ومن دون وجود القوى الإيجابية لموازنتها، المعاناة والدمار في الحياة. وبشكل مشابه، تخفق الدرجة العالية من القوى الإيجابية المركزة في إبقاء الحياة على حالتها الطبيعية. تدخل حياة الفرد تحت تأثير القوى الإيجابية المتزايدة في حقل زيادة السعادة وتتحوّل في النهاية إلى وعي الغبطة، وفي تلك الحالة تكسب منزلة الوجود الكوني والحياة الأبديّة.

بهذه الطريقة، نجد أن زيادة القوى السلبية تنتهي إلى التسليم أو الانطفاء في الحياة، بينما تؤدّي زيادة

القوى الإيجابية إلى الحياة الأبديّة. تتحرّك حياتنا الفردية ذهاباً وإياباً بشكل آلي كما نوجّهها نحن تحت تأثير الدْهرما. وكلما نطوّر القوى الإيجابية والسلبية، فهي تلعب دورها في حقل الدْهرما وتشكّل قدر الحياة. يمثل الجيشان للكورافا والبندافا في ساحة المعركة في كوروكشترا القوى السلبية والإيجابية في حقل الدْهرما. هذا ما جعل دهريتارشترا يقول: "يتجمعون في ساحة الدهرما، يا سَنْجايا، في ساحة الكورو" دهريتارشترا، كونه رئيس مجرّب كبير السن من العائلة المالكة، يعرف بأن ساحة معركة الكوروكشترا تقع ضمن الدْهرماكشترا، الأرض ما بين نهري يامونا وسرسفاتي، تحافظ دائماً على قداسته وتجلب النصر إلى المستقيمين.

إنه متلهّف لسمع تفاصيل الأحداث وفضولي للاكتشاف ما إذا كان التأثير الإيجابي للأرض له أيّ تأثير على الميول الهدّامة من أبنائه الأشرار؛ أو ما إذا كانت تحفّز أحقية الباندافا وتشجّعهم على الغفران للأشرار. هذا هو الوقت الوحيد الذي يتكلّم فيه دهريتارشترا في نصّ البهاغافاد غيتا. فهو يظهر فقط لكي يسأل هذا السؤال.

إن الكورو هم أعضاء عائلة الكورو، عشيرة بارزة في الزمان.

إنّ حقل الكورو هو سهل واسع قرب هستينابور في حيّ دلهي. وبما أنه يعود إلى الكورو في زمن هذه المعركة دعي الكوروكشترا.

"شعبي والباندافا": كان دهريتارشترا الملك فاقد البصر لعائلة الكورو. كان أخّوه الأصغر باندو يدير شؤون المملكة نيابة عنه. عندما مات باندو، أراد دهريتارشترا تسليم شؤون المملكة إلى يودهيشتريا، الأكبر سناً من أبناء باندو الخمسة، الذي كان يدعى الدْهرماراج، تجسد الأحقية، لصفاته النبيلة؛ لكن درهوديانا، الأكبر سناً من أبناء دهريتارشترا المائة الأشرار، ضمن العرش لنفسه بالخدع والخيانة وبدأ بمحاولة تحطيم يودهيشتريا وإخوته الأربعة.

حاول المولى كريشنا، كونه رئيس عشيرة يادافا، القيام بمصالحة بين أبناء العم؛ لكن عندما باءت كلّ محاولاته بالفشل واستمرّت خيانة دوريودهانا وزادت، أصبحت الحرب بين الكورافا والباندافا أمراً حتمياً. لقد استقطبت الملوك والمحاربين من كل أنحاء الكرة الأرضية للتحيّز، طبقاً لمستوى وعيهم، مع الباندافا

المستقيمين أو الكورافا الشرّيرين. وهكذا شكّل الخير والشر في العالم بأكمله كلا الجيشين. هذا ما بسّط مهمّة المولى كريشنا الرئيسية، التي كانت لتحطيم الشرّ وإعطاء الحماية إلى الإستقامة.

"سنجايا" هو قائد العربة للملك الأعمى دهريتارشترا. وتعني الكلمة الشخص الذي تغلب على الحواس والعقل. طلب من سنجايا أن يروي تفاصيل المعركة لأنه كان واضح الرؤية وواضح الاستماع وفي الوقت ذاته كان نزيهاً. إن البهاغافاد غيتا كلها هي إجابة سنجايا على سؤال دهريتارشترا.

الآية الثانية

قال سَنْجايا :

عندما رأى الأمير دورْيودْهانا جيوش أبناء

البانْدو منتظمين في وضع قتالي، اقترب من

معلّمه وقال له هذه الكلمات:

"معلمه" هو الشخص الذي يفهم معنى النصوص المقدّسة، ويعلّمه إلى الآخرين ويمارس تعاليمها بنفسه. إنّ المعلّم هنا هو دروناتشاريا، الذي علّم فنّ الحرب إلى كل من الكورافا والبندافا.

إنها لحظة حاسمة، لذلك من الطبيعي لدوريودهانا أن يقترب من معلمه، دروناتشاريا، لأخذ البركات والقوّة.

الآية الثالثة

أنظر هناك يا معلّمي، إلى الجيش الكبير
لأبناء الباندو المتأهب بقيادة تلميذك الحكيم
ابن دْروبادا.

"ابن دْروبادا"، دهيشتاديومنا، هو القائد عام لجيش البندافا.
يشير دوريودهانا إلى معلمه بأن الجيش المقابل هو كبير وقوي جداً لكن هذا لا يهمّ لأن جيشه الخاص يحظى بنعمة المعلم، بينما الآخرون هم مدعومون فقط من قبل المريد. وبالرغم من أنه حكيم، فهو يبقى مريداً، وبما أنه مستعدّ جداً للقتال ضدّ معلمه، ستكون روحه المعنوية ضعيفة وستخونه قوّته. وفي الوقت نفسه، وبالقول "تلميذك الحكيم"، يخلق دوريودهانا تأثيراً لإثارة عقل المعلم ضدّ المريد الذي نظّم الجبهة ضدّه.

الآية الرابعة

هاهم الفرسان الشجعان ورماة النبال الأقوياء،
الذين هم بمقدرة بْهيما وأرْجونا في المعركة،
ويويودْهانا وفيراتا ودْروبادا المهاراتهي .

"بْهيما" هو الابن الثاني لباندو، المحارب الأقوى لجيش الباندافا و عملياً هو المسيطر عليه ، بالرغم من أنّ مكتب القائد العام يديره دهريشتاديومنا.
أرْجونا، بطل المهابهاراتا، الابن الثالث للباندو. هو رامي النبال الأعظم من زمانه والصديق المقرّب للمولى كريشنا.
"مهاراتهي" تعني المحارب العظيم صاحب الماهرة في العلوم العسكرية الذي يمكنه أن يحارب منفرداً عشرة

آلاف من رماة النبال.

يويودْهانا" هو قائد عربة المولى كريشنا، يدعى أيضاً ساتياكي.

"فيراتا" هو الأمير على المنطقة التي سكن فيها الباندافا لبعض الوقت في التنكّر بعدما خسروا مباراة النرد مع دوريودهانا.

الآية الخامسة

دْريشتاكيتو وتْشيكيتانا وملك كاشي الشجاع
وأيضاً بوروجيت وكونْتيبْهوجا وِشايبْيا
القائد بين الرجال

دْريشتاكيتو هو ملك الشيديين. تْشيكيتانا هو المحارب المشهور في جيش الباندافا. بوروجيت وكونْتيبْهوجا هما أخوان. شايبْيا هو ملك قبيلة شيبي

الآية السادسة

ويودْهامانْيو الشجاع، وأوتاموجا الباسل؛
وابن سوبْهادْرا أيضاً، وأبناء دْروبادي،
هم جميعاً من الماهارتهي.

يبدو أن دورْيودهانا قد حقق عدّة أهداف في تسمية المحاربين العظماء في الجيش المقابل. ذلك لتقوّية عقله الخاص ولصحوة الحسّ العميق بالمسؤولية في عقل معلمه وليحث على اليقظة عند كلّ أولئك الذين يستمعون إليه.

بعد أن خلق هذه التأثيرات، وهذا الجوّ، يلفت دورْيودهانا، في الآية التالية، انتباه معلمه إلى الأبطال العظماء من جيشه الخاص.

الآية السابعة

واعرف جيداً، يا أنبل أصحاب الولادتين،
أولئك المتفوقون بيننا، أكلمك عن قادة
جيشي الذين قد تعرفهم.

"أصحاب الولادتين" هو مصطلح يستعمله دورْيودهانا في التخاطب مع المعلم، دروناتشاريا. ذلك من أجل مديحه وفي الوقت ذاته من أجل إثارة الحسّ بالمسؤولية فيه، لكي يبقى صادقاً للقضية التي تعهّد بها.
يستعمل مصطلح "أصحاب الولادتين" عموماً للمولود في العائلات البرهمانية، بالرغم من أن فئات الأخرى هي مؤهّلة أيضاً لمراسم الطهور طبقاً لشعائر الفيدية.
يقال أن البرهماني هو من أصحاب الولادتين لأنه وبعد ولادته، وعندما يصبح في الثامنة من العمر تقريباً، يخضع لمراسم الطهور الفيدية، وهذا ما يؤهّله لدراسة الفيدا – الوظيفة الرئيسية للبرهماني. وبذلك يشار إلى المراسم بأنها الولادة الثانية.
إنّ الولادة الثانية هي مهمة في الحياة لأنها تعطي الإنسان، المولود من الجسم، المدخل إلى حقل الروح. هذه هي الغاية الرئيسية لدراسة الفيدا، التي تفتح الباب إلى المملكة الداخلية للإنسان وتمكّنه رؤية نور الله.
وبذكر أسماء الأبطال في جيشه إلى معلمه، يراجع دورْيودهانا قوّته الخاصة ويخلق وعي القوّة الهائلة الذي يعود إليه وإلى كلّ شخص موجود هناك ليدعمه.

الآية الثامنة

أنت وبْهيشْما وكرْنا وكْريبا المنتصر في
المعارك، وأشْفاتْهاما وفيكرانا، وأيضاً
ابن سوماداتا.

بْهيشْما السلف (أخ زوجة الجدّ) لكلّ من الكورافا والباندافا. الذي رعى دهْريتراشْترا باندو. هو الأكثر خبرة من كلّ المحاربين المتجمّعين. عليه، يعتمد دوريودهانا صورة رئيسية.
"كارنا" هو الأخ غير الشّقيق لأرْجونا.
"كْريبا" هو نسيب دروناتشاريا.
"أشْفاتْهاما" هو ابن دروناتشاريا.
"فيكرانا" هو الابن الثالث من أبناء دهريتاراشترا.
سوماداتا هو ملك الباهيكا.

الآية التاسعة

وهناك عدد آخر من المحاربين الأبطال،
المجهّزون بمختلف أنواع الأسلحة،
يتحلون جميعاً بمهارة الأعمال الحربية،
ومستعدون للتضحية بحياتهم من أجلي.

بعد أن أعاد سرد أسماء الأبطال في جيشه الخاص، يشدّد دوريودهانا على قوّتهم وفي الآية التالية يقارن القوّة في الجانبين.

الآية العاشرة

لا يعدّ جيشنا هذا الذي يقوده بْهيشْما،
بينما الجيش الذي يقوده بْهيما هو محدود.

كان لا بد أن يحرض دوريودهانا قائده الخاص، بْهيشْما، ضدّ بهيما الجبّار، رئيس جيش البندافا. في الوقت ذاته، ذكّر بهيشما بأنه القائد وتقع عليه مسؤولية النصر أو الهزيمة.
بعد أن أعلن بأنّه أكثر قوّة من خصمه، يعطي دوريودهانا ، في الآية التالية، أمره النهائي للمعركة.

الآية الحادية عشر

لذا وبما أنكم منتظمين في مواقعكم الخاصة على كلّ الجبهات، انصروا بْهيشْما وحده جميعكم.

تظهر هذه الآية دهاء دوريودْهانا. إنه يعرف بأنّ أغلب المحاربين المتجمّعين إلى جانبه ليسو هناك بشكل رئيسي من أجله هو، لكن بسبب حبّهم لبْهيشْما. لهذا السبب يتكلّم كما يفعل

وبقيامه بذلك العمل فهو يربح عطفهم وثقتهم سويّة مع ثقة بْهيشْما.

الآية الثانية عشر

يطلق الكورو المسنّ الجد الكبير المجيد (بْهيشْما)، صرخة الحرب مثل زئير الأسد، وينفخ بوق ليفرح قلب دورْيودْهانا.

بعد أن سمع كلمات دوريودْهانا يشجّعه بْهيشْما ويبدأ بإعطاء إشارة المعركة.
تصف الآية التالية كيف انضمّ جيش دوريودْهانا بالكامل إلى بْهيشْما في إحداث الضجيج كي يظهروا استعدادهم للقتال.

الآية الثالثة عشر

ومن ثم انطلقت بشكل مفاجئ الأبواق والمزامير والطبلات والدفوف والطبول وكان الصوت رهيباً.

"بشكل مفاجئ" تعبّر هذه العبارة عن الطريقة التي تعمل بها الطبيعة. تضمن الطبيعة المرونة العظيمة لنمو الخير أو الشرّ في الجوّ. لكن عندما ينمو التأثير إلى ما بعد الحدود المقبولة من المرونة، سوف لن تتحمّلها الطبيعة؛ وفجأة تصل إلى نقطة الانفجار. إن الانفجار المفاجئ لزئير بْهيشْما مثل الأسد، والضوضاء الصاخبة الناتجة عن الجيش بكامله هي مثّل الصرخة الكبيرة للطبيعة التي تعلن نقطة الانفجار للشرّ الذي لا يحتمل الذي جمّعه دوريودْهانا ومؤيدوه لأنفسهم.

لقد نتجت حروب في التاريخ من التأثير المتراكم للعدائية على الأبرياء؛ يواصل الأفراد في اضطهاد الآخرين، من دون أن يعرفوا بأنّ العدائية تنمو في الجوّ، وفي النهاية تنفجر في وجههم بشكل كوارثتهم الخاصة. يحصد الفرد نتائج أعماله الخاصة.
تصف الآيات التالية تأثير هذا الأمر على الجيش المعتدي.

الآية الرابعة عشر

عندئذ، وهما جالسان في عربة عظيمة تجرها الخيول البيضاء، ينفخ أيضاً مادْهافا (المولى كْريشْنا) وابن بانْدو) أرْجونا) بوقيهما العظيمة.

في هذه الآية، كلمة "عندئذ" لها أهمية خاصّة، لأنها تظهر بأن البانْدافا – أرْجونا وفريقه – ا يأخذان مركز الصدارة في المعركة لكنها يردّان على أعمال الكورافا فقط.
هذا هو السلوك الطبيعي للناس المستقيمين – لا يكونوا عدوانيين أبداً. وإذا بدوا كذلك، فهم يلعبون دورهم فقط كآلات للخطة القدسية. لقد تم تحدّي البانْدافا، ويجب عليهم أن يقبلوا الدعوة كما تجيء؛ لكنّهم لا يعطون الإشارة الأولى للحرب. فقط وعندما يستلمون الإشارة من الجانب الآخر يلتزمون بالإجابة عليها. وعندما يجيبون، تكون إجابتهم أكثر قوّة لأنها مبنية على قوّة الحق.
كلمة "عربة" لها دلالة ماورائية خاصة. إنّ" العربة" البنية الفسيولوجية، الجسم. دورها في ساحة المعركة كوسيلة للعملية الطبيعية للتطور. والحواس هي الخيول التي تجر عربة الجسم.
"تجرّها الخيول البيضاء"؛ يمثّل اللون الأبيض الساتْفا، أو النقاوة،وبالتالي تعني أن العربة يتم قيادتها تحت تأثير النقاوة أو الاستقامة. عندما النفس يوجّه، الجسم يتحرّك تحت تأثير

سائقًا. يمثّل المولى كريشنا الذات، والعربة التي يقودها يجب أن تجرها الخيول البيضاء. أن المظهر بحد ذاته يعبّر عن غايته. فهو يقف ويتحرّك لحماية ووقاية النقاوة والاستقامة. تعني كلمة "مادْهافا" سيد الحظ وأيضا قاتل شيطان مادهو. إن استعمال هذا الاسم يشير إلى قوّة المولى كريشنا على الطبيعة. إنها تشير بأنّه سيثبت أنه سيد الحظ إلى أولئك الذين يساندون القوى الإيجابية و سيثبت بأنه قاتل الشياطين إلى أولئك الذين يروّجان للشرّ. يقف المولى كريشنا محايداً بين الجيشين، ينفخ بوقه ليعلن أنّه موجود هناك من أجل أن يستخلص أي شخص الفائدة من حضوره.

الآية الخامسة عشر

ينفخ هْريشيكيشا (المولى كريشنا) البنْشاجانْيا. وينفخ دْهانانْجايا (أرْجونا (الديفاداتّا وينفخ بْهيما صاحب المهمات الجبارة بوقه العظيم البونْدْرا.

كلمة "هْريشيكيشا لها معنيان، طبقاً للطريقتين المختلفين التي تشتقّ فيها الكلمة من المصدر. إنها تعني سيد الحواس وأيضا صاحب الشعر الطويل. إن كلا المعنيان هما هامّان. للشعر الطويل علاقة بالسيطرة الحواس. ينتج عن قصّ الشعر بعض الطاقة غير الملحوظة التي تميل إلى إخراج الحواس عن السيطرة. وهكذا لا تكشف الكلمة ظهور المولى كريشنا في ساحة المعركة فقط، بل تكشف أيضاً القوّة الداخلية لقائد العربة الذي يمكن أن يسيطر على أيّ حالة، كونه سيد الحواس.

"البانشاجانيا هو البوق المصنوع من عظم الشيطان بنشاجانا.

"الديفاداتّا" تعني المعطى من الله – هذا البوق الذي استلمه أرْجونا من أبّيه القدسي، إنْدرا.

"دْهانانْجايا" تعني الفائز بالثروة، أرْجونا.

تكشف الكلمات " نفخ هْريشيكيشا البانشاجانيا" العديد من النقاط الهامّة. فهي تبلغ أولاً أن نفَس المولى كريشنا قد امتصّ بعنصر الشيطان في البوق الذي أنتج الصوت. هذا ما يترك المولى كريشنا محايداً في المعركة، كما وعد.

لقد تبجل المولى كريشنا من قبل كورافا والباندافا معاً. لقد تم التقارب منه للمساعدة في الوقت ذاته من قبل أرْجونا ودوريودْهانا معاً، عندما كان كلّ منها يستعدّ للحرب. وبما أن المولى كريشنا لم يستطع أن يقول نعم لأي منهما بحضور الآخر، فقد حلّ المسألة بالطلب منهم ليقررا بين أنفسهما.

قال المولى كريشنا: "سأكون من جهة، وسيكون جيشي في الجهة الأخرى، لكنّي لن أحارب، إلا أن جيشي سيفعل. يجب عليكما أن تقرّرا الآن بين أنفسكما من منكما يرد أن يأخذني إلى جانبه ومن يريد أن يأخذ جيشي."

أعطي الخيار الأول إلى دوريودْهانا، الذي فضّل أخذ الجيش. هكذا كانت النتيجة أن يساعد المولى كريشنا أرْجونا، لكن وبما أنه وعد أن لا يحارب، أصبح قائداً لعربة أرْجونا ووجّه مصير المعركة.

هناك معنى آخر لجملة عندما يطلق سيد الحواس إشارة الحرب بواسطة بوق الشيطان. فهو يشير بأنّ المولى كريشنا قد خلق قوة شيطانية قويّة ضدّ الكورافا الشيطانيين. والسبب ه بأنّ قوة الاستقامة هي إيجابية دائماً، إنها خلاقة بنّاء دائماً؛ ولا تستطيع أن تهدم. يمكن يجلب الدمار فقط بواسطة القوى السلبية. ولأنهم يملكون قوّة الاستقامة، كان من الصعب عل الباندافا أن يحطموا الكورافا. لذلك أثار المولى كريشنا، من خلال صوت بانشاجانيا، القوى السلبية في داخل كلّ الحاضرين في كلا الجيشين. أعطى حماس القوى السلبية في جيش الباندافا ذلك الجيش قوة الأكثر بكثير لتحطيم الشرّ بسبب الدعم من القوى العظمى للاستقامة، في حين أن حماس القوى السلبية في جيش كورافا عجّل بدمارهم بسبب العنصر السلبي الفائق التركيز من دون دعم أيّ قوة إيجابية.

هناك أيضاً نتيجة أخرى. نفخ المولى كريشنا البانشاجانيا ليعلن جهاراً أن ردّ البانداڤا إلى إشارة الحرب لا تنتمي لاستقامتهم. فقد كان فقط صدى الضجيج الشيطاني للكوراڤا المنبعث من البانشاجانيا. لقد كان صدى شيطاني يردّد صوت الشيطان، وإذا كان هناك أيّ شيء أصلي في الصوت، فهو ندب البانشاجانيا على الألم والظلم الذي عانى منه البانداڤا لعدّة سنوات من اضطهاد الكوراڤا.

سيد الحواس لم يستعمل حواسه: إنه يزفر فقط من البانشاجانيا. كانت المناسبة بعيدة جد عن مستوى صاحب الإلوهية المولى كريشنا للردّ عليها. إنّ سيد الحواس محايد، وثابت أبداً في حالته الأبديّة للكينونة، في حين أن كلّ الأشياء حوله تتفاعل مع الجوّ السائد. وكونه سيد الحواس، تتجاوز منزلته الاستقامة الأعلى، وكان الكوراڤا على المستوى الأسفل من الشرّ. إنه بسبب الاختلاف الكبير بين منزلة المولى كريشنا ومستوى وعي الكوراڤا، وعد في البداية أنه لن يقاتل في المعركة.

إن كلّ هذه المضامين محتوية في العبارة الأولى من هذه الآية. إنه مجد ڤْياسا، الحكيم صاحب الرؤية المتنورة الذي كتب البهاغاڤاد غيتا، هو في أن المضامين لأي كلمة واحدة فيها لا تنضب.

يستمرّ إعادة سرد أسماء المحاربين والأبواق التي نفخوا بها في الآيات الثلاثة القادمة.

الآية السادسة عشر

الأمير يودْهيشْتهيرا، ابن كونتي، ينفخ بوقه الأنانْتافيجايا، وناَكولا وساهاديفا ينفخان السوغوشا والمانيبوشباك.

"كونتي" هي أمّ الباندافا الخمسة ، أبناء باندو.

"يودهيشتهيرا" هو الأكبر سنا من الباندافا الخمسة.

"ناكولا" هو الربع، وهو ماهر في فنّ تدريب الخيول.

"ساهاديفا" هو الخامي والأصغر، وهو ماهر في رعي الماشية.

تعني كلمة " أنانتافيجايا" النصر الأبدي.

تعني كلمة "سوغوشا" ذات النغم العذب.

تعني كلمة " مانيبوشباكا" الدرر المتفتحة.

الآية السابعة عشر

مَلك كاسي رامي النبال العظيم،

وشيكانْدي المهاراتهي، ودْريشتاديومنا

وفيراتا، وساتياكي الذين لا يقهروا.

الآية الثامنة عشر

ودْروبادا وكذلك أولاد دْروبادي؛

والابن الندجج بالسلاح سوبْهادْرا،

يا سيد الأرض، جميعهم نفخوا

أبواقهم المختلفة.

"يا سيد الأَرض": يخاطب سنْجايا دْهريتارشترا، الملك

الآية التاسعة عشر

بهذه الأَصوات الرهيبة التي هزّت
الأَرض والسموات وأَرعبت قلوب
رجال دورْيودْهانا.

أَعلن الباندافا استعدادهم للحرب بنفخ الأَبواق، التي أرعدت الهواء وتذبذب من خلال كلّ شي في الأَرض والسماء، الأَمر الذي عكّر صفو الكون.
تكشف هنا عملية كونية. أَشبعت الأَعمال الشريّرة للكورافا الجوّ، وإذا جاز التعبير، لقد تخلّل كلّ شيء بتأثيرها السيئ. اهتزّ هذا التأثير السيئ عندما ارتفعت الاستقامة، بعدما اكتسب القوّة، لتقبل التحدي. وجدت قوة الدمار في العالم لكي تتحطّم بالموجة المتصاعدة للحياة.

الآية العشرون

عندما رأى أبناء دْهْريتارَشْتْرا
منتظمين في وضعية القتال، مثل
القذائف التي على وشك الانطلاق
استعد إبن باندو (أَرجونا)، الذي يحمل
راية لصورة هانومان، وهيأ قوسه.

"أبناء دْهريتارشترا منتظمين في وضعية القتال" يمثّلون الشرّ المستعدّ لإبادة الاستقامة. عندما "هيأ أرْجونا قوسه"، أبدى استعداد الاستقامة لمقاومة الشرّ وإعادة الانسجام على الأرض. إنها عملية كونية. كلما يظهر الشرّ ويهدّد بتجاوز الحياة، تتحرّك الطبيعة لموازنته . فترتفع موجة من الاستقامة لتزيل الشرّ. أولئك الوسطاء الذين تدخل الرزيلة من خلالهم إلى العالم يهلكون من ارتفاع مثل هذه الموجة، وأولئك الذين تحمّلوا المعاناة تحت تأثير الشرّ، يصبحون آلة الاستقامة، ويبدءون بالتمتّع.

"راية لصورة هانومان :"يمثّل هانومان الولاء والخدمة إلى المولى الأسمى. تكرّست حياة أرْجونا للمسألة القدسي. مهارته وفنّه في الرماية كانا مفيدين لمسألة لاستقامة. لذلك كانت عربتا تحمل الراية بصورة هانومان.

الآية الواحدة والعشرون

ومن ثم، يا سيد الأرض، قال أرْجونا
إلى هْريشيكيشا (المولى كريشنا:(
انتقل بعربتي وأوقفها بين الجيشين،
يا أتْشيوتا.

"سيد الأرض": من خلال هذا التعبير يلفت سنْجايا انتباه دْهيراتارشترا على الحقيقة بأنّه يملك التأثير ليتدخّل ويوقف الجيشين من تورطهما في الدمار. في الآية 18 خاطب سنْجايا دْهيراتارشترا بعبارة "سيد الأرض". يشير التعبير المتكرّر بأنّه يريد جعل دْهيراتارشترا يرى جدية الوضع –أعلنت كل من الجيشين استعدادهما للقتال، والآن ينتقل أرْجونا إلى الطليعة. إن كلّ لحظة هي حيوية وهامّة. ويبدو أن الدمار حتمي.

تعني كلمة "أتشيوتا" الثابت الذي لا يتحرك يدعو أرْجونا المولى كريشنا" أتشيوتا". فهو
يريد أن من الثابتين أن يبدءوا بالتحرّك من أجله! وتعني 'أتشيوتا 'أيضا الذي لم يسبق أن
وقع من قبل. وبذلك يريد أرْجونا أن يقترح على المولى كريشنا بأنّه لن يجعله يفشل أبداً.
يطلب أرْجونا وضع العربة بين الجيشين، لكي يكون هو والمولى كريشنا هناك وبوضع المولى
كريشنا في وسط الطريق، يرغب أرْجونا في تقديم صورة على شاشة الوقت – الكينونة
المطلقة حاضرة بين القوى المتنافرة – صورة تظهر الميكانيكية الداخلية للطبيعة التي
ستوضّح أسس الحياة وتوضّح المبادئ الأساسية للحرب والسلم للأجيال القادمة.
يمثّل المولى كريشنا الكينونة المطلق، التي هي حقل الدهارما والتي، وبقائها بين القوى
السلبية والإيجابية في الطبيعة، وتوازنها .وبالرغم من أنها تبقى محايدة. فهي تدعم
الاستقامة دائماً. وبالرغم من أن المولى كريشنا محايداً، فهو مع أرْجونا، الذي يتمتّع بدعمه.
في الآية التالي يوضّح أرْجونا لماذا يتمنّى بنفسه أن يوضع بين الجيشين.

الآية الثانية والعشرون

لكي أستطيع أن أرى هؤلاء الواقفون
هنا والمتشوقون للمعركة، وأتعرّف
على من سأحاربهم في آتون هذه الحرب.

تكمن المهارة في المعركة أولاً في تحديد موقع النقاط الإستراتيجية لخطّ العدو.
كانت قوّة أرْجونا في التركيز عظيمة جداً بحيث إذا حدّد مكان مواقع زعماء العدو فتطير
أسهمه بشكل مباشرة إليهم.
"متشوقون للمعركة" تظهر أنّ أرْجونا يريد أن يختار بعناية أولئك المتشوقون للمعركة

فقط فهو لا يهتمّ بأولئك الذين غير متلهّفين للقتال. هذا ما يصوّر شجاعة أرْجونا وثقته بنّفسه؛ ويظهر استعداده للمعركة أيضاً.

الآية الثالثة والعشرون

دعني أنظر إلى أولئك المتجمعون هنا،
المتهيئون للقتال، والمتشوقون ليحقّقوا
في المعركة رغبة الشرّير ابن دْهريتاراشْتْرا.

تظهر نبرة هذه الآية قوّة امتعاض أرْجونا ضدّ الشرّ الذي يرغم مؤيدين دوريودهانا في تحقية بالقتال. إنّ الاحتقار هو كبير جداً بحيث أن أرْجونا لا ينطق اسم دوريودهانا – وبتسمية أبّيا دْهيراتارشترا، فهو يجلب له العار أيضاً.

إن أرْجونا متأكّد من موقعه، ومتأكّد بأنه يأخذ الموقف ليخلّص الحق ويقاوم فسادا. فهو لا يفكّر بأنّ كلّ أولئك المتجمّعون في الجيش المعادي هم أشرار في أنفسهم، لكنّهم يؤيدون الشرّ.

في الآية الواحدة والعشرون خاطب سنْجايا دْهيراتارشترا بلقب "سيد الأرض"، وبالرغم من ذلد يروي هنا عن تلميح أرْجونا بأنّ دْهيراتارشترا قد لحقه العار من جراء أعمال ولده. هذا ما يظهر بأنّه كونه أبّ لابن شرير، يكون دْهيراتارشترا في النهاية المسؤول عن الدمار الذي يهدّد المجتمع بكامله.

عندما تهدد الكارما (العمل) الجماعية بالدمار الوطني، تكون خلف نطاق قوّة الفرد لتدقيق به ا؛ ويكون ذالك حقيقي أكثر عندما توصل إلى الحدّ النهائي وتوشك أن ينفجر بالكوارث . لذلك، من الحكمة للبشر في كلّ جيل أن يكونوا حذرون وأن لا يتحمّلوا زيادة أعمال السوء في

بيئتهم، بل عليهم إزالته من جذوره، لأن التأثير المتراكم لهذه الأخطاء الصغيرة التي يقترفها الأفراد في مجالات نشاطاتهم الصغيرة الخاصة هي التي تنتج التوتّرات الوطنية والدولية وتؤدّي إلى الكوارث.

هناك طريقة في التأمل التجاوزي، علّمها المولى كريشنا، لكي يتم ممارستها من قبل كلّ فر يومياً من أجل تغلغل الوعي القدسي التجاوزي في عقله الخاص، وبالتالي قد يصبح الإنسان بشكل طبيعي متحرراً من الميول الخاطئة وقد يصبح مصدراً للتأثير الحسنة في كلّ مجالات الحياة.

لو كان دْهيراتارشترا، كونه الملك، قد علّم أبنائه في فنّ التجاوز وكسب الوعي القدسيّ، لما كانت العائلة المالكة للكورافا مسببة لهذه الحرب الكبرى، التي جلبت كارثة إلى حضارة ذلك الزامن.

هذه هي الرسالة التي يجب أن تحترم في كلّ جيل. إنها موجهة إلى حكام العالم وإلى أولئك الذين يعتنون بالحياة العامّة، الذي يحملون سعادة البشرية في قلوبهم، لتنظيم التعليم بطريقة بحيث يكون لكلّ شخص الفرصة في تعلّم كيفية صقل الوعي القدسي. لا يجب السمح لأي جيل بأن يترك ورائه أي تأثير سيئ تحصد نتائجه المتراكمة الأجيال القادمة.

الآية الرابعة والعشرون

قال سنْجايا:

يا بهاراتا، وتلبيةً لمطلب غوداكيشا

)أرْجونا(، قاد هْريشيكيشا)كْريشْنا(

العربة الرائعة وأوقفها بين الجيشين.

يروي سنْجايا إلى دْهيراتارشترا ما الذي يحدث على ساحة المعركة. يخاطبه هنا بمناداته "بهاراتا"، سليل الملك العظيم لبهاراتا – الهند الكبرى.
اقتيدا أرْجونا، بطل المهابهاراتا، إلى ما بين الجيشين للرؤية من عليه أن يقاتل. يستعمل سنْجايا هنا الاسم غوداكيشا للإشارة إليه. فهذا الاسم هو ليرمز إلى صفة أساسية عند أرْجونا كلمة غوداكيشا تعني سيد النوم، الشخص الذي يسيطر على النوم، وعلى خمول العقل. وهكذا يظهر أحدية التوجه لعقل أرْجونا. وكونه رامي النبال الذي لا يخطئ، يملك أرْجونا عقلاً متقد بالكامل؛ يستعمل سنْجايا كلمة غوداكيشا ليصوّر الصفة ونوعية البطل.
هذه هي مهارة فياسا القصصية؛ فهو يستعمل العبارات الدقيقة والمختصرة بالامتلاء الكبير للمعنى ليروي القصّة. إنها يحتاج فقط إلى عقل يفهمها لكي يتمتّع بكتاباته ويشتقّ منه أقصى ما يمكن.
استعمل فياسا الصفة "رائعة" لوصف عربة أرْجونا. هذه الكلمة، التي تقرأ في نصّ السنسيكريتي "أوتّامام" تحمل في طياتها عالم المجد. إنها تشير إلى الروعة والراحة والاستقرار والخفّة والقوّة؛ وفي الحقيقة، كلّ مواصفات العربة المصمّمة لمواجهة أعنف عدو يمكن أن يوجد. كذلك، إن العربة رائعة ليست فقط لمواصفاتها ولكن أيضاً لقائدها وللبطل الذي يركبها. هْريشيكيشا، سيد الحواس، هو قائد العربة و غوداكيشا، قاهر النوم، هو البطل.

الآية الخامسة والعشرون

وأمام بْهيشْما ودْرونا وكل حكام
الأرض، قال المولى كْريشْنا:

يا بارتها (أرْجونا)! أنظر هؤلاء الكورو المجتمعون معاً.

رأى المولى كريشنا بأنّ أرْجونا قد غضب. والغضب هو عدو كبير؛ ويخفّض من قوّة الشخص. وقائ
عربة أرْجونا لا يحبّ رؤية تضاءل قوّته. فالمطلوب من المولى كريشنا أن يفعل شيئاً لإعادة
أرْجونا إلى قوامه الطبيعي. لكن هذا الأمر وحده سوف لن يكفي؛ هناك شيء آخر ضروري كي
يجعل أرْجونا قوي جداً. يشير الغضب فيه بأنّه ليس قوي جداً، لأن الغضب هو إشارة الضعف .
يعرف المولى كريشنا بأنّ أرْجونا، وبالرغم من أنه رامي النبال الأعظم من زمانه، لم يعطى له
السرّ الحقيقي للحرب. لقد تعلّم فنّ الرماية، لكنّه لم يتدرّب على ضرب نباله والبقاء ثابتاً في
نفسه. إذا ضرب النبال وهو في حالة الغاضب، سيجعله غضبه ضعيفاً.
ناد أرْجونا المولى كريشنا "أتشيوتا"، التي تعني الثابت وغير المتحرك .هذا ما يجب أن
يعلّمه المولى كريشنا إلى أرْجونا لكي يكون كذلك. لكن الحكمة لا يمكن أن تعطى إلى إنسا
ما لم يطلبها ويظهر استعداده لتلقنها. لذلك من الضروري للمولى كريشنا أن يثير في
أرْجونا، الحاجة والرغبة للتعلّم. كان يمكن أن يؤدي به للإحباط إذا أبلغ أرْجونا، في ساحة
المعركة، أنه يحتاج إلى معرفة فنّ الثبات والصلابة. فكان لا بدّ أن يعرف هو بنفسه ذلك؛ فق
عندئذ يمكن للمولى كريشنا أن يساعده. لإعطاء النتيجة المطلوبة في أرْجونا، يتكلّم المول
جملة قصيرة واحدة:

يا بارتها! أنظر هؤلاء الكورو المجتمعون معاً. هذا هو أول ما نطق به لمولى كريشنا في
البهاغافاد غيتا، الكلمة الأولى للنصيحة إلى أرْجونا في ساحة المعركة.

إنّ المعجزة التي نتجت عنها في أرْجونا ضاعت عملياً لقرون كثيرة عن انتباه كلّ المفسرين
وبالنتيجة تم تصوير أرْجونا كأنه شخص مريض مشوّش عقلياً. أما الدراسة المتعمقة لتفسير
الآيات التالية فستكشف الطبيعة الحقيقية لحالة أرْجونا.

يخاطب المولى كريشنا أرْجونا باسم بارتا، ابن بريتا. بهذا التعبير يذكّر أرْجونا بأمّه وبذلك يخلق موجة دافئة من الحبّ في قلبه، دفء الحبّ الذي يوصل الابن والأمّ إنه هذا الرابط اللطيف من الحب هو الذي يتطوّر في كلّ العلاقات العائلية والاجتماعية، والذي يحافظ على العائلة والمجتمع والوطن والعالم.

بعد أن خلق هذه الموجة من الحبّ في قلب أرْجونا، رغب المولى كريشنا في تقويتها؛ ولذلك يقول: "أنظر هؤلاء الكورو المجتمعون معاً". هذا ما يسرّع كلّ الطرق إلى القلب، حيث تلتقي العلاقات المختلفة بأطياف مختلفة من الحبّ .وبرؤية كلّ الأشخاص الأعزاء "معاً" بلمحة بصر واحدة، امتلئ قلبه بالكامل بالحبّ.

الآية السادسة والعشرون

رأى ابن بْريتا (أرْجونا) هناك أمامه
أعمامه وأجداده، والمعلمون وأخواله
وإخوة وأبناء وأحفاده والعديد
من الأصدقاء أيضاً.

تشير عبارة" رأى ابن بْريتا" بأنّه عندما حدّق أرجون بالجيش المعادي تلوّنت رؤيته بالحبّ

وليس بالعدائية أو الشجاعة. وبرؤيته بنظرة "الهالك للأعداء"، لكان هذا ما قد يدعى. يشير هذا إلى قوّة السيطرة التي يمتلكها المولى كريشنا. بقوله، "انظر يا بارتها"، جعل أرْجونا كأنه الابن أمام أمّه، ممتلئ بالحبّ والوقار.

الآية السابعة والعشرون

وآباء الزوجات والمؤيدين أيضاً
في كِلا الطرفين. عندما رأى
ابن كونتي (أرْجونا)، جموع
هؤلاء الأقارب الحاضرين،

يقف أرجونا لينظر أخصامه لكنّه يخفق في رؤية أخصام؛ وبدلا من ذلك يرى الأشخاص الذين يعزهم. هذه لأن رؤيته قد تلوّنت بالحبّ عندما ناداه المولى كريشنا بارتا. وبهذه انقلب المشهد بالكاملة انقلاباً حرجاً. اتخذ أرْجونا، الذي كان على وشك أن يدخل معركة، بالشفقة، كما تظهر الآيات التالية.

الآية الثامنة والعشرون

ممتلكاً بأقصى درجات الحنو،
تكلم بحزن عميق: برؤية أقاربي
هؤلاء، يا كْريشْنا، متجمعون
ومتشوقون للقتال،

تقدّم هذا الآية أساس المشاكل التي سيضعها أرْجونا أمام المولى كريشنا.

يعبّر عن أفكاره جهورياً إلى المولى كريشنا، القريب منه في متناول اليد. يفكر الشخص جهورياً مع الشخص القريب إلى قلبه وعقله والحكيم بما فيه الكفاية ليعزز الفكرة. إن المولى كريشنا هو كذلك بالنسبة إلى أرجونا. يمكنه أن يشاركه أفكاره ومشاعره ويفكر بشكل حميم معه.

تشير هاتان العبارتان "ممتلكاً بأقصى درجات الحنو" و "أقاربي" إلى المبدأ الأساسي" للحزن" إنه يولد من حالة الفرد وعلاقته مع الآخرين.

لا تصوّر هذه الآية حالة أرْجونا فقط بل تكشف المبدأ الأساسي للمعاناة في المجتمع البشري ويبحث عن حلّ له.

الحنو أو الشفقة هي صفة بين الصفات الأكثر تمجيداً للقلب. و"أقصى درجات الحنو" تظهر امتلاء القلب. لكن عندما تعزل عن صفات العقل، لن يستطيع القلب بحد ذاته أن يكون فعّال في العمل المساند للحياة. حتى الصفات الحسنة للقلب أو العقل تخفق في تأييد الحياة بغياب التنسيق بينهما. تعلن هذا الآية أن "أقصى درجات الحنو" هي مصدر كلّ المشاكل التي يواجهها أرْجونا، الإنسان أكثر اتزانا وصاحب الميزة النبيلة.

إنّ الحديث الكامل للمولى كريشنا في البهاغافاد غيتا هو مصمّم لإعطاء حكمة الحياة وتقنية المعيشة التي تمكّن الإنسان كي عيش كلّ الصفات الحسنة في الحياة بالتنسيق الكامل بين القلب والعقل. بهذه الحكمة وهذه التقنية، يرتفع الفرد إلى مستوى عالي من الوعي حيث يكسب الطمأنينة الأبديّة في داخل نفسه. ويعيش حياة في الاكتمال، مفيدة لنفسه وللمجتمع. تدعم مثل هذه الحياة الطبيعة المحيطة؛ فيصبح الكل منسجماً، ما يؤدّي إلى علاقات مثالية مع الآخرين.

ها هو مجد البهاغافاد غيتا – إنها يسجّل إلى الأبد ولاستعمال كلّ البشر، حكمة الحياة وتقني

المعيشة. لكي يمكن لكلّ شخص أن يعيش حياة خالية من المعاناة، إنما تختار الشخصية الأكثر نبلاً، أرْجونا، الذي يقود الحياة الأكثر توازناً، وتضع تلك الحياة بالكامل تحت تأثير الصفات الأكثر اعتزازاً للقلب والعقل. على هذا المستوى العالي للمجد والنعمة، حيث يكون القلب والعقل في أفضل حال، تحدّد مكان السبب الرئيسي لكلّ المعاناة في نقطة بين القلب والعقل. إنّ القلب ممتلئ بالشعور، ومشبع بالحبّ، والعقل يقظ جداً، ممتلئ بحس الاستقامة ونداء الواجب. كليهما في منزلتهما الرفيعة الكاملة. لا يمكن للمعاناة أن تمسّ أيّ منهما إذا أخذا منفصلان، لكن وكما تقول الأوبانيشاد: "دْفيتيبيا فَيّ بْهايم بْهافاتي: بالتأكيد يولد الخوف من الثنائية". حينما وحيثما يوجد هناك الحس بالثنائية، يمكن للخوف أو المعاناة أن يتواجد. في داخل الإنسان يوجد العقل ويوجد القلب. وهما، بوجودهما الأكيد، كاثنين، يحملان إمكانية المعاناة. عندما يكونا متّحدان، عندما يوجد الانسجام بين القلب والعقل الممتلئة بالاستقامة والإلهام النبيل، لا تستطيع المعاناة في الظهور. لكن عندما يكون هناك نقص في التنسيق أو نزاع بينهما، تنتج المعاناة تلقائياً. ولد "حزن" أرْجونا من الاختلاف الأساسي بين القلب والعقل.

تصف الكتب المقدّسة الدينية نمط التصرّف لإنقاذ الإنسان من الوقوع في الخطأ والمعاناة. فهي تحث الإنسان عل فعل الخير ورفض الشرّ.

البهاغافاد غيتا، الكتاب المقدّس للدين الأبدي للإدراك، في تشخيصها للمعاناة لا ترضى برفض الشرّ أو بقبول الفضيلة وحدها؛ بل تجد بأن المعاناة يمكن أن تنتج حتى عن صفتين حسنتين، لأنه لا يكفي للحياة كي تكون خالية من المعاناة، أن يكون القلب والعقل خاليان من شوائب الخطيئة وثابتان في الاستقامة.

تتعهّد البهاغافاد غيتا بحلّ مشكلة المعاناة بالكامل. فهي تحدّد مكان السبب الأساسي للمعاناة ويؤمن الوسيلة لإزالتها. توجد بذرة المعاناة في الحياة في الثنائية المتأصّلة في الاختلاف المميز بين صفات القلب والعقل. لذلك، تأخذ البهاغافاد غيتا أرْجونا، الذي هو أكثر

نبلاً وبلا خطيئة وأكثر تطوراً في كلّ من القلب والعقل، وتضعه في البيئة التي تزيد في تحفيز قلبه وعقله. في حين يستمرّ كلاهما في النمو بنشاط أكثر في مجالاتهما الخاصة، يصب الاختلاف الأساسي في بنيتهما أكبر. وعندما يكون القلب والعقل كلاهما في أفضل حال، ويكو كلّ واحد منهما ممتلئ بذاته ولا يهتمّ بالآخر؛ فلا يتركا أي تواصل بينهما. يصبح القلب، المشبع بالكامل بالحبّ، مكتفياً بشكل طبيعي بذاته ويغفل عن قرارات العقل. على النمط ذاته، يصبح العقل غافل عن بكاء القلب. عندما يكونا منفصلان يكون كلّ واحد في حالة من الاكتمال. لكن وبسبب عدم وجود اتصال بينهما، يتوقّفا في المساهمة في نشاط الحياة. لهذ السبب وقع أرْجونا في حالة من التعليق من دون نشاط.

يبدأ النشاط بتدفق الرغبة. عندما يشعر القلب بفقدان شيء ما ويردّ العقل عليه، أو عندما يحسّ العقل بنقص في تجاوب القلب، ينشأ سيل من الرغبات من بينهما ويتدفّق نحو الغرض المنظور، يشغل القدرات المختلفة للقلب والعقل والجسم الإضافة إلى المادّة المتوفرة في البيئة المحيطة. هذا ما يوضح بأنّ الاتصال بين القلب والعقل يجب أن يتواجدا كي تظهر الرغبة. وإذا كان تدفق الرغبة في اتّجاه التيار الطبيعي للتطور، فتكون مدعومة أكثر بالتأثير الخفي للطبيعة وستجد الاكتمال.

إن أرْجونا هو في حالة حيث يكون العقل والقلب على مستوى عالي في امتلاء صفاتهما الخاصة من دون أي رابط بينهما. في امتلاء القلب والعقل، حيث يكون كل منهما مطمئناً بذاته، لا يشعرا بفقدان أيّ شيء، ولهذا السبب لا يسع للرغبة في الظهور. يترك غياب الرغبة أرْجونا في حالة من التعليق التي فيها تفقد الشخصية الكاملة بنيتها الديناميكية وتواجه مشاكل تبدو أنها لا تقهر، كلما ظهرت الحاجة للعمل في أيّ مجال في الحياة.

هكذا تصوّر البهاغافاد غيتا الحالة التي يمكن أن الحياة يمكن فيها مليئة بالمشاكل، حتى وإن كانت ثابتة في اكتمال القلب والعقل. وبحلّ مثل هذا الحالة القصوى، تكشف الحكمة والتقنية لعيش الحياة من دون معاناة في أي مستوى. أنها تثبت بأنّ الحياة يجب أن تكون

من دون المعاناة. لا يجب أن يعاني أي فرد أبدا في الحياة: هذه هي تعاليم البهاغافاد غيتا. الثنائية هي السبب الأساسي للمعاناة. لكن عندما يكون الحقل الكامل للحياة ثنائياً في الطبيعة، كيف يمكن للحياة أن تكون خالية من المعاناة؟ كانت هذه المسالة دائماً مشكلة خطيرة لعلم الماورائيات وفي الحقيقة للحياة العملية أيضاً. يكمن الحلّ في أن يتغلغل إلى حقل الثنائية عنصر غير ثنائي الذي يبارك حياة الإنسان مع بمنزلة غير متأثّرة بالمعاناة، حتى وإن بقي في الحقل الذي يكون فيه المعاناة ممكنة. هذا ما سندركه مع تقدم الحديث.

يبدأ أرْجونا بوضع مشاكله أمام المولى كريشنا.

الآية التاسعة والعشرون

تضمحل أطرافي، ويجف فمي، ويرتجف جسدي، ويقف شعر بدني؛

تكمن القوّة العظيمة للمحاربين البارزين في اهتمامهم بأتباعهم، هذا الاهتمام وضعهم في منزلة المنقذين لمجتمعاتهم. كان أرْجونا ممتلئ باهتمامه بالآخرين الأمر الذي مكّنه في قبول التحدي في زمانه عندما هدّدهم الشرّ. لأن هذا الاهتمام بالآخرين شكّل قاعدة قبوله للمعركة، يكون مفاجئاً أن تغمر قوّة الحبّ قلبه وتجلب له الاكتمال. في هذه الحالة من الطمأنينة الذاتية يصبح القلب غافلاً عن حاجة العقل - نداء الواجب. يقع أرْجونا بين قوّة الحبّ ونداء الواجب. ويجد أنه لا يستطيع تلبية أي منهما.

إنّ نداء الاستقامة وفيض الحبّ يرتفعان في القلب – كلاهما غاليان إليه لأن الحياة، كما يفهمها، هي كلّها حبّ الاستقامة.

لكن وكما هو موضوع الآن، عالقاً بين القلب والعقل، فهو غير قادر على أن يلتزم بالنشاط حتى إذا، بمعجزة ما، حاول البدء بالنشاط، فهو سيواجه بحالة فظيعة. إذا تبع نداء الاستقامة، يجب

عليه أن يثور ضدّ الحبّ ويقتل كلّ أعزائه المجمعين في المعركة. وإذا تبع نداء الحبّ، يجب أن يضحّي بقضية الاستقامة ويتنازل للشرّ. من وجهة النظر هذه، نجد أن أرْجونا منقسم بين القوتين اللتين كانتا حتى الآن المكوّنتين الأساسيتين من حياته. فهو يقف مثل الطفل الذي تناديه أمه بالحبّ وفي الوقت ذاته يستدعيه أبّيه من الجانب الآخر. إذا ذهب بأحد الاتجاهين، يشده الأخر. فهو يتأرجح بين الاثنين. لهذا السبب يبدأ بالشعور بالاهتزاز في الجسم والعقل عندما يكون الفرد مستغرقاً بعمق في التفكير، لا يبقى الانتباه خارجاً على مستوى الحواس ويصبح التنسيق بين الجسم والعقل ضعيفاً. وفي هذا الوقت، إذا لم يكن القلب مدعوماً من قبل العقل، سيضعف التنسيق أكثر. وإذا تمادى هذا الوضع، لا يعمل الجسم بشكل صحيح. لهذا السبب شعر أرْجونا أن أطرافه تضمحل وفمّه يعطش، وجسمه يرتجف. تشير حالته الطبيعية بأنّ قوّة الحبّ تسيطر على أرْجونا وتتحدّى نداء الواجب بجعل جسمه يفقد التوازن. إنّ نتائج الارتفاع المتزايد لهذه القوّة من الحبّ هي موصوفة في الآيات التالية.

الآية الثلاثون

وينزلق الكانْديفا (القوس) من يدي،
وحتى جلدي يشتعل كله؛ أنا لا أقوى
على الوقوف ويبدو أن عقلي مصاب بدوار.

"ينزلق الكانْديفا من يدّي": كانت قبضة أرْجونا السريعة على الكانْديفا ردّ على نداء الاستقامة. كان عقل مسيطراً بالكامل بنداء الواجب، وكان هذا ما جعله يحمل الكانْديفا مسرعاً. لكن الآن، وبعد موجة الحبّ التي خلقها فيه المولى كريشنا، ملأت قوّة الحبّ قلبه، وفي امتلائها تساوي قوّة العقل. إنهما يوازيان أحدها الآخر، ولذلك لم تبقى قوّة العقل مهيمنة.

وهكذا، أصبحت قبضته رخوة، وانزلق الكانْديفا من يدّه. لم يسبق أن انزلق القوس من يدّ أرْجونا. إن موجة الحبّ هي التي تسبّب بهذه الحدث.

"جلدي يشتعل": كان أرْجونا مغموراً بقوّة الحبّ. إنّ دفء الحبّ يسكّن ويريّح. وماذا إذاً يحرق جلده؟ رأينا بأنّ قوّة الدهرما تؤيّد الوجود والتطور. طالما يكون الحبّ على مستوى الدهرما أو على طريق الاستقامة، فهو يساعد التطور ويساند الحياة ويسكّنها ويريّحها. لكن عندما تقف القوّة البريئة للحبّ من دون أن تساند طريق الاستقامة، تكون متأثّرة بالقوى السلبية وتصبح وسيلة للدمار والبؤس والمعاناة. وبتفكيره إنّه يمكن أن يتجنّب القتال، يتخلى أرْجونا عن سبب الاستقامة، ولذلك يشعر أن جلده يشتعل بدفء الحبّ.

"لا أقوى على الوقوف": يجعل الحبّ بقوّة الاستقامة الإنسان قوياً، لكن من دونها تتركه ضعيفاً. يتغلّب الحبّ على أرْجونا، الذي يهدّد بإسقاط قضية الاستقامة. لذلك من غير المفاجئ أن يشعر بالضعف، "لا أقوى على الوقوف."

"يبدو أن عقلي مصاب بدوار": تتغلب صفات القلب على أرْجونا. لكن عقل أرْجونا قوي. له الصفات الأساسية للإنسان الشجاع. حتى عندما يكون قلبه مغموراً بقوة الحبّ، يبقى عقله نشيطاً ويقظاً. يخرج العقل اليقظ قوة عظيمة لتغيير مجرى القلب. أنها وكأن عربة حياة أرْجونا قد تم قيادتها بسرعة كبيرة على طريق الحبّ، و هناك جاءت القوة العظيمة لتعكس الاتجاه. هذه المحاولة في عكس تدفق مجرى الحياة تنتج الانطباع بأن عقله مصاب بدوار.

الآية الواحدة والثلاثون

وأرى فأل الشؤم يا كيشافا (المولى
كْريشْنا)، ولا يمكنني أن أرى أية
منفعة من قتل أقربائي في المعركة.

يعطي أرْجونا في هذه الآية تعبيراً إلى شعور شمولية الطبيعة في تلك اللحظة الخطرة من الحرب.

"قتل أقربائي" هو التعبير الذي يحتوي بكاء كل من القلب والعقل لدى أرْجونا. يجيء "القتل" من العقل، لأنه مكرّس إلى الحقيقة والاستقامة وتدمير الشرّ. أما "أقربائي" فهي بكاء القلب يسمح قلب أرْجونا، الممتلئ بالحبّ، له برؤية أعدائه بأنهم "أقربائه" فقط وليس بأنهم المعتدين والأعداء. وبرؤيتهم على هذا النحو، فهو صادق في القول: " ولا يمكنني أن أرى أية منفعة من قتل أقربائي في المعركة."

في حالته الحالية بالقلق الشديد، يشعر أرْجونا بالحبّ لكلّ أقربائه الذين يقفون أمامه، وفي

الوقت نفسه، يشعر بالحزن لتحطيمهم في المعركة. يتمزّق قلبه بين هذه المشاعر. في أعماق ذاته، يغطس في شعور الحالة ونتائجها، ويتصوّر "فأل الشؤم". ونداءات الألم والآلام الفظيعة التي تلي الدمار الحرب تلمع في عقله. تكشف رؤية أرْجونا للفأل نقاوة قلبه والحالة العميقة للتركيز في عقله.

يلقي المستقبل صورته على ملاجئ القلوب الصافية.

كلمة "منفعة" تعني هنا الراحة الروحية. إن الكلمة السنسكريتية المستعملة هي شْرَياس، التي تعني تطوراً أو اكتمالاً – أي الأمن والإنجاز اللذان يكمنان في الحرية الروحية. يرى أرْجونا بأنّ الراحة الروحية لا تكمن في قتل أقربائه. لكن هذا هو الفعل الذي ينتظره. في ظل الظروف الحالية يجد بأنه لا يمكنه أن يفعل شيئاً سوى رفض كلّ ما هو ممكن أن يكون مطلوباً.

الآية الثانية والثلاثون

أنا لا أتوق للنصر، يا كْريشْنا،
ولا أية مملكة ولا الملذّات،
بماذا ستنفعنا المملكة، أو المتعة
أو حتى الحياة، يا غوفيندا؟

لا تشكّل الرغبة أي مشكلة إذا كان مسموحاً لها في التدفّق بحرية. تنشأ المشاكل عندما يتم التحقق من الرغبة أو عندما تواجه المقاومة. تعبّر كلمات أرْجونا عن هذه الحقيقة. فهو يتحدّى صحة النصر والمتع والمملكة والحياة أيضاً التي لا يوجد فيها أي فرصة للرغبة كي تكتمل.

ترتفع رغبة الرجل العظيم لدعم الآخرين وتبتهج في السعادة التي يتمتع بها الآخرين من مثل هذا الدعم.

بعد أن وجد أن سبب المعركة الّذي سيتضرّر من الجسم والعقل والبيئة المحيطة، ينظر الآن أرْجونا إلى الوضع من وجهة نظر الاستفادة لأهدافه الخاصة في الحياة. يجد أنه لا يوجد شيء في العالم الخارجي له أهمية نسبة إليه شخصياً لأنه، وكما يرى الحياة، فهي للآخرين. لذلك، من وجهة النظر هذه أيضاً، لا يرى أي سبب للقتال.

يرفع أرْجونا صوته ضدّ التأثيرات المفسدة من المملكة والسرور والقوّة. لقد رأى في حالة دوريودهانا كف يمكنهم أن يعموا رؤية الرجل ويتسبّبوا بدمار حضارة بكاملها.

في الآية السابقة قال أرْجونا بأنّه لا يمكن أن يرى منفعة من قتل أقربائه. وهنا يعطي التعبير إلى المنافع المحتملة التي يمكن أن تأتي من المعركة ووزنها من ناحية صلاحيتها في الحياة. يظهر ذلك حضوره العقلي والأسلوب غير المتحيّز الذي يحلّل فيه الحالة. يرفض صلاحية النصر والمملكة والمتع إذا كانت من أجل النهايات الأنانية. فهو لا يظهر فقط اللامبالاة ولكن يظهر الكره الإيجابي نحوها. يوضح بأنّ "حتى الحياة" ليس لها أهمية له.

يستعمل أرْجونا الكلمة نحن في "ستنفعنا"، التي يمكن أن تدلّ أمّا بأنّه يريد التحقّق من وجهات نظره مع المولى كريشنا، أو بأنّه متأكّد من وجهات نظر المولى كريشنا متوافقة معه. تعني كلمة "غوفيندا" سيد الحواس. وباستعمال هذه الكلمة يقترح أرْجونا أيضاً بشكل صامت أنّ المولى كريشنا، كونه سيد الحواس، أيضاً يستعمل قليلاً وبشكل طبيعي أغراض الحواس والمتع المشتقة منها.

في حالته الحالية للتمعّن العميق، أن ما يجد أرْجونا ذات أهمية هي طريقة مكرّسة للحياة. في الآية القادمة يقول بشكل واضح بأنّ حياته كلها هي مكرّسة إلى الآخرين.

الآية الثالثة والثلاثون

هؤلاء الذين من أجلهم نريد المملكة
والملذّات والمتع وراحة الحياة،
هم هنا في ساحة القتال يتنكّرون
لحياتهم وثرواتهم.

تكشف هذه الآية عظمة القلب والعقل عند أرْجونا. إن رؤيته واضحة: ينظر إلى الحالة بهدوء وبصيرة عميقة. ومنطقه عميق. وفكره متوازن ونبيل. وشعوره للآخرين: عندما يفكّر، فهو يفكّر بالآخرين؛ وإذا أراد القتال وكسب السيادة، فهو يفعل من أجل الآخرين؛ إذا أراد تكديس الملذات والمتع، فهو يفعل من أجل الآخرين؛ وإذا أراد العيش، فهو يفعل ذلك من أجل الآخرين. هكذا هو وعيه المتطور، المجرد من أيّ فكر للمصلحة الشخصيّة. هذه هي منزلة الرجال العظماء حقاً – يعيشون من أجل الآخرين؛ ويموتون من أجل الآخرين.
يمكن طرح السؤال: إذا أظهرت صفات أرْجونا مثل هذه العظمة للقلب والعقل، لماذا يجيء إلى ساحة المعركة مهيّئاً للقتال؟ تكشف الدراسة المعمقة لما نطق به أرْجونا بأنّه مصمم على مقاومة الشرّ؛ وهو لم يرغب بقتل الناس. بل يريد تحطيم الشرّ من دون تحطيم فاعل الشرّ. إنه مثالي نبيل. هدفه أن يحطّم الشرّ على الأرض، وإذا كان بالإمكان، من دون أن يسقط على المجتمع المعاناة التي لا توصف ودمار الحرب. فقط الرجل صاحب هذه الصفات المثالية يمكنه أن يتكلّم كما يفعل أرْجونا في الآيتين القادمتين.

الآية الرابعة والثلاثون

المعلمون والأعمام والأبناء وكذلك
الأجداد والأخوال وآباء الزوجات

والأحفاد وإخوة الزوجات والأقرباء الآخرين.

هذا يصوّر حالة أرْجونا. إنها مليئة بالحبّ ومليئة بالحياة. يجد من كلّ الجوانب قنوات مختلفة من الحبّ الذي يصبّ الحياة إلى قلبه ويجعله ممتلئ. عندما يكون الحبّ ممتلئ، تكون الحياة ممتلئة مثل البحر. إنها ممتلئة البحر الصامت، لأنه يتوقّف عن التدفّق في أيّ اتجاه. إنه كما هو فقط أنه خالي من أيّة رغبة. لهذا السبب يمكن لأرْجونا أن يذكر أسماء العلاقات فقط لتصوير الحقول المختلفة للحبّ ويعبّر عن حالة قلبه.

بمجيء هذه الآية في وسط الآيات التي تعبر عن العديد من المشاكل، فهي تقدّم الحقل الواسع للحياة المفعمة بالحبّ وتعلن بشكل صامت أنه لا يوجد هناك مشاكل في هذا الحقل. إنّ حقل الحبّ هو حقل بريء للحياة. تنشأ المشاكل عندما يحجب التعلق أو عدم التعلق الحبّ الصافي.

الآية الخامسة والثلاثون

يا مدْهوسودانا (المولى كْريشْنا)،
لا أرغب في قتل هؤلاء، حتى
ولو قُتلت أنا بذاتي، أو حتى لو
كان ذلك من أجل السيادة على
العوالم الثلاثة؛ فكم هو أقل
من أجل هذا العالم.

تعني كلمة مدْهوسودانا قاتل الشيطان مادهو. باستعمال هذا الاسم، يقترح أرْجونا على المولى كريشنا بأنه كونه قاتل الشيطان يمكنه أن يقوم ويقتل الكورافا إذا يجد بأنّهم

شيطانيين؛ لكن بما يتعلق به الأمر، يجد بأنّهم أقرباء أعزاء وشيوخ نبلاء وبانّه يجب عليه أن يفعل أيّ شيء لحمايتهم. ومهما كانت الكلفة من جراء الحفاظ على حياتهم، فهو لا يستطيع التفكير بقتلهم، يتكلّم أرْجونا فقط كما يتكلم الرجل صاحب الضمير الحي والعميق في التفكير والشجاع جداً. هذا هي شخصيته. فهو صاحبُ مبدأ. لا يمكن أن يغريه شيئاً لإنكار المثالية العالية للحياة. لهذا السبب لا تنازل في تفكيره.

تشير الكلمات حتى لو كان ذلك من أجل السيادة على العوالم الثلاثة بأنّ رؤية أرْجونا لم تكن محدودة بحقل حياة الإنسان على الأرض. فقط مثل هذا الرجل، يمكنه أن يتحدّى قيمة السيادة على العوالم الثلاثة. على هذا المثال هو علو الوعي البشري الذي يؤيّده أرْجونا حتى في هذه الساعة من قلقه الكبير.

الآية السادسة والثلاثون

أيْ نوع من السعادة سنكسب بقتلنا
لأبناء دْهْريتاراشْتْرا، يا جنارْدانا
)المولى كْريشْنا(؟ سنجلب لأنفسنا
الخطيئة فقط بقتل هؤلاء المعتدين.

تقدّم هذه الآية تغييراً آخراً في رؤية أرْجونا. في الجيش المعادي، إنه يرى فقط أقربائه الخاصون؛ الآن، ومرة أخرى، إنهم أبناء دْهْريتاراشْتْرا،" هؤلاء المعتدين". نظر أرْجونا حتى الآن إلى الوضع من ناحية الحبّ لكنه لم يصل إلى أي الحلّ لمشكلته. لذلك يقرّر أن يعالجها بالعقل - بالتمييز والحدس – ورغم ذلك لا يستطيع فجأة ترك امتلاء الحبّ في قلبه. وبالحفاظ على ذلك

الامتلاء في القلب، يبدأ باستعمال عقله أكثر.

ومع إعطاء نفسه الفرصة على التفكير المنطقي، يبدأ نداء الواجب بإحراز التقدّم. بذلك تتغيّر رؤيته. فيبدأ برؤية أقربائه أنه "معتدون"؛ وتبدأ الحقيقة بالوضوح. وبرؤيتهم من هذا المنظار، يسأل أَرْجونا: "أيْ نوع من السعادة سنكسب بقتلنا لأبناء دْهْريتاراشْتْرا؟" وعندما يبدأ بالتفكير بهذه الشروط، يجد أن القتل هو خطيئة.

إن فعل القتل لا ينتج التأثيرات المساندة للحياة لأي فرد في أي وقت كان. القتل خطيئة إلى الأبد. مهما يمكن المقتول، القتل خطيئة. إن الألم والمعاناة التي يتسبب بها فعل القتل تنتج التأثيرات السلبية في الخليقة، ويرتدّ ردّ الفعل على القاتل. لذلك يقول أَرْجونا: "سنجلب لأنفسنا الخطيئة فقط"

كان من المفترض أن يكون قتل المعتدين عملاً من الصواب. توضع النهاية لحياة المعتدي، وبذلك يمنع من إنتاج التأثيرات الأكثر سلبية له وللآخرين. لكن هذه السلطة للقتل نشأت اعتبار مختلف جداً. إنّ فعل القتل بحد ذاته، هو خطيئة. وهذا ما يقلق أَرْجونا هنا كثيراً.

يمكن أن يرى القتل أَرْجونا بأنه خطيئة حتى عندما يكون في ساحة المعركة .هذا ما يشير بأنّ عقله واضح ورؤيته ليست مشوشة لا بمشاعر القلب ولا بنداء الواجب .إنه عميق في الفكر ويقيّم الحالة من كلّ جوانبها. إن أَرْجونا في درجة عالية من النشاط العقلي والعاطفي. تظهر يقظة عقله وامتلاء قلبه في قوله البريء للحقيقة" :سنجلب لأنفسنا الخطيئة فقط بقتل هؤلاء المعتدين."

تشير العبارات: "أيْ نوع من السعادة سنكسب" و "سنجلب لأنفسنا الخطيئة فقط" بأنّ السعادة والمعاناة يتم اعتبارهما أيضاً أنهما مثل الخطيئة والصلاح. لأن المعاناة تنتج عن الخطيئة، والسعادة من الصلاح.

الآية السابعة والثلاثون

لذلك لن يكون صحيحاً أن نقتل
أبناء دْهْريتاراشْتْرا، أقربائنا.
كيف يمكننا أن نكون سعداء
إذا قتلنا شعبنا، يا مْدهافا؟

ذهبت أرْجونا بحججه إلى مدى أبعد. في السابق كانت فقط "أمنيته" في عدم القتل، لكن الآن يجد بأنّه ليس "صحيحاً" له أن يشرع في القتل.

في هذه الآية يبدو أرْجونا يوزن قتل أقربائه من ناحية السعادة التي يمكن أن تأتي منه: هل يمكن لأي سعادة أن تبقى بعد قتلهم؟ هذا لا يعني بأنّ السعادة هي معيار العمل لأرْجونا . يريد فقط أن يؤكّد بأنّه لا يرى أيّ سعادة حتى لتبريرها.

بالتأكيد لقد تم أخذ السعادة في الحسبان في معالجة أداء أيّ عمل، لأن هدف أيّ عمل هو زيادة السعادة – إن الغاية الحقيقية للخليقة والتطور هي في توسّع السعادة. لذلك وإذا لا تنتج السعادة من عمل، يسبب ذلك العمل بهزيمة الغاية الحقيقية للعمل، و لا يمكن تبرير أدائه لهذا السبب يقول أرْجونا "لن يكون صحيحاً أن نقتل."

الآية الثامنة والثلاثون

بالرغم من أن عقولهم ملبّدة بالطمع،
ولا يروا أي خطأ في جلب الدمار إلى
العائلة ولا ذنب في خيانة الأصدقاء،

الآية التاسعة والثلاثون

كيف لا نعرف أن نتحاشى هذه الخطيئة،
نحن الذين نرى بوضوح الخطأ في
تهديم العائلة، يا جنارْدانا؟

تظهر كلمة "نعرف" اهتمام أرْجونا الرئيسي في هذه اللحظة. إنه يحاول أن يفهم لماذا هو غير قادر على اتخاذ الإجراء الصحيح عندما يرى حقيقة الوضع، ولدرجة أكبر من ذلك، عندما يعرف ما هو الصحيح.

يظهر أرْجونا قلقه على تأثير الطمع الذي أعمى بصيرة أقربائه ومنعهم من رؤية "الخطأ". هذا ما يظهر ثانية بأنّ رؤية أرْجونا الواضحة.

تشير نبرة الآية بأنّه لا يعطي ذات الأهمية إلى "الدمار "الفعلي نسبة إلى "الخطأ" الذي سينتج منه. لكن، ومع كلّ نقاوته ووضوح رؤيته، يخفق أرْجونا في رؤية نهاية الطريق الصحيح لهذا الذنب في القتل الذي ينتظره. يتّجه إلى المولى ليستنير منه.

إن مثل هذه اللحظات في الحياة تجعل الإنسان ينهار إلى أقدام الله – اللحظات التي يرى فيها وأيضاً لا يرى، اللحظات التي يريد أن يتصرّف فيها وأيضاً لا يقوى على التصرّف.

عندما نتحقق من الميكانيكية الخفية للطبيعة، نجد بأن كلّ شيء في الكون مرتبط مباشرة بكلّ شيء آخر. إن كلّ شيء يتأثّر بشكل ثابت بكلّ شيء آخر. لا توجد موجة في البحر مستقلة عن أيّة موجة أخرى. كلّ موجة لها فرديتها بالتأكيد، لكنّها غير منعزلة عن تأثير الأمواج الأخرى. كلّ موجة لها مجالها الخاص لتتدفق، لكن هذا المجال يعتمد على المسافة بين كلّ موجة. إنّ حياة الفرد هي موجة في بحر الحياة الكونية، حيث تؤثّر كلّ موجة بشكل ثابت على مجال

كلّ موجة أخرى.

من المؤكّد أن الإنسان هو سيد قدره. له إرادة حرّة – الهبة العظيمة من الله إليه – والتي بها يملك الحرية الكاملة في العمل. لكن عندما يؤدي عملاً الذي يجب عليه أن يتحمّل نتيجته، لأن ردّ الفعل مساوي دائماً للفعل.

عندما يتصرّف الناس بشكل صحيح، بشكل طبيعي ينتج عن ذلك الجو المماثل، وعندما يسو مثل هذا التأثير، تتأثر ميول الفرد به. وإذا، وفي مثل هذا جوّ من النعمة والمجد، ينحرف الفر في إتّباع الطريق الخاطئ، فيكون محمياً بالتأثير غير المرئي للاستقامة التي تحيطه.

وبالطريقة ذاته، عندما يفشل الإنسان في جهوده، يكون العمل غير المرئي للطبيعة وراء ذل الفشل .ولا يمكن للإنسان أن يكشف بالتحليل المنطقي لماذا حدث ذلك الفشل. يجب عليه أن يرتفع إلى مستوى آخر ويدرك عمل الطبيعة والقوّة خلف ذلك العمل. يجب أن يرتفع ليفهم قوانين الطبيعة والقانون الكوني الذي يقع تحت كلّ شيء.

يخفق أرْجونا في فهم لماذا لم ينتج عن قراره في الامتناع عن القتال أية نتيجة، ويستمرّ مشدوداً إلى المعركة. ليس لأنه في حالة من الإرباك، لكن لأنه لم يبلغ الوضوح الفكري الذي يمكنه أن يؤمن للفرد البصيرة في طرق العمل المعقّدة للطبيعة المتنوّعة.

وبالرغم من أن وعي أرْجونا صافياً، إلا أنه لم يغطس في الكينونة المطلقة التي هي حقل القانون الكوني. لهذا السبب يخفق في رؤية بأنّه يعيش في جوّ مشبع بالتأثير السيئ، الذ لا يمكن فيه للصلاح أن يبقى طويلاً. يحاول أرْجونا الامتناع عن القتال من اعتبارات عائلية ودهارما الطائفة؛ إنه غير مدرك للحالة المطلقة للدهارما التي تقوده قوّتها للقتال .وبالنتيج يخفق في رؤية سبب عدم قدرته على التصرّف طبقاً لمشاعره.

تقدّم الآية التالية حجّة أرْجونا عن كيف يصبح طريق التطور منطفئاً ويشهد على قلقه على المجتمع.

الآية الأربعون

تضيع الدْهرْمات العائلية القديمة جداً
في دمار العائلة، وبضياع الدْهرْما
تسيطر الآدهارما على العائلة كلها.

الدْهرْمات هي جمع الدْهرْما، فهي يبيّن القوى المختلفة للطبيعة التي تدعم السبل المختلفة في طريق التطور. إنها تأخذ التعبير كأنها أنماط معيّنة من النشاط أو الطرق المختلفة من الاستقامة، التي تحفظ المجرى الكامل للحياة بالتوافق – فتكون كلّ وجهة من أوجه الحياة متوازنة بشكل صحيح مع الأوجه الأخرى – وتتحرك في اتّجاه التطور. وكلما تنتقل هذه الأنماط المعيّنة للنشاط من جيل إلى جيل، تشكّل ما نسميه التقاليد. هذه التقاليد هي التي يشار إليها هنا بالدهرمات العائلية.

"آدهارما" تعني غياب الدهارما. عندما تسود الآدهارما، تضيع القوة العظمى من طبيعة، التي تحافظ على التوازن بين القوى الإيجابية والسلبية، و بذلك تعيق عملية التطور.

يستعمل أرْجونا العبارة "قديمة جداً" لأن مثالية الحياة التي صمدت في اختبار الزمن تمثّل الطريق الأصيل للتطور، التيار الصاعد في الطبيعة. لا يدوم شيئاً معاكسا للتطور لمدة طويلة لذلك، إن التقاليد التي حافظة على بقائها عبر العصور قد أثبت بالتأكيد بأنّها التقاليد الصحيحة، والأقرب إلى الحقيقة، والتي لمدى الحياة. لهذا السبب يخشى أرْجونا قطع هذا الطريق للتطور عن الأجيال القادمة.

في عملية تحليل نوعية فعل القتال، يظهر أرْجونا بصيرة عميقة وعقل متطور جداً. من الواضح أنّ تفكيره هو منطقيّ وصحيح جداً، وبأنّه بالتأكيد لا يجيء من المستوى السطحي للوعي.

قاعدته في الدهارما، القوّة الأساسية للتطور. رؤية أرْجونا لم تكن محدّدة؛ تمتد حدود بصيرته بعيداً في المستقبل.
كونه رجل عظيم من زمانه، يقيس أرْجونا، قبل الالتزام بالتعهّد، تأثيره على الأجيال اللاحقة
فقط مثل هذا الحالة المتعالية للوعي يمكنها أن تلهم ببزوغ فجر الحكمة العظيمة على الأرض
إن اهتمام أرْجونا الرئيسي هو في حفظ طريق التطور .بهذه النظرة يعطي القيمة العظيمة للدهارما وللسلوك في المجتمع، الذي يدعمها والمؤيّد بواسطته.
يواصل أرْجونا حجّته في الآية التالية.

الآية الواحدة والأربعون

عندما تسود الآدْهرْما، يا كْريشْنا،
يصبح نساء العائلة فاسدات، وبفساد
النساء، يا فارشْنايا، ينشأ التخالط
بين فئات المجتمع.

إن حياة الأمّ هي التعبير عن القوّة الخلاقة للطبيعة. يجب أن يكون الذكاء الخلاق صافياً لكي يكون فعّالاً. تجلب الشوائب عدم الفعالية، وعندما يزيد عدم الفعالية، تكون النتيجة بالدمار. ومن أجل خلق الناس الأكثر فعّالية، تكون نقاوة حياة الأمّ في بالغ الأهمية "التخالط بين فئات المجتمع" هو ما يهم أرْجونا لأنه يفهم مقدار الصعوبة والخطورة للانتقال من مركب إلى آخر في تيار سريع. تسير كلّ الكائنات مسرعةً، تحت التأثير الكبير للقوة الهائلة للطبيعة، في تيار التطور. وكلّ واحد المجال المعيّن الخاص به لإتّباعه. إذا انحرف

الإنسان عن مجاله الطبيعي الخاص، الدْهرْما الخاصة به، يكون ذلك مثل تغيير المراكب في تيا سريع. يجب عليه أن يكافح بشدّة للحفاظ على الحياة – هذا الكفاح الذي يختبره بالحزن والمعاناة والذي يسبّب له كلّ المشاكل على طريق التطور.

إن الجواب على كلّ مشكلة هو بأنه ليس هناك مشكلة .دع الإنسان يدرك هذه الحقيقة وبعد ذلك يكون من دون المشاكل. هذه هي قوّة المعرفة – قوّة السانكهيا – قوّة الحكمة التي تقدم الإدراك الفوّري. هذه هي المعرفة التي سيكشفها المولى كريشنا إلى أرْجونا في الجواب على كلّ المشاكل الأساسية في الحياة التي يطرحها أرْجونا في هذه الآيات من 28 إلى 46.

الآية والثانية والأربعون

يقود هذا التخالط فقط إلى الجحيم،
لكلّ من العائلة ومدمريها. وكذلك
يسقط أسلافهم، عندما يتوقف تقديم
الأضاحي للبيندوداكا

إن نقاوة الدمّ هي في أساس الحياة الطويلة للعائلة والمجتمع. وتعتمد هذه النقاوة على حفظ التقاليد العائلية القديمة. ودمار النظام الاجتماعي هو الخسارة الأكبر للأمة. ينظر أرْجونا إلى المعركة بهذا الاعتبار الحيوي في العقل، ويأخذ في الحسبان حياة العديد من الأجيال القادمة رؤيته مثالية واهتمامه أصيل. إن عمق فكره وبصيرته وحبّه للحياة البشرية والمجتمع، ألهم المولى كريشنا لتقويته بحكمة التحرّر الأبدي. يستمع المولى كريشنا إلى ما يقوله أرْجونا بشكل هادئ لكي يهيّئه بتعمق أكثر لهذه البركة العظيمة.

كلّ شعور يبديه أرْجونا، وكلّ شكّ يفصح عنه وكلّ استفسار منه في حقل المعرفة يتقبله

المولى كريشنا بعين العطف وسوف يجيب عليه لإرضاء أرْجونا.

"بيندوداكا": طبقاً لكارما كاندا الفيدية، التي تشرح الكارما، أو العمل، من المتوقّع أن يؤدّي الأبناء والأحفاد بعض الشعائر والمراسيم باسم أبّيهم وجدّهم المتوفين. إن أداء هذه الشعائر من قبل ذو صلة الدم المباشرة، طبقاً لقانون القربة، يجلب النيّة الحسنة والسلام والرضاء إلى الأسلاف المتوفّين أينما هم موجودون في حقل التطور. ليس هذا فحسب، بل ومثلما ينال الطفل البركات والعزاء من أبويه، كذلك يبارك المتوفون أطفالهم أيضاً. يوصل الأداء الفيدي للبيندوداكا الآباء المتوفين مع أطفالهم على الأرض ويخدم كقناة تتدفق من خلالها البركات.

بعد أن أظهر اهتمامه بحياة الأفراد، يظهر أرْجونا، في الآية التالية، اهتمامه ثانية بطريق التطور ولكلّ المجتمع.

الآية الثالثة والأربعون

من خلال الأخطاء التي قام بها
مدمري العائلة في التسبّب بتخالط
فئات المجتمع، تصبح الدْهرْمات
السحيق للفئة والعائلة منطفئة.

تشمل القوانين التي تحافظ على الحالة الحسنة للجسم بالكامل مجموعة القوانين التي تحافظ على أجزائه المختلفة، سوية مع القوانين الإضافية الأخرى لتنسيق الأطراف المختلفة. إنّ قوانين تطور الجسم هي مماثلة لمجموع تلك القوانين التي تحكم تطور الأطراف المختلفة، سويّة مع تلك التي تنسّق بينها.

على نحو مماثل، هناك دْهرْمات تحكم التطور الفردي وهناك دْهرْمات توصل وتنسّق الأفراد المختلفة. يقال بأن هذه الأخيرة تحكم تطور المجتمع أو الفئة الاجتماعية. في الآية 40 ، كان أرْجونا يفكّر من ناحية الدْهرْما العائلية. في هذه الآية يأخذ بعين الاعتبار دْهرْما الفئة، ما يعني، مجموعة من العائلات التي تؤيّد الدْهرْمات مماثلة.
يحطّم تخالط الفئات المثالية التي تم الحفاظ عليها بالتقاليد السحيقة ولها نتيجة مباشرة إفساد نظام التوازن الاجتماعي. إن ما يحدث للحياة التي لا تستند على التقاليد القديمة يتم شرحه في الآية التالية.

الآية الرابعة والأربعون

إن الشعوب الذين انقطعت عندهم
الدْهرْمات العائلية، هذا ما سمعناه،
يا جانارْدانا، (المولى كريشنا)، من
الضروري أنهم يعيشون في الجحيم.

"الدْهرْمات العائلية" هي قوى المبادئ المختلفة التي تؤيّد التنسيق بين الأعضاء المختلفين في العائلة، في نفس الوقت تمكّن كلّ عضو، بشكل واعي أو غير واعي، للمساعدة كلّ عضو آخر في طريقه للتطور. إن مثل هذه الدْهرْمات العائلية، على سبيل المثال، هي تلك تحدد علاقة الأمّ مع ابنها أو بنتها، أو الأخّ مع أخّيه أو أخته، وهكذا. يتم المحافظة على الدْهرْمات العائلية في التقاليد العائلية. إذا انقطعت التقاليد العائلية، لا يعرف الناس الذين يعيشون سوية كيف يعيشوا بأسلوب تكون فيه طريقة حياتهم مساعدة بشكل طبيعي لبعضهم البعض في التطوّر. فتكون النتيجة في خسارة طريق التطور وزيادة الاضطراب والفوضى في العائلة.

وتكون الحياة في مثل هذه العائلة حياة في الجحيم، وأولئك الذين سقطوا إلى مثل هذه النمط المنحطّ للحياة يبقون خارج طريق التطور ويواصلون صقل أقدارهم في البؤس. هذا ما يعني به أرْجونا عندما يقول "من الضروري أنهم يعيشون في الجحيم."

ها هي التعاليم العظيمة ذات الأهمية الحيوية التي ضاعت لعدة قرون. إنها تضع المعيار لأيّ مجتمع.

"الدْهرْما العائلية" هي التقاليد الثابتة بحيث يعمل الناس المولودون في عائلة معيّنة، في مهنة تلك العائلة .بسبب تراثهم الأبوي يعملون بكفاءة، فينتجون مادّة أفضل للمجتمع ويحسّنون مهنتهم .وبعملهم بكلّ سهولة وراحة في مهنتهم، فهم لا ينهكون أنفسهم في العمل ويجدون الوقت الكافي لكي يكونوا منتظمين في ممارستهم للكشف الروحي، الذي هو أساس لكلّ نجاح في الحياة. هكذا تساعد الدْهرْمات العائلية والتقاليد كل من الفرد والمجتمع يخاطب أرْجونا المولى كريشنا بصفة "جانارْدانا"، التي هي رسالة تذكير بأنه مؤسس القانون والنظام بتحطيم الشيطان "جانا". الآن، وكنتيجة للمعركة، ستسود الفوضى الأكبر، لأن الدْهرْمات العائلية ستكون مفقودة – وسيصبح العالم جحيماً.

يشير قلق أرْجونا على دمار الدْهرْمات بأنّه يراجع الوضع بأكمله من وجهة نظر عمل الطبيعة. تثبت هذه الآية مبدأ أساسياً في العمل: يجب أن يكون العمل بحي لا يشرد عن القوّة الخفية للدْهرْما.

تشير الآية التالية كيف يمكن لحكمة الفرد أن تفشله والنتيجة في القرارات الخاطئة.

الآية الخامسة والأربعون

وآه أسفاه، نحن نصمّم على اقتراف

خطيئة عظيمة باستعدادنا لقتل أقربائنا
نتيجةً للطمع بملذّات المملكة.

يبدو أرْجونا حزيناً لأنه سيضحّي بالشيء أعظم من أجل مكسب أصغر – سيضحّي بالدْهرْمات العائلية والفئوية من أجل الدْهرْما الفردية له.
يسمي ذلك أرْجونا بالذنب العظيم لأنه مدرك أن وضع أسس الاستقامة، ملكوت الله على الأرض هو مشروع تعاوني، يجب على كلّ البشر أن يلعبوا دورهم فيه، ويمكن القيام بذلك فقط عندما يتم المحافظة على الدْهرْمات العائلية والفئوية بشكل صحيح من قبل الأفراد المثبتين بحزم في دْهرْمات فرديتهم. إنّ خسارة الدْهرْمات العائلية والفئوية هي كارثة للنظام الاجتماعي دمار الاستقامة، إنها خطيئة أمام الله. لهذا السبب يدعوها أرْجونا "خطيئة عظيمة".
يبدأ أرْجونا في الآية التالية مظهراً خطّ العمل الذي يودّ أن يتّبعه.

الآية السادسة والأربعون

كان من الأفضل لي أن يقتلني أبناء
دْهريتارشْتْرا بأسلحتهم في أيديهم،
دون أن أقاوم، وأنا أعزل من
السلاح في المعركة.

يرى أرْجونا بأنّ هو قد يرتكب الذنب العظيم بالقتال. كونه محارب، عندما يأتي إلى ساحة المعركة لا يمكنه أن لا يتراجع من قتال ولا يمكن أن يهرب؛ لكن إذا حارب، يبقى عنده الخوف

من الذنب العظيم. إنه لا مفرّاً من هذه الحالة، لذلك يقول بأنّه كان من الأفضل له أن يقتل في المعركة. لأنه لا يمكن قتله عندما يكون مسلّحاً ويقظاً، يتمنّى أن يكون أعزل من السلاح ولا يقاوم. بهذه الطريقة لن يتحمّل الذنب العظيم أمام الله. هذا هو العقل الذي لا يخطئ لرامي النبال الأعظم في كلّ زمان، هذه هي الشجاعة والنبل للشخصية .يعتبر أرْجونا أنه من الأفضل ا الموت من اقتراف الخطيئة.

الآية السابعة والأربعون

قال سنْجايا:
بعد أن تكلّم هكذا في وقت المعركة،
تاركاً القوس والنشّابة، جلس أرْجونا
على مقعد العربة، وعقله مغموراً بالحزن.

"بعد أن تكلّم هكذا": في الآية السابقة، وصف أرْجونا نتائج المعركة كما تراءت له في قلب وعقله المتطوران. أما الآن، فهو لا يزال غير قادر على تقرير منحى عمله، لقد أصبح مدركاً بأنه يقف بالقوس والنشّابة في عربته، مستعداً للحرب على ما يبدو. ربما اعتقد أرْجونا أنّ بوقوف مسلّح في المعركة لن يسمح لنفسه أن يكون نزيهاً في اعتباره ولذلك يقرّر أن يترك القوس والنشّابة، ومتخلياً عن وضعيته القتالية ويجلس ليفكّر ملياً بعمق أكثر كي يجد الجواب الذي يرضي كلا الجانبين لمشكلته – حبّه للأعزاء الغاليين ومطلب الواجب.
كان عقل أرْجونا "مغموراً بالحزن": لقد حانت ساعة الواجب، لكن قلبه منعه من الردّ. بعقله الواضح تمكّن أن يتصوّر التأثيرات البعيدة المدى للدمار الذي تجلب المعركة. هذا ما غمر فكر

بالحزن. محظوظون هم الذين عقولهم مكتئبة لسوء حظ الآخرين. وأكثر حظّاً هم الذين يقدرون على تخفيف سوء حظ الآخرين، ويبقون هم غير ملموسين.

في الفصل التالي، سينال أرْجونا النور الذي سيمكّنه، من دون أي أثر للاكتئاب ومثبتاً بالحرية السعيدة لوعي الله، لتخفيف الشرّ الذي يلقي ظلاله على العالم.

هكذا، في أوبانيشاد البهاغافاد غيتا المجيدة،

وفي علم المطلق، وفي نصوص اليوغا،

وفي الحوار بين المولى كريشنا وأرْجونا،

ينتهي الفصل الأوَّل، بعنوان:

يوغا الكآبة لأرْجونا.

الفصل الثّاني

نظرة إلى التعاليم في الفصل الثّاني

الآية 1. إنّ باحث الحقيقة واقع في حالة من التعليق، لأنه لا يرى أي حلّ إلى المشاكل الأساسية للحياة.

الآيات 2 إلى 3. من وجهة نظر القدسّي، لا توجد المشاكل. تتغلّب الشائبة على الكرامة التي تعود إلى الحياة بشكل طبيعي.

الآيات 4 إلى 9. يبدو هذا البيان حول طبيعة الحياة بلا معنى لمن يعرف بشكل واضح بأنّ المشاكل موجودة في قاعدة الحياة الفردية والاجتماعية. وبما أنه إنسان عملي، فهو لا يتمنّى غضّ النظر عنها.

الآيات 10 إلى 38. إليه تأتي التعاليم، فتعطي البصيرة في الحياة. هناك وجهتان للحياة، الجسم المتغير والذات الثابت، والتي بطبيعتها الحقيقية هي الكينونة المطلقة. إلى أن يتم إدراك الكينونة، تكون الحياة من دون أساسات ثابتة وتبقى مرتكزة فقط على المشاكل الأساسية للوجود، حتى ولو كانت متوافقة مع الطبيعة الكليّة القدرة وقوة التطور. تجل معرفة الذات والكينونة اتزان العقل.

الآيات 39 إلى 44. يصبح الاتزان دائماً بكسب الوعي المطلق: يكسب العقل وعي المطلق بشكل طبيعي وبسهولة، لكن الإنسان الذي ينغمس في المتعة الحسّية يفتقده.

الآيات 45 إلى 48. تكمن التقنية في السماح للعقل بالوصول بشكل طبيعي إلى الوعي المطلق وبعد ذلك، وبعد أن يصبح ملماً بامتلاء الحياة، يرتبط بالعمل.

الآيات 49 إلى 52. تكون الفوائد بتحسّن الكفاءة والنجاح الأعظم في كلّ حقول الحياة، والتخلص من المشاكل والتحرّر الكامل من العبودية.

الآيات 53 إلى 72. إن وصف الحياة الثابتة في الاتزان ومن الإجراءات الوقائية لحماية تلك الحالة المباركة للحرية في الوعي القدسي.

ملخص سريع

هذا فصل هو روح البهاغافاد غيتا، في حين أن كلّ ما يتبع يشكّل الجسم .الأمل والاكتمال هما بركات هذا الفصل المجيد. يعطي الطريق المباشر للحياة المسالمة والنشيطة والناجحة في العالم، سوية مع الراحة الروحية والتحرّر من العبودية.

يشرح الفصل البرهما فيديا بكمالها – حكمة المطلق من الناحيتين النظرية والعملية – ويقدّم الفكرة المركزية للعنوان الكامل للبهاغافاد غيتا. فيه منشأ الأفكار التي تطورت في كلّ الفصول التالية.

وفي الوقت ذاته، هذا الفصل هو ذاتي الاحتواء. فهو بذاته قوي بما فيه الكفاية لرفع أيّ عقل، مهما كان مستواه متدنياً. إنه يقدّم فلسفة الحياة الكاملة، بدءاً من حالة الباحث وانتهاءًي في حالة الاكتمال.

تستمر الفكرة في الفصل الأول في بداية من هذا الفصل. تجد القوة المحتملة التي تقع في خلفية حالة التعليق لأرْجونا مخرجاً لها في بحر الحكمة الأبديّة للمولى كريشنا.

يتم تصوير ظروف أرجونا، التي ألهمت المولى كريشنا لكشف الحكمة السرية للحياة المتكاملة، في بداية الفصل، وينكشف مفتاح هذه الحكمة الآية الخامس والأربعون.

آيات الفصل الثاني

١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧	١٨
١٩	٢٠	٢١	٢٢	٢٣	٢٤	٢٥	٢٦	٢٧	٢٨	٢٩	٣٠	٣١	٣٢	٣٣	٣٤	٣٥	٣٦
٣٧	٣٨	٣٩	٤٠	٤١	٤٢	٤٣	٤٤	٤٥	٤٦	٤٧	٤٨	٤٩	٥٠	٥١	٥٢	٥٣	٥٤
٥٥	٥٦	٥٧	٥٨	٥٩	٦٠	٦١	٦٢	٦٣	٦٤	٦٥	٦٦	٦٧	٦٨	٦٩	٧٠	٧١	٧٢

الآية الأولى

قال سَنْجايا:

إليه وبانهزامه بالشفقة، وممتلئً بالحزن،

وعيناه كئيبة ومليئة بالدموع، تكلّم

مدْهوسودانا) المولى كريشنا(

هذه الكلمات:

'مدْهوسودانا': قاتل الشيطان مدْهو. يشير استعمال هذه الكلمة بأنّ قوّة هائلة ترتفع لتضع حد نهائي لحالة أرْجونا المشْلولة في التعليق.

حتى العقل اليقظ والذكي جداً مثل عقل أرْجونا أصبح ممسوكاً بحالة لا يمكن السيطرة عليها. يمكن لقلبه أن يتوافق مع عقله – بين حبّه لأقربائه ونداء الواجب لتحطيم الشرّ. على المستو العملي، يشبه ذلك البقاء في الظلام وفي النور في الوقت نفسه. وضع أرْجونا لنفسه مهمّة مستحيلة ما لم يبلغ حالة من الوعي تبرّر له أيّ عمل وتسمح له حتى بالقتل للحبّ، من أجل مساندة غاية التطور.

لم يستطع أرْجونا أن يطابق بين القتل والحبّ. إن هذا لا يشكّل ضعفاً من ناحيته ولا ينقص عظمته. إن أيّ إنسان في مثل هذا التطوّير العالي يصل إلى هذه الحالة من التعليق بين القلب والعقل.

كان أرْجونا رجلاً ذات طبيعة ديناميكية. وكان قلبه ممتلئاً بالحبّ، ورغم ذلك لم يستطع في هذا الوقت أن يحبّ أعزائه. كان عقله واضحاً ويقظاً ومصمماً على غايته. رغم ذلك لم يستطع في هذا الوقت أن يتصرّف بناء لما يمليه عليه. ممسوكاً بالتعليق كما كان، لم يستطع أن يحارب ويرضي عقله، ولم يتمكن أن يحبّ أعزائه ويرضي قلبه. لهذا السبب كان "ممتلئاً بالحزن."

لم يكن أرْجونا مربكاً، كما يصوّروه المفسرون عموماً. قلبه وعقله كانا في ذروة اليقظة، لكنّهما لم يستطيعا أن يظهروا له خطّ العمل لاكتمال تطلّعاتهما المتناقضة. حتى هذا لم يجعل أرْجونا فاقداً لتوازنه، لهذا يقول سنْجايا: "عيناه كئيبة ومليئة بالدموع" لو كان فاقداً للتوازن، لكان يمكن أن تكون عيناه خالية من أي تعبير. لكنّهما كانتا فيهما الحياة يبدو عليهما الكآبة، ويعبّران عن القلب من خلال الدموع. إن "الكآبة" التي تبدو في عينيه

تعطي تعبيراً لقلقه العظيم، وهذا يظهر اليقظة العقلية.

إنّ تسلسل العبارات المستعملة في هذه الآية هي ذات أهمية عظيمة في الوصول إلى حقيقة حال أرْجونا. في عبارة "بانهزامه بالشفقة" يظهر أنّ قلبه مملوء بالشفقة لوحدها. والعبارة التي تتليها "ممتلئً بالحزن". إذا كان القلب ممتلئً بالشفقة، وليس فيه مكان للعاطفة لمثل هذه النوعية المتباينة كالحزن، يوضح ذلك بأنّ العبارة "ممتلئً بالحزن" لا تشير إلى قلب أرْجونا، إنها لا تصف المشاعر، بل تصف حالة العقل فقط.

هكذا كان قلب أرْجونا ممتلئً بالشفقة وعقله ممتلئً بالحزن. لا يجب أن يساء فهم حالته بأنها تشير إلى الضعف أو الإرباك تظهر هذه الآية أرْجونا في قوامه الكامل، في ذروة ذكاءه وحسّاسيته ويقظته، وفي نفس الوقت من دون أيّ خطّ عمل للإتّباع.

هذا الحالة من التعليق لها قيمتها، لأنها تعطي الأساس الحقيقي للذكاء القدسي. في الوهلة الأولى تبدو نتيجة للظروف، لكنّها في الحقيقة ناتجة عن الكلمة الأولى للمولى كريشنا في ساحة المعركة. إن النقاوة في حياة أرْجونا، وباستلامه لموجة من الحبّ من المولى كريشنا، تطوّرت إلى حالة من التعليق وهيّأت الأرضية لبزوغ الحكمة القدسية.

ها هي صورة الإنسان من بين البشر الذي سيستلم الحكمة القدسية الأعظم المكشفة أبدا للإنسان. ولكي نجد أرْجونا الحقيقي الذي ستحل البركة عليه، يجب أن ننظر إلى ما بعد ظهور الدموع والكآبة. تخدم التركيبة الخارجية للدموع والكآبة في حماية المجد الداخلي للوعي في حالة التعليق. إنها مثل القشرة المرّة للبرتقالة التي تحتوي على العصير الحلوّ في داخلها. إن المرحلة الاستثنائية الظاهرة للعالم هي ليست جذّاب جداً، لكن في داخلها يوجد مذبح الله الذي بنوره تستمرّ حياتنا.

سوف لن يسمح المولى كريشنا حتى للناحية الخارجية لحياة أرْجونا كي تظهر "ممتلئً بالحزن"، سوف يحسّن المظهر أيضاً. وبذلك المنظور يصدم أرْجونا عندما يبدأ بالكلام.

الآية الثانية

قال المولى المبارك:

من أين يأتي هذا العيب، الغريب عن

الرجال الشرفاء، المسبب للخزي

والمعارض للسماء، ويقع عليك،

يا أرْجونا، في هذه الساعة

غير الملائمة؟

لا تحلّ المشاكل على مستوى المشاكل. إن تحليل المشكلة لإيجاد حلّ لها هو مثل المحاولة لإعادة الطراوة إلى ورقة الشجرة بمعالجة الورقة بنفسها، في حين يكمن الحلّ في سقاية الجذور. رفع أرْجونا، في الآيات الواحد وعشرون السابقة، بشكل أساسي، كلّ المشاكل التي قد تواجه أيّ حياة في أي وقت كان. عندما يبدأ المولى بالإجابة، فهو لا يكرّس أي لحظة إلى حجج أرْجونا. إنه يرفض كلّ ما قاله أرْجونا من دون تحليله، لأنه وبتحليل كلّ تصريح، لن يكون ممكناً حلّ الوضع.

تنشأ مشاكل الحياة كلّها من نوع من الضعف في العقل. إن كلّ ضعف للعقل هو بسبب جهل عقل لطبيعته الأساسية الخاصة، التي هي كونية وهي مصدر الطاقة اللانهائية والذكاء. هذا جهل لذات الفرد الخاصة هو أساس كلّ المشاكل والآلام والعيوب في الحياة. من أجل استئصال أي مشكلة في حياة من الضروري فقط التخلص من الجهل، والتمسك بالمعرفة.

من أجل إدخال أي فرد في المعرفة، من الضروري أولاً وضعه في حالة عقلية حيث يكون مستعداً أن يسمع. وفي كون أرْجونا في حالة من التعليق، قال المولى إليه شيئاً قد يهزّ عقله ويجعله

قادراً على السمع والفهم.

في هذه الآية، يقيّم المولى حالة أرْجونا بالكلمات التي تقترح لها الحل. تظهر الكلمة الأولى التي تفوه بها المولى كريشنا في هذا الحديث الفلسفة الكاملة للحياة، الفيدانتا بشموليته عالم الأشكال والظواهر في طبيعتها المتغيّرة باستمرار، والحقيقة المطلقة التي لا تتغيّر ذات الطبيعة التجاوزية، كليهما كاملان" – بورناامادا بورناميدام". من أين يأتي هذا العيب من الجهل، الذي يسبب الحزن؟ ومرة أخرى، وبما أن الحاضر يتكوّن من "الممتلئين" لا ينتمي العيب إلى أيّ وقت في الحاضر؛ لهذا السبب إنه "غير ملائم" في أية "ساعة."

قدّم أرْجونا مشاكله في الآيات 28 إلى 46 من الفصل الأول؛ أما كيف يرى المولى كريشنا الحالة ويرفضها فهو يفسر بوضوح عبارات هذه الآية.

تشير كلمة "من أين" إلى عدم وجود المبرر للمجادلة بكاملها. هذه الكلمة توازي الآية 28 التي يعطي الأساس لحجّة أرْجونا.

تشير كلمة" العيب" إلى محتوى الآيات 29 إلى 31.

تعبّر العبارة "الغريب عن الرجال الشرفاء "عن طبيعة الآيات 32 إلى 35.

تشير العبارة "المسبب للخزي" إلى الآيات 36 إلى.39

وتشير العبارة المعارض للسماء" إلى الآيات 40 إلى 46.

يوضّح المولى إلى أرْجونا: "من أين يأتي هذا العيب... ويقع عليك؟ فهو يتكلّم بالمفاجأة ويستعمل الكلمة "عيب" لتلخيص حالة أرْجونا العامّة وطريقة تفكيره. أن كلمة "عيب" مصحوبة مع " الغريب عن الرجال الشرفاء، المسبب للخزي والمعارض للسماء" و "الساعة غير الملائمة" تصدم أرْجونا بشدّة. تلقى عقله اليقظ وقلبه هذه الصدمة الحادّة، التي قذفته خارج حالة التعليق. وفوراً فقد الثقة في الطريقة التي كان يفكر بها. هذا ما جعله ينظر إلى المولى

تجلب الآية التالي صدمة أخرى إلى أرْجونا وتقوّي التأثير الناتج عن هذه الآية. يشير المولى ضمناً إلى أنّه، سواء كانت البيئة المحيطة والظروف مناسبة أو غير مناسبة، يتصرّف الرجال الشرفاء والفضلاء دائماً بطريقة تقودهم إلى المجد هنا على الأرض وفي الجنة.

الآية الثالثة

يا بارتا! لا تستسلم لعدم الرجولة.
إنه غير جدير بك أنفض عنك
ضعف القلب الرديء هذا.
انهض. يا ملهب الأعداء!

تظهر هذه الآية مرة أخرى المهارة النفسية في معالجة المشكلة. يستعمل هنا المولى الكلمة "عديم الرجولة"، وفي الوقت نفسه يذكّر أرْجونا بتراثه الشريف بدعوته بارتا، ابن بْريتا، هذا كي يحيّد في أرْجونا ما سمّاه المولى كريشنا "ضعف القلب".
أدرك المولى كريشنا أنّه عندما خاطبه أولاً بصفة بارتا، طلب منه النظر إلى الكورو المجمّعين في المعركة، أيقظ فيه حبّ أمّه بْريتا، وهو يعرف بأنّ الموجة العظيمة للحبّ التي غرسها في قلب أرْجونا كانت مسؤولة عن حالته الحالية للتعليق. لذلك، ومن أجل إرجاع أرْجونا إلى استعداده الأولي للقتال، كان من الضروري توسيع الطبيعة الأحادية الجانب للحبّ الناتج عن كلمة بارتا. هذا هو السبب الذي جعل المولى كريشنا يستعمل هنا كلمة "بارتا" مرة أخرى ويربط بينها وبين "ضعف القلب".
بعد أن أحدث هذا التأثير في القلب، كان من الضروري أن يوجّه فوراً مجرى عقل أرْجونا بعيداً

عن حالة التعليق في اتجاه العمل؛ لذلك يحثه المولى بقوله "انهض". بهذه الطريقة، يبدأ المولى بشحن عقله بنبضة باتجاه القتال ويكملها فوراً بتذكيره بمنزلته كونه "ملهب الأعداء".

يريد المولى إيقاف أرْجونا فوراً عن التفكير بالأسلوب الذي لن يقوده في أي مكان. فيخبر أرْجونا بأنّ هذا الطريق لا ينتمي إليه، لأنه كان دائماً صاحب شخصية ديناميكية – " إنه غير جدير بك".

إن هذا القول للمولى له أيضاً معنى أعمق. "إنه غير جدير بك" يذكّر أرْجونا بطبيعته الأساسية. "بأنّك هو"، كما يرد في الأوبانيشاد – الكينونة غير المحدودة الأزلية. يجب أن تتنفّس الحياة الكونية ولا تقع فريسة "لضعف القلب"، لأن ذلك ينتمي إلى حقل الجهل.

وبطلبه منه نفض "ضعف القلب"، يضيف المولى "الرديء". وبهذا فهو يقصد تشجيع أرْجونا: إ
الضعف الذي يجب التغلّب عليه ليس كبيراً لكنه فقط فشل القلب. يريد المولى كريشنا الإبلا
أرْجونا أنه عندما ينمو الحبّ في قلب الإنسان، يصبح مظهره أكثر كونياً، ويجب أن يصبح أقو
وأكثر ديناميكية، لكن في حالته لم حدث هذا. لم يكسب أرْجونا المظهر الكوني.

يظهر هذا الأمر حقيقة ماورائية عظيمة: الجهل ليس له مكوّن مادي. إنه فقط الوهم الذي يجب أن يكون سهل التخلص منه. لسوء الحظ لقد حرم هذا الجهل أرْجونا من القوّة التي يجب أن تجلبه موجة الحبّ بشكل طبيعي.

بالتأكيد، كونه محارب عظيم، إن أرْجونا شجاع بطبيعته. لهذا يبدو المولى يذكّره فقط بـ
هو عليه: غير محدودة وأبديّة في طبيعته المطلقة و "ملهب الأعداء" في طبيعته النسبية، فـ
شكله البشري.

إن الدراسة المعمقة لهاتين الآيتين، اللتان تشكّلان تحذير المولى الأول، تظهر أنهما يحتويان في الجوهر كامل تعاليم البهاغافاد غيتا.

الآية الرابعة

قال أرْجونا:
كيف لي أن أُقاتل بْهيشْما ودْرونا
بسِهامي في ساحة المعركة،
يا مدْهوسودانا؟ إنهم يستحقون
الوقار، يا فاتك الأعداء.

يخاطب أرْجونا المولى كريشنا بصفة مدْهوسودانا، قاتل الشيطان مدْهو، في حين يعيد تعداد أسماء بْهيشْما ودرونا. بذلك يقترح بشكل صامت على المولى كريشنا: أنت قاتل الشياطين كيف تطلب مني ذبح هؤلاء الشيوخ النبلاء؟ أنت قاتل الأعداء؛ كيف لك أن تطلب مني قتل أولئك الذين يستحقّون الوقار؟
يظهر هذا يقظة عقل أرْجونا حتى في هذه الحالة من التعليق. إذا كان الفرد يقظاً وصاحياً في القلب والعقل، فيكون هناك دائماً الأمل في النهوض في وقت المحنة.
يشدد أرْجونا أكثر على نقطته هذه في الآية القادمة.

الآية الخامسة

من المؤكد أنه الأفضل أن أعيش
متسوّلاً في هذا العالم على أن أقتل
هؤلاء المعلمين أصحاب العقول النبيلة،

بالرغم من أنّهم توّاقون للمكسب،
لأنني بقتلهم سوف أتمتع فقط بملذّات
ملطّخة بالدم في هذا العالم.

تظهر هذه الآية صفات أرْجونا العظيمة والنبيلة والبعيدة النظر. إنها تظهر صفة قلبه البشري. كان أرْجونا، كونه رامي نبال عظيم، مدركاً للسجلات المثيرة للشفقة للفتوحات الملطّخة بالدم في التأريخ. يمكنه أن يرى الضرر الكبير للحضارة في زمانه. ويمكنه أن يتصوّ في عقله خراب الحرب في كل مكان؛ ويمكن أن يسمع في داخل ذاته صرخات الأطفال ورثاء النساء وروايات الكوارث والظلم. قد يفعل أرْجونا، البطل صاحب القلب البشري الحسن، أيّ شي لعدم الدخول في الحالة التي تبدو وشيكة. لقد ذهب بعيداً إلى حدّ القول بأنّه "من الأفضل أن أعيش متسوّلاً في هذا العالم على أن أقتل هؤلاء المعلمين أصحاب العقول النبيلة" و "أتمتع فق بملذّات ملطّخة بالدم في هذا العالم".

في الآية التالية يواصل مناقشته.

الآية السادسة

نحن لا نعرف الذي أفضل لنا:
هل يجب أن نتغلب عليهم أو هم
يجب أن يتغلبوا علينا. أبناء دْهْريتارشْتْرا
الواقفون وجهاً لوجه أمامنا. إذا قتلناهم
يجب أن لا نتمنّ أن نعيش.

تظهر هذه الآية وجهة نظر أرْجونا غير الأنانية للحياة. إذا كان ليتمتّع بالمملكة، فهو يريد مشاركة البهجة بها مع كلّ أولئك الأعزاء على قلبه؛ وإذا لم يستطع مشاركتها معهم، يفضّل التخلّي عن المملكة جملة وتفصيلَ. تكشف الآية طريقة تفكير الرجل صاحب الوعي المتطور. يعي أرْجونا المدرك لخطورة الموقف، على المسؤولية الملقاة على عاتقه. إنه يفكّر بشأن نتائ النصر أو الهزيمة ولا يجد أي تبرير للنصر حتى من جانبه الخاص، إذا كان سيحرمه ذلك من

أعزائه.

بوقوعه في حالة عاجزة، يقرّر أرْجونا أنّ الأمر لا يمكن حلّه على أيّ مستوى تفكير أو شعور بشري. لذلك ينظر إلى المولى للتوجيه القدسي.

تسجّل الآية التالية عجز رامي النبال الأعظم لكلّ زمن، والمشاعر البريئة والأكثر إخلاصاً لاستسلام رجل عظيم وحكيم.

الآية السابعة

إن طبيعتي المصابة بوصمة الضعف،
وعقلي مرتبك حول الدْهرْما.
أتوسّل إليك قل لي، وبشكل قاطع،
ما هو الأفضل، أنا مريدك علّمني
لأني ألتجئ إليك

استمرّ أرْجونا بموقفه، وعندما ذهب إلى أقصى حدّ ممكن في ذلك الاتجاه، يشعر فجأة أنه غير قادر على التفكير أكثر من ذلك. أوقف ارتدادات فكره وسقط عند أقدام المولى.

يحدث عموماً أنه طالما يشعر الإنسان أنّ بإمكانه أن يفكر ويعمل بنفسه، فهو لا يرى حاجة للاستماع إلى الآخرين. إنما عندما يصل إلى نهاية المطاف، يبحث عن من يلجأ إليه. إذا وجد الملجأ يقترب منه بكلّ تواضع ويضع ثقته به. عندما يسلّم نفسه بالكامل، تأخذ نفسه عناية كاملة منه. هذه هي الطبيعة القدسية النزيهة: أنا لهم كما هو لي.

"قل لي بشكل قاطع" تكشف شخصية أرْجونا. إنه رجل عملي لا يريد البقاء على مستوى الكلام المثالي. يسأل من أجل الخط الواضح للعمل، الذي يمكن أن يتبعه من دون شك والذي سيثبت بأنه صحيحاً له، كون هدفه في منفعة الكلّ. إذا كرّس الإنسان حياته لخدمة الآخرين وكان واعياً حول مسؤولياته، يكون بحاجة كبيرة لكي يكون صحيحاً أثناء العمل الذي يتبنّاه. لا تعكس هذه الحالة بأية حال شخصية أرْجونا. إنها تكامل حياته الداخلية التي تجعله يرى الضعف في نفسه. تكشف عظمته عندما يقول: "عقلي مرتبك حول الدْهرْما". من جهة تجاه الدهارما العائلية، (واجب رب البيت) تدفعه لحماية ومحبّة أقربائه، ومن جهة أخرى الدهارما الفئوية (واجب الكْشاتْريا، حامي المجتمع) تتطلب منه أنّ يقتل المعتدين. إنه غير قادر على اتخاذ القرار في أي دهارما يتبع وينظر إلى هذا بأنه ضعف عنده. في الواقع إن الظروف هي المسؤولة. لا يمكن لأي رجل صاحب القلب والعقل أن يعتبر ذلك ضعفاً عند أرْجونا؛ لكنّه يدعوا ضعفاً عنده. تجعله شخصيته العظيمة متواضعاً جداً في تحليل حالته أمام المولى كْريشْنا. عندما يسلّم أرْجونا نفسه لكسب الحكمة كونه مريداً، يقبله المولى، ومن هذه النقطة تبدأ تعاليم المولى كريشنا. إنها حقاً بداية البهاغافاد غيتا.

إنه قانون طبيعي ثابت بأن الفعل وردّ الفعل متساويان أحدهما للآخر. لكي يحدث ردّ الفعل، على الفعل أن يبدأ أولاً. وبالطّريقة ذاتها، لكي تبدأ التعاليم، يجب على التلميذ أن يقترب أو من المعلّم. وعندما يقوم بذلك فهو يعتبر جدّياً، و يشعر المعلّم بالمسؤولية في تعليمه. طالما بقي أرْجونا يتكلّم مع المولى كريشنا على أساس الصداقة، كان المولى كريشنا يجيب بالأسلوب ذاته. لكن عندما أرْجونا أصبح جدّياً وقال: أقدّم نفسي إليك كالمريد، أرشدني إلى الطريق، وجّهني إلى النور، لأنني غير قادر على الرؤية بنفسي – عندما أصبح أرْجونا هادئاً واستدار كلياً إلى المولى كريشنا، أخذه المولى بجدية وبدأ بتنويره بالحكمة العملية للحياة. عندما لا يكون المريض ساكناً، لا يستطيع الجرّاح البدء بالعملية؛ فقط عندما يقدّم المريض نفسه إلى الجرّاح ليفعل ما يتمنّى يشعر بالحرية للقيام بالعملية.

هذا هو السرّ العظيم للنجاح عندما يراد التوجيه من شخص آخر في أيّ مجرى للحياة. وحكمة السلام والسعادة في الحياة، وحكمة النجاح في العالم والحرية من العبودية هي السرّ الأعظم للحياة. إنها يراها فيديا، معرفة الأقصى النهائي. من الممكن أن تمنح فقط إلى أولئك الراغبون على الأقل بتقبلها. رغبتهم محكومة باستعدادهم للتقبّل، وهذا بدوره محكوماً باهتمامهم ذات التوجه الواحد بالولاء المخلص إلى المعلم.

يجعل الإيمان الطالب مستوعباً جيداً للمعرفة. يحرّره الولاء من المقاومة وفي الوقت ذاته يؤثّر على قلب المعلم، حيث يتدفق نبع الحكمة. يخلق الولاء من ناحية المريد المودّة في قلب المعلم عندما يقترب عجل من أمّه يبدأ الحليب بالتدفّق من ضرعها، جاهزا للعجل كي يشرب من دون جهد. هكذا هو مجد الولاء والإيمان في المريد. يستسلم عند أقدام المعلم ويختصر الطريق الطويل للتطور.

تم مشاهدة نتيجة استسلام أرْجونا المخلص إلى المولى كريشنا من دون تأخير. بتعاليمه، النظرية والعملية، ساعد المولى أرْجونا كي يحرّر ذاته من حالة التعليق. وفي نهاية الحديث القصير في ساحة المعركة، كان أرْجونا قد أصبح يوغياً، بهاكتي وغياني. لقد أصبح ثابتاً امتلاء الفكر الحازم، في المهارة العظيمة للعمل وفي الحرية الأبديّة للوجود.

من أجل الوصول إلى تلك الحالة، كان على أرْجونا أن يستسلم فقط عند أقدام المولى. لا يعني الاستسلام استسلاماً أعمى. من خلال البهاغافاد غيتا، يواصل أرْجونا طرح الأسئلة، لأن الطالب له الحرية حرية الكامل في طرح أيّ سؤال، عندما أثار إعجاب المعلم بإخلاصه. وبعلاقة من هذا النوع بين المعلّم والمتعلّم، تصبح مهمّة الاثنين سهلة وخالية من المقاومة. تتدفّق الحكمة تلقائياً من الواحد إلى الآخر.

بعد أن سلّم نفسه، يظهر أرْجونا، في الآية القادمة، بشكل واضح الحالة الحالية لعقله. إذ أن طريق الاستسلام لا يسمح بأيّ تحفّظات.

الآية الثامنة

في الحقيقة أنا لا أرى ما يمكنه تبديد
الحزن الذي يجفّف حواسي، مع أني
يجب أن أحصل على مملكة مزدهرة
لا نظير لها على الأرض وكذلك مقام الآلهة.

"تجفّف حواسي": بسبب حالة أرْجونا في التعليق، يكون التنسيق بين العقل والحواس مفقود
تصبح النبتة جافة لأنها لا تتغذى من الجذور، ولا يوجد هناك طريقة لإعطائها الغذاء من الخارج
من دون التنسيق مع العقل، لا يوجد هناك فرصة للحواس في البقاء في حالة يقظة ولا تستطيع
التمتّع حتى بالمتع الأعظم على الأرض.
إذا كان الاستسلام الموصوف في الآية السابقة كاملاً، لكان يجب على أرْجونا أن يكون صامتاً
حول حزنه في تلك اللحظة. لكنّه يفصح عنه حتى بعد الإعلان بأنه استسلم. يظهر هذا الأمر
بأنّه حتى الشعور بالاستسلام لا يستطيع تحريره فوراً. يمكن أن يحدث أنه حتى المحيط يخفق
في إخضاع الانفجار البركاني. لا يمكن لأي شيء في العالم الخارجي أن يبدّد الحزن في عقل
أرْجونا، لأنه ممسوكاً بتعليق عميق جداً بحيث يجعله عاجزاً عن العمل.
تظهر دراسة هذه الآية مبدأ أساسياً في الحياة الروحية. إن الحالة الحقيقية للاستسلام لا تترك
الفرد يعاني: ينزع الفرد كلّ الصعوبات، ويجلب الارتياح الفرد للسكون.
تلخّص هذه الآية والآيات الأربعة السابقة المشاكل الأساسية للحياة التي وضعها أرْجونا أمام
المولى في الآيات 28 إلى 46 من الفصل الأول.

الآية التاسعة

قال سَنْجايا:
بعد أن تكلّم غوداكيشا، مضطهد العدو،
هكذا، إلى هْريشيكيشا، قال إلى غوفينْدا
(المولى كريشنا): "لن أُحارب" وصمت.

دعي أرْجونا "غوداكيشا" (قاهر النوم) و "مضطهد العدو". تشير هذه العبارات أنّه في هذه المرحلة، عندما يقول أرْجونا: "لن أحارب"، يكون غير كسول وقوّته لم تخذله.
واستعمال كلمة "هْريشيكيشا" أو "غوفينْدا"، المولى وسيد الحواس، تعبّر عن موقع المولى كريشنا فيما يتعلق بأرْجونا. يقف أرْجونا بكلّ قوّته ويقظة عقله، كالطفل أما عظمة المولى كريشنا. وكلماته: "أنا لن أحارب"، هي مثل كلمات الطفل الذي يقول: "أنا لن أذهب إلى هناك" وينظر إلى أبّيه لاكتشاف نواياه. عندما استسلم أرْجونا بنفسه عند أقدام المولى، أصبح كالطفل أمامه.
يبرر أرْجونا بقوله أنّه لن يحارب، لأنه أسلّم نفسه. إن أرْجونا هو محارب؛ وعندما يقول بأنّه استسلم، فهو يعني ما يقول ويبدأ بالتصرّف وفقاً لذلك أصبح كل من قلبه وجسمه وعقله الآن ملكاً إلى المولى كريشنا؛ لذلك هو لا يستطيع المحاربة أو القيام بأي عمل ما لم يتلقى الأوامر إنه يعرف أنّ المشكلة يجب أن تظهر بوضوح، وبعد ذلك سيأتي الحلّ بسهولة. وبقول أرْجونا ما عنده؛ سيتكلّم الآن المولى كريشنا.

الآية العاشرة

إليه، يا بهاراتا (دهريتارشتريا)،
الحزين في وسط الجيشين، تكلم
هْريشيكيشا مبتسماً هذه الكلمات:

"تكلّم هْريشيكيشا مبتسماً": يستعمل هذا التعبير للإشارة إلى أن رفع أرْجونا من حالة صمته وتردده وتحريره من حالة شلل الحواس ليس بالمهمّة كبيرة لمن هو سيد الحواس. ربّما نفهم من كلمة "مبتسماً" أيضاً أنها مؤشر إلى تقنية تنوير المريد بتشجيعه منذ البداية.
يصبح الباحث المخذول متشجعاً بالإشارة الأولى لابتسامة المعلم، التي تظهر له من دون أي كلمة بأن مشاكله هي ليست جدّية جداً كما يعتقد وليست صعبة جداً لدرجة أنها غير ممكن التغلب عليها. إن المقارنة التي أظهرها هي هامّة. يظهر أرْجونا بيأسه، في حين يبتسم المولى كريشنا في مزاجه العادي السعيد واللعوب والقدسي. إن وجهتي الوجود هما ممثّلتان هنا: من ناحية، وعي الغبطة غير الظاهر والمطلق، مثّل بالمولى كريشنا؛ ومن ناحية أخرى، ارتفاع الوعي البشري الممثّل بواسطة أرْجونا. إنّ الظلمة على وشك تنورها بالنور السماوي؛ أوشك أن ينكسر صمت أرْجونا ويصبح رخيماً بالأغنية السماوية، حيث يتحوّل حزنه إلى ابتسامة المولى. تشير الكلمة "مبتسماً" أيضاً إلى الطبيعة الثابتة للمولى كريشنا. كان يمكن لأي فرد ما عدا المولى أن يعجز على أن يجد أن البطل الواقف في جانبه أمام الجيشين العظيمين المتأهبين للقتال، كان يغرق إلى اليأس.
في الآية التالية يبدأ المولى كريشنا حديثه المجيد. لكن يجب الملاحظة مرة ثانية بأنّه لا يدخل في حجج أرْجونا؛ فهو يرفضها كلّها بالكلمة الأولى التي يتكلّم بها.

الآية الحادية عشر

قال الرب المبارك:

أنت تحزن على أولئك الذين يجب

أن لا تحزن عليهم، وتتكلم رغم ذلك

كما يفعل الحكماء. إن الرجال الحكماء

لا يحزنون على الأموات ولا على الأحياء.

يخبر المولى أَرْجونا بأنّه يتكلّم بلغة الحكماء، وفي قوله هذا، يظهر له أيضاً كيف يفكّر الرجال الحكماء. إنّ العلامة الأولى لمثل هؤلاء الرجال بأنّهم لا يحزنون على أيّ شيء، لأنهم يعرفون بأنّ كلّ شيء هو أبدي في جوهره. من وجهة النظر للوجود الحقيقي، إن بْهيشما ودْرونا وكلّ أولئك الذين يقلق عليهم أَرْجونا لهم حياة لانهائية. من الخطأ أن يحزن أَرْجونا من أجلهم. هل يمكن أن يكون هناك حزناً في عقل الرجل الحكيم من أجل الأحياء أو الأموات؟ إنه لا يحزن على الماضي، ولا يمكن لأيّ شيء في الحاضر أن يجعله حزين، لأنه ثابت في الحقيقة، الحقيقة الثابتة التي لا تتغيّر.

تكشف هذه الآية حكمة المعلم: أنه يجعل الشخص الطموح مدركاً لموقعه الخاص، وفي الوقت ذاته يوضح له هدفه. جعل المولى كريشنا أَرْجونا يرى حالته العقلية الحالية التي يحزن فيها على لا شيء، وكما جعله يرى هدفه، حالة الحكمة، التي لا يحزن فيها على أيّ شيء.

إنها تصوّر أيضاً مبدأ العلاقة بين المعلم والتلميذ: إنّ المعلم هو وحده من يهتم بأخذ المريد من حالته الحالية إلى الهدف. لا يجلب المولى نفسه إلى الصورة هنا؛ بل يصف موقع أَرْجونا الحالي فقط والحالة التي يتمنّى أن يقوده إليها. لقد لمّح إلى الهدف فقط لكنه جعل أَرْجونا مدركاً بشكل واضح لحالته، غايته في أن يجعل أَرْجونا متكلاً عليه بالكامل كي يمكّنه من تلقي توجيهاته الماهرة بمنفعتها الأكمل. لا يطلب من المريد أن يكون يقظاً ويستمع، بالرغم من أن هذا التأثير قد جلب إلى عقله في بداية الحديث بجعله مدركاً لوضعه.

تبدأ هذه الآية الجزء الأول لحديث المولى كريشنا، الذي يعرف بالسانكْهْيا. من هنا وإلى الآية الثامنة والثلاثين، يعطي المولى كريشنا أَرْجونا هذه الحكمة للحياة الكاملة، حكمة كل من الأوجه المطلقة والنسبية للوجود، التي يدعوها

سانكْهْيا.

تقترح الدراسة المعمقة بأنّ الأسئلة المطروحة من قبل أرْجونا في الآيات الخمس
قد تم الإجابة عليها بالعبارات الخمسة المتضمنة في هذه الآية:

1. أنت تحزن على أولئك الذين يجب أن لا تحزن عليهم.
2. وتتكلم رغم ذلك كما يفعل الحكماء
3. لا على الأموات ولا على الأحياء.
4. لا يحزنون
5. الرجال الحكماء.

الآية الثانية عشر

لم يكن هناك زمن حيث لم أكن أنا فيه
ولا أنت ولا هؤلاء الحكام للبشر،
ولن يكون هناك أبداً زمن لن نكون فيه
نحن جميعاً موجودون.

يقدّم المولى هنا إلى أرْجونا الطبيعة الدائمة للإنسان الداخلي، الحقيقة الداخلية
للحياة الفردية. إنّ طبيعة هذه الروح في الإنسان هي خالدة. على الرغم من
التغيير المستمر للأجسام في الماضي والحاضر والمستقبل، فهي تبقى أبداً من
دون تغيير. إنّ الطبيعة الدائمة للوجهة الداخلية للحياة، الذات، هي مفهوم مجرّ

ولذا، ولكي يجعلها ملموسة بقدر الإمكان، يتكلّم المولى حول ذلك بمصطلح نفسه وأرْجونا وأولئك الحاضرون. يشير هذا إلى ناحية مهمة من التعاليم: يتم توضيح النظريات المجرّدة بصور إيضاحية ملموسة.

يقول المولى بأنّنا سنستمرّ جمعاً في الوجود حتى بعد موت هذه الأجسام، لأن الذات هي أبدية – تستمرّ الحياة في الوجود، إنها أزلية. إنه يتبع هنا الإيضاح الذي ينير حكمة السانْكْهْيا.

الآية الثلاثة عشر

كما يمرّ المقيم في الجسم الفاني بالطفولة والشباب والشيخوخة، كذلك يمرّ في جسمٍ آخر. ولا يربك ذلك الحكماء.

لا يندهش الحكماء بتغييرات الجسم؛ إنّ موت الجسم مثل التغيير الذي يحدث عندما يصبح الأطفال بالغين، أو عندما يصبح الشباب عجزة. تستمر التغييرات الهائلة بالحدوث، في حين أن حقيقة الحياة التي لا تتغير أبداً، المقيم في الجسم، تبقى أبداً هي نفسها.

من غير الممكن لإنسان يعرف هذا الأمر أن يشعر بالقلق الكبير حول موت الجسم، لكن حتى وبهذه المعرفة لا يزال يحسّ بالحرارة والبرودة والسرور والألم. كيف يجب الوصول إلى هذه الحالة هو ما ستوضّحه الآية القادة.

تعبّر هذه الآيات عن المحتوى الحيوي لحكمة السانكْهْيا.

الآية الرابعة عشر

باحتكاك الحواس مع مدركاتها، يا ابن كونتي، نشعر باختبار البرد والحر، واللذة والألم. إنها زائلة، فهي تأتي وتذهب. تحمّلها بصبر يا بْهاراتا.

بثباتهم بحزم في فهم الثابت الذي لا يتغيّر، لا يتأثّر الحكماء بالحالات المتغيرة للجسم في أثناء الحياة أو بعد الموت. إنّ اختبار أغراض الحواس وتأثيراتها، واختبار السرور والألم، هي فقط الظواهر التي تأتي وتذهب. يريد المولى هنا أن يظهر لأرْجونا بأن الأشياء التي ليس لها طبيعة دائمة يجب أن لا يكون لها وزن ثقيل. كما وأنّه يقول له: استخفّ بها، لأن هذه الأشياء ستذهب بذات الطريقة التي جاءت بها. يجب أن تكون حياتك مستندة على شّيء له طبيعة دائمة. أرْجونا! لا تعطي أهمية إلى اعتبارات المراحل العابرة والمؤقتة للحياة. ارتفع كي تفهم بأنّ الحقيقة الدائمة للوجود ستستمرّ في الوجود، في حين أن ما هو مؤقت سيستمرّ بالتغيير. لذا، خذّ الحياة كما هي. هذا وحده ما ينفعك، لذلك أدعوك بْهاراتا، سليل بْهاراتا العظيم، الذي كان ثابتاً النور في حقيقة الحياة.

إنّ نتيجة البقاء بتوازن عقلي في السرور والألم تظهر في الآية التالية.

الآية الخامسة عشر

ذلك الرجل حقاً، الذي لا تزعجه هذه
(الاحتكاكات)، المتساوي عقله في
السرور والألم، الصامد، يستحق الخلود،
يا أفضل الرجال!

يؤكّد المولى إلى أرْجونا بأنّه عندما يصبح الإنسان ثابتاً في فهم الحقيقة الدائمة للحياة كما تم شرحها في الآية الثالثة عشر، يرتفع عقله فوق تأثير السرور والألم. يتجاوز مثل هذا الإنسان الثابت الذي لا يهتز تأثير الموت ويعيش في المرحلة الدائمة للحياة؛ ويصل إلى الحياة الأبديّة. إن غاية المولى في أن يكسب أرْجونا هذه الحالة حيث سيكون قبل كل الاعتبارات في الحقل النسبي، بما في ذلك الموت، وكلّ مشاكل الحياة والموت.
إن الحالة غير المحدودة للبحر لا تتأثّر بجريان الأنهار ولا بعملية التبخّر. وبالطّريقة ذاتها، يكون الإنسان الثابت في فهم الوفرة غير المحدودة للوجود المطلق متحرراً بشكل طبيعي من تأثير النظام النسبي. هذا ما يعطيه منزلة الحياة الخالدة.
في الوقت الحاضر نجد عموماً بأن الناس يحاولون تصنع مزاج الرصانة والتساوي في السرور والألم، في الخسارة والمكسب – فهم يحاولون تصنع مزاج السلوك المتساوي وعدم التأثّر خلال ارتباطهم بالنشاطات المتنوعة في العالم. لكن محاولة تصنع المزاج على أساس الفهم هو ببساطة تظاهر كاذب. يقع العديد من الباحثين في شرك مثل هذا الموقف. سيتم توضيح ذلك أكثر في متابعتنا للحديث.
لا يصبح الفهم ناضجاً نتيجة لصنع المزاج. إنه ضروري فقط لفهم معنى هذه الآية

والآيات الثلاثة السابقة، من أجل أن نعيش حقيقة العلاقة بين الحياة الأبديّة الداخلية والمراحل المتغيّرة باستمرار الخارجية للوجود. عندما يعرف الإنسان بأنّه ملك والولاية هي ملكه، يبدأ باستعمال علاقته مع الولاية فوراً. ويبدأ بالتصرّف كأنه الملك إنه ليس مطلوباً منه يتعلم الملوكية بالممارسة وبالتفكير المستمر بمركزه، تماماً كما إنه ليس مطلوباً من الطفل أن يتذكّر دائماً بأنّ أمّه هي أمّه. إنه فقط يعرف ذلك مرّة واحد ويعيش العلاقة في جميع الأوقات. إن طريق فهم الذي يؤدّي إلى الحرية من العبودية هو بسيط جداً.

إن الحقيقة الكاملة للحياة هي بأنّه لا يوجد هناك أي شيء هام ليربط الذي لا تغيّر إلى المجال المتغيّر باستمرار للحياة. ولا يوجد أي شيء لإبقائهم مربوطين سوية. إنه فقط الجهل للحالة الطبيعية للحرية الموجودة بين هذه المجالات الذي يؤدّي إلى ربطها سوية. هذا الجهل، والعبودية المولودة منه، هو الذي يبقي الحياة في الحركة – وبقاء الوجهة الداخلية دون أي غير متغيّرة أبداً والوجه الخارجية دائمة التغيّر. تستمرّ الوجهة الخارجية الدائمة التغيّر إلى الأبد، مستندة على الوجهة الداخلية. هكذا، تتدفّق الحياة مندفعة إلى الأمام في الحالة الطبيعية للحرية الأبديّة – على أساس الجهل!

إن المعرفة المتضمنة في هذه الآيات – حكمة السانكْهْيا – تقطع إرباً روابط الجهل وتسمح للحياة في أن تكون في حالتها الطبيعية للحرية الأبديّة.

تشرح الآيات التالية هذه الحكمة بشكل أوسع.

الآية السادسة عشر

غير الحقيقي ليس له كيان،
والحقيقي لا ينقطع عن الوجود.
الحقيقة النهائية عن كليهما قد تمّ
إدراكها هكذا من قبل الرائين
للحقيقة الأزلية.

إنّ صفة عدم الفناء للجوهر البشري يتم توضيحها هنا. يتم تعريف الحقيقة الأزلية بأنها لا تتغيّر أبداً. وبالمقابل لها يوجد غير الحقيقي الذي يتغيّر دوماً؛ ليوضح أن الذي يتغيّر ليس لها مادة، ولا وجود حقيقي له.
هنا في هذه الآية، يجعل المولى أرْجونا يرى الحقيقة على أساس تعدّد الخلق. هذه هي الخطوة التالية، التي يتلي منطقياً ما ورد في الآية السابقة. يدرك هنا رائي الحقيقة بشكل واضح الاختلاف بين الحالة المطلقة الدائمة التي لا تتغير أبداً للحياة والحالة المتغيّرة باستمرار من الوجود الظاهري المتنوّع. إنها هذا الذي يعطيه ذلك الاستقرار والحالة الرفيعة الوعي الذي في يرتفع فوق التأثير الملزم للنشاط في العالم الظاهري.
يتم قيادة أرْجونا خطوة فخطوة نحو رؤية الرجل مدرك

الآية السابعة عشر

اعرف أن ما هو حقاً لا يفنى،
والذي هو متغلغل في كل شيء.
لن يقوى أحدٌ على تدمير تلك
الكينونة الثابتة غير القابلة للتغيير.

يقدّم المولى إلى أرْجونا صفة عدم الفناء للحقيقة الداخلية، كينونة العالم الظاهري الموضوعي التي تتغلغل في كلّ شيء.
لقد تم التوضيح هنا بأنّ الكينونة الكليّة الوجود والروح في داخل الإنسان هما ليستا كيانين مختلفتين. لقد تبيّن بأنهما كانا مختلفان بسبب اختلاف الجهاز العصبي عند الأفراد. كما تظهر الشمس ذاتها أنها مختلف عندما تشرق على الطبقات المختلفة، مثل الماء والزيت، كذلك الكينونة الكلية الوجود، تشرق من خلال الأجهزة العصبية المختلفة، وتظهر بأنها مختلفة وتشكّل النفس، الوجهة الذاتية لشخصية الإنسان. عندما يكون الجهاز العصبي صافياً ، تنعكس الكينونة أكثر وتكون الروح أكثر قوة والعقل أكثر فعالية. عندما يكون الجهاز العصبي في صفائه الأقصى تنعكس الكينونة بكل امتلائها وتكسب الفردية الداخلية للروح مستوى الكينونة الأبدية غير المحدودة. هكذا يكون واضحاً أنّ الروح بطبيعتها الأساسية، هي لا تموت وكليّة الوجود. هذا ما يوضّح كونية الفردية.
في الآيات السابقة، وخطوة فخطوة، وكل خطوة فيها الحكمة العميقة، أصبح أرْجونا على بينة للطبيعة الأبدية للروح. في هذه الآية تم التشديد على طبيعتها التي لا تفنى. في الآيات

القادمة، سيتم الشديد على عدم ديمومة الحياة الظاهرية ومعها المبدأ بأن العالم الظاهري هو فقط المرحلة الظاهرة للكينونة الأبدية غير الظاهرة. والخاتمة هي بأنّه، ومن وجهتي النظر - ديمومة الكينونة والمستوى غير الدائم للحياة – من واجب أرْجونا عدم القلق على أيّ شيء، بل يجب عليه أن يقوم ويفعل ما يجب عليه أن يفعله.

الآية الثامنة عشر

يُعرف بأن هذه الأجساد لها نهاية؛
أما المقيم في الجسم فهو أبدي،
خالد، سرمدي. لذلك حارب يا بْهاراتا!

إنه من الواضح أن الجسم يتغيّر في كلّ لحظة. إن جسم الطفل هو ليس جسم الشاب؛ وجسم الشاب هو ليس جسم الرجل عجوز. لذلك، إذاً كان الموت مستمرّاً بشكل حتمي، حتى في خلال ما يقال عنها الحياة، لا يبدو أن شيئاً جديداً يحدث عندما يموت الجسد ويؤخذ جسد آخر. لذلك ليس هناك من أهمية في ندب موت الجسد – ولدرجة أقل في ندب موته المتوقع.

"المقيم في الجسم": تظهر هذه الآية التمييز بين الجسم والروح التي يقيم فيه. ليس هناك من هدف هنا لتصنيف الأوجه المختلفة للروح في الداخل، لكنها فقط ترسم خطاً بين المحتوى الداخلي الثابت للحياة والطبيعة القابلة للتدمير للجسم الخارجي.

من الممكن، على أية حال، التوضيح بأن الروح الداخلية قد تفهم بطريقتين: أولاً، بأنها الأنا، المتصلة بالعقل والحواس، التي تشكل معاً الفاعل وصاحب الاختبار، المتمتّع والمعاني؛ ثانياً

بأنه ا "المقيم في الجسم"، الذي هو الناحية الفردية للوجود الكوني، للكينونة الأبدية، والذ
يعرف بالمصطلح السنسكريتي بكلمة "جيفا".
جيفا، إذاً، هي الوجود الكوني المنفرد؛ إنها النفس الفردية في الجسم. بإزالة محدداتها، تكو
جيفا آتْمان، الكينونة التجاوزية.
عندما تتحد فردية جيفا وكونية الذات التجاوزية، آتْمان، وتتواجد سوية في مستوى واحد
للحياة، يكون براهمان، الحياة الكونية الكلية الشمول.
بما أن الجيفا الفردية هي في جوهرها آتْمان، فهي تدعى هنا "أبدي، خالد، سرمدي".

الآية التاسعة عشر

إن من يعتقد أنه القاتل،
أو من يعتبره أنه المقتول،
كلاهما يفشل في إدراك الحقيقة.
إنه لا يَقتل ولا يُقتل.

لقد تم التوضيح بأن الذات، أو روح، بطبيعتها الأساسية، لا تعرف التغيير أو الاختلاف، ومتحررة من أية خواص، إنها ليست الفاعل ولا الفعل. كلّ الخواص تعود إلى النسبي، الحقل الظاهر للحياة؛ لذلك لا يمكن اعتبار الروح أنها الذات أو الموضوع لأيّ عمل. يفترض الإنسان الجاهل أن النشاط يعود إليه –إلى الشخصية الذاتية يدعو نفسه – لا يعود إلى ذاته الحقيقي لهذا، وفي طبيعته الأساسية، إنه ما بعد النشاط إنّ الذات، في طبيعتها الحقيقية، هي فقد الشاهد الصامت لكلّ شيء. لهذا يقول المولى: "إن من يعتقد أنه القاتل، أو من يعتبره أنه

المقتول، كلاهما يفشل في إدراك الحقيقة".

الآية العشرون

إنه لم يولد أبداً، ولن يموت أبداَ؛
ولم يكن مرة موجداً وانقطع عن
الوجود. إنه غير مولود وأبدي
وسرمدي دائم الوجود، ولا يُقتل
متى قُتل الجسم.

إنّ الطبيعة الأبدية غير الظاهرة المطلقة للروح، أو الذات، لا تتأثّر أبداً بما يحدث في الحقل النسبي. هي أبداً ذاتها، خلف حدود الزمان والمكان السببية. من دون بداية أو نهاية، إنها لم تولد ولن تموت. سواء كان في هذا الجسم أو ذاك، تستمرّ الذات في الوجود. تبقى الحياة الأبديّ الثابتة من خلال المراحل المتغيّرة باستمرار للأجسام التي تأخذها.

الآية الحادية والعشرون

إن من يعرف أنه لا يفنى،
وأنه أبدي غير مولود ولا يموت،
كيف يمكن لذلك الإنسان، يا بارْتا
أن يقتل أو أن يسبب بقتل أي أحد؟

في هذه الآيات، يعطي المولى كريشنا يزوّد المنطقي لتلك الحالة التي يريد أن يرفع أرْجونا إليها – الحالة التي سوف يتثبت بها في ذاته الحقيقية الأبدية .وعندما يثبت فيها، يصل إلى حقيقة الوجود وهكذا يرتفع فوق تأثير فعل القتال، وفي الحقيقة، فوق كلّ الأعمال في الحياة. لأن العمل هو في حقل الوجود المتغيّر باستمرار، ووعيه سيكون ثابتاً الوجود الخالي من التغيير للكينونة. لذلك سيكون تماماً وبشكل طبيعي فوق تأثير العمل.
يتم تقديم الحديث بمهارة رائعة. بما أن المولى يرد أن يعطي أرْجونا المفهوم المنطقي للحقيقة، فهو لا يواصل فقط وصف ما ليس له خواص، لكنّه يستجوب أرْجونا أيضاً لاسترعاء انتباهه وليوقظ ذكائه لكي يكون الوصف مفهوماً أكثر. من الواضح، أن المولى يخبره، بأنّ من يعرف حقيقة الحياة بأنها الكينونة الأبديّة التي لا تتغيّر لا يمكنه أن ينسب لها أيّ شيء من النظام التالف، وكيف يمكنه ذلك؟

الآية الثانية والعشرون

كما ينزع الإنسان ملابسه البالية
ويرتدي ثياباً أخرى جديدة، كذلك

ينزع المقيم في الجسم عنه الأجساد
البالية ويأخذ الأخرى الجديدة.

هذا الإيضاح كي يوضح الفكرة المتضمنة في الآية السابقة. إنه يقدّم صورة للطبيعة الثابتة للمقيم في الجسم، النفس أو جيفا، التي سنتوسع فيها في الآية التالية.

الآية الثالثة والعشرون

السلاح لا يخترقه، ولا النار تحرقه؛
الماء لا تبلّله ولا الريح تجفّفه.

إنّ النية هنا في أن يكون أرْجونا متآلفاً مع الخلود، الطبيعة التي لا تتغير للذات، ولجعله يرى بشكل واضح بأنّ لا شيء يمكنه أن يؤثّر عليه في أي حال. هناك شيء واحد كان منغرساً في عقل أرْجونا: الشعور بأنّ أسهمه الحادّة ستثقب وتمزّق أجساد أولئك الذي يعزّهم وتقتلهم. لهذا السبب يبدأ المولى بجعله يفهم بأنّ وجودهم، بالمعنى الحقيقي، لن يدمّر بأسلحته. إن الحقيقة هي واحدة، كليّة الوجود، مجردة من أيّ ثنائية، ومن دون مكوّنات – لهذا لا يمكنها أن تُقتل .يتكون الجسم من أجزاء مختلفة – لهذا يمكنه أن يُقتل.
من أجل جعل الفكرة أوضح، يشرح المولى بأنّه حتى عناصر الهواء وماء ونار، التي هي مرهفة وقوية أكثر بكثير من أسلحة أرْجونا، غير قادرة على إزعاج الذات. يذكر المولى الأسلحة ونار وهواء وماء كرمز للخليق بالكامل. إن هدفه في أن يظهر لأرْجونا بأنّ الذات، كونها تجاوزية، تبقى دائماً غير متأثّرة بأيّ شيء في هذا الحقل النسبي. تتطوّر هذه الفكرة في الآيات التالية، لكي تترك أرْجونا من دون أدنى شكّ بخصوص الطبيعة الدائمة للذات.

الآية الرابعة والعشرون

إنه لا يُخْرَق؛ ولا يكمن أن يَحْترق؛
ولا يمكن أن يتبلّل؛ ولا حتى أن يجفّ.
إنه أبدي، ومتغلغل في الكل وثابتٌ
ومستقرّ، أبداً هو نفسه.

قد يبدأ المعلّم، كما في هذه الآية، بتوضيح الحقيقة من ناحية إنكار الاختبار المشترك عندما يبدأ عقل التلميذ بالارتفاع إلى شيء مجرّد، خلف مجال اختباره الحالي، يخبره المعلم بما يمكن تسميته الخواص الإيجابية للحقيقة. أنه صحيح أن الحقيقة المطلقة هي من دون أيّ خاصيّة، لكن رغم ذلك، يجب استعمال العبارات لنقل بعض الإحساس عنها.
يستعمل المولى هنا وسيلتي التنوير؛ الإنكار والتأكيد، بشكل جميل في عملية واحدة. يجب أن يكون المعلّم يقظاً بما فيه الكفاية أن لا يفوته أي ردّ فعل من عقل التلميذ على كلّ كلمة يتكلّم بها. فقط بالرد في الوقت المناسب يتم تحقيق النتائج المرجوة.
إنّ تسلسل الكلمات هو مهم: وكونها أبدية، تكون حقيقة متغلغلة في الكل؛ وكونها متغلغلة في الكل فهي مستقرّ؛ وكونها مستقرّ، فهي ثابتة لا تتحرّك؛ وكونها ثابتة لا تتحرّك، فهي أبداً هي نفسها.

الآية الخامسة والعشرون

يُعرَف عنه أنه غير ظاهر،

لا مجال للتفكير فيه، وغير متبدل؛

لذلك وبمعرفتك له هكذا،

يجب عليك أن لا تحزن.

كان من الضروري للمولى كريشنا أن يمنح أرْجونا مفهوماً منطقياً حياً عن النفس، الذات الحقيقية، التجاوزية ومن دون خواص، وكان لا بدّ أن يفعل ذلك عندما كان عقل أرْجونا "ممتلئ بالحزن". لذلك كان ضرورياً بدرجة أكبر تقديم مفهوم ما لا سبيل إلى معرفته من خلال خواص العالم المعروف.

كان لزاماً على أرْجونا أن يعطى هذا المفهوم المنطقي الواضح للحقيقة لكي يتهيّأ إلى حالة التنوير. لا يمكن إعطائه الرؤية المباشرة لكن كان لزاماً عليها أن يرى المفهوم المنطقي أولاً وبعد ذلك يؤخذ لإلى الاختبار خطوة بخطوة. وخلافاً لذلك لم يكن ممكناً لأَرْجونا أن يفهم أنه وراء الوجود الظاهري الواضح هناك توجد الكينونة الأبدية، وبأنّه نفسه هو تلك الكينونة، وكلّ شيء تلك الكينونة.

الآية السادسة والعشرون

حتى ولو اعتقدت أنه يولد
باستمرار ويموت باستمرار،
وبالرغم من ذلك، أيها المسلّح
الجبار، عليك أن لا تحزن هكذا.

إلى هذه المرحلة في الحوار، يشرح المولى الحياة من وجهة نظر عدم قابلية الذات على الإتلاف. وفي هذه الآية يبدأ بحجّة مختلفة.

حتى إذا بقي أرْجونا غير مقتنع في خلود المقيم في الجسم، فهذا لا يبرّر الحزن له؛ حتى وإن رأينا المقيم في الجسم بأنه يموت مراراً وتكراراً بموت الجسم وبأنه يولد مراراً وتكراراً بولادة الجسم، على أرْجونا أن لا يحزن.

إن منطق المولى هو مثالي جداً بأن يعطي حجّة واحدة ويثبت ما يقول، وبعد ذلك، حتى وإن تم

تطبيقي المنطق المضاد، يتم الوصول إلى النتيجة ذاتها. هذا هو المجد الذي يعود إلى تعاليم المطلق: تبيّن بأنه هو نفسه مهما اختلفت وجهة النظر. إن المطلق فقط يمكن التعرّف عليه في هذا الأسلوب.

في حين أن هذا هو مجد المطلق، إنه أيضاً مجد عقل المعلم الذي يمكنه أن يستنتج النتيجة ذاتها من خطين منطقيين معارضين تماماً لبعضهما البعض. إذا لم يتقنع أرْجونا بخطّ منطقي واحد، لا يتركه المولى ليواجه مصيره بنفسه، بل يحاول إقناعه بخطّ آخر. هذه هي الحالة بين أرْجونا والمولى التي نتجت عن استسلامه عند قدميه.

الآية السابعة والعشرون

من المؤكد إن الموت لمن يولد،
والولادة لمن يموت؛ لذلك وأمام
هذا الأمر الحتمي، يجب أن لا تحزن.

إن التغيير في حقل الوجود النسبي هو حتمي؛ إنه يستمرّ حتى في الحاضر،كما كان في الماضي وكما سيكون في المستقبل. لذلك إن الولادة والموت هما حدثان طبيعيان لا يجب على الفرد أن لا يشعر بالقلق الكبير حولهما.

إنّ ظاهرة الولادة والموت هي التعبير عن العملية الأبديّة للتطور، والتي بدورها تظهر غاية الخليقة. تتطوّر الحياة باتجاه إدراك الكمال. والتطوّر من خلال التغيير هو المجرى الطبيعي لهذه العملية الكونية. إن كلّ تغيير له أهمّية، لأنه يعطي خطوة في التقدم إلى الكمال. والأسلوب الذي يحدث فيه التغيير هو أيضاً متوافق مع الغاية الكونية للتطور، لأنه محكوم

أيضاً بالقوانين الأبديّة للسبب والنتيجة. هكذا، ومن خلال الولادة والموت، تجد خطة الحياة اكتمالها.

يملك الإنسان حرية العمل؛ وبذلك يمكنه أن يسير بالخط الذي يريده، الخير أو الشر، الذي من خلاله يريد أن يسلك طريق حياته. إنه الأمر في يده. لكن التغيير حتمي، ومن أجل الحياة أنّه كذلك: "لذلك وأمام هذا الأمر الحتمي، يجب أن لا تحزن". بل على العكس، يجب الترحيب بالتغيير لأنه يفتح آفاق جديدة في الحياة نحو الاكتمال.

الآية الثامنة والعشرون

تكون المخلوقات غير ظاهرة
في البداية، وتظهر في الوسط
وتعود غير ظاهرة في النهاية،
يا بْهاراتا! ما هو المحزن في ذلك؟

هنا ثانية، ومن زاوية أخرى ، يتم الوصول إلى النتيجة ذاتها: تقدّم الظاهرة الحالة الظاهرة للحياة، في حين أن الكينونة لها طبيعة تجاوزية غير ظاهرة.

طبقا لاكتشافات الفيزياء الحديثة، إن المادة كلها لها وجود ظاهري فقط وفي الواقع هي طاقة لا شكل لها. وفي كلتا الحالتين؛ الحالة السابقة وفي شكلها الواضح الحالي، إن المادة هي ليست سوى طاقة صافية، وفي تحلّل الشكل الحالي ستبقى الطاقة ذاتها. وبنفس الطريقة، إن المرحلة الظاهرة الحالية للوجود ينظر إليها بأن ليس لها أهمية دائمة، وهذا ما يؤكّد عليه المولى إلى أرْجونا.

الآية التاسعة والعشرون

يرى أحدهم المقيم فينا لغزاً،
وكذلك يتكلم آخر عنه كلغزٍ،
وكلغزٍ يسمع عنه الآخر.
وبالرغم من النظر والكلام
والسمع البعض منهم لا يفهمونه.

لأن للذات طبيعة غير ظاهرة، ولأن حياة الإنسان هي دائماً في الحقل الظاهر، لا يجب التعجب من ذلك وكأن بعض الناس يسمعون عنها بشكل مفاجئ والآخرين غير قادرين على فهمها مطلقاً. إنّ غاية هذه الآية هي ببساطة أن تعطي صورة الطبيعة المتباينة للأوجه العابرة والأبديّة للحياة. بالرغم أنه من الواضح أن أرْجونا غير متعود على الحقيقة الأبديّة، إن المولى لا يهدف التشديد على صعوبة فهمها. إنها لغز إلى البعض لأنها، وبالرغم من أنها كلية الوجود، فنجدها أنه الذات الفردية، وبالرغم من أنها أبدية، فنجدها تموت وتُولد. لهذا السبب من الصعب فهم طبيعتها الكاملة بمجرد عملية منطقية. إنها تحتاج إلى اختبار مباشر للحقيقة المجرّدة لكي يتم فهمها بشكل صحيح.
هناك أيضاً نتيجة أخرى. حتى الآن في هذه الآية، يحاول المولى بطرق مختلفة جعل أرْجونا يفهم بأنّه يجب أن لا يحزن. لكنّه غير متحرر من الحزن، ولذا، وكخطوة إضافية في مهمّة تنويره، يشير المولى بأنّ ردّه على ما سمعه هو شعور الغرابة. ولكي يشجّعه، يبدو أن المولى يقول له بأنّ هذا الشعور من الغرابة لا يهمّ، لأنه طبيعي فيما يتعلق بمعرفة الحياة الأبديّة.
يستغربه الكثير من الناس ويجدونه لغزاً.

يمكن للفرد أن يأخذ وجهة نظر مختلفة ويستنتج بأنّ المولى يقصد أن يظهر بأنّ الحقيقة صعبة المنال، لأن الكثير ممن سمع عنها وتكلّم عنها غير قادرين على فهمها. وعلى الرغم من ذلك من الحكمة اعتبار أن غاية هذه الآية هي ليس في إقناع أرْجونا بصعوبة المنال، بل في إعطائه الأمل بأنه، وبالرغم من أن الكثيرين يجدونها صعبة، سيثبت بأنها سهلة له.

تتكلّم هذه الآية عن الحقيقة الأبديّة، التي هي غريبة إلى العديد من الناس في العديد من الطرق المختلفة، لأن كلّ شخص ينظر إليها من مستوى وعيه الخاص. لهذا السبب، يجد الكثيرون ممن يريدونها مستحيلة المنال على مستوى الحواس والفكر حيث أنهما معنيان فقط بالمراحل الظاهرة والمؤقتة للحياة.

تنهي الآية القادمة الوصف المنطقي لناحيتي الحياة، الناحية المتغيّرة باستمرار والناحية التي لا تتغيّر أبداً.

الآية الثلاثون

إن من يقيم في جسم كل فرد
هو أبدي وحصين ومتعذرٌ إيذاؤه،
يا بْهاراتا؛ لذلك عليك أن لا تحزن
من أجل أي مخلوق مهما كان.

هذه هي خاتمة كلّ ما قيل من قبل المولى من الآية الحادي عشر إلى الآن. إن كلّ مخلوق هي في الطريق إلى الكمال. من خلال الولادات ووفيّات الأجسام، يتقدّم كلّ شخص نحو الاكتمال. لا يجب أن يحزن أحداً على موت الآخر. بعد أن اكتسب أرْجونا فهم الطبيعة الدائمة للمقيم في الجسم وعدم ديمومة الجسم، يجب عليه أن يردّ على نداء الواجب، لأن هذا فقط ما سيساعد على تطوره

الخاص وتطوّر الآخرين.

تبدأ الآية التالية بالحجّة على مستوى الواجب. هذا ما سيعمّق فهم الحياة بعد توضيح النواحي المطلقة والنسبية للوجود.

الآية الحادية والثلاثون

وإذا أخذنا بعين الاعتبار الدْهرْما،
عليك أن لا تتردّد، لأنه لا يوجد
أفضل للكْشاتْريا من أن يحارب
في معركة متوافقة مع الدْهرْما.

إن حالة الحرب هي ظاهرة طبيعية. إنها عملية إعادة التوازن بين القوى السلبية والإيجابية للطبيعة. إن الارتفاع إلى نداء الحرب لتثبيت الاستقامة هو في الاستجابة للغاية الكونية، مشيئة الله. إن الحياة والموت هي للمحافظة على القانون والنظام في المجتمع، وبالتالي البقاء آلة مخلصة في يدّ الله، هو الامتياز للإنسان المولود في عائلة الكْشاتْريا.

إنّ غاية المولى هي في إقناع أرْجونا، من وجهة نظر الواجب الخاص به، بأن المسلك الوحيد الذي يستحق إتباعه هو بأن ينفض عنه التردّد للقتال ومواجهة العمل الذي من أجله ولد. وبعد أن شرح له في الآية السابقة أنه من وجهة نظر الوجود الأبدي للحياة، لا يلزم أن يحزن لا للأحياء أو للأموات، يريد أن يطمئن أرْجونا بأنه بالنسبة له كونه مولود في عائلة الكْشاتْريا، يكون القتال طبيعي؛ إنه واجبه الطبيعي في الحياة. إن القيام "بالمعركة في التوافق مع الدْهرْما" وتثبيت الاستقامة لمصلحة العالم هو الطريق المجيد والأكثر تبريراً لإكمال حياة الكْشاتْريا، المولود لحماية الدْهرْما مهما كلف الأمر.

تحافظ الدْهرْما على مجرى التطور في الحياة. أما الكْشاتْريا الذي لا يقبل معركة عادلة فيضطرب في هذا المجرى

الطبيعي للتطور.

الآية الثانية والثلاثون

سعداء هم الكْشاتْريا، يا بارْتا

الذين يجدون، ومن دون أي

مطلب، معركة مثل هذه،

إنها باب مفتوح إلى الجنة.

"باب مفتوح إلى السماء": بإتباع الدْهرْما الخاصة به، يخدم الكْشاتْريا في دعم القانون والنظام في المجتمع ويحافظ على مجرى تطوره الخاص .إذا استشهد في القتال من أجل هذه القضية، يكون بطل الحياة الكونية ويكسب السعادة الأعلى في الجنة.

تقدّم هذه الآية بياناً عامّاً تفصح فيه عن الحظّ السعيد للكْشاتْريا الذي يكسب الفرصة لمثل هذه المعركة.

وفي الوقت ذاته، وبدعوته "بارتا"، ابن بريتا، يذكّر المولى كريشنا أرْجونا بأنّه كْشاتْريا.

عندما يكون للكْشاتْريا الفرصة للمعركة يشعر بالسعادة، لأنه يكسب سواء ربح أو خسر: فهو منتصر، وحقق المجد على الأرض؛ وباستشهاده في المعركة، يكسب الجنّة.

ماذا ستحدث من أرْجونا في عدم مشاركته في المعركة؟

الآية الثالثة والثلاثون

الآن، إذا لم تدخل في المعركة

المتوافقة مع الدْهرْما، وبالتالي

تتخلّى عن الدْهرْما الخاصة بك
وعن شهرتك، سوف تقترف الخطيئة.

"تتخلّى عن الدْهرْما الخاصة بك" تعني الخروج عن طريق التطور، ووذلك بحد ذاته هو خطيئة حقيقية.
"الخطيئة" هي تلك التي من خلال يبتعد الإنسان عن طريق التطوّر. وتؤدّي إلى المعاناة.
بعد أن ذكّر أرْجونا بحظّه الكبير في أن تعطى له هذه الفرصة للمعركة، يؤكّد المولى عليه فوراً خطر عدم قبوله بها. إن الامتناع عن القتال، وإهمال الدْهرْما الخاصة به، سوف يجلب له خسارة الشهرة وسوف يكون عملاً خاطئاً بشكل واضح.
لقد تم وضع الدْهرْما والشهرة سوية في هذه الآية. يتم توضيح الصلة بينهما في تفسير الآية التالية.
في الآية الحادية والثلاثون، بدأ المولى النقاش على أساس الواجب. بعد أن نوّر أرْجونا حول موضوع واجبه، الدْهرْما الخاصة به، التي تحافظ على المجرى الطبيعي للتطور، يريد الآن أن يوضح له أيضاً طبيعة الواجب من مستوى الاعتبارات الاجتماعية.
قد يذكر بأنّ قواعد الانضباط الأخلاقي في أيّ مجتمع تضمّ الدْهرْما في أساسها، سواء كان الناس في ذلك المجتمع مدركين أم لا، لطرق العمل الداخلي للطبيعة الموجّهة بالقوة المنيعة للدْهرْما. إنّ أساسيات السلوك الاجتماعي في كلّ مجتمع على الأرض تستند على هذا المبدأ الذي يحكم قوانين التطور. لذلك يريد المولى تحليل طبيعة الواجب على ضوء تأثيره على المجتمع. كيف يفكّر الآخرون بحياة الفرد وكيف يتأثّر الآخرون بأعمال الفرد وكيف يتحدّث الآخرون عن الفرد، هذه هي الاهتمامات الرئيسية هنا. تغطّي كلمة "شهرة" كلّ هذه النقاط.
إنّ الآيات الثلاثة التالية مكرّسة إلى هذا الاعتبار، الذي سيكمل حكمة السانكهيا.

الآية الرابعة والثلاثون

علاوة على ذلك سينعتك الناس
إلى الأبد بهذا العار، وبالنسبة
إلى رجل الشرف إن سوء الشهرة
هي أسوأ من الموت.

أولئك المحترمون هم الذين، ومع معيشتهم لأنفسهم، يعيشون للآخرين ويموتون، يموتون من أجل الآخرين. تثبت أهمية حياتهم بالدرجة التي يقدرونهم الآخرون بها. إن سعادتهم في الحياة بنسبة إلى الشهرة التي تضفى عليهم. لذلك إذا فقد أولئك الذين تمتّعوا بالرضا والشهرة في المجتمع موقعهم، يعانون من الخزي والبؤس، التي هي أسوأ من الموت. إن خسارة الصيت لرجل كان مشهوراً في السابق هي أكثر من موت بالنسبة له. كان أرْجونا رامي النبال الأكثر شهرة من زمانه؛ لهذا جعل المولى كريشنا هذا القول يدلّ عن طبيعة الرجل المشهور.

إنّ المبدأ الأساسي للشهرة الحسنة في المجتمع هي بأنه عندما يفعل الإنسان الخير بشكل ثابت يصبح مركز التذبذبات المنسجمة التي يتمتّع بها الناس حوله، والتي تخلق بشكل طبيعي الدفء والمحبّة في قلوبهم. لهذا يوصف بمصطلحات متوهّجة من الكلّ. بهذه الطريقة تكون الشهرة الجيدة للإنسان معيار طيبته، وتكون سمعة السيّئة معيار سوئه. لا يمكن لأحد جيد أن يكتسب السمعة السيّئة. إنها التذبذبات المنتشرة من أعمال الإنسان هي التي تقنع الناس في مدحه أو بالعكس. يريد المولى بشكل خاص أن يطمئن أرْجونا على هذه الحقيقة.

إن الطريقة لرفع معنويات الإنسان هي أولاً في تذكيره بالأوجه المجيدة من شخصيته وبذلك يكسب ردّاً متعاطفاً. أما الخطوة الثانية فهي في الإشارة فوراً إلى بعض المزايا الحسّاسة للوضع. يفعل المولى ذلك في الآية القادمة بقوله بأنّ الشجعان سينعتون أرْجونا بالجبن. إن الدراسة المعمقة لهذه الآية بالعلاقة مع الآيات السابقة واللاحقة ستوضّح النقطة.

يشدّد المولى على أهمية الشهرة، ليس من أجل شهرة بحد ذاتها لكن من أجل لفت انتباه أرْجونا إلى مبدأ الحياة :إذا تصرّف بطريقة ما يجلب له السمعة السيّئة، فسيصبح مركز لشيء أثيم، وهذا ما سيضعف تطوره الشخصي. إن مبدأ التطور الشخصي هو أولي، وهو موضوع هذا الاعتبار للحياة من وجهة نظر السانْكْهيا.

الآية الخامسة والثلاثون

سيعتقد المحاربون الكبار بأنك هربت
من المعركة بدافع الخوف، وأولئك الذين
ينظرون إليك بالإكبار سيقلّلون من شأنك.

يتكلّم المولى مع أرْجونا الآن عن الإذلال العظيم الذي ينتظره إذا لم يحارب. لأنه بالنسبة لرجل الشرف والسمعة تكون هذه النقطة شديدة الأثر. لقد تم تذكير أرْجونا بالنتائج المختلفة للسمعة السيّئة. ويساعده المولى كريشنا على اختراق حالة التعليق بمقدار بإثارة النقاط التي ستمسّ قلبه وعقله وتقنعه على القتال.

الآية السادسة والثلاثون

سيقول أعدائك الكلمات الشنيعة
عنك وسيستهزئون من قوتك

أيوجد ألم أعظم من هذا!

يجعل المولى أرْجونا يرى بالضبط كيف سيكون وضعه في العار في نظر العالم.
بعد أن عرض في الآيات السابقة، أهمية القتال من وجهة نظر نتائجها الاجتماعية، وبعد أن جعل الأمر واضحاً جداً في الآية الحالية بأن الألم ينتظره إذا لم يحارب، يظهر المولى، في الآية التالية، إلى أرْجونا المردود الذي سيجلبه له القتال في حياته والحياة التالية.

الآية السابعة والثلاثون

باستشهادك، ستصل إلى الجنة؛
وبانتصارك ستتمتّع بالأرض.
لذلك قُم يا ابن كونتي، وانهض
وصمم على القتال!

تعالج هذه الآية أداء الواجب من وجهة نظر المكاسب.
يقول المولى إلى أرْجونا: يجب أن تدرك بأنّه سواء مُت في ساحة المعركة أو سواء بقيت، تستفيد، لأن القتال هو بموجب المسلك الطبيعي لتطورك وإذا كنت ثابتاً في هذا المسلك، تكون تلقائياً على طريق زيادة الحظّ في هذه الحياة وفيما بعد. لذلك ومن دون خاسرة المزيد من الوقت، تعال، وصمم على القتال.
هذا ما يضع تعاليم السانْكْهيا على المستوى الأكثر عملي للحياة. إنه من غير الصحيح ربط هذه التعاليم مع حياة النساك المنعزلين فقط

الآية الثامنة والثلاثون

بعد أن اكتسبت الاتزان بين اللذة
والألم، بين الربح والخسارة، في
النصر والهزيمة، وانطلق للقتال.
وهكذا سوف لن تقترف الخطيئة.

بعد أن أوضح إلى أرْجونا في الآية الأخيرة بأنه يستفيد سواء مات في المعركة ربحها، يتمنّى المولى الآن أن يقنعه بأنّ لا يضيّع المزيد من وقت في التفكير بالنصر أو الهزيمة. مهما كانت النتائج، يجب أن يتهيّأ للقتال، لأن هناك على الأقل شيء واحد مؤكّد: بالقتال سوف لن يقترف الخطيئة، ومن الناحية الأخرى، إذا رفض القتال، من المؤكّد أنه سيقع في الخطيئة.
كان أرْجونا مقتنعاً، سواء ربح المعركة أو خسرها، أنه بالقتل سيقترف حقّاً خطيئة عظيمة. لهذا، وفي هذه الآية، ينهي المولى الوجهة المنطقية من حديثه، و يقول المولى له: أنا لا أطلب منك القتال وأنت ترى هذا أو تلك الخسارة أو المكسب، لكن لأن بقتالك سوف لن تقترف الخطيئة.
لسوء الحظ، وللقرون القليلة الماضية لقد تم تفسير هذا جزء من تعاليم المولى كريشنا بأنه يشير إلى أن مزاج الاتزان يجب أن يتوفر أثناء اختبار كل من الخسارة أو الربح. في الحقيقة، يقصد المولى بأنّ الصواب أو الخطأ، والفضيلة والخطيئة، يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار بشكل أساسي عندما اتخاذ القرار بشأن صلاحية عمل. لا يجب أن يتم اتخاذ القرار على أساس الخسارة أو الربح. في حكم على صلاحية العمل، يجب أن يكون الاعتبار الأول لطبيعته – وفي ما سوف يكون خاطئاً أم لا بأية حال.
إن الغاية من العمل هي التي تخلق الحاجة إليه. عندما يتم الشعور بالحاجة إلى عمل ما، تكون الخطوة الأولى في

التأكّد من أنّه ليس خاطئاً بأية طريقة. إن اعتبار الخسارة أو الربح هو فقط الخطوة الثانية. إذا كان العمل المؤدّي إلى اكتمال مهمّة الفرد في الحياة، أو العمل الذي قد يكون من الخطأ تركه غير منجز، عندئذ يصبح أدائه ضرورة. في مثل هذا الحالة، يصبح اعتبار الخسارة المؤقتة أو الربح المؤقت غير مهم لدرجة أكبر.
في هذه الآية، يقول المولى بشكل واضح إلى أرْجونا: ارتفع أولاً إلى حكمة الحياة المعطاة حتى الآن (11–37). تثبت في هذه الحكمة، واخرج للقتال. هكذا سوف لن تقترف الخطيئة.
"سوف لن تقترف الخطيئة": هذا هي الضمانة التي يقدمها المولى. يصبح الفرد غير متورط بالخطيئة نتيجة لاكتساب الاتزان في اللّذّة والألم وفي الربح والخسارة، في النصر والهزيمة". إن هذه الحالة من الاتزان ولدت من الحكمة المعطاة حتى الآن إلى أرْجونا، بدءً من الآية الحادية عشر – إن حكمة السانْكْهيا كما يسمّيها المولى في الآية التي تلي.
وللتلخيص تشمل هذه الحكمة للسانْكْهيا:

1. فهم المراحل الفانية والخالدة للحياة (11–30).
2. فهم الدْهرما (31–33).
3. فهم علاقة الفرد مع الآخرين (33–36).
4. فهم نتائج الأعمال (36–37).
5. فهم طبيعة الفاعل كونها غير مرتبطة بالعمل، يتسبب بالاتزان في الخسارة والربح.

توسّع معرفة الأوجه الفانية والخالدة للحياة الرؤية وتجعل الإنسان يرى ما بعد المجال الدنيوي والمحدود للحياة اليومية. عندما يكتمل هذا بمعرفة الدْهرما، تغرس فيه الميل الطبيعي للتصرّف بشكل صحيح. فتصبح حياته مفيدة أكثر لنفسه وللآخرين. من خلال فهم علاقته مع الآخرين، يرتفع فوق الحدود الأنانية إلى الأوجه أكثر كونية للحياة. هذه وجهة النظر الكونية المتزايدة، الغنية بالفهم الصحيح لنتائج العمل، تساعد الإنسان على تطوير وإحراز التقدّم على كلّ مستويات الحياة. وأخيراً، ومع فهم طبيعة الفاعل كونه غير متورط، يكسب الاتزان، ويرتفع فوق تأثير الثنائيات، يعيش حياة خالية من الخطيئة والمعاناة

ويتمتّع بالحرية الأبديّة.

تبدأ الآية التالية بتعاليم اليوغا، التي سيرتفع بها العقل فوق التأثير الملزم للعمل –التعاليم التي بها سيكون الفكر، المثقّف بحكمة السانْكْهيا، ثابتاً إلى الأبد في وحدانية الحياة، في وحدانية الكينونة المطلقة، التحرّر الأبدي في الوعي القدسي هنا والآن.

الآية التاسعة والثلاثون

إن هذا الذي وضع أمامك هو المفهوم
بمصطلحات السانْكْهيا؛ اسمعه الآن
بمصطلحات اليوغا. وبثبات فكرك من
خلاله، يا برتا، ستترك التأثير الملزم للعمل.

اليوغا، طريق التوحيد، هو الطريق المباشر لاختبار الطبيعة الأساسية للحقيقة. يتم وصف هذه الحقيقة وفهمها بشكل منطقي بالنظام الذي يدعوه المولى السانْكْهيا، والذي تم تبيانه في الآيات السابقة. تقدّم السانْكْهيا في البهاغافاد غيتا مبادئ الأنظمة الستّة لأنظمة الفلسفة الهندية، في حين تقدّم اليوغا في البهاغافاد غيتا أوجهها العملية.
تصوّر هذه الآية تقنية التعاليم الذكية. يتم تقديم الموضوع و توضّح نتائجه في ضربة واحدة وبذلك، وعندما يرى كل من الموضوع وإمكانية إنجاز الهدف المطلوب، يكون المريد متلهّفاً لبدء الممارسة. لأن المولى طمأنه بأنّه "سيترك التأثير الملزم للعمل" نتيجة لفكره الذي يصبح ثابتاً في اليوغا.
يقنع الفهم المنطقي للحقيقة الإنسان بوجود حقل له ديمومة أكثر وأكثر نبلاً للحياة الذي يقع وراء المستوى العادي للوجود الظاهري يكون أساساً له. كان ذلك غاية الحديث حتى هذه النقطة. الآن ينوي المولى

كريشنا تقديم أرْجونا إلى الممارسة التي بها يصبح فكره ثابتاً في الحقيقة. هذا ما سيعطيه تلك التجربة الإيجابية لحقيقة الوجود التي ستجلبه إلى الحالة حيث يكون فيها غير متأثّر بالتأثير الملزم للعمل.
يعطي الاختبار المباشر للغبطة التجاوزية الإنسان مثل هذه الطمأنينة العظيمة التي تجعل كلّ بهجة في العالم النسبي تخفق في إعطاء الانطباع العميق عليه، ويرتفع فوق التأثير الملزم للعمل، تماماً كما لا يتأثر رجل الأعمال المطمئن، بعد أن حقق الثروة الكبيرة، بالخسائر أو الأرباح الصغيرة.
باستعمال كلمة "فكر"، يوضح المولى بأنّ العقل، النقيّ أو المستقرّ بحكمة السانْكْهيا، يصبح ثابتاً في الذات من خلال ممارسة اليوغا.
كما سبق وظهر في تفسير الآية الخامسة عشر، لا يوجد أي ممارسة في كسب فهم الحياة من خلال السانْكْهيا. إذا احتاج الفرد إلى الممارسة، يجب عليه أن يتّجه إلى اليوغا. إنّ استعمال عبارة "الفكر الثابت" تشير بأنّ الفكر هو الذي يبلغ اليوغا، وليس العقل المتأرجح. ويكون الاقتراح بأنّه يجب على العقل أن يترفع إلى حالة الفكر من خلال حكمة السانْكْهيا وبعد ذلك يكون يتجه إلى اليوغا ليصبح ثابتاً في الذات. هذا ما يقدّم السانْكْهيا واليوغا كونهما مكمّلان لبعضهما، سنتوسع في هذه النقطة في الفصل الخامس.
إنه لأمر ممتع الملاحظة بأن جوهر حكمة السانْكْهيا قد أعطي في أربع آيات (12–15) وأن جوهر اليوغا أعطي أيضاً في أربع آيات (45–48). هاتان المجموعتان من أربع آيات تشرحان الحكمة الأساسية للبهاغافاد غيتا. أما الآيات الأخرى جميعها فهي ببساطة امتداداً لهما.
في الآية التالية، يبلغ المولى أرْجونا البساطة وفعالية التقنية التي يوشك أن يعطيها له والتي ستثبته في الطمأنينة الكاملة، حالة الحرية الأبديّة من عبودية العمل.

الآية الأربعون

في هذه (اليوغا) لا يضيع أي جهد
ولا توجد أي عقبة. حتى القليل من

هذه الدْهرما يحرر من الخوف الكبير.

"العقبة": تعني الكلمة السنسيكريتية "براتْيافايا" أيضاً أيّ عكس للتقدّم أو أيّ تأثير مضادّ.
تبيّن "الدْهرما" طريق التطوّر. إنّ ممارسة اليوغا هي الطريق المباشر إلى التطور. من خلالها، يكسب العقل الفردي حالة الذكاء الكوني – تلك الحالة غير المحدودة للكينونة الكونية التي هي قمّة التطور. الدْهرما هي طبيعية للإنسان، وكذلك هي هذه الممارسة لليوغا، لأنها متوافقة مع الطبيعة الحقيقية للعقل وتجلب الاكتمال إلى الحياة. لهذا السبب إن هذه اليوغا هي الدْهرما لكلّ شخص.
تجلب التعاليم الرائعة للمولى كريشنا في هذه الآية الأمل الكبير إلى البشرية. في الطّريق إلى الحرية الأبديّة "لا يضيع أي جهد". وأيّ جهد على هذا الطريق يؤدّي إلى الهدف؛ بعد أن تبدأ العملية، لا تستطيع التوقّف حتى الوصول إلى هدفها. إنها كذلك في المركز الأول لأن تدفق العقل نحو هذه الحالة هو طبيعي، لأنها حالة الغبطة المطلقة ويتشوق العقل دوماً إلى السعادة الأكبر. لذلك كما تتدفّق الماء إلى أسفل المنحدر بشكل طبيعي، كذلك يتدفّق العقل طبيعياً في اتجاه الغبطة.
ثانياً، "لا يضيع أي جهد" لأنه من أجل أن يصبح العقل سعيداً، لا يحتاج أي جهد! إذا كان الجهد ضروري، سيطرح السؤال عن فقدان الجهد. عندما يتم أداء العمل، تؤدي مرحلة العملية الواحدة إلى الأخرى، والتي بدورها تؤدي إلى مرحلة أخرى، وبذلك عند الوصول إلى مرحلة واحدة، تصبح المرحلة السابقة شيئاً من الماضي. وهكذا في أداء كلّ عمل تفقد مرحلة ما، وتفقد بعض الطاقة، وتفقد بعض الجهد. عندما يقول المولى هنا بأن لا يفقد أي جهد، يمكن أن يكون ذلك فقط لأنه ليس المطلوب أي جهد، هذا يعني بأنّ تقنية المولى كريشنا لتثبيت الفكر في المطلق تستند على الطبيعة الحقيقية للعقل. لذلك يجب أن نستفسر عن كيفية نجاح العقل، مدفوعاً بطبيعته الخاصة، في كسب الوعي القدسي من دون جهد.
عندما يستمع الإنسان إلى الموسيقى ويبدأ نغم أجمل بالمجيء من مصدر آخر، سيدور عقله بالكامل للتمتّع به. لا يحتاج إلى أي جهد لتوجيه الانتباه إلى النغم الأكثر سحراً؛ إنّ العملية آلية. ليس هناك خسارة للطاقة بين البدء بالاستماع والتمتّع بالموسيقى بالاهتمام البالغ. هذا هو معنى المولى: بما أن حقل الحرية الأبديّة هو

غبطة مطلقة، تبلغ عملية توحيد العقل معها، عندما تبدأ، إلى الإكمال من دون خسارة الطاقة أو الجهد. إنها لا تتوقّف حتى يكتمل الاختبار، لأنه "لا يوجد أي عقبة".

برأيتها من هذه الزاوية، البداية الأساسية للعملية هي اكتمالها، لأنها حركة العقل إلى الغبطة. توجد النهاية في البداية. تجلب البداية الفعلية للعملية العقل إلى الهدف لأنه، وطبقاً للمولى، ليس هناك مقاومة في الطّريق، "لا يوجد عقبة" للتغلب عليها. إنها طريق بلا مقاومة، طريق غير مسلوك، طريق هدفه كلي الوجود. لهذا السبب "القليل منه" "يحرر من الخوف الكبير".

بالسير في الطريق بلا مقاومة تعني بأنّ تقنية تثبيت العقل في المطلق عليها أن تبدأ فقط، ومن تلك النقطة يتبعها التحرر من المعاناة. إن البداية الفعلية في هذا الاتّجاه تحرر الإنسان "من الخوف الكبير" في الحياة.

من أجل تثبيت العقل في المطلق، يقول المولى، قليلاً جداً – إذا كان هناك أيّ شيء – ما يجب أن يفعل. إن ذلك لأنه حتى الاتجاه الطبيعي للعقل لا يجب أن يغيّر. يتجوّل العقل من غرض إلى آخر، وهو يتجوّل، ليس من أجل الغرض بحد ذاته، لكن لإمكانية السعادة التي يعطيها الغرض. هكذا إنها لا يتجوّل فعلياً من غرض إلى آخر لكن ينتقل من نقطة السعادة الأقل إلى نقطة السعادة الأكبر. بما أن السعادة الأكبر هي هدفه، وتدفق العقل في اتّجاه السعادة الأكبر، الاتّجاه الذي ليس يحتاج أن يتغيّر. وبما أنه ليس هناك حاجة حتى لتغيير اتّجاه العقل، يبدو أنه ليس هناك حاجة لفعل أي شيء لإدراك هذا الهدف.

لكن المولى يقول "قليل من هذه" الممارسة. يظهر ذلك بأنّ شيء ما يجب أن يفعل. أن ما هو ضروري فقط هو البدء باختبار ازدياد الانجذاب في الطّريق إلى الغبطة المطلقة التجاوزية. كما في حالة الغوص، على الفرد أن يأخذ الزاوية الصحيحة فقط وترك نفسه – تتحقق العملية بالكامل بأسلوب تلقائي. هذا ما يعني به المولى "القليل من هذا".

كما يبدّد الشعاع الأول للشمس ظلام الليل، كذلك تبدّد الخطوة الأولى في هذه الممارسة ظلام الجهل والخوف. لكن بالرغم من أن الشعاع الأول للشمس المتصاعدة قادر على تبديد ظلام الليل، تستمرّ الشمس بالارتفاع، لأن طبيعتها هي ليست فقط في إزالة الظلام، وترك الجوّ متنور بشكل خافت، لكن أيضاً لتتألق في الإشراق

وتنير الأرض بالكامل. إنّ مجد الشمس هو في ضوئها الكامل في منتصف النهار.
يعني المولى بشكل واضح بأنّ طريق الكشف القدسي هو بسيط جداً وطبيعي بأنّه عندما تبدأ العملية بشكل واعي لا تلاقي أية عقبات. وبسرعة تنتج تأثيراً قوياً بما فيه الكفاية لتنوير العقل وتحرر الإنسان من كلّ سلبية في الحياة، من الخوف من دورة الولادة والموت.
هذا هو الطريق النبيل لتنوير الطامح. هناك تأكيد واثق من النتائج منذ البداية الفعلية للتعاليم العملية. تم إخبار أرْجونا عن طبيعة التقنية والنتائج التي ستتبع من ممارستها لكي يعرف مقدماً ماذا تتضمّن. إن الإدراك هو ليس بشيء يأتي من الخارج: إنه وحي الذات، في داخل الذات وبواسطة الذات.
هذا الإيحاء لا يستطيع الحدوث ما لم يعطي الإنسان نفسه بالكامل إليه، وبعد ذلك يحدث لوحده. لكن لكي يكون قادراً على إعطاء نفسه بالكامل إليه، يجب أن يعرف شيئان على الأقل: أولاً، بأنّه ضمن مجال قوّته كي يحققه، وثانياً، بأنّ تحقيقه سيكون مفيداً إليه. لهذا السبب يتكلّم المولى كريشنا كلمات هذه الآية. لقد تم تحضير أرْجونا للاختبار المباشر للحقيقة التي تبيد كلّ حيرة وتجلب الاستقرار إلى الحياة. يُعلِّمه المولى بساطة المقاربة إلى القدسيّ وفي الوقت ذاته يصف نتيجتها.
لماذا ضاعت هذه الممارسة الروحية في العالم الحديثة في الخلفية الحياة؟ يكمن الجواب في التفسير الخاطئ للآيات مثل هذه الآية والانتشار المتتابع لوجهة النظر المضلّلة للحقيقة الذي استمرّ لعدّة قرون.
بعد أن وضّح البساطة وتأثير مبدأ تثبيت الفكر في القدسيّ، يقدّم المولى، في الآيات التالية، التقنية لتحقيق ذلك.

الآية الحادية والأربعون

في هذا اليوغا، يا فرح الكوريين،
إنّ الفكر الحازم هو أحادي التوجّه،
لكنه كثير التفرع ومتنوع بلا نهاية
فكر المتردّدين.

"في هذا اليوغا": في هذا الطريق إلى الغبطة. عندما يتحرّك العقل نحو الغبطة، يواجه ازدياد الانجذاب في كلّ خطوة؛ كما عندما يتقدم الفرد نحو الضوء، تزيد الغزارة بشكل مستمر. عندما يختبر العقل السعادة المتزايدة، فلا يتجوّل بعدئذ؛ يبقى مركّزاً في اتجاه واحد، ثابت وحازم. هكذا تكون الحالة العقلية التي تتحرّك في اتجاه الغبطة، وعندما يصل إلى الاختبار المباشر للغبطة، يفقد كلّ اتصال مع الخارج ويكون مطمئناُ في حالة وعي الغبطة التجاوزي. عندما يخرج العقل من هذه الحالة إلى حقل العمل ثانية، يبقى مطمئناً بالتالي يحافظ على حالته الحازمة إلى درجة أكبر أو أقل. خلال الممارسة تصبح هذه الحالة ثابتة. هذا ما يعني به المولى عندما يقول "بأنّ في هذه اليوغا ... الفكر الحازم هو أحادي التوجّه".

إن عقول أولئك الذين لا يمارسون هذه اليوغا هي بشكل ثابت في حقل الاختبار الحسّي. هذا ما يخفق في تزويد العقل بتلك البهجة العظيمة التي وحدها يمكنها أن تروي عطشه للسعادة. لهذا السبب إن عقول مثل هؤلاء الناس تواصل البحث والتجوّل بشكل لانهائي.

يوضّح المولى هنا الآية 38 بشكل أكبر. ينصح أرْجونا في الارتفاع إلى حالة الفكر الحازم. فقط في هذه الحالة سيكون قادراً على اكتساب مساواة العقل في اللذة والألم والخسارة والربح والنصر والهزيمة، الذي يجعلها المولى المطلب الأولي للمعركة.

قد يظهر بأنّ هناك شيء سلبي في هذه المقاربة إلى الحقيقة، وبالرغم من أن الغاية في تثبيت أرْجونا في الحالة العقلية الحازمة، في هذه الآية، يتم التأكيد على خصائص العقل

المتردّد. هذا هامّ جداً. إذا كان الإنسان على قمّة جبل، ويرغب في توجيه شخص أخرى في منتصف الطريق صعوداً، يستمرّ بالصياح ليدله على الاتّجاهات حيث يقف هو بنفسه، لن يساعد ذلك الشخص الآخر في الوصول إلى القمة. إنّ الطريق المباشر لتوجيهه إلى فوق هو في أن يخبره أولاً أين هو موجود ويصف له بيئته المحيطة، وهكذا يجعله مدركاً لموقعه الخاص، وبعد ذلك يوجّهه إلى القمّة. إن أرْجونا في حالة من التردد، ونية المولى هي في جلبه إلى الحالة الحازمة بأن يظهر له أولاً كلّ شيء عن الحالة المتردّدة لعقله، وبعد ذلك يوجّهه إلى الحالة الحازمة.

بعد أن أشار إلى هاتين الحالتين العقليتين، يوضّح المولى، في الآيات الثلاثة التالية، الحالات التي فيها يواصل العقل في البقاء متردّداً. وبعد ذلك سيوجّه أرْجونا للارتفاع من تلك الحالة ويصبح حازماً، لكي يثبت عقله في الحقيقة.

الآية الثانية والأربعون

إن قصيري النظر المنهمكون
في رسالة الفيدا، يا بارتا،
يصرحون بأنه لا يوجد شيء
غير ذلك، ويتكلمون ببلاغة.

إنّ الفيدا هي شروح أصيلة لطريق التطور. إنها توضّح، خطوة بخطوة، العملية التدريجية لتكامل الحياة وتعلّم المعرفة التي بها قد يرتفع الإنسان بسرعة من خلال كلّ مستويات التطوّر ويبلغ التحرر النهائي.

من أجل تمكين الإنسان على الربح بهذه الحكمة العظيمة للحياة، تؤيد الفيدا المسلك

المنضبط للعمل والفكر. يتم التعامل مع انضباط العمل في تلك الفصول التي تدعى بشكل جماعي الكارما كاندا، التي تعني ما يخص العمل، في حين أن انضباط العقل يُعرض في الفصول التي تدعى أوباسانا كاندا، التي تعني ما يخصّ العقل فيما يتعلق بالحقيقة.

إن طبيعة الحقيقة السامية والتي هي في اكتمال الحياة تشكّل موضوع الفصول التي تدعى بشكل جماعي غيانا كاندا، التي تعني ما يخصّ المعرفة.

إنّ غاية الكارما كاندا الفيدية في وضع أسس لقواعد العمل التي ستجلب النجاح والازدهار في هذه الحياة وفيما بعد. إنها تتعامل مع الشعائر والطقوس الضرورية لتثبيت التنسيق بين الأوجه المختلفة للحياة الفردية: التنسيق بين الإنسان والمخلوقات الأخرى، وبين الإنسان والقوى المختلفة في الطبيعة، وبين الإنسان والملائكة، وبين الإنسان والله الّذي في السّماء إنها حكمة عملية عظيمة للنظام الأعلى؛ تتعامل مع الأنواع غير المعدودة من العمل والطبيعة المتعذر فهمها لتأثيرها. عندما يبدأ أولئك المتعلّمون في هذا المضمار بتنوير الآخرين، يكون حديثهم سحراً وإيجابياً. ويكون شرحهم عن نظرية المناسك والطقوس وممارستها كاملاً جداً بحد ذاته ويكون حاسماً ودقيقاً جداً في طبيعته كونه موثوقاً به بشكل كامل.

تعرض الكارما كاندا للفيدا شروط معيّنة لنيل النتائج المعيّنة. إنها شرح واضح وعملي لقوانين الطبيعة التي تتحكّم بالسبب والتأثير في الخليق.

إن تطلّعات الإنسان غير معدودة، وغير معدودة الأهداف الّتي سينجزها. وغير معدودة أيضاً طرق ووسائل العمل لبلوغ هذه الأهداف. إنّ غرض الكارما كاندا هي في جعل التنسيق بين العقل والجسم وقوى الطبيعة بطريقة بحيث تؤدّي إلى التقدّم إلى مستوى أعلى وإلى نوعية محسّنة من الحياة.

إنّ غاية أوباسانا كاندا هي في جعل التنسيق بين العقل والقوى الداخلية للطبيعة والكينونة التجاوزية النهائي بطريقة بحيث تؤدّي إلى تكامل الحياة.

يشير المولى في هذه الآية والآيتين والتاليتين إلى الكارما كاندا، وبعد ذلك في الآية الخامسة والأربعون يظهر السمة العملية المجيدة لأوباسانا كاندا –التي تجلب العقل المشتت إلى حالة حازمة، لكي يمكن تثبيته في الحقيقية ويمكنه أن تعيشها، وبذلك تكتمل غاية غيانا كاندا للفيدا. هذا ما يجعل البهاغافاد غيتا جوهر الفيدا والطريق السريع إلى اكتمال الطريقة الفيدية للحياة.

الآية الثالثة والأربعون

ممتلئون بالرغبات، وبالجنة كهدف لهم،
يدّعون (بكلماتهم) أن الولادة هي مكافأة
للأعمال ويصفون العديد من الشعائر
الخاصّة لنيل المتعة والقوّة.

تتكلّم هذه الآية عن ميل الإنسان للجوء إلى الشعائر الفيدية من أجل نيل حياة أفضل وبهجة دنيوية أعظم. إنّ نتيجة الاستغراق في الرغبات الدنيوية هي في بقاء الفرد في دوامة الولادة والموت. لأن بهجة الحواس لا يمكنها أن ترضي أبداً؛ إنها تورط الإنسان أكثر فأكثر وهكذا تبقينه في العبودية. ولعدم وجود أي فرصة للقناعة الدائمة، تستمرّ دورة الولادة والموت. تكشف الآية التالية الخسارة التي تحدث عندما يتورّط العقل في هذه البهجة التي تغني الحياة فقط بالمكاسب المادية.

الآية الرابعة والأربعون

**لا تظهر الحالة الحازمة للفكر في
عقل أولئك المرتبطون بعمق بالمتعة
والقوّة ويكون فكرهم مأسوراً
بتلك (الكلمات المتأنقة).**

ليس من الضروري أن نعتبر أن الإنسان الذي يمتلك معرفة نسبية كبيرة لا تستطيع أن يمتلك حكمة المطلق أيضاً. إذا كان باستطاعة الإنسان الأمّي أن يتمتّع بالغبطة المطلقة التي هي كينونته الخاصة، لما لا يتمتع بها الإنسان المتعلّم؟ لا ترفض الآية المتعة والقوّة الدنيوية، ولا الحكمة الفيدية للعمل، التي هي طريقة كسب مثل هذه المتعة والقوّة، بل ترفض الحالة العقلية في الاستغراق فيهم التي تنتج عن سماع مجد الشعائر الفيدي بكلمات متأنقة بلاغة.

إنه من غير المفاجئ بأنّ يعلن أولئك المنشغلون دائماً في حقل العمل بأنّ كلّ ما يريدونه يمكن نيله من خلال العمل – وبشكل محدّد من خلال الطريقة الفيدية للعمل، التي تؤمن، بلا شك، الطريق المباشر إلى نيل أيّ شيء مهما كان. إن وجهة النظر هذه، في حين أنها صحيحة جداً في الحقل النسبي للحياة، من الواضح أنها لا تعنى بالكينونة المطلقة. تشمل الحقول الظاهرة وغير الظاهرة للحياة سوية كلّ الحقيقة. لكن أولئك الذين يمتلكون فقط حكمة الكارما كاندا الفيدية، يطمحون ضمن مجال الحقل الظاهر وحده. لا تعطيهم حكمتهم للعمل مباشرة حكمة الحقل غير الظاهر للحقيقة.

بسبب النقص في معرفة المطلق غير الظاهر، نسمع مثل هؤلاء الناس يدعون بلغة مبالغة بأنّه

لا يوجد شيء ما بعد حقل العمل الفيدي (الآية 42).

في الآية الثالثة والأربعون، يصوّر المولى العقل يقع بسرعة في قبضة العمل. مسحورٌ باللغة المتأنقة والمبالغة التي تدعي مجد العمل، يصبح متورطاً في النشاطات النشيطة والمنوّعة. يبقى مثل هذا العقل الدائم النشاط بشكل طبيعي خارج نطاق الفكر الحازم.

تبقي البهجة الدنيوية، سوية مع إحساس التقدّم من خلال العمل والجهد، العقل منشغلاً في النشاطات الخارجية. من الصعب لهذا العقل أن يميل إلى التقارب نحو الحالة الحازمة لوحده؛ يشغل النشاط العقل في التنويع، وبذلك يكون معارضاً بشكل واضح لعملية التقارب، التي تؤدّي إلى الحالة الحازمة. فقط مع وجود النيّة وتلقي التوجيه يمكن للعقل أن يكسب التوجّه الأحادي، وذلك حتى في وسط "المتعة والقوّة".

في الآية التالية، يعطي المولى المبدأ الذي يجلب، مثل هذا العقل المشتت إلى الحالة الحازمة.

الآية الخامسة والأربعون

إن ما تعنى به الفيدا هي الغونات الثلاثة،
كن من دون الغونات الثلاثة، يا أرْجونا،
متحرّراً من الثنائية، حازماً أبداً في النقاوة،
مستقلاً عن التملّك المملوك من الذات.

هذه هي تقنية الإدراك الفوري. يظهر المولى إلى أرْجونا الطريق العملي لتلاقي العقل الكثير التفرع إلى التوجّه الأحادي للفكر الحازم. ها هي التقنية الفعّالة لجلب العقل إلى حالة حيث تذوّب فيها كلّ الاختلافات وتترك الفرد في حالة الاكتمال.

إن كلّ ما قيل حتى الآن من قبل المولى كريشنا هو لتهيّئة أرْجونا كي يفهم هذه الممارسة لجلب العقل من حقل التعدّد إلى تلك الوحدة الأبديّة. إن هذه الممارسة هي لتبهج كلّ أوجه حياته بجلب عقله إلى الوعي التجاوزي، المصدر غير المحدود للحياة والطاقة والحكمة والسلام والسعادة. إنه من أجل أن يرفعه إلى تلك المنزلة الكونية التي تنسّق كلّ القوى المتعارضة للحياة.

تتحقق النظريات النفسية الحديثة من الأسباب من أجل التأثير على التأثيرات. يتلمّسون الطريق المظلم لإيجاد سبب الظلام لكي يزيلونه. في التمييز بالتغاير، ها هي فكرة جلب النور لإزالة الظلام. هذا هو "مبدأ العنصر الثاني". إذا كنت ترغب في إحداث التأثير على العنصر الأول، أهمل ذلك العنصر، لا تبحث عن المسبب له؛ أثّر عليه مباشرة بتقديم العنصر الثاني. أزل الظلام بتقديم النور. خذ العقل إلى حقل السعادة لكي يخلص من المعاناة.

على أية حال، حتى إذا قبلنا بأنّ التحقق من المسبب يسهّل عملية التأثير على الأثر، سنجد بأنّ هذه الآية ستخدم غايتنا، لأنها يؤمن التقنية التي بها يمكن التحقّق من السبب النهائي لكلّ الحياة البشرية. إذا كان ممكناً بمعرفة المسبب المساعد في التأثير على الأثر، سوف تضع معرفة المسبب النهائي للحياة حدّاً عملياً لكلّ معاناة.

تكمن عظمة تعاليم المولى كريشنا في نظرتها العملية المباشرة وكمالها من كلّ أوجه النظر. إن فكرة تقديم العنصر الثاني وفكرة التحقق من المسبب من أجل التأثير على أثره، يمثّلان مبدأين متعارضين بوضوح لبعضهما البعض، ورغم ذلك كلاهما يكتملان في تقنية واحدة. إنه هذا الكمال للحكمة العملية الذي جعل البهاغافاد غيتا خالدة.

يأمر المولى كريشنا أرْجونا: "كنّ من دون الغونات الثلاثة": كنّ من دون النشاط، بذاتك هذا هو الوعي الحازم، حالة الكينونة المطلقة، التي هي المسبب النهائي لكلّ الأسباب. تجلب هذه الحالة من الوعي الانسجام إلى الحقل الكامل للسبب والتأثير وتمجّد كلّ الحياة.

كانت مشكلة أرْجونا الرئيسية في التوفيق يبن حبّه للأقرباء والضرورة لاستئصال الشرّ. كان

يبحث بشغف عن صيغة للتسوية بين الاستقامة والشرّ. لكن، وعلى أيّ طبقة من الحياة النسبية، هذان لا يتوافقان. لهذا السبب، وبعد أن استكشف كلّ دروب قلبه وعقله، لم يستطع أرْجونا أن يجد أيّ حلّ عملي، ولم يستطع أن يقرّر على أيّ خطّ للعمل. لكن المولى كريشنا، يظهر له الحقل حيث تندمج الاستقامة والحبّ في الانسجام الأبدي، الحياة الأبديّة للكينونة المطلقة.

يوضح المولى إلى أرْجونا أن كلّ تأثيرات العالم الخارجي، ونتائجها أيضاً، سوف تتشبث به وتؤثّر عليه طالما هو خارج نفسه، وطالما يسمح لنفسه في البقاء في مجال النسبية وتحت تأثيره. عندما يخرج من ذلك المجال، سيجد الاكتمال في ذاته الخاصة.

من الصعب على الإنسان تحسين شؤون عمله عندما يكون هو بنفسه مستغرقاً بشكل ثابت في كلّ التفاصيل. إذا ترك لفترة وجيزة، يصبح قادراً على رؤية العمل ككل ويمكنه أن يقرّر بسهولة أكثر ما هو المطلوب. لدى أرْجونا الاعتقاد العميق في الدْهرما؛ وعقله واضح حول اعتبارات الصواب والخطأ. لكن المولى يطلب منه ترك الحقل الكامل للصواب والخطأ من أجل نيل حقل المتجاوز المتعالي. هناك، وبثباته في حالة خلف كلّ الثنائية، وخلف تأثير الصواب والخطأ، سيتمتّع بالحكمة المطلقة للحياة، التي تنبع منها كلّ معرفة العالم النسبي. ويقول المولى إلى أرْجونا: إن حقل تلك الحكمة المطلقة ليست خارج عنك ليس عليك الخروج إلى أي مكان لاكتسابه. إنه في داخلك عليك فقط أن تكون في داخل ذاتك، "مملوكاً من الذات"، حازم أبداً في نقاوة الكينونة.

ها هي حقاً المهارة في جلب النور لإزالة الظلام. لم يطلب من أرْجونا المجيء أو الذهاب إلى أيّ مكان؛ يُطلب منه فقط "كنّ من دون الغونات الثلاثة". تخدم هذه التعليمة كوسيلة مباشرة لأخذ الإنسان رجل إلى الحالة المطلقة لوعيه. يكتفي المولى بالقول: "كنّ من دون الغونات الثلاثة، يا أرْجونا متحرراً من الثنائية".

تتكون الخليقة بكاملها من تفاعل الغونات الثلاثة – ساتفا ورجس وطمس – المولودة من

البْركْريتي، أي الطبيعة. تتواصل عملية التطور بهذه الغونات الثلاثة. التطور يعني الخلق ونموه المتقدمّ، وفي أساسه يكمن النشاط يحتاج إلى الراجو–غونا لخلق الحافز، وهو يحتاج إلى ساتو–غونا و طامو–غونا لتأييد اتجاه الحركة.

إنّ طبيعة طامو–غونا هي في التدقيق أو الإعاقة، لكنّ لا يجب أن نفكّر بأنّه عندما تكون الحركة متجهة إلى أعلى تكون طامو–غونا غائبة. لأنه من أجل استمرار أي عملية، يجب أن يكون هناك مراحل في تلك العملية، وكلّ مرحلة، ومهما كانت صغيرة في الزمان والمكان، تحتاج إلى قوة لحفاظ عليها وقوة أخرى لنموها إلى مرحلة جديدة. إنّ القوة التي تنميها إلى مرحلة جديدة هي ساتو–غونا، في حين طامو–غونا هي التي تدقّق أو تعيق العملية لكي تحافظ على الحالة التي نتجت لكي تشكّل القاعدة للمرحلة القادمة.

يوضّح هذا لماذا يتحتم على الغونات الثلاثة أن تكون سوية. لا يمكن لأي غونا منفردة أن تتواجد منعزلة من دون حضور الاثنتان الأخيرتان. إنه لهذا السبب يسأل المولى أرْجونا بأن يكون خارج كلّ الغونات الثلاثة، ليكون كليّاً خارج تأثير القوى التي يشكّل الحياة في الحقل النسبي.

بينما يعطيه حكمة السانْكْهيا، أخبر المولى أرْجونا بأنّ هناك وجهتان للحياة، الوجهة المعرّضة للتلف والوجهة التي لا تتلف. إن الوجهة المعرّضة للتلف هي وجود نسبي، والوجهة التي لا تتلف هي كينونة مطلقة. تخضع كلّ الحياة في الحقل النسبي لتذبذب الغونات. لذلك، ولكي يعطي أرْجونا الاختبار المباشرة للحالة المطلقة للحياة، يسأله "كي يكون من دون الغونات الثلاثة".

هناك طبقات سطحية من الخليقة، وهناك طبقات مرهفة. عندما يقول المولى: "كنّ من دون الغونات الثلاثة" فهو يقصد بأنّ يأخذ أرْجونا انتباهه من الطبقات السطحية للاختبار، مروراً بالطبقات المرهفة وبالتالي إلى الطبقة الأكثر إرهافاً للاختبار؛ وبتجاوزه أيضاً لتلك الطبقة الأكثر إرهافاً، سيكون كلياً خارج الحقل النسبي للحياة، وخارج الغونات الثلاثة. لذلك تكشف

كلمات المولى: "كنّ من دون الغونات الثلاثة" سرّ الوصول إلى حالة الوعي الصافي.
عندما تقول إلى شخص ما: "تعال إلى هنا"، تدلّ بهاتين الكلمتين بأنّه يجب أن ينهض ويبدأ بوضع قدم واحدة أمام الأخرى، وبأنّ هذا المشي على كلتا القدمين سيجلبه إليك عندما يقول المولى: "كنّ من دون الغونات الثلاثة" فهو يعني بوضوح بأنّه من أينّما تقف في حقل الغونات الثلاثة، عليك أن تبدأ بالتحرّك من هناك نحو الطبقات المرهفة للغونات، وبوصولك إلى الطبقة الأكثر إرهافاً، اخرج منها، وتجاوزها، وكنّ بذاتك، "مملوكاً من الذات" – "متحرراً من الثنائية"، "حازماً أبداً في النقاوة"، "مستقلاً عن التملّك".
لقد أعطى المولى كريشنا حقيقةً، في هذه الآية، تقنية الإدراك الذاتي. وقع أرْجونا في التعليق بين ما يمليه عليه كلّ من قلبه وعقله. يقترح المولى عليه بأنّه يجب أن يخرج من النزاع وبعدئذ سيرى طريقه بوضوح. لهذا، وبعد أن قال: "كنّ من دون الغونات الثلاثة" يضيف فوراً: "متحرراً من الثنائية"، متحرراً حقل النزاعات. إنّ الحقل النسبي للحياة ممتلئ بالعناصر المضادة: الحرارة والبرودة والسرور والألم والربح والخسارة، وكلّ الأزواج الأخرى من الأضداد التي تشكّل الحياة، وتحت تأثيرها تتأرجح الحياة كسفينة في بحر هائج من موجة إلى أخرى. لتكون تحرّراً من الثنائية عليك أن تكون في حقل عدم ثنائية، الحالة المطلقة للكينونة. هذا ما يعطي السلاسة والأمان إلى الحياة في الحقل النسبي. إنها مثل المرساة لسفينة الحياة في بحر الغونات الثلاثة. يكسب الفرد الثبات والراحة.
كان أرْجونا حسّاساً جداً إلى الصواب والخطأ. لهذا السبب، بعد أن قال المولى، "متحرراً من الثنائية" يضيف فوراً: "حازم أبداً في النقاوة". إنه يريد طمأنة أرْجونا بأنّ هذه الحالة ستثبت صحتها دائماً، بموجب الدْهرما، معجّلة أبداً في عملية التطور لمصلحة الكلّ. لا يمكن أن ينتج منها أي شيء خاطئ، لأنها هي حالة الاكتمال.
من أجل إيصال هذه الفكرة عن الاكتمال يقول المولى: "مستقلاً من التملّك". إنّ الكلمة السنسكريتية المستعملة في النصّ هي نيريوغاكشيما، التي تحمل المعنى أنه في هذه

الحالة ليس المطلوب من الشخص أن يفكّر باكتساب ما لا يملك أو بالحفاظ على ما يملك إن رغبة دورْيودْهانا لامتلاك الممتلكات والحفاظ عليها هو سبب المعركة. حتى في الحياة العادية للإنسان، إن هذا الميل للتملّك هو الذي يغريه لذهاب في الطريق الخاطئ. لذا يخبر المولى أرْجونا بأنّه سيتجاوز هذا السبب للإثم في الحياة. وبذلك يذكّر أرْجونا أيضاً أن دورْيودْهانا يمكنه أن يأخذ الطريق الخاطئ لأنه اكتسب المملكة والسرور والقوّة لكن لم يكسب حكمة البقاء "مستقلاً من التملّك". لهذا السبب أبقته الأملاك مقيداً بها وفقد إحساسه بالتناسب.

باستعمال هذا التعبير: "مستقلاً عن التملّك"، يعطي المولى الجواب لكلمات أرْجونا الخاصة في الآية 32 من الفصل الأول: أنا لا أرغب بالنصر، يا كريشنا، ولا بالمملكة ولا بالملذات". لقد رأى أرْجونا كيف يمكن للسرور والقوّة أن تخرّب حياة الإنسان بإعمائه بأسباب الاستقامة. يعلّمه المولى كريشنا هنا فنّ الاستقلال في وسط الأملاك، لأنه وبعد المعركة سيوضع أرْجونا في موقع الثروة والقوّة العظيمة.

بعد أن قال: "متحرراً من الثنائية، حازماً أبداً في النقاوة، مستقلاً عن التملّك"، يضيف المولى: "المملوك من الذات". هذا ليشير إلى أرْجونا بأنّ هذه الحالة المباركة للحياة هي ليست بعيدة جداً عنه. إنها في داخل ذاته ولذلك هي دائماً في متناوله. وعلاوة على ذلك، إنها ذاته الخاصة، وليست سوى ذاتها الخاصة.

هناك حضور عظيم للعقل، ومهارة عظيمة في تنوير الجاهل، وارتفاع الكمال في أسلوب هذا الحديث. إذا قيل لك من قبل شخص ما: "أنا سآخذك إلى حقل الحكمة العظيمة ووفرة الحياة"، من دون أي إشارة إلى موقع ذلك الحقل، قد تشعر بالحيرة حول العديد من الأشياء – حول المسافة، والصعوبات في الطّريق، وقدرتك الخاصة للوصول إلى هناك لهذا السبب يستعمل المولى الكلمات: "المملوك من الذات". دع ذاتك تكون مملوكة بذاتك عندما تكون مملوكاً بذاتك، تكون غاية كلّ الحكمة قد أنجزت. هناك تنتهي الفيدا. تلك هي نهاية رحلة الحياة،

تلك هي حالة الاكتمال. لهذا السبب، "المملوك من الذات" موضوعة في نهاية الآية.
هاهي التقنية التي تمكّن كلّ إنسان للمجيء إلى مكمن الكنز العظيم في داخل ذاته وبذلك يرتفع فوق كلّ الحزن والحيرة في الحياة. ابتداءً من هذه الآية فصاعداً، تعلن التعاليم الكاملة للبهاغافاد غيتا مجد إنجاز حالة المتجاوز.
إنها هذه الحالة التجاوزية للكينونة هي التي تمكّن الإنسان أن يصبح كارما يوغي، الفرد الناجح في طريق العمل. إنها تلك التي تمكّن الإنسان أن يصبح بهاكتا، الفرد الناجح في طريق العبادة والولاء، وإنها تلك التي تمكّن الإنسان أن يصبح غياني، الفرد الناجح في طريق المعرفة. هذا الطريق السريع إلى اكتمال غاية الحياة.
إذا أراد الإنسان أن يكون مكرساً حقيقياً لله، يجب عليه أن يصبح هو ذاته الصافية؛ يجب أن يحرّر ذاته من تلك الخواص التي لا تنتمي إليه، وعندئذ فقط يمكن أن يكون عنده تكريساً أحدي التوجه. إذا كان مغلّفاً بما هو غريب عنه، سيكون تكريسه مغطّى بذلك العنصر الغريب. ولن يصل تكريسه إلى الله، ولن تصله محبة الله وبركاته. من أجل أن يصل تكريسه إلى الله، من الضروري أنّ يصبح أولاً هو ذاته بصفاء، لا يغطّيها أي شيء. عندئذ ستوصله عملية العبادة والتكريس مباشرة مع المولى، وبذلك يمنحه منزلة المكرّس. فقط عندما يصبح هو ذاته يمكنه أن يستسلم بشكل صحيح إلى الذات العظمى للمولى. إذا يبقى في حقل الغونات الثلاثة، في العديد من أغماد الطبيعة السطحية والمرهفة، ستكون هذه الأغماد هي التي تمنع الاتصال المباشر مع المولى.
لذلك إن الخطوة الأولى نحو الإتحاد من خلال التكريس هي في أن يكون الفرد ذاته. هكذا، وعلى نفس النمط، تكون الخطوة الأولى على طريق غيانا يوغا، طريق الإتحاد من خلال المعرفة، وأيضاً على طريق الإتحاد من خلال العمل، الكارما يوغا؛ لأن حالة الوعي التجاوزي هي حالة غيانا، أي المعرفة، والتي تنقذ من عبودية الكارما. إن هذه الحالة هي أيضاً قاعدة النجاح في أيّ حقل من حقول الحياة. يكون حقل الغونات الثلاثة منشّطاً بنور الكينونة المطلقة خلف الغونات.

تظهر الآية التالية بأنّ غاية كلّ النشاط تكتمل في هذه حالة للكينونة.

الآية السادسة والأربعون

بالنسبة للبْرهْماني المتنور إن الفيدا
كلها لا يستعملها أكثر مما يستعمل
بئر ماء صغير في مكان يفيض
بالماء من كل الجهات.

"البْرهْماني المتنور": هو الشخص الذي مرّ بدراسة وممارسة كارما كاندا وأوباسانا كاندا وغيانا كاندا للفيدا. أي الشخص الذي يعرف سرّ العمل والتكريس والمعرفة.
في حين أن كلّ عمل له هدف السعادة، إلا أن الأعمال التي تصفها الفيدا في الوقت ذاته تساعد

الإنسان على التطوّر خلف مستواه الحالي. لكن، جيفان موكتا، الإنسان في الوعي الكوني، يجد نفسه في الاكتمال النهائي لكلّ الواجبات المفروضة عليه. يعرف الحقيقة بمثل هذا الامتلاء العظيم بحيث يصبح ثابتاً في ذاك، في حالة وعي الغبطة المطلق. هكذا، بعد أن كسب الهدف النهائي لطريقة الحياة الفيدية الكاملة، مثل هذا الإنسان يرتفع فوق حقل الوصايا الفيدية حول الصواب والخطأ وأيضاً فوق الحاجة للطقوس الفيدية؛ يرتفع فوق حاجة التوجيه الفيدي.

إنّ حالة الإدراك هي مثل الخزّان الممتلئ بالماء، الذي منه يسحب الناس بشكل طبيعي جداً لإشباع كلّ حاجاتهم بدلا من أن يحصلوا على مياههم من عدة من البرك الصغيرة. لذلك يسأل المولى أرْجونا قائلاً: "كنّ من دون الغونات الثلاثة" وأن لا يهدر حياته في التخطيط وإنجاز المكاسب الصغيرة في الحقل المتغيّر باستمرار للغونات الثلاثة، لكي يكون مكتفياً ذاتياً بشمولية بدلاً من أن يحاول إنجاز القليل هنا وهناك

إن حالة الإدراك لا تكمل الغاية العامّة لرغبة الإنسان بالسعادة المتزايدة أكثر فأكثر فحسب، بل هي تجلب العقل أيضاً بشكل طبيعي إلى الدرجة الأعلى للنمو العقلي. إنها تجلب الإنسان المدرك إلى حالة حيث يجد، استناداً إلى النمو العالي للقوّة والانسجام العقلي مع قوانين الطبيعة، بأنّ أفكاره تصبح مكتملة طبيعياً من دون جهد كثير من ناحيته. لقد أعطي الإنسان في هذه الحالة مثل هذا النمط الطبيعي إلى وجوده الذي يتمتّع بالدعم الكامل للطبيعة القوية مدى الحياة. إنه في التناغم المباشر مع القانون الكوني، حقل الكينونة، الذي يشكّل أساس قوانين طبيعة.

الآية السابعة والأربعون

تملك التحكّم على العمل وحده،

وليس على ثماره. لا تعيش من

أجل ثمار العمل، ولا تربط

نفسك في عدم العمل.

يوجد تسلسل رائع في التعليمات هنا. تعرض هذه الآية مرة أخرى وعي المولى كريشنا وبصيرته الواضحة والعميقة لعقل أرْجونا.

لما أعطيت التعليمات لأرْجونا كي "يكون من دون الغونات الثلاثة" في الآية 45، وفي الآية التالية قيل له أنّه نتيجة لذلك قد تكتمل كلّ تطلّعاته في الحقل النسبي، وقد يستدل بشكل حسن بأنّه لم يطلب منه القيام بأيّ عمل آخر. لذلك ولكي لا ينمو عن أرْجونا الكره للنشاط، يقول المولى في هذه الآية: "تملك التحكّم بالعمل وحده". هذا ما يجب أن يجعل أرْجونا يشعر بأنّ عليه أن لا يهتمّ بشيء سوى العمل. يجب أن يستغرق بالكامل في العمل بذاته لكي يصبح غافلاً عن كلّ شيء آخر، حتى عن ثمار العمل. لهذا السبب يضيف المولى: "وليس على ثماره".

هذا لا يعني بأنّه ليس على أرْجونا أن يقاتل من أجل الفوز بالمعركة؛ لا يعني بأنّ العمل يجب أن يتم من دون اهتمام بنتائجه. سيكون ذلك نفاقاً.

إن الثمار المتوقّعة من العمل هي التي تقنع الإنسان كي يعمل. إنها الرغبة للنتيجة هي التي تجعله يبدأ بالعمل وتمكّنه في الاستمرار في عملية العمل. يرغب المولى في إظهار أن نتيجة العمل ستكون أعظم إذا وضع الفاعل كلّ انتباهه وطاقته على العمل بذاته، إذا لم يسمح لانتباهه وطاقته أن يكونا مشغولين بالتفكير بالنتائج. ستكون النتيجة طبقاً للعمل، لا يوجد شكّ حول ذلك.

إذا فكّر الطالب في كلّ الوقت بنجاحه بالامتحان، سيعيق تقدّم دراسته، وهذا ما سيعرّض النتيجة للخطر. من أجل ضمان النجاح الأكبر للعمل يُطلب من الفاعل أن لا يهتمّ بالنتائج في

أثناء القيام بالعمل. لكن هذا لا يشير ضمناً إلى أنّه يجب أن يكون لا مبالي للنتائج. إذا أصبح لا مبالي للنتائج بشكل واعي، ستصبح عملية العمل بالتأكيد ضعيفة، وستضعف النتائج أيضاً. سيكون سخيفاً الاستنتاج من هذه الآية بأنّ الإنسان ليس له الحقّ في ثمار عمله. إن تقنية تحقيق النتيجة القصوى من عمل فقط هي المعطاة هنا. لدى الفاعل كلّ الحقّ في التمتّع بثمار عمله؛ يقول المولى بأنّه ليس له سيطرة على الثمار لأن الثمار ستكون حتماً طبقاً للعمل. بعد أن ثبّت الهدف، وبعد أن بدأ بالتصرّف وبعد أن أصبح منهمكاً بشكل حميم في عملية العمل، يجب أن يكمل العمل بمثل هذا التكريس الكامل والانتباه غير المقسّم الذي يكون فيه غافلاً حتى عن ثماره. فقط بهذه الطريقة سينجز النتائج القصوى مما هو يعمل.

إنّ تعاليم عدم التوقع لثمار العمل لها أيضاً أهمية كونية أعمق في أنّها مدعومة من قبل العملية الحقيقية للتطور. إذا كان الإنسان متعلقاً بثمار العمل، يكون اهتمامه الوحيد ممركز على المستوى الأفقي للحياة. لا يرى شيء أعلى من العمل وثماره، يفقد رؤية القدسي، الذي يتخلّل العمل والذي هو القوّة الكلية في أساسه التي تقود إلى الاكتمال النهائي. هكذا يفقد الإنسان الاتصال المباشر بالمستوى العمودي للحياة، الذي تستند عليه عملية التطور.

هكذا يكون واضحاً أنّ تعاليم المولى تساند النشاط من ناحية ويؤيّد التطور والحرية من الناحية الأخرى.

تشير الآية التالية بأنّه ممكناً لكل شخص أن يعيش قيم القدسيّ في العالم.

الآية الثامنة والأربعون

اثبت في اليوغا، يا غانم الثروة،

وأدّي الأعمال بعد أن تتخلص من

التعلّق، وبعدما تصبح متوازناً في
النجاح والفشل، لأن توازن العقل
يدعى اليوغا.

"اثبت في اليوغا" تعني اثبت في الوعي الكوني.
اليوغا، أو توحيد العقل مع الذكاء القدسي، يبدأ عندما يكسب العقل الوعي التجاوزي؛ تبلغ اليوغا النضوج عندما يستقر هذا الوعي للغبطة التجاوزية، أو الكينونة القدسية، في العقل إلى المدى الذي يبقى فيه ثابتاً في حالة الكينونة، في أية حالة يجد العقل نفسه، سواء كان في اليقظة أو النوم. إلى هذه الحالة من التنوير المثالي يشير المولى في بداية الآية عندما يقول: "اثبت في اليوغا". وفي نهاية الآية يعرّف "اليوغا" بالإشارة إلى العمل كونه "توازن العقل". هذه الحالة العقلية المتوازنة هي نتيجة الطمأنينة الأبديّة التي تجيء بوعي الغبطة. لا يمكن أن اكتسابها بتصنع مزاج التساوي في الخسارة والربح، كما اعتقد المفسرين عموماً.
إن اليوغا هي أساس الحياة المتكاملة، إنها وسيلة جلب الانسجام للصمت الخلاق الداخلي والنشاط الخارجي للحياة والطريق للتصرّف بالدقّة والنجاح. بعد ثباته في اليوغا، سيثبت أرْجونا الحقيقة النهائية للحياة، التي هي مصدر الحكمة الأبديّة والقوّة والإبداع.
إن جزء من التدريب للشخص الذي يرغب أن يصبح سبّاحاً ماهراً هو فنّ الغوص. عندما يكون الفرد قادراً على الحفاظ على ذاته بنجاح في الماء العميق، تصبح السباحة على السطح سهلة. إن كلّ عمل هو نتيجة لعب العقل الواعي. إذا كان العقل قوياً، يكون العمل أيضاً قوياً وناجحاً. يصبح العقل الواعي قويّاً عندما تكون المستويات الأعمق لبحر العقل منشّطة في أثناء عملية التأمل التجاوزي، التي تقود الانتباه من سطح العقل الواعي إلى الحقل التجاوزي للكينونة. إنّ

عملية الغوص في الداخل هي الطريق لنصبح مثبتين في اليوغا.
عندما يقول المولى بأنه بمروره بهذه العملية، يجب أن يخرج أرْجونا ويتصرّف، فهو يعطيه ميكانيكية العمل الناجح. من أجل رمي السهم بنجاح، من الضروري أولاً سحبه إلى القوس، وبذلك نعطيه طاقة محتملة عظيمة. عندما يُسحب السهم إلى أقصى حدّ ممكن، يمتلك القوّة الديناميكية الأعظم.
لسوء الحظ إن فنّ العمل، الذي شرحه المولى كريشنا إلى أرْجونا في هذا الحديث، يبدو أنه اختفى من الحياة العملية اليوم. ويعود السبب في ذلك إلى أنه ولعدّة قرون، وبسبب النقص في التفسير الصحيح لهذه الآيات، لقد اعتبر أنه من الصعب قيادة العقل إلى الذات ليصبح ثابتاً في اليوغا. إنه، في الحقيقة، من السهل جداً قيادة الانتباه إلى حقل الكينونة: على الفرد فقط أن يسمح للعقل في التحرّك تلقائياً من الحقل السطحي لاختبار الموضوعي، عبر الحقول المرهفة لعملية الفكر إلى الحقيقة التجاوزية النهائية للوجود. بينما يتحرّك العقل في هذا الاتجاه، يبدأ باختبار الانجذاب المتزايد في كلّ خطوة إلى أن يصل إلى حالة وعي الغبطة التجاوزي.
إن مكافئة جلب العقل إلى هذه الحالة هي في أن العقل الفردي الصغير ينمو إلى منزلة العقل الكوني، مرتفعاً فوق كلّ عيوبه الفردية ومحدوديته. إنه مثل رجل الأعمال الصغير الذي يصبح غنياً ويصل إلى منزلة المليونير الكبير. فتصبح الآن الخسارة والربح في السوق، التي كانت تؤثر عليه من قبل، ليس لها تأثير عليه ويرتفع بشكل طبيعي فوق تأثيرها.
يريد المولى من أرْجونا أن يتصرّف، لكنّه يريده، قبل بداية العمل، أن يكسب منزلة العقل الكوني. هذا هو كرمه. عندما يريد الرجل الغني أن يبدأ ابنه في العمل، لا يرغب عادة له أن يبدأ بطريقة صغيرة، لأنه يعرف أنّ في هذه الطريقة الصغيرة ستؤثّر الخسائر والأرباح على ابنه العزيز وتجعله بائساً أو فرحاً بهذه التفاهة. لذلك يعطيه منزلة الرجل الغني وبعد ذلك يطلب منه بدء العمل من ذلك المستوى. إن المولى كريشنا، مثل الأبّ الرحيم والقادر، ينصح

أَرْجونا لبلوغ حالة الذكاء الكوني وبعد ذلك للتصرّف من تلك الحالة العالية للحرية في الحياة.
لا يستطيع الإنسان البقاء متوازناً في الخسارة والربح ما لم يكون في حالة من الطمأنينة الدائمة. هنا يسأل المولى أَرْجونا للوصول إلى تلك حالة للطمأنينة الدائمة بالاختبار المباشر للغبطة الأبديّة التجاوزية. إنه لا ينصحه بمزاج مجرّد من التساوي.
إن حالة الغبطة التجاوزية في الكينونة الأبديّة هي ذاتية الاكتفاء بحيث إنها المطلق في تركيبتها. إنها امتلاء الحياة، وكمال الوجود، وبالتالي منفصلة جداً عن أيّ شيء في الحقل النسبي، متحررة بالكامل من تأثير العمل. عندما يقول المولى: "بعد أن تتخلص من التعلّق"، يعني بعد أن كسب هذه حالة للكينونة الأبديّة، المنفصلة كلياً والمستقلة عن النشاط وعندما يقول: وبعدما تصبح متوازناً في النجاح والفشل"، يعني بعد أن وصل إلى الاستقرار في هذه حالة للكينونة الأبديّة.
إنّ الممارسة المنتظمة للتأمل التجاوزي هي الطريق المباشر للارتفاع إلى حالة الكينونة التجاوزية وتثبّتها في الطبيعة الحقيقية للعقل، بحيث يتم الحفاظ وبصرف النّظر عن ارتباطات العقل في النزاعات المتأصّلة في تنويع الحياة، على تركيب الوحدة في الحرية الأبديّة بشكل طبيعي ولا تضيع حياة في ذاتها.
هذا هو تعريف اليوغا التي تم تهيأت الأرض الخصبة لها بالكلمات "كنّ من دون الغونات الثلاثة" في الآية: إن اليوغا هي تلك الحالة المتوازنة إلى الأبد والتي لا تتغيّر للوعي التجاوزي الذي، يبقى تجاوزياً في حين يبقى في أساس الطبيعة الحقيقية للعقل، فيجعل العقل حراً في المشاركة في النشاط بدون أن يصبح متورطاً فيه.
تمجد الآيات التالية مجد هذه اليوغا، الحالة العقلية المتوازنة، وتوضح فائدتها في رفع كرامة العمل وتجلب الحرية الأبديّة إلى الفاعل.

الآية التاسعة والأربعون

بعيد، حقاً، عن الفكر المتوازن
هو العمل المجرد من العظمة،
يا غانم الثروة. الجأ إلى الفكر.
جديرون بالشفقة أولئك الذين
يعيشون من أجل ثمار (العمل).

"الفكر المتوازن" (بودهي يوغا): الحالة العقلية المتوازنة كما وتم شرحها في الآية الأخيرة.
يوضح المولى هنا التمايز بين العمل الذي يصبح الفكر فيه متورطاً والعمل الذي يبقى فيه غير متورط يقول بأنّ العمل المنجز من دون كسب توازن العقل، أو اليوغا، له طبيعة أدنى – إنه غير مؤثّر وضعيف، "مجرد من العظمة". يسأل أرْجونا كي يرتفع إلى حالة عدم تورط الفكر، لكي يكسب عمله العظمة ويتمكّن في نفس الوقت من كسب حالة الحرية.
يسخر المولى من مصير أولئك الذين هم غير قادرين على الارتفاع إلى هذه الحالة من العمل في عدم التورط يقول بأنّهم "تافهون" أولئك الذين يريدون فقط أن يتمتّعوا بالحقل الخارجي للحياة، الذين لا يعيشون امتلاء الأمجاد الداخلية والخارجية للحياة بتطوير الحالة العقلية المتوازنة الموصوفة في الآية السابقة.
يقول المولى: "الجأ إلى الفكر"، وبذلك يسأل أرْجونا أولاً أن يتجه إلى الداخل ويكون "من دون الغونات الثلاثة" (نيشتريغونيو بهافا – أرْجونا، الآية 45) وبعد ذلك، وبقائك ثابتاً في حالة اليوغا، في الذات، لأداء الأعمال ("يوغاستا كورو كارماني" الآية 48).
يريد المولى من أرْجونا، قبل أن يبدأ بالتصرّف، أن يثبت ذاته في اليوغا. لقد عرّف اليوغا "بتوازن العقل"، حالة الامتلاء التي هي حالة التساوي والرصانة الطبيعية. في هذه الحالة لا يتأثر الإنسان بالنجاح أو الفشل. إن الأمر ليس بأنّ يحاول بشكل واعي أن يعالج الخسارة

والربح بشكل متشابه، لكن بأنّ يكون غير متأثّر بكليهما بشكل طبيعي – إن الحالة الحسنة والمرغوبة جداً هي التي نصل إليها من خلال ممارسة التأمل التجاوزي المشار إليها في الآية الخامسة والأربعون. أما المسعى لإبقاء التساوي والرصانة في العقل من دون كسب هذه الحالة، بمجرّد المحاولة للنظر إلى كلّ الأشياء كأنها متشابهة، قد ندعو ذلك نفاقاً أو خداعاً للنفس.

من المؤكد إنّ المولى لا يطلب من أرْجونا أن يرسّخ في ذهنه مزاج التساوي والرصانة أو الحفاظ على اللامبالاة للنتائج بشكل واعي في أثناء العمل. وأيّ محاولة من هذا النوع للحفاظ على التساوي والرصانة على المستوى الفكري يمكن فقط أن يؤدّي إلى التوتّر والبلادة في العقل. إن التأكيد هنا، كما في الآية السابقة، هو على كسب الذكاء الصافي، أو الكينونة. إنها حالة الكينونة هي التي تثقّف العقل لكي يكون أحادي التوجه، وهكذا يتحسّن تأثيره في أثناء العمل.

من سوء الحظ بأنه، لعدّة قرون ماضية، تم تفسير هذه الآيات ومثيلاتها مما قاله المولى كريشنا عن يوغا العمل بشكل خاطئ، وهذا ما تسبب للناس الناس بفقدان حماستهم ومثابرتهم على العمل باسم عدم التعلق. وكانت النتيجة تسيّباً وعجزاً وإضعاف التركيب الأساسية لكلّ من الحياة الفردية والاجتماعية.

ها هي الفلسفة لديناميكية التي يراد منها إلهام الإنسان المخذول وتقوّية عقله الطبيعي. لكن وبدلاً من ذلك، وبسبب سوء الفهم العامّ، أصبحت الوسيلة لتوقع الإنسان في كلّ حقول النشاط؛ لقد أصبحت التأثير المضعف للمسعى البشري.

إنّ الفلسفة الكاملة للكرما، أو لعمل، يتم توضيحها بشكل مفصّل إلى أرْجونا لكي يصبح شخصاً متكاملاً وديناميكياً.

يقول المولى: "جديرون بالشفقة أولئك الذين يعيشون من أجل ثمار العمل" – أولئك الذين يتطلّعون إلى نتائج أعمالهم من يجب أن نشفق عليهم لقد تم إساءة فهم هذا العبارة بشكل

خاص من قبل المفسّرين. لقد نصحوا الناس للعمل لكن دون أن يكون لهم الهدف في النتيجة. من المؤكّد، على أية حال، أنه يجب القيام بالعمل من أجل تحقيق بعض النتائج. لا يمكن تأدية العمل من دون النظر إلى بعض النتائج الواضحة. يقصد المولى هنا أن يظهر فقط لأَرْجونا مبدأ رفع قيمة العمل برفع مستوى العقل وتمكينه للارتفاع إلى حالة الوعي غير المحدود في الحرية الأبديّة.

عندما نريد إطلاق السهم، تكون الخطوة الأولى في شدّه على القوس. لكن وبدلاً من ذلك، وفي عجلة الأمور، أما إذا تم إطلاق السهم إلى الأمام من دون شدّه على وتر القوس، فلن يتحقق الهدف، لن يتم الوصول إلى الهدف، سيكون العمل من دون قوة ويبقى الفاعل غير مكتمل.

يقصد المولى بأنّهم جديرون بالشفقة أولئك الذين بمثل هذه العجلة لتحقيق ثمار العمل الذي باشروا بالقيام به من دون تحضير كافي لجعل العمل مفعم بالقوة. إنه ليسوا جديرين بالشفقة لأنهم يهدّفون إلى ثمار العمل، كما فسّر العديد من المفسرين بشكل خاطئ، بل لأنهم يخفقون في تحقيق الثمار الكاملة من عملهم. إنهم جديرون بالشفقة لأنهم لا يعرفون كيف يجعلون أعمالهم تعطي النتيجة القصوى وتجلب الاكتمال إلى تطلّعاتهم

إنهم جديرون بالشفقة لأنهم يهتمون للسبب، بل يهتمّون فقط للتأثير المسبب. بهذه الطريقة يفقدون الفرص للتحسين والربح الأكبر. إنّ الفكر هو المصدر أو المسبب للعمل. لذلك يقول المولى: "الجأ إلى الفكر" و " بعيد، حقاً، عن الفكر المتوازن هو العمل المجرد من العظمة". ما لم يكون عقله مسحوباً ويعود إلى الحالة المطلقة للفكر، ستكون التزامات الإنسان في العالم ضعيفة ولهذا السبب إنه يدعى جدير بالشفقة. إنه جدير بالشفقة، كما يرد في بريهادارانكيا أوبانيشاد، من يخفق في التواصل مع الوعي القدسي الداخلي. إنه جدير بالشفقة لأنه لا يقدر على التمتّع بالنتيجة الكاملة لأعماله ولا يتغلّب على تأثيرها الملزم.

يتم تأدية العمل على مستوى الحواس لكن له أصله في بداية عملية التفكير. تبدأ الفكرة من المستوى الأعمق للعقل؛ ويتم إدراكها على مستوى التفكير، حيث تأخذ شكل الرغبة؛

والرغبة، بدورها، تظهر نفسها على شكل عمل. لهذا يقول المولى بأنّ "الفكر المتوازن" وحقل العمل هما متباعدان جداً. الأول على مستوى طاقة الحياة المطلقة؛ والثاني على مستوى ضعيف ومبعثر من الطاقة لأن تركيز الطاقة يصبح أضعف مع تطوّر عملية ظهور الفكرة تطوّر في العمل. لهذا السبب يقول المولى بأنّهم مدعاة للشفقة الذين يتوجهون نحو العمل وحده، بدلاً من التوجه نحو الحالة الحازمة من الفكر أولاً وبعد ذلك إلى العمل لاحقاً.

إن من يمارس التأمل التجاوزي ويصبح متآلفاً مع الوعي القدسي الداخلي يتمتّع حقاً بأكبر ثمار العمل في العالم. وفي الوقت نفسه ينمو على نحو متزايد متحرراً من العبودية وينجز في النهاية تكامل الحياة .

هذه هي غاية تعاليم المولى كريشنا: الجأ إلى الفكر". إنها تقدّم المبدأ المثالي لتكامل الحياة ويؤمن تقنية بسيطة لتحقيقها.

يريد المولى من أرْجونا أن يكون عنده الاتهام العميق والمفهوم الواضح للعلاقة بين حالة اليوغا والعمل، وأيضا بين اليوغا والفاعل.

الآية الخمسون

مَن اتحد فكره مع الذات، يتخلص
من الخير والشر معاً. لذلك كرّس
نفسك لليوغا. إن اليوغا هي المهارة
في العمل.

يبرز المولى هنا التغاير للخصائص المتعارضة لليوغا والكارما (العمل). اليوغا هي في شدّ السهم؛ والكارما هي في إطلاق السهم.

إن الفرد الذي يحاول رمي السهم من دون شدّه أول على القوس يقال عنه بأن لديه إحساس سيّئ للعمل. لن تكون طلقته قوية، و سوف لن يذهب سهمه بعيداً لأنه لن ينطلق بقوة. إنهم حكماء في مهارة العمل أولئك الذين يشّدون السهم قبل أن يطلقوه إلى الأمام.

بينما يصبح العقل ثابتاً في الوعي التجاوزي، تصبح حالة الكينونة متغلغلة في الطبيعة الحقيقية للعقل، التي تكتسب بذلك منزلة الذكاء الكوني. ومع خروجه من الحالة التجاوزية للوعي، يستعيد الإنسان الفردية، التي واستناداً عليها يكون قادراً على التصرّف في الحقل النسبي للحياة، لكنّه يتصرّف الآن وهو مشبع بالكينونة. إن مثل هذا الشخص يكون بشكل طبيعي فوق تأثير الصواب والخطأ كما يكون رجل العمل الغني فوق تأثير الخسارة والربح.

في هذه الآية، يؤكّد المولى بأنّ تأثير اليوغا هو في رفع الإنسان إلى قوامه الحقيقي للحرية الأبديّة في الوعي القدسي، حيث سيبقى أبداً غير متأثّر بتأثير العمل، سواء كان جيد أو سيئ. هذا ليس لأنه يجب أن يكون مجرداً من الثمار الحسنة والسيئة لعمله، لكن لأن من حقّه في حينما يتمتّع بثمار أعماله، أن يتمتّع بحالة الحرية الأبديّة أيضاً.

إنه ليس العمل أو ثماره التي تربط الإنسان؛ لكن ما يربط هو عدم القابلية للحفاظ على الحرية التي تصبح وسيلة للعبودية. تزيل اليوغا عدم القابلية هذه. إنه مجد اليوغا الذي يزيد قوّة كلّ من الفعل والفاعل، ما يجلب الكرامة إلى الحياة في كلّ أوجهها.

تكمن العبودية بالتأكيد في حقل العمل، لكنّها ليست مولودة من العمل: إنها مولودة من ضعف الفاعل. عندما يتكبد رجل الأعمال الصغير الخسارة، يتأثر عقله بها بشكل كبير. هذا ما يخلق عنده انطباعاً عميقاً، يطفو هذا الانطباع على السطح ثانية بشكل رغبة للربح كلما توفّرت مؤتية لذلك إن الانطباع في العقل هو بذرة الرغبة التي تؤدّي إلى العمل. والعمل بدوره ينتج انطباعاً في العقل، وهكذا تستمر دورة الانطباع والرغبة والعمل، ما تجعل الإنسان مقيد في دورة السبب والتأثير، دورة الولادة والموت. هذا ما يدعى عموماً بالتأثير الملزم للعمل، عبودية الكارما.

عندما يقول المولى بأنّ أرْجونا سيتجاوز التأثير الملزم للصواب والخطأ. يوضح فوراً بأنّ هذا لن يكون نتيجة عدم العمل لكن ستكون نتيجة "لمهارة العمل".

ماذا هي "مهارة العمل"؟ إنها تقنية أداء العمل لكي تصبح العملية الكاملة سهلة. يكتمل العمل بأقلّ الجهد، تاركاً الفاعل ناضراً بما فيه الكفاية للتمتّع بكامل ثمار عمله وفي الوقت نفسه يبقى غير متأثّراً بتأثيره الملزم. وليس هذا فقط؛ بل يتم أداء العمل بسرعة لكي يبدأ الفاعل بالتمتّع بالنتائج فوراً. لا تسمح "المهارة في العمل" لأيّ تأثير سلبي من الخارج في أن يعيق أداء العمل، ولا تنتج أيّ تأثير سلبي لا على الفاعل ولا على أي فرد في أي مكان؛ بل بالعكس من ذلك، يكون التأثير الذي تخلقه إيجابياً بالكامل.

إذا تم تنفيذ عملية العمل مع ما يدعى هنا "مهارة العمل"، ينتج عنه نتائج جيدة في كلّ الاتجاهات ويمكّن الفاعل من اشتقاق الحدّ الأعلى من المنافع منه. وفي الوقت نفسه، يخفق في إنتاج التأثير الملزم عليه، هذا لأنه يؤثّر على الفاعل بطريقة بحيث أنّ ثماره لا تترك انطباع في عمق العقل بما فيه الكفاية لتشكيل بذرة العمل المستقبلي، وكون الفاعل مثبت في الذات، الكينونة الأبدية، فهو غير مرتبط إلى حقل النشاط

الآية الحادية والخمسون

إن الحكماء، المتّحد فكرهم حقاً مع الذات،
وبعد أن تخلوا عن الثمار المولودة من أعمالهم
وكونهم متحرّرين من روابط الولادة،
يصلون إلى حالة مجردة من المعاناة.

"متحررون من روابط الولادة": تشكل الولادة خطوة على الطريق الطويل للتطور. تستمرّ الولادات الواحدة بعد الأخرى إلى حين بلوغ هدف التطور. تصل الحياة الفردية إلى حالتها الأعلى للتطور عندما تجد نفسها ثابتة على مستوى الحياة الكونية، على مستوى الكينونة غير المحدودة والأبدية.

في هذه الآية، يتم حث أرْجونا كي يدرك بأنه بتثبيت عقله في الكينونة التجاوزية سوف يرتفع إلى حالة منفصلة عن مجال العمل ولا تمت له بصلة. يخبره المولى بأنّ الحكماء وبسبب ثباتهم في الكينونة، التي هي منفصلة بشكل طبيعي عن النشاط، يعيشون بشكل مباشر في الحرية الأبديّة وهم غي مرتبطين بثمار العمل. بثباتهم الكامل في الذكاء القدسي، يكسرون قيود العبودية ويتحررون بالرغم من بقائهم في حقل العمل، لأنهم أبداً في حالة الوجود الثابت الأبدي للكينونة المطلقة.

إنه طريق رائع إلى التنوير. يطلب المولى من أرْجونا الخروج بالكامل من حقل العمل: "كون من

دون الغونات الثلاثة، يا أرْجونا" (الآية 45). وعقب ذلك يدعوه للتصرّف بالقوة الكاملة (الآية 47). ومن ثمّ، يدمج هذان الأمران، يطلب المولى من أرْجونا أن يعمل مع بقائه ثابتاً في وعي الذات (الآيات 48 إلى 50). وفي الآية الحالية، يبيّن بأنّ العمل من هنا النوع يؤدّي إلى الوعي الكوني – التحرّر من كلّ المعاناة والعبودية في أثناء فترة الحياة هنا على الأرض. أعطي أرْجونا الطريق المنهجي والمباشر إلى الحالة الأعلى لتطوّر الإنسان.

إنّ الخطوة الأولى هي في جلب العقل إلى المتعالي التجاوزي. خلال التأمل التجاوزي، يتم جلب الانتباه من الاختبار السطحي إلى الحقول المرهفة من الاختبار إلى أن يتم تجاوز الاختبار المرهف ويكسب حالة الوعي التجاوزي. إنّ توجه العقل في هذا الاتجاه هو بسيط جداً وكأنه تلقائي؛ ومع دخوله في اختبار ذات طبيعة مرهفة، يشعر العقل بالانجذاب المتزايد لأنه يتوجه نحو الغبطة المطلقة. عندما يصل العقل إلى الوعي التجاوزي لا يبقى عقلاً واعياً؛ فهو يكسب منزلة الكينونة المطلقة. إن هذه الحالة من الوعي الصافي التجاوزي، المعروفة كذلك بالوعي الذاتي أو الإدراك الذاتي أو السمادي، تمثّل التغلغل الكامل للكينونة الكونية في العقل الفردي. وبعد هذا التغلغل، وعندما، يخرج العقل ثانية إلى حقل النسبية، وكونه يعود مرة أخرى إلى حالة العقل الفردي، يتصرّف في حين يكون ثابتاً في الكينونة. يدعى مثل هذا العمل الكارما يوغا؛ إنه استناداً إلى الكارما يوغا يتم معيشة الكينونة التجاوزية في حقل النشاط وعندما يبدأ عيش الامتلاء الكامل للكينونة في حقل النشاط، الحقل النسبي للحياة، عندئذ يكسب الفرد الحياة الأبديّة الشاملة في الحرية المطلقة. ذلك هو الوعي الكوني، جيفان موكتي. تلك هي الحالة التي منها يقول المولى: "فكرهم متحّد حقاً بالذات".

قد نقول أنّ هناك خطوة واحدة وحيدة على الطريق إلى هذه الحالة للوعي الكوني: الخروج من حقل العمل إلى المتعالي التجاوزي والعودة إلى العمل ثانية. هكذا نجد الإنسان يصل تطوره الأعلى على الطبقة التي يكون فيها. يجب عليه فقط أن يأخذ نفسه إلى الحقل الذي هو خارج العمل ويعود ثانية إلى حقله الطبيعي للنشاط يغطس الفرد في البحر ويصل القاع ويجمع

اللآلئ ويخرج من الماء للتمتّع بقيمتها – يتم القيام بالعمل الكامل في عملية غطس واحدة.
تكمن تقنية الغوص فقط في أخذ الزاوية الصحيحة وبعد ذلك تركها تذهب في مداها؛ أما الوصول إلى القاع والمجيء باللآلئ يلي ذلك بشكل تلقائي.

إن ما يجب على الباحث عن الحقيقة أن يفعله فقط هو تعلّم كيف يأخذ الذاوية الصحيحة كي يغطس في الداخل. هذا ما سينتج عنه وعي الذات بشكل طبيعي جداً ، والذي بدوره يتطوّر إلى الوعي الكوني بطريقة طبيعية أكثر؛ إن العملية الكاملة تسير بذاتها.

إنّ حالة الوعي الكوني تشمل الوعي التجاوزي بالإضافة إلى من وعي النظام النسبي؛ إنها تجلب المنزلة الكونية إلى الحياة الفردية. عندما يحقق الوعي الفردي منزلة الوجود الكوني، وبالرغم من كلّ التعقيدات الواضحة للفردية، يكون الإنسان متحرراً بشكل دائم، من أي وجهة للزمان أو المكان أو المسبب، يكون أبداً خارج نطاق العبودية. هذه الحالة من الحرية الأبديّة، المعروضة هنا من حيث المبدأ، هي نتيجة ثبات العقل في حالة الوعي التجاوزي.
يخبر المولى أرْجونا بأنّه عندما يصبح ثابتاً في الحرية الأبديّة للذكاء القدسي، ستصبح حياته بشكل طبيعي مليئة بالمعاني. لهذا السبب هو لا يحتاج بعد للبحث عن معنى كلّ كلمات الحكمة التي قد يسمعها أو ربّما يكون قد سمعها، كما توضح الآية التالية.

الآية الثانية والخمسون

عندما يعبر فكرك مستنقع الضلال،
ستكسب صفة اللامبالاة لكل ما سمعت
ولكل ما سوف تسمع.

ينغمس أرْجونا بما تعلّمه عن الصواب والخطأ. لم تمنعه كلّ معرفته من الكتب المقدّسة من

السقوط إلى حالة التعليق، ولم تحميه من أن يصبح غير ناشط ما زال ممسوكاً في حالة التعليق. سيتغلّب على هذا فقط عندما يرتفع فكره فوق الثنائية ويصل إلى حقل الوعي التجاوزي الصافي.

إنّ حالة الإدراك هي خلف تعقيدات الفكرة والكلام والعمل؛ بوصوله إليها يرتفع الفرد حقاً فوق الشكّ والضلال.

يلخّص المولى هنا كلّ ما أخبر أرْجونا حتى الآن. لقد وصف إليه الحالة الحقيقية لليوغا، الحالة التي ترضي كل من الفكر والقلب لأنها وبجلب الاكتمال لكليهما، لا تترك أي فرصة للشكّ أو عدم الطمأنينة في أي المجال. إنّ التأكيد في هذه الآية على ممارسة الوصول إلى الوعي التجاوزي والسماح للفكر في كسب النقاوة. هذا ما سيعني اكتمال كلّ حكمة الحياة، لكلّ ما سمع في الماضي وكلّ ما يستحقّ سماعه في المستقبل. "لكل ما سمعت ولكل ما سوف تسمع" سيتم إلغائه باختبار الحقيقة، لأن كلّ السمع عن الحقيقة يكسب الاكتمال في اختبارها المباشر.

تأخذ هذه الآية الفرد إلى مستوى الحياة الخالي من المشاكل. إنها توضح الحالة التي سيكسب فيها الفرد "اللامبالاة"، وبذلك تظهر الطريق إلى "التخلي عن الارتباط"، كما هو مطلوب في الآية 48.

الآية الثالثة والخمسون

عندما يقع فكرك في حيرة في
النصوص الفيدية، سيقف بلا تأرجح،
ثابت في الذات، عندئذ ستبلغ اليوغا.

"النصوص الفيدية": يشير هذا إلى الآيات 42 إلى 44.

تشرح نصوص الفيدا حكمة الصواب والخطأ في المستويات المختلفة من التطوّر. فهي تجعل الحقل الكامل للحياة مفتوحاً، تاركة الإنسان يتخذ خياره في كيفية المضي قدماً على طريق تطوره. لذلك من الممكن جداً للعقل المتأثّر بالتعاليم الفيدية، وبوجود مثل هذا المدى الواسع من المعرفة تحت تصرّفه، أن يصبح محيّراً. لكن في المرة التي يلجأ فيها إلى طبيعته الخاصة، يقف العقل "ثابتاً". في هذه الحالة الحازمة، عندما يتجاوز الحقل الكامل للحياة النسبية، يكسب الوعي الذاتية، أي الإدراك الصافي؛ وعندما لا يفقد هذه الحالة الصافية للوعي تحت أيّ تأثير، تتحقق اليوغا، أو المهارة في العمل.

تشمل الحكمة الفيدية العبارات المختلفة عن الحقيقة، كما يتم رأيتها من وجهات النظر المختلفة وكما تعلّم في مدارس الفكر المختلفة. هذه النظريات المنوّعة تقصد بها إرضاء المستويات المختلفة للفهم البشري، إن غاية الفيدا هي في كونها من أجل تنوير الناس من كلّ الأنواع.

عندما يرى الفرد من المنظورات المختلفة في الأدب الفيدي، قد يرتبك باختلافات الرأي حول طريق الإدراك لكن عندما يصل العقل إلى السمادي، أي الوعي التجاوزي، يكون قد وصل إلى هدف كلّ الطرق. فتقف هذه الحالة الحازمة للعقل في بلوغ الهدف بوضوح كامل، خالية من أيّ إرباك حول الطريق نحوها.

من مركز الحقيقة، يتم رؤية المحيط الكامل للحياة ليكون منسجماً جداً، لأنه عندما يجد المركز يصبح من الواضح أن يلتقي كل شعاع مهما بلغ عددها من المحيط نحو نقطة وحيدة. إذا لم يجد المركز، سينظر إلى كل شعاع بأنه منفصل عن الآخر من دون نقطة تجمّع مشتركة. لهذا السبب يؤكّد المولى على أهمية الاختبار المباشر للسمادي، أي الوعي الصافي. هذا الأمر وحده يمكنه أن يبدّد حيرة العقل.

إنّ غاية الآية الحالية هي في أن تقوّي التعاليم المعطاة من قبل المولى في الآية الخامس

والأربعون؛ إنها ليست، وبأية طريقة، لدحض صلاحية المعرفة المتضمنة في النصوص الفيدية، ومن دونها لن يكون الرضا الفكري ممكناً. تصبح المعرفة الكتابية هامّة عندما يتم اختبار الحقيقة مباشرة.

تعني اليوغا هنا "مهارة العمل"، كما تم التعريف عنها في الآية الخمسين. يجعلها المولى سهلة جداً إلى أرْجونا الذي ما لم يصل عقله إلى الوعي التجاوزي أولاً، وما لم يكن الفكر بعد ذلك بلا تأرجح وثابت في هذه الحالة من الوعي الصافي، وبمعنى آخر، ما لم يبلغ الوعي الكوني، لا يستطيع الحصول على اليوغا، أو المهارة في العمل.

لكي يفهم بعمق أكثر كيف أن الوعي التجاوزي متوافق مع العمل ويسبّب المهارة في العمل، يسأل أرْجونا، في الآية التالية سؤال عملي جداً.

الآية الرابعة والخمسون

قال أرْجونا:

ما هي الدلائل التي تشير إلى الإنسان

الثابت فكره، المستغرق في الذات،

يا كيشافا؟ كيف يتكلم الإنسان صاحب

الفكر الثابت؟ كيف يجلس؟ وكيف يمشي؟

يظهر سؤال أرْجونا بأنّ الحديث وإلى هذه النقطة قد تم فهمه بشكل واضح جداً من قبله وبأن عقله متناغم مع فكر المولى كريشنا.

"كيشافا" تعني الشخص صاحب الشعر الطويل، المولى كريشنا. عندما يسأل أرْجونا عن "الدلائل" الخارجية لإنسان ذو الفكر الثابت، يخاطب المولى كريشنا باسم يشير إلى مظهره

الخارجي. يريد أرْجونا معرفة الخصائص المتميّزة للإنسان ذو الفكر الثابت في كلا الحالتين، عندما يكون في أعماق ذاته، منسحباً من النشاط، وعندما يكون نشيطاً.
هناك طريقتان للحياة: تلك التي تخص رب البيت وتلك التي تخص الناسك. إن الكارما يوغا هي طريق رب البيت، بينما السانكهيا أيّ طريق المعرفة، هي للناسك يحقق هذان النوعان من الرجال حالة الفكر الثابت، وبعد بلوغها، يرتفعا فوق تعقيدات الحياة والمجتمع. تمثل حياتهما الجمع بين الوجود الفردي والكوني. إن الحرية التي يعيشونها والاستشراف الكوني الذي يتحلّون يلهم المجتمع الذي ينتمون إليه. إن حياتهما هي التعبير عن تلك القيم النهائية التي هي أساس القيم الاجتماعية لكلّ زمن. حيثما يكونان، أكانا مشغولان في السوق، أو صامتان في كهف في الهملايا، يكونان النور الهادي للجنس البشري. يسأل أرْجونا عن بعض الدلائل، عن بعض العلامات المميّزة لمثل هذه الأنفس. كونه رجل عملي فهو يريد معرفة الدلائل الخارجية لحياة الاكتمال الداخلي.
يظهر السؤال بأنّ عقله هو أوضح في هذه اللحظة مما كان في بداية هذا الفصل، عندما لم يستطع أن يفكّر بشكل حاسم إنه يشير أيضاً إلى قوّة تعاليم السانكهيا واليوغا لتوضيح عقل الإنسان ورفع وعيه.
يستمع أرْجونا إلى المولى كريشنا بشكل هادئ. إن الحديث في ثلاثة وأربعون آية (من 11 إلى 53) قد حوّل حالته في التعليق إلى أفكار ذات طبيعة ملموسة. لم يعد منشغلاً بأفكار الحزن، يرتفع عقله الآن ليسأل عن الوجهة العملية للحالة المتكاملة للحياة. وقد حدث هذا التحويل في غضون خمسة أو عشرة دقائق، الوقت المطلوب لتكلّم هذه الآيات.
لقد تمت الإجابة على سؤاله في الآيات الثمانية عشر التالية، التي تقدّم خصائص الرجال المدركين الذين اكتسبوا الفكر الثابت، سواء بترك العمل من خلال معرفة السانكهيا، أو عن طريق الكارما يوغا.

الآية الخامسة والخمسون

قال المولى المبارك:

عندما يبتعد الإنسان بالكامل عن كل
الرغبات التي تغلغلت (بعمق) في العقل،
يا بارتا، وعندما يكون راضياً في الذات
من الذات وحدها، عندئذ يقال عنه ثابت الفكر.

يخاطب المولى كريشنا هنا أرْجونا منادياً إياه "بارتا". هذا من أجل الحفاظ على مدّ الحبّ الذي ينتج عن استعمال هذه الكلمة ذاتها التي استعملها عندما تكلّم مع أرْجونا للمرة الأولى على ساحة المعركة. الآن وعندما وجد المولى عقل أرْجونا يفكّر على مستوى عملي أكثر، لا يزال يريد أن تبقى صفات قلب أرْجونا على ارتفاعها وأن لا تحجب بأولئك الصفات للعقل.

تقدّم هذه الآية "الفكر الثابت" في حالة السمادي، أي الوعي التجاوزي، وأيضا في حالة نيتيا- سمادي، أي الوعي الكوني؛ في كلا الحالتين يكسب العقل تلك الحالة التي يكون فيها "قد أبعد كلّ الرغبات بالكامل التي تغلغلت (بعمق) في العقل".

عندما يكسب العقل خلال ممارسة التأمل التجاوزي الوعي التجاوزي، يكون بالكامل خارج حقل الرغبات. هذا هو "الفكر الثابت" في حالة السمادي.

كيف يتم المحافظة إذاً على "الفكر الثابت" في نيتيا- سمادي، عندما يظلّ العقل الثابت في الوعي الصافي، منشغلاً في حقل العمل؟ لأنه وفي هذه الحالة، قد تحوّل العقل إلى وعي الغبطة، يتم العيش في الكينونة بشكل دائم كونها منفصلة عن النشاط ومن ثمّ يدرك الإنسان بأنّ ذاته هي مختلفة عن العقل المشغول بالأفكار والرغبات. إنه يختبر الآن بأن العقل، الذي

كان قد تحدد بالرغبات، يتحدد بشكل رئيسي مع الذات. إنه يختبر رغبات العقل كأنها موجودة خارج ذاته، حيث اعتاد على اختبار ذاته كأنها مرتبطة بالرغبات بالكامل. من المؤكد أن تستمر الرغبات على سطح العقل، لكن في الأعماق الداخلية للعقل فهي غير متواجدة، لأن أعماق العقل تتحوّل إلى طبيعة الذات. لقد تم قذف كلّ الرغبات التي كانت موجودة في العقل صعوداً، وإذا جاز التعبير – لقد ذهبوا إلى السطح، وفي داخل العقل، يكسب الفكر المرهف منزلة لا تتأرجح ولا تتحرك. لقد رست "براغيا" في "كوتاستها". هذا هو "الفكر الثابت" في حالة نيتيا – سمادي، أي الوعي الكوني.

هكذا يكسب الفكر المتأرجح قاعدة مستقرّة جداً، وكنتيجة لذلك يتم إدارة حقل النشاط بكفاءة عظيمة. من الخطأ جداً التفكير بأن الفرد الذي اكتسب هذه الحالة يبقى غارقاً في القصور الذاتي ولا يلتزم بالعمل. هذه الحالة من الحياة بمثابة الحفاظ على حرية الكينونة الداخلية، فتبقيها غير متورطة بالنشاط، وفي الوقت نفسه تتعامل مع كلّ الأعمال بشكل كفء جداً وبنجاح.

إنّ كلمة "عندما" هي مهمة جداً. فهي تشير أنّه يقال عن الفرد أنه صاحب "الفكر الثابت" فقط عندما يكسب الفرد الوعي التجاوزي، حالة الانفصال عن النشاط؛ أو عندما يكسب الفرد الوعي الكوني، الحالة التي يحافظ فيها الفرد على الوعي الذاتي حتى مع حالات وعي اليقظة والحلم والنوم، وحيث تبقى الذات، أي الكينونة غير محجوبة بأيّ اختبار على الإطلاق.

من الخطأ الاستنتاج بأن الناسك وحده، الذي ترك كلّ الرغبات الدنيوية، يمكنه أن يبلغ هذه حالة "للفكر الثابت". يمكن اكتسابها من قبل أي فرد من خلال ممارسة التأمل التجاوزي.

إن طريقة الحياة النسك ليست بالضرورة أن تنتج الظرف الذي فيه " يبتعد الإنسان بالكامل عن كل الرغبات التي تغلغلت (بعمق) في العقل". إنّ الحالة الموصوفة في هذه العبارة ليس لها علاقة بأيّ طريقة معيّنة للحياة، يشير المولى كريشنا بشكل واضح إلى الحالة التي فيها يكون الفرد خالياً من الرغبات و"راضياً في الذات". ويتم بلوغ ذلك بسهولة من قبل أي فرد

يعرف كيف يتأمّل ويتجاوز النسبية، سواء كان ناسكاً أو رب بيت، سواء تأمّل في القصر أو الكهف.

يقول شانكرا الذي هو المفسر العظيم لفلسفة الحياة المتكاملة، في تفسيره لهذه الآية: "بالاختبار المباشر لإكسير الغبطة لحقيقة المتجاوز، يحفظ الفكر الثابت نفسه بشكل مطلق من دون أيّ شيء ما عدا ذاته". ومرة يعرّف عن رجل الفكر الثابت في الكلمات التالية: "إن من يكون عقله مولوداً من إدراك التمييز بين النهائي وغير النهائي، هو مستقرٌ؛ إنه رجل الفكر الثابت. إن الفهم الفكري المكتسب من التحليل والتمييز بين الأوجه النهائية وغير النهائية للحياة لا تنتج حالة الفكر الثابت. تبقى مثل هذه الممارسات كما يفعلون على مستوى التفكير، يمكنها أن تخلق، في أحسن الأحوال، مزاجاً للعقل؛ إنها بالتأكيد لن تنتج الحالة العقلية التي تدعى "الفكر الثابت". ينتج هذا فقط من الاختبار المباشرة للوعي الصافي إلى مثل هذا الدرجة من الوضوح التي يتم فيها إدراك الاختلاف بين "النهائي" و "غير النهائي" بشكل واضح ويتم تقديره على المستوى الفكري أيضاً.

هكذا يعتقد شانكرا بوضوح أنّ هذه الحالة للفكر الثابت تنتج بممارسة تجاوز النسبية، كما تم التعبير عنها في الآية 45، وليس بمجرّد ترداد الكلمات حول ذلك أو بمجرّد محاولة فهمها. إنّ عملية الاختبار تختلف كثيراً عن تلك التي تتطلب التمييز الفكري بين الحقيقة وعدم الحقيقة.

يجب أن يكون ذلك كافياً لإزالة سوء الفهم الذي خلقه المفسرين أو المترجمين للبهاغافاد غيتا الذين يعقدون بأنّ النساك فقط هم من يتمكن اكتساب الفكر الثابت، هذه النظرة هي المسؤولة عن الانحطاط الروحي في المجتمع الحديث. لسوء الحظ، لقد تم إساءة فهم وجهة نظر شانكرا الخاصة من قبل المفسرين الذين تعهّدوا بنشر فلسفته. يبدو أنهم أضاعوا الجزء المركزي للحياة الروحية – الوعي التجاوزي والطريق المباشر إلى إدراكه. وكنتيجة لذلك، اعتبروا بأن كلّ شيء يستهدف تفسير عملية التجاوز ينتمي إلى طريق الزهد وينسب إلى

طريقة التنسك في الحياة. يلقي هذا الضعف في البصيرة في المبدأ بمحور الحياة الروحية على نظام التنسك، وبذلك منع رب البيت من المكاسب الروحانية، وقذف كلّ الإنسانية خارج الملتقى.

لا تدوّن هذه الآية أيّ إشارة خارجية للإنسان صاحب الفكر الثابت الذي هو ثابتٌ في الذات، لأنه من غير الممكن أن يكون هناك أي أيّ إشارة خارجية لتظهر أن الإنسان مستغرقاً بعمق في داخل ذاته. لا يمكن الحكم على الحالة الداخلية لمثل هذا الإنسان بالإشارات الخارجية. لا يمكن القول بأنّه يجلس على هذا النحو أو ذاك، أو أنّه يغلق عينيه بأيّ أسلوب معيّن. لا يمكن لمثل هذه الإشارات الخارجية أن تعتبر بأنها معايير لهذه الحالة.

يمكن للإنسان أن يجلس بأيّ أسلوب ويدخل في أعماق ذاته ويكون في وعي الغبطة. قد يقال أنه عندما يدخل شخص ما في السمادي يصبح وجهه أكثر توهّجاً وهدوءاً، لكن لا يمكن أن يقاس ذلك بأيّ معيار ثابت. لهذا السبب لا يدخل المولى في الحديث عن أيّ من هذه الأوصاف. إن الإشارات الواردة هنا هي ذاتية فقط إنها تتعلّق بالظروف الداخلية للعقل كما أشير إليها بالقول: "يبعد عن كل الرغبات" و "يكون راضياً في الذات".

تكشف هذه الآية أساس الفكر الثابت: إدراك الكينونة في الوعي التجاوزي أو في الوعي الكوني. تظهر الآية التالية طبيعة الإنسان الذي اكتسب الفكر الثابت. تصف الآية 57 طبيعة الوسائل التي يتصرّف بها في حالة الفكر الثابت: عدم التعلق. وتوضّح الآية 58 طبيعة نشاطه في هذه الحالة: حواسه منسحبة من مدركاتها. وأخيراً، تشير الآية 59 إلى التأثير غير المرئي على الفكر الثابت. إنها تظهر بأن الحواس ليست منسحبة من مدركاتها فقط، بل يختفي تذوقها أيضاً لهذه المدركات عندما يكشف العلي ذاته إليها في عظمته غير المحدودة – عندما يجيء العلي كي يعيش على المستوى الحسّي للوجود. تكشف هذه الآيات الخمس سويّة أسس "الفكر الثابت".

الآية السادسة والخمسون

إن من لا يضطرب عقله وسط الأحزان،
ومن يتحرّر من التشوّق وسط الرغبات
والملذات، من رحلت عنه صفات التعلّق
والخوف والغضب، هو من يسمى
حكيماً ثابت الفكر.

"الحكيم" (موني) يتم التعريف عنه في هذه الآية.

يبدأ المولى بإجابة سؤال أرْجونا حول الإنسان صاحب الفكر الثابت، الذي يحافظ بشكل طبيعي على التوازن في العقل في حين يواصل التصرّف في حقل الوجود النسبي. لا تؤمن الآية أيّ إشارات ذات طبيعة موضوعية، لكنّها تصف الوجهة الذاتية للإنسان صاحب الفكر الثابت. تماماً مثل المليونير الذي يملك ثروة كبيرة فيبقى غير متأثّر بصعود السوق أو هبوط، كذلك يبقى العقل الذي اكتسب حالة وعي الغبطة خلال التأمل التجاوزية بشكل طبيعي مطمئناً عند الخروج من الحالة التجاوزية إلى حقل النشاط هذه الطمأنينة، الراسخة في

الطبيعة الحقيقية للعقل، لا تسمح للعقل أن يتردّد ويكون متأثّراً بالمتعة أو الألم، ولا يسمح له أن يصبح متأثّراً بالارتباط أو الخوف في العالم. هذه الرصانة والاتزان الطبيعي للعقل، حتى عندما يكون منشغلاً بشكل نشيط، هي حالة الفكر الثابت.

تظهر "الأحزان" في العقل من خلال الحاجة للفهم. عندما يفهم الفرد مقداراً قليلاً من الحياة وليس أكثر، مفتقراً إلى رؤية المدى الكامل للحياة، يشعر الفرد بالحزن. لكن الرجل الذي يفهم كلّ من المرحلة الأبديّة الثابتة للحياة والطبيعة التي لا تنتهي للدورة الدائمة التغيّر للحياة والموت سيدرك الطبيعة العابرة للحزن ولا يكون مغموراً بها.

إن شعور الحزن في القلب، بأنه متميّز عن العقل، هو بسبب قلة بالاكتمال وقلة الحبّ وقلة السعادة. إن من يمارس التأمل التجاوزي يختبر الغبطة التي تملأ القلب وتجلب الطمأنينة الأبديّة، التي لن تفسح المجال لأيّ عاطفة سلبية، للحزن أو الكآبة أو الخوف أو ما شابه ذلك كما لا تفسح المجال لموجات البهجة أو العواطف الإيجابية الأخرى لأن القلب ممتلئ طبيعياً بالطمأنينة. إنه مثل قلب الرجل البالغ الذي لا يتأثّر باللعب التي تخلق العواطف الكبيرة في قلوب الأطفال.

يرفع اختبار الوعي التجاوزي وعي الإنسان إلى المستوى حيث يجد فيه ذاته منفصلة بالكامل عن كلّ نشاط، ومن الطبيعي أن تتغيّر قيمه. تختلف قيم الحياة في المستويات المختلفة من التطور. لهذا السبب، عندما يُنظر إلى السلوك الطبيعي للإنسان صاحب الفكر الثابت، المثبت على مستوى الوعي القدسي، من المستوى العادي للوعي البشري، يبدو مختلفاً وأكثر من الوضع الطبيعي – يكون غير متأرجح بالمتعة والألم والخوف والغضب.

إنّ أساس مثل هذه الحالة الخالية من التعلق للحياة يتم شرحها في الآية التالية.

الآية السابعة والخمسون

إن من ليس له ولع مفرط بأي شيء،
من لا يبتهج أو لا يرتد عند كسب
ما هو حسن أو سيئ، يكون عقله ثابتاً.

إن الإنسان الذي يثبت عقله في أحادي وعي الغبطة يعرف من اختباره أنّ ذاته منفصلة عن كلّ نشاط يتصرّف في حقل النسبية، لكن لا يمكن لاختباره أن يحدث عنده أيّ انطباع عميق. لهذا السبب يبقى مستقيماً بشكل طبيعي في مظهره وسلوكه مع الآخرين، حتى حينما يختبر الطبيعة المتنوّعة للعالم.

لقد قدّم الكثير من المفسرين لهذه الآيات الفكرة بأنه من أجل تحقيق حالة الفكر المثبت يجب على الفرد أن يحاول أن يكون محايداً وبعيداً عن التعلّق. لكن في حقل السلوك واختبار الإجهاد في المحاولة ليكون محايداً وبعيداً عن التعلّق، ومحاولة تصنّع مزاج الرصانة والتوازن في المتعة والألم، يجلب فقط الضواغط غير الطبيعية التي لا داعي لها إلى عقله، ما يؤدّي إلى تطوّر حالة مشوّهة وغير طبيعية من الشخصية الداخلية. لقد تسبب هذا النوع من الممارسة في جلب البلادة والتصنع والتوتّر إلى الحياة باسم التطور الروحي؛ فقد أفسدت تألق الكثير من العباقرة في كلّ جيل لقرون سابقة. وكنتيجة لذلك، نمى في المستويات الذكية في المجتمع في كافة أنحاء العالم نوع من الخوف من الحياة الروحية، التي ذهبت إلى حدّ بعيد إلى أن الشباب والنشيطين يواجهون اليوم الجدل المحرج حول الممارسات الروحية.

في إجابته على سؤال أرْجونا، أراد المولى أن يطمئنه بأنه من خلال ممارسة التأمل التجاوزي، يصبح العقل متشرباً للذكاء والغبطة القدسية. وفيما بعد، حتى حينما يتصرّف الفرد في العالم، تبقي حالة الرصانة بشكل طبيعي.

لا يمكن تفسير هذه الآية من باب تصنع المزاج، أو السيطرة على العقل في محاولة عيش

المساواة بشكل منطقي. إنها تظهر بأن الإنسان صاحب الفكر الثابت هو بطبيعته راسخ في عدم التعلق.

لسوء الحظ، ذهب بعض المفسرين إلى هذا الحدّ في إساءة الفهم لحقيقة لهذه الآية بالنسبة إلى حدّ الامتناع عن التمتّع بالزهرة المتفتحة بالكامل أو الرفض الكامل لزهرة باهتة. وهذا الطريقة في جعل حياة باردة ومجردة من صفات القلب قد تم التوصية بها كونها طريقة كسب ثبات الفكر. إنها عمل وحشيّ للحياة!

من الخطأ تقليد سلوك الإنسان المدرك في حين لا نزال في الحالة عدم الإدراك إذا رفع رجل فقير شعار الرجل الغني وحاول أن يتصرّف مثله، من الممكن أن يؤدّي ذلك إلى التوتّر فقط بتقليد سلوك الرجل الغني بشكل سطحي، لا يمكنه أن يصبح غنياً. وبنفس الطريقة، لن يعطي سلوك الإنسان صاحب الفكر الثابت أي معيار للفرد الذي لم يثبت فكره بعد. إذا حاول السير في طريقه، ستصبح حياته باردة ومحرومة من صفات القلب والعقل. لقد كان هذا قدر الكثير من الباحثين المخلصين عن الحقيقة عبر العصور. إن التفسيرات الخاطئة لمثل هذه الآيات، الموجودة في كلّ النصوص تقريباً، هي المسؤولة عن المحنة الروحية لأجيال غير معدودة.

لا يجب أن ننسى بأنّ هناك طريقتين للحياة، تلك التي تخص رب البيت أو التي تخص الناسك سيستمرّ الناس من كلتا الطريقتين الذين يتأمّلون ويصلون إلى حالة الفكر الثابت في طرق حياتهم الخاصات. ينتمي رب البيت طبيعياً، إلى حقل النشاط بكلّ تنويع الوجود الظاهري، ويواصل التصرّف في العالم، في حين يستمرّ الناسك ابتعاده عن الشؤون الدنيوية. تجلب حالة الفكر الثابت ببساطة لهما الاكتمال. يرتفعان فوق التعلّق وعدم التعلق، يجدا حياتهما على مستوى الخلود، غير محدودين بأيّ قيود للزمان والمكان والسببية، بعيدا فوق حدود أيّ روابط أو التزامات اجتماعية. إن حياتهما هي في الوعي الكوني. هما فوق اختلاف النهار والليل: اليقظة أو النوم هما ثابتان في وحدانية الذكاء والغبطة القدسية. إن هذا العالم من البهجة

والحزن، من عظمة المغامرة والطموح عند الإنسان، بالنسبة لهما مثل عالم الدمى واللعب الذي به يلعب الأطفال ويمتعون أنفسهم إن الألعاب هي مصدر الحماس الكبير للأطفال، لكن البالغين يبقون غير متأثّرين بها. يبقى الإنسان صاحب الفكر الثابت مستوياً ولا يبتهج أو يرتدّ "عند كسب ما هو حسن أو سيئ"

من ليس له ولع مفرط" تعني أنه لا يتعلق كثيراً بشكل عاطفي. لكن هذا لا يشير ضمناً إلى أنّ الإنسان صاحب الفكر الثابت هو بارود ويفتقد إلى دفء القلب. بل وعكس لذلك، إنه وحدة إنساناً ذات قلب كامل. إنه بحراً غير محدود من الحبّ والسعادة. يتدفق الحبّ السعادة عنده وتفيض لكلّ شخص بطريقة مشابهة؛ لهذا السبب ليس له "ليس له ولع مفرط بأي شيء".

يمكن القول بأنّ طبيعة عدم التعلق والثبات للإنسان صاحب الفكر الثابت، الموصوفة في الآية السابقة، تستند على مبدأ عدم الارتباط، كما يتم تعليمها في هذه الآية. تنمو مثل هذه الصفة لعدم التعلق بشكل طبيعي مع نمو الوعي على الذات بأنها منفصل عن النشاط هذه الحالة الطبيعية ذاتها لعدم التعلق هي في أساس النشاط في حالة الفكر الثابت حتى عندما تبقى الحواس "منسحبة" من مدركاتها، كما تعرض في الآية التالية.

الآية الثامنة والخمسون

وعندما يسحب مثل هذا الإنسان
حواسه من مدركاتها، كما تسحب
السلحفاة أطرافها من كلّ الجوانب،
يكون فكره ثابتاً.

تصوّر هذه الآية حالة الحواس للإنسان صاحب الفكر الثابت بالمقارنة مع الأطراف المنسحبة إلى الداخل للسلحفاة التي تبدو من خارج أنها ليس لديها أية أطراف بتاتاً. بهذا المثل، يشير المولى أيضاً إلى أنّه ليس من الممكن التعبير بشكل صحيح عن الإشارات الخارجية أو العلامات المميّزة للإنسان الثابت الفكر. لكن هناك على الأقل شيء واحد واضح – إن حواسه مسحوبة إلى الداخل، فهي ليست متجهة في الاتّجاه الخارجي.

يظهر بأنّ الإنسان صاحب الفكر الثابت المشار إليه في هذه الآية هو فقط من هو في حالة الوعي التجاوزي، لأنه في هذه الحالة وحدها تكون الحزاس منسحبة بالكامل من مدركاتها. لكن "يسحب حواسه" لا تعني بالضرورة بأنّ الحواس لا تختبر المدركات الخارجية، كما في حالة الوعي التجاوزي. يمكن للحواس أن تتورط في الاختبارات الخارجية وأن لا تكون مستغرقة كلياً بها إلى حدّ أنّ تحوّل إلى العقل انطباعات عميقة تكون كافية لتصبح بذرة الرغبات المستقبلية. من المهم جداً فهم الآية بهذه الطريقة؛ وإلا، قد يتوجب على الإنسان صاحب الفكر الثابت أن يبقى إلى الأبد خارج مجال النشاط الحسّي، ما هو مستحيلٌ جسدياً. إن الفكر الثابت له، في الحقيقة، القليل لقيام به من نشاط الحواس أو عدم نشاطها؛ تكمن أسسه في الحالة الطبيعية لعدم التعلّق كما هي موصوفة في الآية السابقة. إنها سهلة، لذلك، إن الآية الحالية لا تشير إلى الوعي التجاوزي وحده بل تشير أيضاً إلى الوعي الكوني، حيث أنّه ممكناً للحواس أن تكون في حالة عدم التعلّق حتى عندما تكون نشطة.

يؤكّد المولى هنا بأنّه في حالة الفكر الثابت تبقى الحواس وكأنها منسحبة من مدركاتها كونها متحررة من التجاذب نحوها. عندما يكون العقل محدداً بشكل رئيسي مع الكينونة الداخلية، لا تربط الحواس ذاتها بمدركاتها. علاوة على ذلك تظهر الآية المقبلة بأنّه عندما تتعرّض الحواس إلى العظمة غير المحدودة الأسمى، فهي تفقد طعم مدركاتها. هذا ما يوضح بأنّه عندما تملأ الكينونة المتجاوزة العقل ويبدأ عيشها على المستوى الحسّي، يكون الفكر ثابتاً.

إنه هذه الحالة هي مختلفة جداً عن حالة عدم الانغماس للحواس، التي بالتأكيد ليست بالمعيار المطلق للفكر الثابت. إن الإنسان الذي، وبسبب بعض الظروف، لا يتمتّع بمدركات الحواس قد يبدو مثل السلحفاة المنسحبة إلى الداخل، بالرغم من أن العقل في الداخل قد يكون نشيطاً، ومستغرقاً بشكل هادئ في فكرة بهجة الحواس. إن مثل هذه الحالة العقلية من الواضح أنها ليست الحالة الحازمة؛ إنها ليست الفكر الثابت.

إن المبدأ المشروح هنا لا يعتمد على ما إذا كانت الحواس نشيطة أم لا. إنها تكشف الظرف الداخلي لعدم التعلق، على المستوى الحسّي، في حالة الفكر الثابت.

الآية التاسعة والخمسون

تبتعد مدرَكات الحواس عنه من لا يغذّيها،
ولكن تذوّقها يستمر، وعند رؤية الأسمى
حتى هذا التذوّق يتوقف.

"لكن تذوّقها يستمر" تعني بأنّ العقل يواصل اختبار المدركات من خلال المستويات الأدق للحواس. وبهذا تمييز بين الحقول السطحية والحقول المرهفة للإدراك الحسّي، يقصد المولى أن يقول بأنه في حالة الفكر الثابت حتى أن القدرات الأدق للحواس تبقى منفصلة عن المدركات. تقدّم هذه الآية التحدي إلى الفلسفة الكاملة للسيطرة على الحواس. إنها تظهر بشكل واضح بأنّ الحواس لا يمكن السيطرة عليها من مستواها الخاص.

في حقل الحواس، تسود الحواس. فهي تسحب العقل نحو مدركاتها، نحو البهجة في العالم. لكن، لا تقدر أي من مدركات الحواس، على إرضاء شوق العقل للسعادة. لذلك يبقى العقل دائم

التجوال في حقل الحواس. فقط عندما يتم كسب حالة الفكر الثابت ويتوقّف العقل عن التجوال، يمكن السيطرة على الحواس.

من الخطأ الإعتقاد بأنه ما لم يتم السيطرة على الحواس لا يستطيع الفرد أن يدرك الحقيقة. في واقع الأمر، إن الحديث هو حقيقي، طبقاً لهذه الآية، تقع الحواس تحت السيطرة الكاملة فقط عندما يتم تقدير نور الإدراك – فقط عندما يتم تقدير الذات المتجاوزة، أو الكينونة، على مستوى الحواس.

قادت التفسيرات الخاطئة لهذه الآية وغيرها من الآيات العديد من الباحثين الأصيلين عن الحقيقة لاعتمادهم ممارسات صارمة وغير طبيعية لكي يسيطروا على الحواس، هكذا هدروا حياتهم ولم يفيدوا أنفسهم ولا آخرون. إن التحكم بالحواس يكتسب فقط من خلال حالة الفكر الثابت، لأنه في هذه الحالة التي يكون فيها الإنسان ثابتاً في إدراك الذات بأنها منفصلة عن النشاط، يكون سلوكه غير متأثّر بشكل طبيعي جداً من التأثير الحاجب للحواس. في نهاية هذا الفصل، يستنتج المولى بأنّه عندما يشوش السلوك في الحقل الحسّي بأية حال حالة الفكر الثابت، ويتصرّف الفكر الثابت كسيد للحواس، تكون الحالة الأعلى لتطوّر الإنسان قد تم بلوغها.

"عند رؤية الأسمى": عندما يتجاوز الفكر حقل الغونات الثلاثة ويدرك الحقيقة المتجاوزة. ما يعني، كسب الوعي التجاوزي. عندما يتم المحافظة على هذه الحالة من الوعي التجاوزي حتى عندما تكون الحواس نشيطة، تخلق حالة يحل فيها المتجاوز لكي تتم معيشته بشكل طبيعي على مستوى الفهم الحسّي. عندئذ يقال بأن الإنسان قد اكتسب حقاً الفكر الثابت.

الآية الستّون

تجرّ الحواس المضطربة، يا ابن كونتي،

العقل بالقوة، حتى للإنسان البصير
الذي يسعى (إلى السيطرة عليها).

يصف هنا المولى لأرْجونا طبيعة الحواس. كونها الآلات التي تمكّن العقل في التمتّع بمجد التنويع في الخليقة، فهي مقيدة بعملها على سحبه نحو أغراض المتعة. إن غايتها الرئيسي هي جلب السعادة الأكبر الممكنة إلى العقل. وهذا ما ستستمرّ في القيام به طالما لم يصبح العقل مطمئناً بشكل أبدي في غبطة المطلق.
إن كيفية الاستخدام الأفضل للحواس لكي تصل إلى اختبار الغبطة الأبديّة يتم وصفها في الآيات التالية

الآية الحادية والستّون

بعدما وضعها جميعها تحت السيطرة،
دعه يجلس متوحداً، ينظر إليّ كأني الأسمى؛
لأن فكره قد ثبت من أخضع حواسه.

تشرح الآية السابقة طبيعة الحواس وتأثيرها القاهر على العقل، بينما تصوّر الآيات التالية الأخطار التي تنتج عن انغماسها عندما لا يتم المحافظة على مستوى التجاوزي المتعالي. في هذه الآية، يعطي المولى الأمل من خلال إظهار أنه من الممكن السيطرة على الحواس وبأنّ "فكره قد ثبت من أخضع حزاسه".
يقول المولى: "بعدما وضعها جميعها تحت السيطرة، دعه يجلس متوحداً، ينظر إليّ كأني الأسمى". هذا ما ينفتح الطريق إلى أنه عندما يتم جلب الانتباه إلى المتعالي التجاوزي، يتوقّف

نشاط الحواس ويتم السيطرة عليها تلقائياً. في هذه الحالة من الحياة، يقول المولى، "دعه يجلس متوحداً، ينظر إليّ كأني الأسمى".

إنّ تقنية وضعها "جميعها" تحت السّيطرة هي في إشغال أي حاسة واحد في تزويد السعادة المتزايدة للعقل على طريق التجاوز – وذلك، في البدء بممارسة التأمل التجاوزي. في هذه العملية يتجاوز العقل الاختبار المرهف، مستخدماً حاسة معيّنة لعبور المستويات الأدق للاختبار وتجاوز الاختبار المرهف، يتجاوز حقل أيضاً تلك الحاسة وحقول كلّ الحواس. وباكتساب وعي الغبطة بهذه الطريقة، يربح العقل السيطرة التلقائية على جميع الحواس.

"دعه يجلس متوحداً، ينظر إليّ كأني الأسمى": إنّ الإنسان الذي يجلس متّحداً هو من تكون ذاته متّحد مع الذات الكلية، أو الكينونة بالرغم من انشغاله في النشاط من خلال الممارسة المتكرّرة للتأمل التجاوزي التي أدرك بها الكينونة بمثل هذا الامتلاء التي لا يحجبه أي نشاط؛ وبمعنى آخر، أدرك الكينونة أنها منفصلة عن النشاط وبعد أن كسب هذه الحالة، يقول المولى، دعه يحافظ عليها وفي تلك الحالة يكون مكرّساً لي، السيد لكلّ الخليقة، الذي يترأّس الوجود بالناحيتين: المطلقة والنسبي.

إنّ التعاليم هي في أنه، بعد كسب الوعي الكوني وبالتالي خلق حالة يبقى فيها كلّ من العقل والحواس منظّمة بشكل طبيعي، مستخدماً إمكانيتها الكاملة لاكتمال الرغبات التي تعزز الحسنة في العالم، على الإنسان أن يكرّس نفسه إلى الله ويدع قلبه يتدفق ويفيض عاشقاً له، بأنه المولى العظيم للكلّ. إنه وحده الذي يمكن أن تستدير إليه الحياة في الوعي الكوني؛ لأنه، وكونه القدير وكلي العلم، يصنّف في مرتبة أعلى من الحياة في الوعي الكوني.

إن غاية هذه التعاليم للولاء إلى الله على ذلك المستوى العالي حيث وصل الإنسان إلى قوته الكامنة الكاملة أن تمكّنه على اختبار الموجات الكبيرة للغبطة في بحر الوعي الكوني – إنه اختبار ذلك الامتلاء لبهجة للحياة الأبديّة التي تجلب الاكتمال الكامل لوجوده.

الآية الثانية والستّون

بالتفكّر في مدرَكات الحواس،
يُنمي الإنسان تعلّقه بها؛ ومن
التعلّق تنبع الرغبة، وتسبّب
الرغبة الغضب.

تصوّر هذه الآية الفرد الذي لم يستدير نحو القدسيّ، لكنه يستدير نحو مدركات الحواس. يظهر المولى كيف أن مثل هذا الإنسان يغرق بعمق أكثر فأكثر في مستنقع الوهم حتى يهلك.

إن الفكرة هي قوة عظيمة في الإنسان. إنها تتطوّر في الرغبة، التي بدورها ترجم نفسها في العمل، جالبة المجد أو الخزي. ينشأ "الغضب" عن الضعف أو عدم القابلية على اكتمال رغبات الفرد، بالرغم من أنّه ينسب ذلك عموماً إلى العقبات في طريق مثل هذا الاكتمال. وهكذا يقال أن الرغبة هي السبب المباشر للغضب.

الآية الثالثة والستّون

من الغضب يأتي الضلال؛ ومن الضلال
عدم استقرار الذاكرة؛ ومن عدم استقرار
الذاكرة يتشتت الفكر، وبتشتت الفكر

يهلك الإنسان.

يثير الغضب العقل، الذي يفقد توازنه وقوّة التمييز؛ إنه يفقد الرؤية والبصيرة الصحيحة والحس الصحيح للقيم. تحجب هذه الحالة من "الضلال" مسار الذاكرة، وبذلك يشعر الفرد كما وأنّه منقطعاً عن الإيقاع المنسجم للحياة. تفشل الحكمة، ويتوقّف الفكر عن العمل. يُترك مركب الحياة دون سيطرة؛ فتلاقي الكوارث كأمر طبيعي.
إنّ الفكر هو الوجهة الأكثر رقة لطبيعته الفرد الذاتية. طالما يكون الفكر سليماً يكون هناك كلّ أمل لتقدّم واكتمال الحياة. لهذا السبب يقول المولى بأنّ تشتت الفكر يؤدّي إلى هلاك الإنسان.

الآية الرابعة والستّون

ولكن من هو ذاتي الانضباط، من يتنقّل
بين مدرَكات الحواس، وحواسه متحررة
من التعلّق بها ومن الكره لها وتحت
سيطرته الخاصة، يصل إلى النعمة.

"النعمة" هنا تعني البهجة والشمولية، الناتجة عن حالة الوعي الصافي.
تتغاير هذه الآية عن الآيتين السابقتين. بعد أن شرح إلى أرْجونا محنة أولئك الذين يسلّمون أنفسهم إلى نداء الرغبة من بدون امتلاك السيطرة على الحواس، يظهر له المولى، في هذه الآية، المكافأة التي يكسبها الإنسان يضبط ذاته قبل الغوص إلى الحياة الدنيوية.

يوضّح المولى هنا منزلة الإنسان المتكامل. إنه ثابت في الذات، واستنادا إلى ذلك، حتى عندما يعمل في حقل الحواس ويختبر مدركاتها، لا يضيع فيها؛ محافظاً على منزلته في الكينونة، إنه يحافظ بشكل طبيعي جداً على تساوي العقل. يكون إحساسه بالقيم متوازناً. يعمل في العالم، ولا يضيع فيه. إنه فوق التعلّق وعدم التعلّق، مطمئناً في ذاته، غير مقيّد بأيّ شيء. إنّ نتائج الوصول إلى هذه الحالة من الحرية الممتلئة بالغبطة يتم وصفها في الآيات التي تتبع.

الآية الخامسة والستّون

يولد في النعمة السكون يجد نهاية لكل
أحزانه. وحقاً سيصبح فكر الإنسان ذو
الوعي السامي، ثابتاً بحزم.

يضع اختبار وعي الغبطة الصافي حداً لكلّ معاناة؛ وبامتلاء القلب بالسعادة يجلب الهدوء المثالي إلى العقل.
إنّ المبدأ هو أنّه في حال وجدت الرغبة للتحرر من المعاناة والسلام الدائم والصحة والاكتمال، يكون من الضروري كسب وعي الغبطة.

الآية السادسة والستّون

**إن من لم يثبت لا يملك فكراً، ولا يملك
التفكير الثابت. إن الإنسان الذي يفقد
التفكير الثابت يفقد السلام؛ ومن هو من
دون سلام كيف يمكنه أن ينعم بالسعادة؟**

يتم كشف مجد الفكر الثابت هنا. عندما يكون العقل ثابتاً في الذات، يكون متناغماً مع الذكاء الكوني، وعندئذ يملك فقط ما يدعوه المولى "الفكر"، قوة التمييز. ما لم يكن الفرد متناغماً مع الذكاء الكوني لا يكون هناك حكمة ولا ثبات ولا سلام ولا سعادة بالمعنى الحقيقي.

يمكن تفسير الآية أيضاً بأنها تظهر المراحل التي يمرّ خلالها العقل الدنيوي في الطريق إلى وعي الغبطة. وكونه مشوّش في العالم كما هو العقل، يجب عليه أن يصبح مسالماً لكي يملك الفكر الثابت، الذي يتلاقى في حالة أحادية التوجه تدعى "الفكر"، الذي يصبح بعدئذ ثابتاً في الكينونة.

عندما يدخل العقل في أثناء التأمل في اختبار المستويات المرهفة للتفكير، يصبح أكثر هدوءاً وأكثر ثباتاً في كلّ خطوة ويشعر بالتالي أنّه يدخل aفي حقل زيادة الانجذاب. تنتهي هذه العملية في السعادة المطلقة المتعالي التجاوزي.

إذا كان العقل أكثر ثباتاً، يكون في موقع أفضل لاختبار السعادة الأكبر. كما تنعكس الشمس أكثر على سطح الماء الهادئ، كذلك يتلقى العقل الهادئ انعكاس أوضح من الغبطة الكليّة الوجود للكينونة المطلقة. عندما يدخل العقل الحقول الأدق من التفكير في أثناء

التأمل، ينخفض تفاعل الجسم (الأيض) بشكل تلقائي. هذا ما يثبت الجهاز العصبي في درجات دائمة التّزايد من السلام. وفي النهاية، عندما يصل الجهاز العصبي إلى حالة كاملة من السلام، يعكس الكينونة، وهذا ما يسبّب وعي الغبطة.

لا يمكن اكتساب حالة الوعي التجاوزي ما لم يكون الجهاز العصبي هادئاً كلياً. هذا هي الحقيقة المنكشفة بالكلمات "من هو من دون سلام كيف يمكنه أن ينهم بالسعادة؟". إنّ الغبطة موجودة؛ من الضروري فقط تهدئة تجوال العقل.

وهنا يطرح السؤال. إذا كان تجوال العقل هو بسبب بحثه عن السعادة، ألا يمكن القول: ما لم يكن هناك سعادة كيف يمكن أن يكون هناك سلام؟ لكن لا؛ إن التعبير "ما لم يكن هناك السعادة" هو خاطئ جداً؛ لا يمكن أن يكون ذلك ما صرح به المولى كريشنا لأنه غير حقيقي. لأن الغبطة هي كليّة الوجود وأبديّة، في حين أن السعادة هي تعبير انعكاس الغبطة الكليّة الوجود على العقل. كون الغبطة المطلقة موجودة دائماً، هكذا يعتمد اختبار السعادة على درجة ثبات العقل. إذا كان العقل أكثر هدوءاً وأكثر سلاماً، فيختبر سعادة أكثر.

يصبح العقل في أثناء التأمل، وعندما يدخل المراحل المرهفة للفكر، أكثر هدوءاً وأكثر سلاماً، لهذا السبب يمضي في تلك الطريق تلقائياً. تنعكس هذه الحقيقة في الأوبانيشاد عندما تصرح بأنّ السعادة تتفاوت في الحالات المختلفة في الخليقة، في المستويات المختلفة من التطور. بينما يتطوّر العقل إلى المستويات الأعلى من الوعي أثناء التأمل، فهو يختبر درجات متزايدة من السعادة، إلى أن يصل إلى الغبطة المطلقة في الحالة الأكثر تطوّراً من الوعي التجاوزي الصافي.

الآية السابعة والستّون

عندما يكون عقل الإنسان موجهاً بأيّ من

الحواس المتأرجحة، ينحرف فكره بها
كما تنحرف السفينة من الريح في الماء.

يتعطّش العقل بطبيعته إلى السعادة الأكبر. لنفترض بأنّه يتمتّع بالاختبار من خلال حاسة معيّنة. في اشتياقه للتمتّع إلى الحد الأقصى الذي يمكن أن تعطيه تلك الحاسة، يصبح مستغرقاً في عملية التمتّع، وفي الاستغراق الأحادي الجانب يفقد قوّة التمييز، التي هي القوة الرئيسية للفكر. هذا ما يعني به المولى عندما يقول أن الحواس تسرق الإنسان صاحب الفكر.
إنّ العقل مهيئاً لقبول أيّ شيء يمكن أن يغريه بوعد السعادة. من مقدور أيّ جسم حسّي يعد بالسعادة أن يأخذ ملكية العقل. هذا ليس لإضعاف الثقة بالعقل، لأن طبيعته هي التمتّع.
إذا سحبت الحواس العقل إلى بهجة مدركاتها، هذا وبنفس الطريقة لا يضعف الثقة بالحواس.
إنها الآليات التي من خلالها يتمتّع العقل، ومثل الخادم مستعدّ دوماً، فهي تنتظر لخدمة العقل.
كما تنحرف السفينة من الرياح، كذلك ينحرف العقل بالكامل بالحواس في الاتجاه الخارجي للخليقة السطحية، في اتّجاه مدركات الحواس. إنه يفقد قوّة التركيز، لأنه يسير كما و أنّه يسير في شعاع متباعد، المسلك المعاكس طبيعياً للحالة المركّزة للفكر.
تنصح الآية التالية بالسيطرة على الحواس من أجل الأمان.

الآية الثامنة والستّون

لذلك إن من انسحبت حواسه جميعها

عن مدركاتها، يا أيها المسلّم الجبار،
يكون فكره ثابتاً.

تقدّم هذه الآية، التي هي تقريباً تكراراً للآية 58، الخاتمة للآيات الستّة الأخيرة. إنها تعطي الخلاصة الكاملة لمخطط الاكتمال في الحياة، الذي يحوّل العقل إلى مناطق من الاختبار ممتلئة بالغبطة أكثر من الحقول السطحية العادية للحياة الحسّية.
تشير كلمة "لذلك" إلى كلمات الآية 66: "من هو من دون سلام كيف يمكنه أن ينعم بالسعادة؟". إنها تشير بأنّه إذا كانت السعادة ما يراد، يجب أن يُخلق السلام، يجب جلب الجهاز العصبي إلى حالة اليقظة المريحة. ومن أجل أن يحدث ذلك، يجب أن يتوقف نشاط الحواس. لهذا يقول المولى: "من انسحبت حواسه جميعها عن مدركاتها".
تضع الآية الأسس بأنّ الحواس تفقد علاقتها بمدركاتها عندما يكون الفكر حازماً، عندما يكون ثابتاً في الذات.
تعمل الحواس على المستويات المختلفة. على المستوى السطحي، إنها تمكّن العقل للتمتّع بالأوجه الخارجية لمدركاتها. وبعملها على المستويات اللطيفة، فهي تمكّن العقل على اختبار الأوجه المرهفة أكثر للأغراض؛ والبهجة التي تنشأ عن اختبار الحالات المرهفة من الأغراض هي أكبر من تلك التي تنشأ عن حالاتها السطحية.
عندما يبدأ العقل في أثناء التأمل، في اختبار الأوجه المرهفة للفكرة، يختبر الانجذاب المتزايد وهكذا ينجذب بشكل طبيعي إلى اختبار الوجهة المرهفة للفكرة. إنّ اختبار هذه الحالة الألطف للفكرة، التي هي على المستوى المرهف للخليقة، يؤمن للعقل البهجة الأكبر في حقل النسبية، لكن حتى هذه البهجة ليست دائمة، إنها ليست ذات طبيعة مطلقة.
لقد تم توجيه أرْجونا كي يجلب عقله إلى حالة خلف البهجة الأعظم للنسبية، لكي يتمكن أن يحرّر نفسه من الاعتماد على البهجة النسبية العابرة للحياة ويصبح مثبتاً في غبطة المطلق.

ومن أجل الوصول إلى هذه الغبطة الأبديّة، يطلب منه المولى أن يترك بالكامل حقل الإدراك الحسّي، على المستويين السطحي والمرهف. وهكذا يصل إلى الفكر الثابت، الفكر الثابت في المتجاوز. إن عيش هذا المبدأ في الحياة اليومية هو بسيط، لأن الفرد يحتاج فقط أن يعرف كيف يسمح للعقل أن يخرج بشكل طبيعي جداً من حقل الحواس ويصل إلى حالة الفكر الثابت. هكذا في هذه الآية، إن المبدأ الذي تم توضيحه من منظور العقل يُمثل من ناحية الإدراك الحسي النسبي.

تميّز الآية التالية بين حقول حياة المتنورين والجهلة.

الآية التاسعة والستّون

ذلك الذي هو الليل لكلّ الكائنات،
هناك فيه يصحو المتحكم بذاته.
وذلك حيث فيه تستيقظ الكائنات
هو الليل للحكيم الذي يرى.

"الحكيم" (موني) لا تعني بالضرورة المناسك، لكن بالأحرى الإنسان الذي يتحلى بالسكون وبعد النظر والتعقّل والحكمة.

"يرى" تعني يرى الحقيقة.

يظهر المولى هنا لأرْجونا الاختلاف بين حالة الرجل الجاهل وتلك التي عند المدرك: يتواجد الأول في الظلام، الآخر في النور. أو ليل الأول هو نهار الآخر، لأن الإنسان المدرك يصحو في نور الذات، بينما يستيقظ الجاهل على ضوء الحواس. يصحو الإنسان المدرك في نور الغبطة المطلقة،

والجاهل في نور البهجة النسبية ذات الطبيعة الفانية.
يقول المولى بأنّ النور الذي يتصرّف فيه الفكر الثابت لا يتم إدراكه من قبل الجاهل، والنور الذي يتصرّف فيه الجاهل ينظر إليه المتنوّر بأنه ظلاماً.

الآية السبعون

من هو الذي تأتيه الرغبات كما تدخل المياه
في البحر الممتلئ دوماً وغير المتحرك
يصل إلى السلام، وليس من يعزّ الرغبات.

عندما يكون الإنسان قد ارتفع إلى هذه الحالة الدائمة للوعي، الحالة حيث تكون فيها ذاته غير متعلّقة وغير محجوبة بحالات الحياة النسبية – اليقظة والحلم والنوم العميق – يكون الملتقى به مثل الملتقى بالبحر الممتلئ دوماً والثابت. هذا هو هدف كلّ الرغبات في الحياة، كونه حالة من الغبطة المطلقة.
تنشأ الرغبات عن حاجة معيّنة، من القلة في السعادة؛ يبحث العقل دوماً عن حقل السعادة الأعظم. هكذا تتدفّق الرغبات دائماً نحو وعي الغبطة الأبدي، كما تتدفّق الأنهار إلى البحر. عندما يتم الوصول إلى وعي الغبطة بشكل دائم، تكون الرغبات قد حققت غاياتها ولذلك لا تظهر الشهوة. هذه هي حالة الطمأنينة الحقيقية، حالة السلام الدائم.
يقول المولى بأنّه لا يمكن تحقيق السلام الدائم من الفرد الذي لم يكتمل بذاته والذي ما زال يشتهي الأشياء الدنيوية. على أية حال، لا يعني ذلك أنه من أجل التوصّل إلى السلام في الحياة يجب أن يتوقّف الإنسان عن الرغبة والطموح. إن الرغبات هي التي تقود الإنسان إلى السعادة الأعظم وإلى الاكتمال – وليس السيطرة على الرغبات وقتلها، التي كان يتم الدعوة إليه على

نحو واسع خلال العصور.

لقد تم تفسير هذه الآية أيضاً بشكل خاطئ، مع نتائجها في زيادة البلادة وعدم الكفاءة، خصوصاً في حياة الشباب في الهند. إن الضواغط المفرطة الناتجة عن الخطأ الفادح أثبت أنه كوارثي لحالتهم الجسدية وتقدمهم المادي في المجتمع. اعتقاداً منهم بأن الرغبة والطموح سوف لن تؤدّي إلى السلام، بدأ ناس في الامتناع عن حب المغامرة والتوقّف عن فتح باب التقدّم. هذا وبكل بساطة هو الفهم الخاطئ لتعاليم المولى.

تظهر الآية لأرْجونا وبشكل واضح جداً بأنّ الوعي الذاتي للمدركين هو مثل البحر، الذي سيقبل أيّ نهر للرغبات وسيرضيه من دون أن يتأثّر به.

يقبل البحر النهر كما يجيء إليه ولا يمنع أي نهر يتدفق إليه، وبالرغم من ذلك منزلته يبقى غير متأثّرة بالأنهار. هكذا تكون حالة الفكر المثبت، التي لا يمكن أن تتأثّر بأيّ شيء. إنها حالة السلام الأبدي.

تعطي الآية التالية تقنية الحفاظ على مثل هذه الحالة الدائمة للسلام في وسط النشاط

الآية الحادية والسبعون

عندما يعمل الإنسان دون تشوّق،
ومتخلّيٌ عن كل الرغبات، ومتخلصاً
من الشعور بالأنا والتملك،
يصل إلى السلام.

"متخلّيٌ عن كل الرغبات" لا تعني بأنّ العقل لن يستضيف أيّ رغبات، لأن ذلك ليس ممكناً للكائن الحي. إنها تعني بأنّ الذات قد تم إدراكها بأنها منفصلة عن النشاط، كما تم توضيحه في تفسير الآية 55. لأن الإنسان وفي هذه الحالة يعمل في حين يبقى "متحرراً من الشعور بالأنا والتملك"، من الطبيعي جداً أن النشاط لا تزعج في أية طريقة حالته للفكر المثبت. لقد اكتسب تلك الحرية الأبديّة في الحياة حيث تبقى منزلة كينونة الفرد غير متأثّرة بأيّ نشاط تسلط الآية التالية الضوء أكثر على هذه النقطة.

لكي "يتخلى عن كلّ الرغبات" تعني أن يكسب الوعي القدسي التجاوزي بشكل دائم هذا ما يحدث من خلال التأمل.

عندما يخرج العقل، بعد التأمل، متشرباً للطبيعة القدسية التجاوزية، يتصرّف الفرد في العالم، ويكون هذا التصرف بشكل طبيعي جداً خالياً من ضيق الفردية التافهة، ومن قصر النظر للتعلق الأناني، الذي احتجزه سابقاً سجيناً. يتحرّك كلّ شيء طبقا للخطة الكونية، وبالرغم من أن الأنا الفردي تواصل عملها، يكون العمل منبثقاً من الذكاء القدسي العامل من خلال الفرد الذي يعيش الوجود الكوني.

إن مثل هذه الحياة هي التعبير طبيعي جداً عن الذكاء الكوني في العالم إنها تمثّل حالة الحرية الأبديّة هنا على الأرض. لا يوجد شيء في العالم يمكنه حجب هذه الحالة أو التشويش عليها، لأنها تتضمن كلّ ما هو موجود بين طرفي الحياة المتناقضين –الطبيعة القدسية التجاوزية للمطلق والطبيعة البشرية في الوجود النسبي.

الآية الثانية والسبعون

هذه هي حالة البْرَهْمان، يا باترا،

وبالوصول إليها، لا يضلّ الإنسان.

وبالتثبّت بها، حتى وفي اللحظة

الأخيرة، يصل الإنسان إلى الحرية

الأبدية في الوعي القدسي.

إنّ حالة الحياة الموصوفة في الآية السابقة، يقول المولى، هي حالة الوعي الكوني. من أجل أن

يصل الإنسان إلى هذه الحالة، من الضروري أن يكسب استقرار الوعي الذاتي في وسط النشاط يستلزم هذا تثقيف الجهاز العصبي، مقر الوعي، بطريقة بحيث أنّ يصبح قادراً على الحفاظ على الوعي الذاتي، الذي هو في طبيعته تجاوزي، سويّة مع حالات وعي اليقظة أو الحلم أو النوم إنّ عملية تنقية الجهاز العصبي هي عملية حسّاسة وتأخذ وقتها الخاص، معتمدة على العوامل المختلفة للحياة الفردية.

عندما يتجاوز العقل في أثناء التأمل التجاوزي، يصل تفاعل الجسم (الأيض) إلى أدنى نقطة له؛ كذلك عملية التنفّس، ويكسب الجهاز العصبي حالة التأهب المريح التي، على المستوى المادي، يقابلها حالة وعي الغبطة، أو الكينونة التجاوزية. لكي يتم المحافظة على وعي حالة اليقظة سويّة مع وعي الغبطة التجاوزي، من الضروري للجهاز العصبي أن لا يفقد هذه الحالة للتأهب المريح التي تقابل وعي الغبطة. وفي نفس الوقت، يجب أن يحافظ الجهاز العصبي على نسبة لتفاعل الجسم (الأيض) في مقابل النشاط الذي يجري في حالة اليقظة.

لكي يحدث هذا، إن الممارسة المنتظمة والمستمرة لمثل هذا التأمل كي يقود إلى الوعي التجاوزي هي ضرورية. ويجب أن يتبع ذلك النشاط، لأن النشاط بعد التأمل يجلب التشرّب للكينونة التجاوزية إلى طبيعة العقل ومن خلاله إلى كلّ أوجه حياة الفرد في الحقل النسبي. ومع الممارسة الثابتة للتأمل، يستمر هذا التشرّب في النمو وعندما ينمو بشكل كامل يكون قد تم الوصول إلى الوعي الكوني.

عندما يتم الوصول إلى هذه الحالة، يكون السقوط منها مستحيلاً. فهي يحمل الوعي التجاوزي سليماً في حقل كلّ الحالات النسبية، اليقظة والحلم والنوم العميق. هكذا، وفي "حالة البراهمان"، حالة الحياة الأبديّة، ينتمي كلّ من النشاط والسكون للوجود النسبي إلى الكينونة المطلقة.

بعد الوصول إلى هذه الحالة، تكون حياة الإنسان حقاً التعبير عن الحياة القدسية. توجد الحياة القدسية في الحياة الفردية، الكينونة المطلقة على المستوى البشري، الحرية الأبديّة ضمن

قيود الفردية: الزمان والمكان والسببية. سيكون أمراً خاطئاً تخمين حالة الوعي الكوني في الإنسان بأيّ شيء يصدر عنه في حقل العمل، لأن هذه الحالة تقبل كلّ نشاط، أكان كبيراً أم صغيراً، وفي نفس الوقت تحتفظ بالسكينة التامة. لا يمكن الحكم على حالته، من حيث المبدأ، بما يقوم به. لا يوجد أي إشارات خارجية للإنسان الذي ارتفع إلى هذه الحالة للبراهمان.

إن أولئك الباحثين عن الحقيقة الذين قبلوا حياة الزهد يواصلون بشكل طبيعي الامتناع عن كلّ نشاطات الحياة حتى عندما يصلوا إلى الوعي الكوني. وهذا بسبب عادتهم الطويلة الراسخة فيهم لعدم الانغماس في النشاط وبالطّريقة نفسها، عندما ينشغل الناس في العالم بشكل نشيط في العديد من مراحل الحياة، يصلون إلى حالة الوعي الكوني من خلال اليوغا، ويواصلون التصرّف بشكل رئيسي من قوة العادة. لكن سواء كانوا مشتركين في النشاط أو يتبعون حياة هادئة، تكون النفس المتطورة إلى هذه الحالة الكونية مطمئنة إلى الأبد.

إن هذه الحالة هي نفسها أبداً، سواء كان العقل نشيطاً في حالة اليقظة أو الحلم، أو خمول النوم العميق. إنها حالة التحرر الأبدي في أثناء الحياة هنا على الأرض. تعطي كلمات المولى "حتى وفي اللحظة الأخيرة" التأكيد القوي بأنّ اكتمال غاية الحياة سيتحقق من خلال تعاليم هذا الفصل. لقد أعطي أرْجونا كلّ ما يحتاج لتمكينه من الارتفاع إلى "الحرية الأبديّة في الوعي القدسي".

هكذا، في أوبانيشاد البهاغافاد غيتا المجيدة،
وفي علم المطلق، وفي نصوص اليوغا،
وفي الحوار بين المولى كريشنا وأرْجونا،

ينتهي الفصل الثاني، بعنوان:

يوغا المعرفة ويوغا السانكهيا.

الفصل الثّالث

نظرة على التعاليم في الفصل الثّالث

الآيات 1–4. الرصانة، هي قاعدة كلّ النجاح والخلاص في الحياة، يتم اكتسابها وتصبح دائمة بطريقين: بطريق المعرفة وطريق العمل.

الآيات 5–16. تثقّف هذان الطريقان العقل وتعيد توجيه وظيفة الحواس. بممارسة كسب الوعي التجاوزي ومن ثم بالانشغال بالعمل، وبتغلغل الكينونة إلى طبيعة العقل، يتمكن على الحفاظ على الرصانة وعلى وضع الحواس بشكل تلقائي لأداء الأعمال التي هي طبيعية ومفيد إلى التطور.

الآيات 17–20. عندما، يصبح الوعي التجاوزي دائماً، ومن خلال الممارسة، تكون غاية كلّ عمل قد تمّت. في هذه الحالة من الاكتمال، يتوجب إنجاز العمل الصحيح، لأنه يجلب الكمال إلى الحياة والخير إلى العالم.

الآية 21. يجب على الفرد أن يكون حذراً في أعماله، لأن الآخرين يتبعونه كمثال.

الآيات 22–26. إنّ سيد الخليقة، ومع بقائه بذاته غير متورط، يكون منشغلاً في النشاط بشكل ثابت. لذلك يجب على الإنسان الذي يعيش في نور الله أن ينشغل بالعمل، ويبقى بذاته غير متورط، ويلهم الآخرين على أداء واجبهم الطبيعي.

الآيات 27–29. إن كلّ الأعمال يتم تأديتها بقوات الطبيعة. لكن، بسبب الجهل، يأخذ الإنسان تأليفهم على نفسه ويصبح مقيداً بواسطتهم. يعرف الرجل المطّلع الحقيقة ويتمتّع بالحرية حتى بينما شغل في النشاط

الآيات 30–35. يجب على الإنسان المتنور أن يساعد في رفع وعي الجاهل. إنّ التقنية لرفع الوعي هي في التنازل عن كلّ عمل إلى الله. السيطرة لا تنجز أيّ شيء، لأن كلّ شيء هو محسوب طبقاً للطبيعة. معيار العمل الصحيح هو ليس ما هو مرغوب وما هو غير مرغوب، لكن هو الواجب الطبيعي.

الآيات 36–43. إنّ الحماس المولود من الرغبة والغضب يتعارض مع ممارسة كسب الرصانة. إنّ مقر الرغبة والغضب هو في الحواس والعقل والفكر. وبرفع الإدراك فوق هذه ليصبح ثابتاً في الوعي التجاوزي، يصبح الفرد قادراً على أداء العمل الصحيح بشكل تلقائي في حالة الحرية. عندما يتطوّر الوعي التجاوزي للتواجد في حالة وعي اليقظة، وبذلك تتواجد الحالة الداخلية الخالية من المشاكل في العالم الخارجي للمشاكل. ويعيش الإنسان في الحرية بينما يعمل في حقل العبودية. هذا هو مجد طريق العمل.

ملخص سريع

قدّم الفصل الثاني براهما فيديا – أي حكمة الحياة الكاملة، حكمة المطلق والنسبي – في كلتا وجهتيه، النظرية والعملية. إنّ الوجهة النظرية تدعى حكمة السانكهيا؛ إنها تجلب فهم المطلق والحقول النسبية للحياة كما وأنهما منفصلان، الواحد عن الأخرى. إما الوجهة العملية فتدعى يوغا، وهي تجلب الاختبار المباشرة لهاذين الحقلين للحياة في الانفصال.

إن طبيعة هذا الاختبار الذي يتم اكتسابها من خلال ممارسة اليوغا وتطبيقها في الحياة في العالم سيتم كشفها في هذا الفصل الثالث. إنّ الهدف هو في جعل حالة وعي الغبطة المطلق دائمة، كي لا تفقد حتى عندما يكون العقل منشغلاً في نشاط الحقل النسبي. إن هذا وحده يمكنه أن يعطي الاختبار الكاملة للحياة، كون الحياة هي نسبية ومطلقة بشكل آني.

يقدم هذا الفصل الثالث التطبيق العملي للفصل الثانية. إنه يصف بالتفصيل دور "ثبات الفكر" في الحياة العملية، لكي يزوّد أولئك المشغولين في التعامل التجاري في العالم بطريقة مباشرة للتطور والتحرر الأبدي. إن تعليمه هي قابل للتطبيق لكلّ شخص، مهما كانت مهنته.

يطوّر هذا الفصل الفكرة الرئيسية المتضمنة في كلمات الأولى للآية 48 من الفصل الثاني: "يوغا ستات كورو كارماني" ومعناها "اثبت في اليوغا، وقم بالعمل". هذا المذهب من كارما يوغا، أي يوغا العمل، يشكّل الموضوع الرئيسي لهذا الفصل.

الكارما هو حقل التنويع، ويوغا تعني الوحدة. لذا لكي نفهم كارما يوغا يجب على الفرد أن يكون متآلفاً بالقدر الممكن مع أحادية الحياة كما هو الحال مع حقل التنويع؛ فقط بواسطة التآلف مع كلا الحقلين يمكن للفرد أن يفهم الرابط بينهما. إنّ تعاليم الفصل الثالث هي مصمّمة لإعطاء ذلك لكن من المهم أن يتذكر طالب الكارما يوغا بأن الفهم الفكري لتعاليم هذا الفصل من دون الاختبار الشخصي للطبيعة الحقيقية للأحادية، لا يمكنه أبداً أن يجني ثمار الكارما يوغا. إن تقنية الاتّصال المباشر بالوعي القدسي التجاوزي، كما تظهر في

الآية 45 من الفصل الثاني، يجب أن يتم ممارستها؛ وفقط على أساس ذلك الاختبار الشخصي من الممكن بلوغ الاكتمال في الحياة من خلال الكارما يوغا. إنّ ممارسة التأمل التجاوزي هي أساسية إذا كانت حكمة هذا الفصل ستوضع في الاستعمال العملي.

آيات الفصل الثالث

١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧	١٨
١٩	٢٠	٢١	٢٢	٢٣	٢٤	٢٥	٢٦	٢٧	٢٨	٢٩	٣٠	٣١	٣٢	٣٣	٣٤	٣٥	٣٦
٣٧	٣٨	٣٩	٤٠	٤١	٤٢	٤٣											

الآية الأولى

قال أَرْجونا:
إذا كنت تعتبر أن المعرفة هي أهم
من العمل، يا جنرْدانا، لماذا إذاً تدفعني
إلى هذا القتال الفظيع، يا كيشافا.

إن سؤال أَرْجونا، الذي به يفتتح هذا الفصل، لا يشير بأنّه كان مربكاً وقد فاته فحوى حديث المولى في الفصل الثاني، كما توحي التفسيرات في أغلب الأحيان. إن مثل هذه التفسيرات تظهر قدرة المفسرين الخاصة لإتّباع تسلسل كلمات المولى. لقد أخفقوا بشكل واضح في فهم كفاءة أسئلة أَرْجونا في المساعدة على تطوير موضوع المولى. تمثّل أسئلته الروابط المجيدة بين التعاليم التي تسبقها والتي تتليها في الترتيب التصاعدي لحديث المولى.

سوف يكشف الفحص الدقيق لسياق الكلام بأنّ أسئلة أَرْجونا تقدّم ذاتها على نحو طبيعي. وهذا ليست فقط بسبب مهارة تعاليم المولى ومبادرة أَرْجونا في متابعتها، لكن أيضاً بسبب طبيعة الموضوع قيد الدرس. تعالج التعاليم العديد من النقاط حول الحياة، حتى تلك النقاط المتناقضة لبعضها البعض، لأنها تعالج الحقول غير المحدودة للمراحل النسبية والمطلقة للوجود. والتي توجد حتى الآن بشكل مجزأ بحيث أنه لا يوجد رابط بينها في طبيعتها

الأساسية. يمكن للعقل، على أية حال، أن يلعب دور هذا الرابط، لأنه قادر على البقاء في النشاط وفي حالة الكينونة المطلقة في آن واحد. علاوة على ذلك يستعمل النشاط كوسيلة للتوقف عن النشاط وهكذا لجعل حالة الوعي التجاوزي ممكنة. وبذلك تصبح الكارما وسيلة لليوغا.

مثل هذه المراحل المتناقضة على ما يبدو للتعاليم حول الحياة، هي التي جلبت أسئلة أرْجونا الانتباه إليها. لذلك، من الواضح بأنّ أسئلته وثيقة الصلة ونشأت من فهمه الصحيح للحديث. إن صلة الأسئلة التي سألها التلميذ تكشف نجاح التعليم. يعطي المعلّم أيضاً الفرصة للتلميذ كي يسأل كلّ سؤال، وهكذا يؤازر اهتمامه ويتأكّد بأنّه يتبع الحديث بشكل صحيح. وعندما تتقدّم التعاليم بهذا الأسلوب، عن طريق السؤال والجواب، تتجلّى كلّ الحكمة للتلميذ.

"ما دمت تعتبر أن المعرفة": لكي يتقصّى بعمق في طبيعة فهم أرْجونا حول "المعرفة"، من الضروري تحليل تعاليم الفصل الثاني.

الحياة لها وجهتان، النسبي والمطلق، إن الوجهة النسبية هي فانية أما الوجهة المطلقة فهي خالدة. لكي نعطي معنى للحياة، من الضروري أولاً جلب الوجهة الفانية للعيش بالتناغم مع الخالدة. يتم تحقيق ذلك من خلال العمل المتطابق مع دهرما الفرد التي تحافظ على الوجود بطريقة تعزز تطور الفرد الخاص وتطور الآخرين. ومن أجل جعل المجرى الكامل للحياة يتدفّق بشكل طبيعي في التيار التصاعدي للدهرما، من الضروري صقل الفكر المصمم الحازم. هذا ما سيضمن بأنّ وجهتي حياة الفرد، الفانية والخالدة، الجسم والذات، ستحافظ بشكل طبيعي على الدهرما وتكون بالانسجام المثالي، وتبقى الذات في حالتها من الحرية الأبديّة في الكينونة المطلقة ويستقبل العقل النشاط الذي سيكون بشكل طبيعي متناغماً مع عملية

التطور.

لكي يتم صقل الفكر الحازم، يجب أن يكون الفرد "من دون الغونات الثلاث" وخارج حقل النشاط بالكامل ، ومثبّت في الحالة التجاوزية للكينونة. عندما يتم، من خلال الممارسة الثابتة، كسب الحالة "من دون الغونات الثلاث" يكسب العقل ثباتاً في الكينونة، ويصبح الفرد مدركاً للذات، أو الكينونة، بأنها منفصلة عن النشاط في هذه الحالة يعمل الفرد في العالم بينما يكون ثابتاً في الطمأنينة الأبديّة وحرية الوعي القدسي.

لذلك وبالرغم من أن المعرفة تبدأ بالفهم الفكري لوجهتي الحياة، الفانية والخالدة، لكنها تصبح حقيقة حيّة فقط عندما، ومن خلال ممارسة التأمل التجاوزي، يصبح الفرد مدركاً بشكل مباشر للذات بأنها منفصل عن النشاط هذا الإدراك هو حالة المعرفة، وحالة الفكر المثبت.

لقد فهم أرْجونا بشكل صحيح كلّ ما تكلّم به المولى حول المعرفة. لكنّه يطلب تأكيداً بأنّ ما فهمه هو صحيح. إن كلمة "إذا" تظهر هذا المعنى.

"المعرفة هي أهم من العمل": يسأل أرْجونا سؤاله ليس لأنه أخفق في استيعاب مبدأ العمل في حالة المعرفة، لكن لأنه يفهم ذلك بعمق؛ عندما يتصرّف الإنسان من دون تشوّق، بعد أن ترك كلّ الرغبات، ومتحرراً من الشعور بالأنا أو بما لي، يصل إلى السلام لقد فهم بأنّه بالقتال سوف لن يجلب على نفسه الخطيئة. لكن بالنسبة للقلب العظيم لأرْجونا، إن مجرّد الهروب من الخطيئة هو ليس السبب الكافي للاندفاع إلى العمل. إنه يحكم على العمل القتالي بقيمته الظاهرة ويجد أن قتل الأشخاص الأعزاء سيكون"عملاً فظيعاً". لقد رفع السؤال ليستفسر ما إذا كان يستطيع، وبالاعتماد على قوّة المعرفة، وبعد كل شيء، أن يتفادى "العمل الفظيع" في المعركة. بعد أن وصل إلى هذه الحالة العالية للفكر الثابت، ألا يجب على الإنسان أن يكون له

الحرية في التصرّف أو عدم التصرّف؟ هذا هو سؤال أرْجونا من حالته العالية للوعي. يستعمل أرْجونا هنا بشكل صامت تعاليم المولى حول الحرية التي تعطيها المعرفة، لمصلحة الحرية في اختيار الأعمال التي يتمنّى أدائها. ويتقصّى بعمق في تعاليم المولى ويجد بأنّ هذه النقطة لم يتم الإجابة عليها بعد. يشير هذا السؤال أيضاً بأنّ فهم أرْجونا لم يكن عن العلاقة بين العمل والمعرفة فقط، لكن كان أيضاً عن العلاقة بين العمل والدهرما. لقد فهم تعاليم المولى حول الدهرما، وفهم بأنّ الدهرما الخاصة بالفرد هي أفضل معيار للحكم ما إذا كان العمل مناسباً، وأنه بالنسبة للكشاتريا، إن مثل هذه المعركة هي متوافقة مع الدهرما.

لكن التشديد الذي وضعه المولى على المعرفة يعطي أرْجونا الفرصة كي يسأله عن العلاقة بين المعرفة والدهرما، التي لم توضح بعد ومن دونها تبقى التعاليم حول العمل ناقصة. يريد أرْجونا أن يعرف ما إذا كان ممكناً للمعرفة أن تتجاوز الدهرما إلى حدّ السماح للفرد التخلّي عن "العمل" المعيّن؛ وما إذا كانت المعرفة تعطي الإنسان الحرية الكافية لتمكنه على القيام بخياره الخاص حول العمل. يشير أرْجونا ضمناً إلى أنّه إذا كان ذلك ممكناً، فهو يودّ أن يختار التخلّي عن "هذا العمل الفظيع".

إن السؤال الذي رفعه أرْجونا هو في غاية الأهمية وله قيمة عظيمة في التعجيل في موضوع حديث المولى. إن هذا السؤال لأرْجونا هو الذي أطلق العقيدة الكاملة عن العمل من شفاه المولى.

أما المفسرون والمعلّقون بشكل عام، فلقد فاتهم فهم العمق العظيم الذي منه كان أرْجونا يتكلّم ويسأل أسئلته، لأنهم أساؤوا فهم موقفه منذ الفصل الأول.

كان أرْجونا، من مستواه العالي للوعي، قادراً على تمييز النقاط الدقيقة لحديث المولى ووزنهم من ناحية الحياة العملية. وقد حدّد عقله اليقظ مكان العديد من العبارات المتناقضة

في التعاليم حتى الآن، وقام بالإشارة إلى ذلك في الآية التي تلي.

هذا ما يوضّح كم هو ملائم سؤال أرْجونا وكيف يخدم بشكل حسن لكشف حكمة العمل على ضوء المعرفة، التي تشكّل الموضوع الرئيسي في هذا الفصل.

الآية الثانية

بهذه العبارات التي تبدو متناقضة،
إنك، وإذا جاز التعبير، تحيّر ذكائي.
لذلك وباتخاذك القرار الواضح
أرشدني إلى ما يوصلني إلى المنفعة الأسمى.

إن نبرة هذه الآية تجلب للضوء مودة أرْجونا مع المولى وفهمه الجيد للتعاليم. كما تكشف أيضاً وإلى مدى أبعد اليقظة في عقل أرْجونا في تقييم الأوجه المختلفة من الحديث.

"تبدو متناقضة": في الآية الثامنة والثلاثين من الفصل السابق، وجّه المولى أرْجونا إلى "الخروج إلى القتال". لكن في الآية الخامسة والأربعين قال له، "كن من دون الغونات الثلاث" ما تعني: بأن يخرج من حقل النشاط ومرة أخرى في الآية السابعة والأربعين، قال: "أنت تستطيع أن تتحكّم بالعمل فقط"، ولا "تتوقف عن القيام بالعمل". ثمّ، في الآية الثامنة والأربعين، أظهر تركيبة العمل والفكر الثابت في الكلمات: "اثبت في اليوغا، يا أيها الفائز

بالثروة، وقم بالأعمال". وفي الآية التاسعة والأربعين، أيضاً، استمرّ لتحطيم المبدأ ذاته لهذه التركيبة بالإعلان: "بعيد جداً عن توازن الفكر هو العمل المنجز من أجل المكافأة".

يريد أرْجونا التحقق سواء كانت "هذه العبارات التي تبدو متعارضة" تشير إلى مبدأ ما لا يزال مخفياً ولم يتم كشفه بعد، أو سواء كان هناك رابطاً ما يربطها سوية.

في الآية السابع للفصل الثّاني، اسلم أرْجونا نفسه إلى المولى قائلا: "قل لي، وبشكل قاطع، ما هو الأفضل لي". و يجد نفسه الآن بأنّه مجهّز بالمركبين، كلّ واحد على ما يبدو يسير بالاتّجاه المعاكس. ويطلب منه بشكل متزامن المجيء بهذا والذهاب بذلك لذلك يقف متحيّراً ويسأل: أخبرني أي مركب علي الركوب، هذا أو ذلك، لأني إذا ركبت المركبين من المؤكد إني سوف أغرق. إن سؤاله هو وثيق الصلة بالموضوع.

إن الكلمات متعارضة "على ما يبدو" يشير إلى تواضع أرْجونا. متمنياً جلب الانتباه إلى الحقيقة بأنّ المولى كريشنا يقدم له العبارات التي تتعارض بعضهم البعض، فيلطّف التعبير بإضافة "على ما يبدو". ومرة أخرى، عندما يريد الإفصاح بأن المولى يحيّر ذكائه، يظهر تواضعه بإضافة "إذا جاز التعبير".

احتاج أرْجونا إلى نوع من الصدمة الفكرية، وسيلة ما لاهتزاز الفكر بسرعة لإخراجه من حالة التعليق. ومن أجل الوصول إلى هذه النهاية أمطر المولى أرْجونا على ما يبدو بالعبارات المتعارضة للحقيقة. هكذا نجح المولى كريشنا في جلب عقل أرْجونا إلى المستوى حيث يستطيع أن يفكّر بطريقة عملية. وأصبح عملي جداً بقوله: " إنك... تحيّر ذكائي" يبدأ المولى الآن الدرس الثاني من تعاليمه، الوجهة الأكثر مجداً من حكمة الحياة العملية.

الآية الثالثة

قال المولى المبارك:

كما هو مشروح من قبلي منذ القدم، يا من لا ملامة عليه،
يوجد في هذا العالم طريقان:
يوغا المعرفة للذين يتبعون التمعّن،
ويوغا العمل للذين يتبعون العمل.

في هذا الآية، إن كلمة "يوغا" هي مشتركة لكل من غيانا يوغا، أي يوغا المعرفة، وكارما يوغا، أي يوغا العمل. إنّ حالة الوعي التجاوزي هي حالة اليوغا، أو الإتحاد، حيث يبقى العقل متّحد بشكل تام مع الطبيعة القدسية التي يصبح فيها. عندما يتم الحفاظ على هذا الإتحاد بشكل طبيعي، وبصرف النّظر عن أنماط العقل في حالة اليقظة أو الحلم والنوم، عندئذ تدعى هذه الحالة من الوعي بالوعي الكوني.

ثمّ الذي يذكر من الوعي يقال بأنه كان وعي كوني.

عندما تكون حالة الوعي التجاوزي، أو اليوغا، مكملة بعملية التفكير والتمييز من أجل تطويرها إلى الوعي الكوني، تدعى هذه الطريقة بيوغا المعرفة، غيانا يوغا؛ بينما عندما تكون حالة الوعي التجاوزي مكملة بالعمل على المستوى الحسّي من أجل تطورها إلى الوعي الكوني، تدعى الطريقة كارما يوغا، يوغا العمل. هذان النوعان من أنواع اليوغا يحققان

حاجات كلّ إنسان، سواء كان بالتمعن أو بالعمل.

إنّ اختبار التجاوز في أثناء التأمل هو إدراك ناحية واحدة فقط من الحقيقة – الوجهة المطلقة وغير الظاهرة. من أجل إدراك الحقيقة الكاملة، يجب أن يتماشى هذه الاختبار مع اختبار الوجهة الظاهرة، التي هي المرحلة النسبية للوجود.

من أجل أن يتم العيش في وعي الغبطة التجاوزي في جميع الأوقات، من الضروري أن لا يكون مفقوداً عندما يخرج العقل من التأمل وينشغل في النشاط لهذا ولكي يكون ذلك ممكناً يجب أن يصبح العقل متآلف بشكل حميم جداً مع حالة الكينونة التي يبقى مستقرة في العقل في جميع الأوقات، وخلال كلّ النشاط العقلي للتفكير والتمييز والتقرير، وخلال كلّ مراحل العمل على المستوى الحسّي. لهذا وبالتالي، من الضروري أن تكون عملية كسب الوعي التجاوزي من خلال التأمل ومن خلال الانشغال في النشاط، تتم بشكل متناوب، لكي يقترب كل من الوعي التجاوزي وحالة وعي اليقظة من بعضهما ويندمجا أخيراً مع بعضهما للتسبّب في حالة الوعي الكوني، الحالة التي فيها يعيش الفرد في وعي الغبطة، الإدراك الداخلي للكينونة، في خلال كلّ نشاط حالة اليقظة وحالة الحلم وخلال صمت حالة النوم العميقة.

كما يوجد نوعان من الناس، أشخاص الفكر وأشخاص العمل، كذلك هناك طريقتان للحياة، طريق التنسك لأشخاص الفكر وطريق ربي البيت لأشخاص العمل. ينشغل رجل الفكر، بعد التأمل، في النشاط العقلي للتمعن وبذلك ينجز التكامل لحالات الوعي التجاوزي ووعي اليقظة؛ بينما رجل العمل، بعد التأمل، ينشغل في حقل العمل وبذلك ينجز نفس الهدف.

وهكذا، تختلف غيانا يوغا للناسك وكارما يوغا للرب البيت عن بعضهما الآخر في مرحلة النشاط فقط هناك نوع من الناس يكرّسون أنفسهم إلى النشاط العقلي في التفكير

والتمييز والتقرير حول طبيعة العالم وطبيعة القدسي؛ والآخرون يكرّسون أنفسهم للعمل من دون جعل عملية التفكير وسيلة للاكتمال. بهذه الطريقة، كلاهما ينشغل في النشاط بعد كسب الوعي التجاوزي.

يقول المولى إلى أرْجونا بأنّ هاتان الطريقتان للإدراك قد تم تناقلهما من جيل إلى جيل، منذ الأزل. إنهما طريقان متميّزان للنوعين المتميّزين من الناس الذين يسيرون في طريقتا الحياة المتميّزتان.

لسوء الحظ لقد خلقت الفوضى في فهم هذا المبدأ للإدراك، الطريق السريع إلى التطور. إذا يتبنّى رب البيت وجهة نظر يوغا المعرفة، عندئذ يهبط إلى عالم الفكر ويصبح أقل عملياً. وبنفس الطريقة، إذا أعتنق الناسك وجهة نظر يوغا العمل، يفقد فرصة التمييز النزيه والتدفق الثابت للتمعن. ويهبط إلى حقل العمل، إلى صخب الحياة.

إن كلا الطريقين صحيحين على حد سواء لتطوير الوعي الكوني. تمثل كل من كارما يوغا وغيانا يوغا الطريق المباشر إلى الاكتمال. لكن الطريق الذي يتم اختيارها يجب أن يناسب طريقة الحياة والميول الطبيعية للشخص الطامح. يجب أن لا يحاول رب البيت الوصول إلى الإدراك من خلال السانكهيا أو غيانا يوغا؛ بل عليه سلوك طريق كارما يوغا، الذي به ينجز تطلّعاته في الحياة في العالم، سيكسب الوعي الكوني بأسلوب طبيعي ومنسجم. وبنفس الطريقة يجب على الناسك أو السنياسي أن لا يتطلّع لإتباع طريق كارما يوغا، يجب عليه أن يتبع تعاليم السانكهيا أو غيانا يوغا، وينجز تطلّعاته بطريقة حياة التنسك، هو أيضاً سيحقق الوعي الكوني بأسلوب طبيعي ومنسجم.

إن أولئك المهتمّين بالتقدّم الروحي قد اتبعوا ولعدة قرون وجهة النظر التي تناسب فقط

طريقة حياة التنسك التي هي ملائمة بشكل تام للقلة من الناس الذي تقاعدوا من العالم، ولكن مثل هذه الوجهة النظر ليس لها مكان في حياة الأغلبية الواسعة للبشرية الذين يتبعون طريقة حياة رب البيت. إن طريق الكارما يوغاهي ليست مثل طريق المعرفة، التي تسير في طريق التفكير أو الفهم الفكري والمنطقي؛ إنها الطريق البريء للعمل، المكملة بالتأمل التجاوزي. إن التفكير بالذات القدسية أو الله، ليس له مكان على طريق الكارما يوغا. أما أولئك الذين يحاولون إبقاء عقلهم على الله في حين يكونون منشغلين بالعمل فلا ينجحون في أخذ العقل إلى وعي الله في مستوى الإلهية التجاوزية، ولا ينجحون بشكل صحيح في حقل العمل، لأن العمل يصبح ضعيفاً عندما يقسّم العقل ولا يكون على العمل بالكامل. هذا ما يؤدي إلى خسارة في كلا الاتجاهين. فهم لم ينالوا وعي الله بالكامل ولم ينجحوا كالرجال في العالم.

إلى أولئك الذين يريدون أن يكونوا ناجحين في الحقل القدسي وفي العالم كليهما معاً، يكون الطريق إلى ذلك الكارما يوغا – بضعة دقائق من التأمل في الصباح وفي المساء والعمل الطبيعي في بقيّة اليوم. يجب أن يكون التأمل، على أية حال، من النوع ذلك يأخذ العقل مباشرة إلى الوعي التجاوزي، و يجب أن ينجز النشاط خلال اليوم بالسهولة ومن دون إجهاد.

يجب أن يرسخ في ذهننا أنّ ممارسة التأمل هي ضرورية لكل من الناسك ورب البيت. وفي نفس الوقت، ومن أجل بلوغ التنوير من الضروري وبعد الممارسة أن يقوم الاثنان بالانشغال في النشاط – ولا يهم نوع النشاط، سواء كان النشاط الفكري، كما هو في حالة الناسك، أو نشاط الحواس، كما هو في حالة رب البيت.

إن الناسك هو مجهّز بنمط معيّن من التفكير الذي يخدمه على البقاء ثابتاً في طريقه من التنسك. أما رب البيت، وعلى نفس النمط، فهو مجهّز بنمط من العمل لإبقائه ثابتاً في طريقه العمل. هذا النشاط بعد التأمل مهم لتكامل حالة وعي اليقظة مع الحالة الوعي التجاوزية، لكن

المحتوى الفعلي لتفكير الناسك وعمل رب البيت لا يمكنهما بأية حال المساعدة على جلب تكامل الحالتين من الوعي. بل إنه النشاط في حد ذاته، الجسدي أو العقلي، هو الذي له القيمة في جلب التكامل. إن محتوى الفكر والعمل له قيمته بالتأكيد في طريقتي الحياة لكنّه لا يمسّ حقل الكينونة.

إنّ غاية كلتا الطريقين هي في تثبيت الإنسان على مستوى الوعي حيث سيتمتّع بحياة ذات مغزى، ويكون ثابتاً في الحرية الأبديّة لوعي الغبطة. يصبح مثل هذا الإنسان أكثر قوة ونجاحاً في طريقة حياته الخاصة – ويكون نشاط رب البيت وخلوة الناسك محمياً بالكامل ويصل إلى الاكتمال.

الآية الرابعة

ليس بالامتناع عن العمل
يتحرّر الإنسان من العمل،
وليس بمجرد التخلّي والزهد
يحقّق الكمال.

"التحرر عن العمل" هي الترجمة الأقرب للكلمة السنسكريتية ناشكارميام، التي تظهر صفة معينة للفاعل وهي صفة عدم الارتباط حيث يتمتّع بالحرية من عبودية العمل حتى أثناء

نشاط إنما تظهر حالة طبيعية ودائمة للفاعل. سواء كان مشغولاً في نشاط اليقظة أو حالة الحلم أو في خمول النوم العميق، فهو يحتفظ بالوعي الداخلي. إنها حالة الحياة حيث لا يكون الوعي الذاتي محجوباً بأيّ من حالات الوعي النسبية الثلاث – اليقظة أو الحلم أو النوم. في هذه الحالة "ناشكارميام"، يرتفع الفاعل إلى الحالة الرابعة من وعي "توريا"؛ التي هي وبطبيعتها الأساسية، الوعي الذاتي، الحالة المطلقة الصافية لوعي الغبطة – سات –تشيت – آناندا – ولكنها ما تزال مشمولة في الحالات الثلاث النسبية للوعي.

بدأ المولى بتوضيح "التحرر عن العمل"، في الآية الثامنة والأربعين من الفصل الثّاني، من ناحية التخلي عن الارتباط وفي الآية الحالية يوضّح ذلك من دون أيّ إشارة إلى الارتباط وفي الآية الثلاثين سيوضّح ذلك بالإشارة إلى ذاته – باستسلام كلّ الأعمال إلى الله. لكن وفي كلّ حالة، يشكّل الاختبار المباشرة للكينونة الأساس للتحرر عن العمل.

" بالامتناع عن العمل" يقع الفرد في حالة من التراخي أو خمول النوم. وهذه الحالة هي بعيدة كل البعد عن حالة التحرر من العمل، حيث يكون العقل، في أعماق ذاته، يبقى متوافقاً مع الكينونة المطلقة حتى عندما يتم الحفاظ على النشاط على السطح؛ حيث يكون الحقلان للكينونة والنشاط مدركان كأنهما منفصلان الواحد عن الآخر.

"الزهد": هي حالة غير الارتباط حيث يبقى الفاعل منفصلاً عن حقل النشاط؛ وهي حالة التحرر عن العمل.

إنّ بركة حالة الزهد، أو التحرر عن العمل، هي بأن تجد الذات ذاتها منفصلة عن حقل النشاط لكن إدراك الافتراق عن النشاط الذي يؤدّي إلى الخسارة الكلية للنشاط للذات، سوف لن يجلب "الكمال". لا يتطلب الكمال الافتراق من النشاط فقط، لكن يتطلب الإتحاد الإيجابي مع الله.

يعني ذلك بأنّ الذات الفردية المنفصلة عن النشاط على مستوى الحياة الفردية، تجيء لتوحيد ذاتها بالكونية، بالله، الذي هو مفصول عن النشاط على مستوى الحياة الكونية. يرتفع الوعي الكوني، الحالة الدائمة للوعي الذاتي، إلى حالة وعي الله؛ وترتفع حالة التحرر عن العمل إلى حالة عمل الله.

الآية الخامسة

في الحقيقة لا يستطيع أحداً أن يحيا،
ولو للحظة، من دون القيام بعمل؛
لأن كل فرد هو مقتاد لا محالة للعمل
بواسطة الغونات المولودة من الطبيعة

في كلّ حالات اليقظة والحلم والنوم العميق، التي تشكّل الحياة النسبية، يستمرّ النشاط الجسدي بالاتجاه الخارجي والاتجاه الداخلي. إن كلّ شيء في الخليقة يتطوّر، وعملية التطور تتم دائماً من خلال النشاط هذا ما عناه المولى عندما قال: " في الحقيقة لا يستطيع أحداً أن يحيا، ولو للحظة، من دون القيام بعمل "

"الطبيعة": هذه هي الترجمة الأقرب لكلمة "براكريتي". إنّ الناحية الأسمى للخليقة هي الكينونة المطلقة غير الظاهرة التجاوزية. و "طبيعتها" تتضمن الغونات الثلاثة التي تشكّل تقلباتها وتجمعاتها المتنوعة كلّ الوجود الظاهري. ويستمرّ نشاطها بشكل متواصل في كلّ حقول الخليقة، ولهذا السبب يقول المولى بأنّ "كل فرد هو مقتاد لا محالة للعمل

بواسطة الغونات". لأنه فقط في الحقل التجاوزي للوجود لا يوجد نشاط

تعرض هذا الآية، ومع التثبيت بأن النشاط هو كوني، استحالة كسب حالة "التحرر عن العمل" من خلال عدم الانشغال في النشاط

الآية السادسة

إن من يجلس مقيداً لأعضاء العمل،
وفي داخله رغبة لمدركات الحواس،
هو مضلّل لذاته،
ويكون مرائياً ومنافقاً

لقد ثبتت الآية السابقة بأن النشاط هو ضروري جداً لمدى الحياة في الحقل النسبي. وتوضح الآية الحالي بأنّ التفكير أيضاً ينتمي إلى مجال النشاط هذا يقودنا إلى الاستنتاج بأنه إذا العمل يربط، يصبح الفرد خاضعاً لتأثيره الملزم حتى إذا راودته فكرة العمل فقط

يقول المولى بأنّه من الخطأ الجلوس " مقيداً لأعضاء العمل" حينما يكون العقل منشغلاً

بمدركات الحواس. إن ذلك هو إنكار مؤكّد لمبدأ السيطرة على الحواس. يقترح بشكل صامت بأنّ تقنية السيطرة على الحواس لا تكمن في المنع المباشر؛ إنما تكمن، بالأحرى، في حقل العقل، في مجال النشاط العقلي. إنّ تعاليم هذه الآية: لا تخلق إجهاد بالمحاولة المباشرة للجم الحواس. تعطى التقنية الفعلية في الآية التالية.

"المنافق" هو من لا يكون صادقاً مع نفسه ولا مع الآخرين. إنه يخفي طبيعته الحقيقية.

الآية السابعة

لكن من يضبط حواسه بالعقل،
ومن دون تعلّق يشغل أعضاء العمل،
في يوغا العمل، يكون متفوّقاً، يا أرْجونا

إنّ يوغا العمل، أو كارما يوغا، هي أداء العمل بالمهارة التي لا تسمح لحواس الإدراك تسجيل الانطباعات العميقة من الاختبارات. تبقى أعضاء العمل عاملة في أثناء النشاط؛ وتستمر حواس الإدراك في الاختبار أيضاً، لكن أسلوب نشاطها يكون بشكل في حين أنها تختبر بالكامل، فهي لا تسجّل الانطباعات العميقة للاختبارات. إنّ الإنسان القادر على الاختبار بهذا الأسلوب هو من نصفه هنا كأنه يعمل "من دون ارتباط".

الكارما يوغا هي تلك الحالة التي تعمل فيها حواس الإدراك بأسلوب منظّم ومسيطر عليه،

بينما تكون أعضاء العمل نشيطة. كيف تبقى الحواس منظّمة ومسيطرة عليها؟ إنّ المولى يقول بأنّه استناداً إلى حالة عقلية معيّنة. أما كيفية وصول العقل إلى هذه الحالة فهي غير مشروحة هنا، لأنها قد تم شرحها إلى أرْجونا في الآية الخامس والأربعون للفصل السابق – يجب على العقل أن يثبت في الغبطة المطلقة للوعي القدسي خلال التأمل التجاوزي. هذه هي التقنية البسيطة التي فيها يتم السيطرة على حواس الإدراك وتنظيمها بشكل آلي؛ كي تصبح كارما يوغا، ليس بحاجة للقيام بأي شيء لجعل الوعي التجاوزي يتغلغل في العقل. عندما تكون حواس الإدراك نشيطة بينما يكون العقل في حالة الوعي الصافي، يدعى ذلك كارما يوغا: تبقى الحواس على مدركاتها ويبقى العقل ثابتاً في الكينونة.

إنّ تقنية السيطرة على الحواس بالعقل قد تم التوسع بها في الآيات الثانية والأربعون والثالثة والأربعون؛ يجب على الفرد أن يتجاوز حقول العقل والفكر، أو كما وضع ذلك المولى في الآية الخامسة والأربعين من الفصل الثّاني، يجب على الفرد أن يكون من دون الغونات الثلاث.

الآية الثامنة

قُم بواجبك المفروض عليك لأن العمل هو بالتأكيد
أفضل من عدم العمل. حتى إن بقاء جسدك
غير ممكن من دون العمل.

" الواجب المفروض" هو ما يجب أن يفعل الفرد بشكل طبيعي، والذي من أجله ولد الفرد – العمل الطبيعي بموجب قوانين الطبيعة، العمل المتطابق مع دهارما الفرد الخاصة، العمل الذي يتوافق مع المجرى الطبيعي للتطور، العمل الذي هو الرابط البريئة بين الوعي الذاتي والوعي الكوني، العمل الذي يخدم كطريق لتحقيق وعي الله واكتمال الحياة.

والوجهة المهمة للواجب الطبيعي هو بأنّه ضروري لإنسان؛ إذا لم يؤدّي واجبه المفروض، هو سينشغل بالأعمال تكون خارج طريق تطوره الخاص.

يشمل الواجب المفروضة أو الفرائض، الأعمال التي تمكّن الإنسان في البقاء والتطوّر. إن الصواب في مثل هذه الأعمال تكمن في: لإي أداء الفرائض يشعر الفرد بعدم الإجهاد؛ وهي لا تشكل عبء في الحياة؛ في عملية واحدة تحافظ على الحياة وتقود إلى التطور.

إنه لأمر أساسي على حد سواء، الفهم بأن العمل غير الطبيعي سينتج حتماً الإجهاد والتوتّر في كل من الفاعل والجوّ حوله. إذا كانت عملية العمل متوتّرة، تتدخّل في الانسجام بين الفاعل وعمله، الذات والموضوع؛ وهكذا تباعاً يتم إعاقة تغلغل الطبيعة القدسية إلى حقل النشاط، ويتم خلق المقاومة في وجه تطور الوعي الكوني. لهذا السبب يذكر المولى وبشكل خاص: "الواجب المفروض".

ظهر السؤال من اكتشاف الواجب المفروض على الفرد. في تلك الأجزاء من العالم حيث ما زالت الانقسامات الطبيعية في المجتمع موجودة، يعرف جلياً واجب الإنسان نتيجة لولادته في العائلة المعيّنة. هكذا، ولد أرْجونا من الكشاتريا وهو الطبيعي له أن يحارب. لكن في تعقيدات الحضارات المختلطة وخليط التقاليد في العالم اليوم، يبدو من الصعب اكتشاف "

الواجب المفروض" للفرد.

إذا كان يجب، وفي غياب أيّ سلطة دينية أو في التقاليد، إيجاد معيار للواجب الطبيعي، يمكن أن يقال أنه على أساس الحسّ العام وبأنّ العمل الضروري والذي لا ينتج عنه أيّ توتّر أو جهد غير ملائمة للفاعل والبيئة المحيطة به هو واجبه الطبيعي. في الحقيقة قد يوجد العديد من العيوب في المعيار المستند فقط على الحسّ العام. إلا أن التأمل يجعل تدفق الحياة سلساً ويضع مجرى الحياة بشكل طبيعي بالتوافق مع قوانين الطبيعة، يؤيّده في الطّريق إلى التطور الأعلى، لذلك وفي غياب أيّ وسيلة أخرى لاكتشاف الواجب المفروض على الفرد، سيكون أمراً حكيماً في قبول التأمل التجاوزي كوسيلة لتوجيه الفرد نحو طريقة الحياة الطبيعية.

يمكننا أن نتذكّر بأنّه عندما بدأ المولى في إعطاء التعليمات إلى أرْجونا في فنّ العمل الصحيح التلقائي، نصحه في الخروج من حقل النسبية ويتّخذ موقفه في حقل المطلق؛ و بذلك يكون قد ارتفع إلى تلك الحالة من الحياة – الوعي الكوني – حيث يصبح الفرد قادراً على الأعمال التي يتم أدائها بالتوافق التام مع قوانين الطبيعة، وبذلك يكون الفرد قد أكمل الدهارما الخاصة به ويكون قد خدم الغاية الكونية.

يقول المولى: "العمل هو بالتأكيد أفضل من عدم العمل"، ويضيف قائلاً: "حتى أن بقاء جسدك.." تحتوي هذه الكلمات على حكمة عظيمة حول تكامل الحياة والسرّ الأسمى للتطور عن طريق العمل. إنّ الكلمة "حتى" لها الأهمية العميقة. إذا كان بقاء الجسم هل النتيجة الأدنى التي ينسبها المولى للعمل، ماذا تكون إذاً الأعظم؟ إنها نيل وعي الله، الحالة الأعلى لتطور الإنسان. يقصد المولى بذلك، بأنه من دون النشاط، ليس الجسم فقط هو الذي لا يبقى، لكن المراتب العليا للتطور لن يمكن بلوغها. لذلك، يجب أن يتم فهم كم هو العمل ضرورياً لتحقيق وعي

الله.

عندما يذهب العقل، في أثناء التأمل التجاوزي، إلى الأعماق في الداخل ويتجاوز الحالة المرهفة للنسبية، يبلغ الحالة المطلقة التجاوزية للكينونة. هذه هي حالة الوعي الصافي، أو وعي الذات. عندما يخضع العقل للعمل، وبوجوده في تلك الحالة، تكون الطبيعة القدسية التجاوزية للذات قد تم جلبها خارجاً لكي نعيشها في حقل النسبية. أولاً يتم قيادة العقل الدنيوي في حالة اليقظة إلى الطبيعة القدسية الداخلية بالتوجه الداخلي للتأمل، التي هي الانسحاب من النشاط؛ ومن ثمّ، وبفضل اعتناق النشاط من خلال التوجه الخارجي للتأمل، يتم جلب الطبيعة القدسية الداخلية خارجاً إلى العالم.

يجب الملاحظة بأنه، في تشديد على إلزامية العمل للحفاظ على الحياة وبلوغ غايتها، كان المولى دقيقاً في وصف العمل الذي أشار إليه. هو لم يقل: قم بواجبك بل يقول:"قم بواجبك المفروض"، بواجبك الطبيعي. وكيفية إتباع وصية المولى هذه في الحياة، يمكن أن تتجسد بكلمة واحدة: تأمّل.

التأمل هو المفتاح إلى أداء الواجب المفروض على الفرد. إنه الطريق المباشر لتمجيد كلّ نواحي الحياة، إذا أنه يحول حياة العبودية في العالم إلى الحياة القدسية للحرية الأبديّة في الوعي الكوني، حيث يختبر الفرد الذات على أنها منفصلة عن النشاط

يطوّر الوعي الكوني بدوره إلى وعي الله من خلال التقوى، الذي هو النوع الأكثر نقاوة للعمل، الذي يوحد في نور الله، الوجهتان المنفصلتان من الوعي الكوني، الذات والنشاط هذه هي بركة العمل، بأنّ يقود الفرد من حالة وعي اليقظة إلى الوعي الصافي التجاوزي، ومن هناك إلى

الوعي الكوني وأخيراً إلى وعي الله، الحالة الأعلى لتطور الإنسان.

الآية التاسعة

ما عدا الأعمال التي يتم تأديتها لليغْيا،
هذا العالم هو مقيّد بالعمل. من أجل اليغْيا
قم بأداء العمل متحرّراً من التعلّق

"قم بأداء العمل متحرّراً من التعلّق": بعد أن ثبّت حالة وعي الغبطة وبذلك أدرك النفس بشكل واضح كمنفصل عن النشاط، يشغل شغّالاً، يعمل ' واجبك الموزّع '، كما تمتّع به في الآية السابق.

تُخرج عملية العمل الفاعل من ذاته؛ أن العمل هو الطريق المباشر لإخراج الذات إلى حقل النسبية. هذا ما يحدّد الذات المطلقة غير محدود، و يدعى التأثير بالتأثير الملزم للعمل. وهنا يعطي المولى إلى أرْجونا التقنية التي بها يمكن استخدام العمل بحد ذاته لإعادة الفرد إلى منزلته الأبديّة للكينونة المطلقة.

'اليغْيا' هو العمل الذي يساعد التطور. إن أيّ عمل في العالم الذي يتجه نحو الكينونة المطلقة يساعد على تحرر الإنسان من العبودية؛ إما الأعمال في أيّ اتجاه آخر فهي تؤدّي إلى العبودية.

عندما يبدأ المولى، في هذا الفصل، في تعليم نظرية العمل، يميّز بشكل طبيعي بين تلك

الأعمال التي هي الوسيلة للتحرر وتلك التي تؤدّي إلى العبودية.

تعني الكلمة 'يغْيا' عموماً، أداء ديني أو شعائر مقدّس، أو مراسم الأضاحي التي يتم فيها تقديم الهبات إلى الإله المترئس ويتم استهلاكها في النار. لكن المولى يقصد هنا فعل الذهاب إلى الكينونة التجاوزية – ويجلب الانتباه من الاختبار الخارجية السطحي للعالم إلى حالة التجاوز، سامحاً لكلّ الأفكار والرغبات بالتجمع عند التجاوزي، كما يتم استهلاك قرابين الأضاحي في النار التضحية.

على ضوء هذا الآية، إن اليغْيا لا تنحصر في الحدود الضيّقة للمراسيم المعيّنة. إنها طريقة الحياة التي تزيد سرعة التطور.

إن تفسير اليغْيا من ناحية الوعي التجاوزي لا يقوّض، بأية حال، صلاحية الشعائر الفيدية التي يتم تأديتها لإرضاء الآلهة المختلفة. إن ما يقوم به الإنسان من نشاط بعد ممارسة التأمل التجاوزي، يساعده على إكمال الوعي التجاوزي مع حالة وعي اليقظة، وبذلك يتم تطوير الوعي الكوني. إذا قام أثناء قيامه بمثل هذا النشاط، بالاعتزاز بالعمل على إرضاء القوى العلوية في الطبيعة، الآلهة، من المستحيل لهذا العمل أن يعيق تقدّمه؛ وبالعكس، سيجلب له الإنجاز الأعظم من خلال الدعم الذي يتلقاه من هذه القوى في الطبيعة.

اليغْيا هي موضوع الفيدا. إنّ الفيدا مقوجهة إلى فروع مختلفة، مسمّاة الشاكهات. تشرح كلّ شاكها اليغْيا الخاصة بها، وتغطّي المدى الكامل للحياة، النسبي والمطلق، ويستهدف تمجيد الحياة في كلّ أوجهها، السطحية والمرهفة والتجاوزية. لكلّ شاكها ثلاثة أقسام. القسم الأول، يسمّى "كارما كاندا" (الفصل عن العمل)، يتعامل مع الوجهة السطحية لليغْيا، التي هي مصمّمة لتحسين الوجهة السطحية للحياة، الجسم كلّ ما يتعلّق به في العالم. تثبت الوجهة

السطحية لليغْيا واجبات الإنسان التي تعود إلى المستويات المختلفة من التطور والمعيشة في الأوقات المختلفة وفي الأماكن المختلفة وتحت الظروف المختلفة، بحيث لا تعمل ضدّ قوانين الطبيعة. هذا ما يساعد الإنسان على التطوّر بفضل أي عمل يقوم به أو يختبره على المستويات السطحية للحياة.

إنّ القسم الثاني لشاكها يدعى "أوباسانا كاندا" (فصل العبادة) ويتعامل مع السمات المرهفة لليغْيا، التي تكسب بركات القوى العلوية للطبيعة، الآلهة الفيدية. هذا القسم له النواحي السطحية والمرهفة الخاصة به. تتعامل الوجهة السطحية مع التأدية الطقسية لإرضاء الآلهة الفيدية المختلفة وتكسب بركاتها، بينما الأوجه المرهفة تتعامل مع تدريب العقل على الاتّصال بالقوى العلوية وتنال بركاتهم على كلّ الإنجازات في الحياة.

إنّ الغاية الرئيسية لهذا القسم هي في ربط الإنسان مع الكائنات الأكثر تطوّراً في الخليقة كي ينال نيّتها الحسنة وبركاتها ومساعدتها في تحسين كلّ أوجه حياته.

أما القسم الثالث لكلّ شاكها فيدعى "غيانا كاندا" (فصل المعرفة)، وهو يحتوي على حكمة الحياة الأبديّة. تعود الأوبانيشاد إلى هذا القسم. كلّ شاكها لها أوبانيشاد خاصة بها كي تظهر طريق الاتّصال ببرهمان، الحقيقة النهائية، وهي من أجل كلّ أولئك الناس اللذين عليهم تنطبق تقليدياً تعاليم هذه الشاكها. إن حكمة المطلق وطريق تجاوز الحقول النسبية للحياة وبالتالي تغلغل الطبيعة القدسية إلى كلّ مجالات الوجود البشري يتم التعامل معها في هذا قسم لكلّ شاكها.

بهذه الطريقة، تحتوي كلّ شاكها فيدية على الحكمة التي تشكل الحقل الكامل للحياة البشرية، وبطريقة، بحيث تكون كلّ أوجهه؛ الروحية والعقلية والبدنية، منسّقة بشكل

مثالي مع بعضها البعض وعلى كلّ مستوى وفي نفس الوقت بالانسجام المثالي بكامل مع مخطط التطور. إنّ الهدف هو في قيادة كلّ نفس إلى حالة الكمال، الحالة الأعلى والأكثر سمواً للوجود، وعي الله. هكذا يكون المجال الشامل لليغْيا.

الآية العاشرة

في البدء، وعندما خُلِقَ
الإنسان مع اليغْيا، قال
رب الخليقة: "بهذه اليغْيا
فلتزدهر وهذا ما سيجلب
لك اكتمال الرغبات

لقد تم تعريف الياغْيا بأنها العمل الذي يساعد التطور. و لذلك تبعها، بأن الياغْيا تقود الإنسان في النهاية إلى الحالة الأعلى للتطور، إلى إدراك الله. إن كلّ خطوة للتطور هي مرتبطة بالياغْيا .هكذا تؤيّد الياغْيا الحياة من بدايتها إلى هدفها النهائي. هذا ما عناه المولى في قوله: "عندما خُلِقَ الإنسان مع اليغْيا"

إن الله هو مصدر كلّ الخليقة، وصلة الإنسان مع الله هي من خلال الوعي التجاوزي الصافي. لقد خرجت الخليقة من هذا المستوى المطلق للحياة، وأمر الخالق بأنّها ستكون إلى الأبد المصدر لكلّ ازدهار وتقدّم في الحياة. وبتناغم العقل مع الله، يجد الفرد الذكاء العظيم والطاقة

والسعادة والتناغم وبامتلاكها، لا يوجد حدود لاكتمال الرغبات.

في هذه الآية، يشير المولى إلى ازدهار الفرد كإحدى نتائج الياغْيا؛ في الآية التالية يتابع في إظهار فائدة أخرى من فوائدها.

الآية الحادية عشر

بهذه اليغْيا أنت تساند الآلهة،

وهؤلاء الآلهة ستساندك،

وبمساندة الواحد للآخر

ستحقّق السمو الأعلى

إن الأنواع المختلفة للياغْيا التي تم شرحها بالفيدا تربط بين الفرد والعملية الكاملة للتطور الكوني. لذلك للياغْيا مستويات مختلفة من التأثير، تراوح من المستوى السطحي إلى الحالات المرهفة من الخليقة، لكننا يشير دائماً نحو الهدف النهائي لوعي الله.

توضّح هذه الآية ميكانيكاً التأثير الواسع التي تخلقه أعمال الفرد في كل أنحاء الكون –

تتفاعل كلّ قوانين الطبيعة على مستوى الفاعل مع كلّ عمل.

تعتبر الياغْيا كوسيلة إلى ذلك النجاح الكامل في الحياة التي تشمل كلّ الإنجازات المحتملة في العالم سوية مع الحرية من العبودية. في الحقيقة إن الياغْيا هي الوسيلة لإنجاز كمال الحياة. إنها تجلب بركات القوى التي تسيطر وتوجّه تطور الخلق بالكامل، وتكسب إحسان الطبيعة القوية وتجلب اكتمال وعي الله بشكل نهائي.

إن الياغْيا هي عملية جلب الفرد إلى الانسجام مع مجرى التطور، التي تتمتّع بإحسان كلّ قوى الطبيعة العاملة على تقدّم الحياة، الفردية والكونية.

إن الآلهة المذكورة هنا هي الكائنات المؤلهة التي تترأّس القوانين غير معدودة من الطبيعة، والتي هي حاضرة في كل مكان وفي كلّ أنحاء الحياة النسبية. إنها القوى التي تحكم الاندفاع المختلف من الذكاء والطاقة، التي يخطط لتطور كلّ شيء في الخليقة. وجود الآلهة قد نفهمه بالمثال التالي: إن كل خلية من الخلايا التي لا تعد ولا تحصى في الجسم البشري لها مستواه الخاص للحياة والطاقة والذكاء؛ وسوية، تنتج هذه الأحياء غير المعدودة الحياة البشرية. إن الكائن البشري هو مثل الإله لكل هذه النبضات الصغيرة للطاقة والذكاء، وكلّ واحد منها وبشكلها الخاص وميولها ومجالها للنشاط والتأثير، تعمل لتحقيق غاية التطور.

يتمنّى المولى أنه عن طريق الياغْيا، فعل المجيء إلى التجاوزي، يجب على الإنسان وبشكل متزامن أن يرضي عالم الآلهة. ويكون ذلك ممكناً فقط إذا كانت وسيلة كسب الوعي التجاوزي بشكل يكون التأثير المنتج بواسطتها يساند مجرى التطور ويكسب إحسان الكائنات المؤلهة التي تترأّس قوانين الطبيعة، الآلهة. نأخذ الكلمة التي تنتج مثل هذه التأثير من الانسجام في الخليقة ونختبر حالاتها المرهفة إلى أن يتجاوز العقل المستويات المرهفة

ويكسب حالة الوعي التجاوزي. هكذا يريدنا المولى أن نخلق ونحافظ على الانسجام المتبادل مع القوى العلوية للطبيعة في الطّريق إلى أن نصبح واحداً مع القدسي الأبدي التجاوزي.

عندما يتم إدراك النشاط، من خلال ممارسة التأمل التجاوزي، بأنه منفصل عن الذات، عندئذ يمكن القول بأن كلّ نشاط في الحياة قد تم تقديمه كهبة إلى الآلهة. هذا ما يعني بأنّ النشاط يستمرّ في مجاله في الحياة النسبية، التي تترأسها الآلهة، بينما تبقى الذات في حرية المطلق. هذه هي الطريقة لإرضاء كلّ الآلهة من خلال كلّ نشاط في جميع الأوقات. وهكذا يتم خلق الحالة التي يصبح فيها كلّ نشاط ياغْيا بشكل آلي.

هذا الأسلوب في تقديم الأعمال إلى الآلهة لا يدلّ على الاستسلام إليها أو الخضوع لها. لكن الذات في هذه الحالة تصبح متحررة بالكامل من كلّ تأثيرات الحياة النسبية، بما في ذلك الآلهة.

"السمو الأعلى": تنتج الوجهة الطقسية للياغْيا التأثيرات في الحقل النسبي للحياة؛ وقمة منالها هي السماء، قمّة العالم النسبي، حيث تكون الحياة خالية من المعاناة. إن تقنية التجاوز من خلال عملية الياغْيا، ومن الناحية الأخرى، تقود الفرد إلى وعي الغبطة التجاوزي، التي هي حالة الحرية الأبديّة في الحياة، ومن هناك إلى وعي الله، الذي هو "السمو الأعلى" للكل – إنه أعلى من الأعلى في المجال النسبي للحياة.

الآية الثانية عشر

بـرضاهم من اليـغْيا ستنـعم
عليك الآلهة بـالفرح والسرور
الذي تتمنـاه، ولكن من يتمتع
بـهبـاتـهم دون أن يكرّمهم
يكون لص خسيس

"دون أن يكرّمهم": من دون التخلّي عن التملك لصالحهم، من دون أداء فعل تحويل الملكية إليهم. إنّ ثمار كلّ عمل هو ردّ الطبيعة إلى ذلك العمل وهو بالتالي لا شيء سوى هبة قوى الطبيعة، الآلهة. كيف يمكن التخلّي عن امتلاك كلّ شيء نكسبه في الحياة؟ من الممكن فقط بواسطة تطبيق تعاليم الآية الثامنة والأربعون من الفصل الثّاني وندرك أن الذات هي منفصل عن حقل النشاط عندما يصبح الإنسان مثبت في الحالة حيث يكون مدركاً بأن كلّ شيء هو منفصل عن الذات، عندئذ، وفي الواقع، يكون قد أعطى على كلّ شيء بالكامل إلى الطبيعة، أو إلى قوى الطبيعة، الآلهة. بهذه الطريقة، يرتفع فوق تهمة السرقة المذكورة في هذه الآية، ويكون قادراً على التمتّع بالفائدة الظاهرة في الآية التالي.

إن خلق المزاج من تكريمهم هو الاستهزاء "بتكريمهم". إنّ تعاليم هذا الحديث هي تعاليم الحياة العملية – إنه حديث يوغا شاسترا، الكتاب المقدّس عن يوغا، علم الإتحاد القدسي. إن حقيقته هي بعيدة كل البعد عن التخيل أو صنع المزاج. لسوء الحظ، بسبب تيار التفسيرات السطحي لعدّة قرون، تم تحريف التعاليم الأساسية كثيراً لهذا الحديث الكامل، ونجد المجتمع اليوم محاطاً بالخرافات والتي تفتقر إلى الحس الصحيح لقيم الحياة.

إن الازدهار والسعادة الذي يأتي من بركات الآلهة، المكتسبة بواسطة اليا غْيا، يجب أن لا

تسبّب للإنسان أن يصبح مستغرقاً في المتعة إلى حدّ نسيان مصدر ازدهاره. يقول المولى بأنّ من يقوّض القوى العلوية في الطبيعة بامتلاك ذاته لحقل العمل، والذي ينتمي إليهم في الحقيقة، يتصرّف مثل اللصّ. هذا لأنه لم يدرك ذاته بأنها منفصلة عن النشاط إن أي فرد لم يكسب الثبات في الكينونة بشكل آلي يبقى مرتبطاً بالنشاط؛ يأخذ على عاتقه صنع العمل وينال ملكية ثماره، والذي في الواقع ينتمي إلى الطبيعة أو إلى الآلهة، قوى الطبيعة. لهذا السبب إن مثل هذا الإنسان يدعى "لصاً" ومغتصب لأملاك تعود إلى الآخرين.

يتمتّع اللصّ بثروة الأشخاص الآخرين عموماً، ولكنه لا يقوم بأية محاولة لزيادة ثروته بجهوده الخاص. وهنا التحذير الذي يعطيه المولى: لا يجب أن يكون الفرد راضياً فقط بنمو الازدهار المادي والحكمة والإبداع في الحقل النسبي للحياة، لكن يجب أن يتطلّع لتجاوز كل هذا وينجز وحدانية الحياة الأبديّة للكينونة المطلقة في وعي الله. هكذا يصبح الفرد ثابتاً في مستوى الحياة الذي يقع تحت كلّ الخليقة وينتج التأثيرات المساندة للحياة بشكل آلي لكلّ قوى الطبيعة، وفي الحقيقة، لكلّ شيء موجود في جميع الأنحاء في كلّ الطبقات السطحية والمرهفة للخليقة. هكذا يبدأ الفرد في العيش بالتعاليم الأساسية لهذه الآية.

الآية الثالثة عشر

إن الصالحين الذين يأكلون

من بقايا اليغْيا هم متحرّرون

من كل خطاياهم، لكن الأشرار

غير الصالحين الذين يحضّرون
الأكل لأنفسهم فقط،
حقاً إنهم يأكلون الخطيئة

"بقايا اليغْيا": ما هو متروك بعد الانتهاء من أداء اليغْيا.

اليغْيا هو العمل الذي يسرع عملية التطور، من حالة وعي اليقظة إلى الوعي التجاوزي، ومن الوعي التجاوزي إلى الوعي الكوني، ومن الوعي الكوني إلى وعي الله. هذه هي الحالات المختلفة التي تتطوّر من خلال الأنواع المختلفة من الممارسات. إن كلّ ممارسة بحد ذاتها هي أداء اليغْيا. ويجد التطور إنجازه النهائي في وعي الله، وعندما يتم اكتساب ذلك يكون هدف اليغْيا قد تحقق. لهذا السبب "بقايا اليغْيا" بمعناها الأسمى تشير إلى حالة وعي الله.

إن حالة الوعي الكوني، التي تشكّل قاعدة وعي الله، قد يمكننا أن نقول عنها أيضاً بأنها بقايا اليغْيا. وكذلك قد تكون حالة الوعي التجاوزي، التي تشكّل قاعدة الوعي الكوني.

إن البقايا المتروكة بعد أداء اليغْيا للتأمل التجاوزي هي وعي الغبطة. هذه هي البقايا لليغْيا الأولى والأساسية في الطريق إلى وعي الله وتشكّل قاعدة الوعي الكوني ووعي الله؛ إن من يشارك في تناولها هم "الصالحون"، كما يقول المولى، لأنه في هذه الحالة تتحوّل حياة الصالح إلى حياة من دون خطيئة، إلى حياة مستقيمة كلية. إنه في هذه الحالة يخلق الفرد الصالح ومن خلالها كلّ فكرة وكلمة وعمل، تأثيرات مساندة لحياته وللخليقة بالكامل، لأنه مثبت في الكينونة الأبدية، التي هي قاعدة كلّ حياة في الخليقة.

وبما أن الوعي التجاوزي هو بقايا الأساسية لليغْيا، يكون التأمل التجاوزي هو اليغْيا الأكثر أهمية.

إنّ الرجل الحكيم، الثابت في وعي الغبطة، هو خالٍ من المواقف الشرّيرة بسبب الطمأنينة الداخلية التي يختبرها في حالة الوعي المطلق. وعلى النقيض من ذلك، يصف المولى أولئك الذين يعلّقون أنفسهم بأمور فرديتهم التافهة ولا يحاولون كسب المنزلة غير المحدودة للمطلق. والذين يتحرّكون بدافع الأناني، إنهم يتخلّون عن فرصة التطور الأعلى؛ ولانقطاع بصيرتهم بالأنانية، تكون بهجتهم فقط في حقل الحواس. يقول المولى بأنّهم يرتكبون إثماً من لا يعملون على اتصالهم بالقوى العلوية للطبيعة أو لتطورهم الخاص.

ها هي التقنية للارتفاع فوق تأثير كلّ إثم. إنها كما وضعها المولى كريشنا، إلى "يأكلون من بقايا اليغْيا". إن هذه هي استعارة توضّح بأنّ حالات الوعي التجاوزي، الوعي الكوني ووعي الله، يجب أن يتم استعمالها في الحياة اليومية، لكي تكون أعمال خالية من الإثم والخطيئة. يعني المولى بأنّه إذا لم يكمل العقل طريق اليغْيا – إذا لم يغطس في الذات ولم يصبح مرتبطاً بالكينونة المطلقة، وإذا لم يدرك بأن الذات هي منفصلة عن النشاط، وإذا لم يبلغ وعي الله – عندئذ لا يكون في التناغم مع الكينونة الكونية ولا يكون نشاطه متوافقاً مع الغاية الكونية. وبالتالي لا تكون الأعمال متوافقة كلياً مع عملية التطور. وفي ظل هذه الظروف لا يمكن أن يكون أي تأكيد بأن نشاط الإنسان سيكون صحيحاً بشكل كلي؛ هناك دائماً إمكانية لعنصر الخطأ.

حتى في حالة الوعي الكوني، وقبل الوصول إلى وعي الله، يكمل كلّ عمل الغاية الكونية ويخدم مثل اليغْيا. ولكن إذا لم يصل الفرد إلى الوعي الكوني ولم يخلق حالة بحيث يعيش الذات كونها منفصلة عن النشاط، لن يكون النشاط مباركاً؛ بل ستتمسك به الفردية، ولن

يكون النشاط حراً كي يصبح كونياً. إن مثل هذا النشاط لا ينتمي إلى كرامة الحياة الكونية. عندما ينشغل بالعمل أولئك الذين لم يدركوا الكينونة على أنها منفصلة عن النشاط، فهم يخصّصون العمل لأنفسهم، وفي القيام بذلك يأخذون الشّيء الذي لا يعود إليهم، الشّيء الذي يعود إلى عالم خارج الذات، يعود إلى الحياة الكونية. إنهم يصنفون بصنف من اللصوص (الآية الثانية عشر) ويتناولون، في الآية الحالية، ما يدعى الخطيئة.

عندئذ لن يكون من حق للذات أن في اغتصاب النشاط، لأن النشاط يعود إلى الحياة الكونية. هناك أيضاً اعتبار آخر. إن النشاط المغتصب على هذا النحو سيتلف عملياً الذات بحجب طبيعتها. إنّ حجب الطبيعة الحقيقية للذات، التي هي وعي الغبطة، هي أساس كلّ معاناة، والشيء الذي يسبّب المعاناة يدعى الخطيئة. لهذا السبب تتكلّم الآية الحالية أيضاً عن ترابط الذات مع النشاط بأنه "خطيئة" – جهل هو خطيئة.

فقط عندما يصبح الإنسان مثبت بشكل دائم في الحرية الأبديّة للكينونة المطلقة يكون "متحرّر من كل خطاياه". إن مثل هذا الإنسان هو وحده الإنسان "الصالح" الإنسان الذي هو على صواب دوماً. من خلال كلّ نشاط له ينتج تأثيرات مساندة حياة في الطبيعة، لأنه، بعد أن كسب الحرية من النشاط، تصبح أعماله منتمية إلى كرامة الحياة الكونية. إنهم ينجزون الغاية الكونية للتطور؛ لهذا السبب هم لا يسقطون أبدا إلى عالم الخطيئة. هذا ما يعني به المولى عندما يستعمل الكلمة "صالحين".

إن لم يصبح الإنسان "صالحاً" وإن لم يضع حياته بالتناغم مع الحياة الكونية للكينونة المطلقة، عندئذ قد يرتكب الخطأ في كلّ ما يقوم به. إما المخرج الوحيد من حقل الخطيئة، أو من التأثير الملزم للكارما، فهو في الوقوع تحت تأثير الحرية الأبديّة للكينونة المطلقة. هذا المستوى المرهف لرسالة هذه الآية. في مستوياتها الأكثر وضوحاً فهي تشير إلى الحقول

السطحية للحياة، التي تطلب أداء طقسية لليغْيا لتطويرهم.

تعتمد نوعية العقل على صفات العوامل المختلفة، مثل الغذاء والبيئة والإختبارات، الماضية والحاضرة، التي لها يأثيراً عليها. تؤثّر نوعية الغذاء مباشرة على نوعية العقل. إنه يعتمد على العديد من العوامل، مثل المواد بحد ذاتها والأسلوب الذي بها تم اكتساب الغذاء، سواء كان ذلك قانونياً أو غير قانونياً، وأيضاً أسلوب الطبخ وغايته. يؤكّد المولى هنا على الغاية من طبخ الغذاء. يقول بأنّه إذا كان الغذاء مطبوخاً لكي يقدم إلى الله وتم أكله من قبل الإنسان بعد أداء التقدمة، عندئذ سيتمتّع الإنسان ببركات الله بواسطة ذلك الغذاء؛ وهكذا يكون العقل الناتج عن مثل هذا الغذاء تقياً وتقدمياً وممتلئ بالنعمة. إن مثل هذا العقل بالتأكيد سيكون طبيعيا خارج مجال الخطيئة تماماً. أما العكس فسيكون صحيحاً، إذا كان الغذاء محضّراً من دون غاية تقدمة الأضاحي، وكان بنية وحيدة لإرضاء جوع الإنسان الخاص.

في الآية التالية، يعطي المولى التسلسل المتدرج للخليقة.

الآية الرابعة عشر

بالقوت تحيى المخلوقات؛
ومن المطر يأتي القوت،
ومن اليغْيا يهطل المطر،
واليغْيا هي من العمل

"بالقوت تحيى المخلوقات": يقول المولى بأنّ الحياة الفردية ولدت من الطعام، يشير ضمنا إلى أنّه ليس لها الشيء الكثير بالعلاقة مع الكينونة القدسية، التي هي ذات الكلّ؛ إنها مولودة من الطعام، من الغذاء الذي لا يعود إلى حقل الكينونة. إن الأنا والفكر والعقل والحواس والجسم تعود كلها إلى الحقل النسبي للوجود.

"القوت" على نفس النمط ولد من المطر، الذي ليس له الشيء الكثير بالعلاقة مع ية مع الكينونة القدسية.

لقد تم اعتبار "اليغْيا" في الآيات السابقة بأنها العملية التي بها يتم اختبار الذات على أنها منفصلة عن النشاط في هذه الحالة من الإدراك، يكون النشاط طبيعي جداً ومتوافق بشكل مثالي مع الغاية الكونية للخليقة والتطور. وبذلك، تنتج تأثيراً مسانداً للحياة في كلّ حقل من الخليقة وكنتيجة لذلك تبقى الطبيعة كلها متناغمة. فتشرق الشمس في الوقت المناسب، ويهطل المطر في الوقت المناسب، وتبقى الفصول كلّها منتظمة. هكذا ينظر إلى اليغْيا بأن السبب للمطر الذي، بدوره هو المسؤول عن إنتاج القوت.

" واليغْيا هي من العمل" : إنه من خلال العمل يتم أداء اليغْيا. يتم أداء اليغْيا أو النشاط ذو الطبيعة المعيّنة الذي به يصبح الفرد متّحداً مع الكينونة الكونية. هذا هو المعنى الحقيقي لليغْيا في السياق الحالي للحديث على اليوغا. لكن هذا التفسير لا يجب أن يكون مفهوماً كإنقاص من حقيقة العمل الفيدي، التي هي أداء المناسك الفيدية، المعروفة باليغْيا. تصف الفيدا بعض الأداءات الطقسية التي يقوم بها بعض الناس المؤهّلين من أجل إنتاج بعض التأثيرات المساندة للحياة في الطبيعة. هذا ما يؤدّي إلى كسب عطف قوانين الطبيعة أيضاً بخلق تأثيراً من الانسجام في الجوّ وبالحفاظ على إيقاع الطبيعة، لكي يجيء مطر في وقته

المناسب لإنتاج الغذاء. من الطبيعي أن يكون هذا نوع من اليغْيا أيضاً "مولود من العمل" – له أساسه في العمل.

إنّ الوجهة الأكثر سطحية لليغْيا، التي تؤدي المناسك والطقوس لإرضاء القوى العلوية للطبيعة من أجل التحسن المادي، تحتاج للعمل في الحقل السطحي للحياة من أجل إنجازها. وهكذا، تحتاج الوجهة المرهفة أكثر لليغْيا، التي هي عملية الاتّصال بالمطلق القدسي التجاوزي، إلى النشاط في الحقول المرهفة. هذا النشاط في الأوجه المرهفة للحياة هو عملية التأمل التجاوزي حيث يمر العقل عبر كلّ المستويات المرهفة للوجود ويتجاوز المستوى المرهف للحياة الظاهر للوصول إلى حالة الكينونة المطلقة.

هذا ما يوضّح لماذا تم التشديد على تمجيد العمل والنشاط هنا.

الآية الخامسة عشر

اعرف أن العمل هو من بْرهما
من الفيدا. وبْرهما هو من الأزلي.
لذلك إن بْرهما المنتشر في كل شيء
هو ثابت أبداً في اليغْيا

لقد قيل في الآية السابقة "بأنّ اليغْيا هي مولودة من العمل". ويقول هنا المولى بأنّ العمل

(الكارما) وكلّ المعرفة عنه هي موجودة في الفيدا، وأن الفيدا هي تعبير الحياة الأبديّة.

تشرح الفيدا النظرية وكلّ ما يتعلق بها، أسبابها وتأثيراتها. هذا هو السبب الأول دفع المولى للقول بأن العمل ينشأ من الفيدا. أما السبب الثاني فيتم فهمه عندما نكتشف أن أصل الفيدا في الكينونة القدسية غير الظاهرة التجاوزية.

إنّ الظهور الأول للخليقة هو السطوع الذاتي الإضاءة للحياة. هذا هو حقل الفكر الثابت، أو الأنا الفردي في حالتها الخاصة الثابتة. إنّ السطوع الذاتي الإضاءة للحياة يدعى الفيدا. الخطوة الثانية في عملية الظهور هي في بزوغ ما نسميه اهتزازاً، الذي يظهر خواص براكريتي، أو الطبيعة – الغونات الثلاثة. تؤشّر هذه النقطة بداية اشتغال الأنا. هنا يبدأ الاختبار بشكله المرهف جداً: ثالوث صاحب الاختبار والغرض الذي يتم اختباره وطريقة الاختبار تجيء إلى الوجود. هذه هي بداية العمل في عملية الخليقة. إنها مباشرة قبل بداية العمل، ومباشرة قبل بداية الاهتزاز المرهف في تلك الحالة الذاتية الإضاءة، يكمن مصدر الخليقة، إنه مخزن الطاقة بلا حدود. هذا المصدر للخليقة هو الفيدا، إنه حقل الذكاء المطلق تقريباً الذي يقع تحت ويتخلّل كلّ النشاط المسؤول عن الخليقة وتطور الحياة. إن هذا، وكونه مصدر كلّ الخليقة، ما يقال عنه براهما، الخالق. إن براهما، أو الفيدا هي طبيعياً مصدر كلّ النشاط لهذا تقول الآية: "اعرف أن العمل هو من بـْرهما"

إن اليغْيا هو ما يساعد على التطور. إنها الطريقة لكلّ الإنجازات في الحياة. تأخذ معنى اليغْيا في حقول الحياة المشتركة، يمكن القول بأنّ أيّ عمل يساعد التطور يمكن أن يدعى اليغْيا. هكذا نجد أن كلّ يغْيا هي متخلّلة في، وتسبّب بدرجة ما من الوعي القدسي. في وجهتها الأعلى، إن اليغْيا هي الطريق إلى الوعي الكوني وفي النهاية إلى اكتمال الحياة في وعي الله؛ أما في وجهتها الأدنى، فهي أداء المناسك والطقوس لكسب إحسان الآلهة. هذا هو المفهوم الكامل

لليغْيا.

من المؤكد أن القدسي هو كلي الوجود ولذلك هو موجود في شكل مستتر حتى في تلك الأشياء التي تعارض للتطور. لكن المولى يقول هنا بأنّ الوعي القدسي، البرهما، هو موجود في اليغْيا. هو لا يقول بأنّ الوعي القدسي موجود في الأعمال باستثناء اليغْيا.

يفترض أن تحتوي كلّ برتقالة على العصير، لكن البرتقالة المجففة لا تعطي أيّ عصير. لذلك يقال بأنّ العصير موجود في البرتقال الجديد. حتى البرتقالة المجفف لها عصير، لكن لأنه لا يمكن استخراجه، لا يمكن أخذ مثل هذه البرتقالة في الاعتبار عندما يكون العصير مطلوباً. وهكذا، يمكن للوعي القدسي أن يتطوّر من خلال أنواع العمل تلك التي تساعد على التطور. إنه لا يمكن أن يتطوّر من خلال الأعمال الشرّيرة أو الأثيمة، التي تميل إلى جعل العقل قاسياً وتؤدّي إلى القصور الذاتي. هذا ما يسلب العقل من قدرته على تجاوز النسبية وبلوغ الوعي القدسي.

لهذا السبب يقول المولى أن تلك الأعمال التي تصنف تحت أنواع اليغْيا تحمل معها الوعي القدسي.

الآية السادسة عشر

إن من لا يتبع في حياته

هذه الحلقة من الدوران،

وحياته ممتلئة بالخطايا،

ويتمتّع بمدركات الحواس،

إنه يعيش في الفراغ، يا بارتا

"هذه الحلقة من الدوران": تمرّ الحياة من خلال المجالات المختلفة من الوجود، السطحي والمرهف، وبهذه الطريقة تستمر عملية التطور. إنّ بداية الحياة في الوعي غير الظاهر الصافي، "الأزلي" في الآية السابقة. إذا بقي الإنسان دائماً في حقل الحواس وأخفق في الوصول إلى مصدر الوجود، إذا لم ينتقل عقله من السطحي إلى المرهف كي يدرك بأنّ الأزلي هو المصدر النهائي لكلّ الخليقة، "يعيش في الفراغ" إنه لم يستفد من فرصة التمتّع بالسعادة العظيمة التي تقع وراء مجال الحواس؛ ولم يعبر الحقل الكامل للحياة؛ ولم يذهب من الأصل ويعود إلى الأصل؛ إنه "لا يتبع هذه الحلقة من الدوران". لقد ارتكب إثماً ضدّ نفسه وذنباً ضدّ الله، لأنه أخفق في الارتفاع إلى الاكتمال. لذلك يقول المولى بأنّ "حياته ممتلئة بالخطايا".

إن من أدرك الحياة من خلال كلّ الطبقات المرهفة والسطحية للوجود والكينونة النهائية من خلال كلّ الأعمال، والذي يعيش الاكتمال في وعي الله، يمكن أن يقال عنه بأنه اتبع "حلقة" الخليقة – ذهب إلى ذاك من حيث أتى.

في الآيات التالية، يظهر المولى بالتفصيل حالة الفرد الذي يتمتّع بهذه الحياة الكاملة.

الآية السابعة عشر

ولكن من يجد الغبطة في الذات وحدها،

ومن يكتفي بالذات،

ومن يبتهج فقط بالذات،

لن يكون هناك عملاً يحتاج أن يفعله.

إن "من" هو ثابت بحزم في الذات، الكينونة الأبدية، ولم يرتبط بأي شيء آخر؛ الذي أدرك أن الكينونة هي منفصل عن حقل النشاط وأنها منفصلة دائماً من كلّ شيء ما عدا ذاته الخاص؛ والذي، وعلى الرغم من أيّ نشاط على سطح الحياة، يبقى إلى الأبد في وعي الذات؛ والذي، وبالعيش بها خلال الحالات النسبية للوعي؛ اليقظة والحلم والنوم، يكون ثابت أبداً في الحالة المطلقة للوعي، حالة الكينونة، إدراك الذات.

كلّ الأعمال التي يؤدّيها الإنسان تكون مندفعة بالرغبة لإنجاز شيء ما وللتمتّع به. عندما يصل إلى حقل وعي الغبطة المطلق، تلك الحالة التي هي الاكتمال لكلّ الرغبات، يصبح ممتلئاً بديمومة الطمأنينة، لأن غاية كلّ الرغبات والأعمال تكون قد تحققت. لهذا السبب يقول المولى " لن يكون هناك عملاً يحتاج أن يفعله".

ولكن هل هو سيتوقّف عن العمل؟ يجيب المولى في الآية التالية.

الآية الثامنة عشر

ولا يهتم في جني الربح من العمل
الذي يقوم به، أو العمل الذي لا يقوم به،
ولا يحتاج إلى الاعتماد على أي

مخلوق من أجل أي غاية.

إنّ الإنسان الذي يكون مطمئناً في نفسه يواصل بالتأكيد عمله في العالم، لكن سلوكه يصبح سلوكاً طبيعياً. إنه لا يكون مندفعاً بالرغبات الأنانية، ولا تفسد فعاليتها من أي عيوب قد تنشأ عن البلادة من ناحيته.

يحدث هذا لأنه أكمل غاية كلّ رغباته المحتملة وكلّ أعماله المحتملة في حياته. إنه يشغل نفسه الآن ولكن ليس بالأعمال المندفعة بالفردية الأنانية بل بالأعمال المندفعة بالغاية الكونية. من خلاله يعمل الذكاء القدسي، لأنه أصبح آلة ملائمة لتنفيذ الخطة القدسية في العالم. إن مثل هذه الحياة هي الحياة الطبيعية. إنها نتيجة للفكر الثابت.

لقد كان الاعتقاد السائد بأن هذا الآية تدعو إلى الوصول إلى العمل بلا رغبات وذلك بخلق الحس العقلي في النزاهة في العمل، لكن هذا التفسير خاطئ. إن مثل هذا الحس في النزاهة ليس له أي تأثير على إدراك الوعي الكوني أو الوعي الذاتي، أو وعي الله، ولا يضيف بأية حال إلى الفاعلية في الحياة. إنه فقط يضعف كلّ مراحل الحياة، الروحية والعقلية والمادية. في الآية القادمة، يؤكّد المولى على صلاحية العمل لتكامل الحياة.

الآية التاسعة عشر

هكذا وبدون أي تعلّق،

قُم دائماً بالعمل الذي يستحق الأداء.
لأنه بالقيام بالعمل دون التعلّق به،
يصل الإنسان إلى الأسمى

هكذا، يقول المولى، وبالانفصال كما أنت، ومن دون التعلق كما أنت، بالتباعد إلى الأبد من حقل العمل كما أنت بشكل طبيعي، قم " بالعمل الذي يستحق الأداء".

يطلب المولى عملا في حالة الحرية ويعلن بأنّ الحرية موجودة، إنها طبيعية للإنسان – إن حياة الإنسان هي في التحرر. ليس هناك حاجة لأي جهد لنيل الحرية؛ إنه موجودة.

إن مذهب الكارما يوغا، يتطلب من الإنسان فقط أن يكون في حالته الطبيعية والعادية للوعي الذاتية، ولكي يكون في طبيعته الخاصة. وفي الحقيقة ينصحه المولى بأن يعمل. وهذه النصيحة هي من أجل أن التثقيف على التحرر في وعي الله.

يتجه العقل، متحرّكاً بطبيعته الخاصة للتمتّع أكثر، نحو الحقل المرهف للاختبار في أثناء التأمل التجاوزي ويصل إلى حالة الكينونة بشكل تلقائي جداً. وهكذا يكون النشاط المكتسب بعد هذه الحالة للكينونة منقاداً بشكل تلقائي جداً بواسطة الطبيعة. لذلك إن تطوير الوعي الكوني، الذي يشكّل قاعدة للوصول الأسمى لوعي الله، هو عملية طبيعية، خالية من الجهد.

إن "الأسمى" لله، الذي يترأّس النسبي والمطلق هو امتلاء كليهما. هذا الآية تذكّرنا بالآية السابعة والأربعون للفصل الثاني. يكشف المولى أهمية العمل الطبيعي غير المقيّد في

طّريقنا إلى إدراك وعي الله. أظهرت الآيات السابقة قدرة الإنسان على التصرّف وفقاً لأسلوب طبيعي استناداً إلى امتلاك الوعي الكوني. تظهر الآية الحالية بأن أداء العمل بأسلوب طبيعي غير مقيّد هو وسيلة إدراك "الأسمى". في حالة الوعي الكوني، تكون صلاحية العمل مقبول لأجل تطوّر وعي الله. هذا الآية يجب أن يتم درسها بعناية جداً كي نفهم الوسائل التي بها قد نبلغ وعي الله. لا يجب أن تكون الوسائل مربكة بالنهاية. إن الوعي الكوني، الذي فيه يتم اختبار الذات بأنها منفصل عن النشاط، هو ليس النهاية، إنه ليس الحالة النهائية للتطوّر؛ إنه الوسيلة إلى وعي الله.

عندما يصل العقل، من خلال التأمل، إلى الوعي الذاتي التجاوزي من ثم يعود من حقل الكينونة المطلقة، يصبح من الضروري له الانشغال بالنشاط بهذه الطريقة تتغلغل طبيعة الكينونة التجاوزية في العقل، ويكون لها الفرصة في الحفاظ على ذاتها حتى عندما يكون العقل منشغلاً في اختبار الحقل النسبي للحياة من خلال الحواس. هكذا يبقى الفرد بشكل دائم في الوعي الذاتي وبذلك يتمتّع بالحياة في الوعي الكوني.

هكذا، واستناداً إلى العمل، تتغلغل الطبيعة القدسية التجاوزية إلى الحياة العملية، وتجعل الإنسان متكامل كلياً، كي يعمل في الحقل النسبي للوجود في حين يبقى ثابتاً في الكينونة المطلقة. في هذه الحالة من الطمأنينة تكون أعماله عادية وطبيعية، "تستحق الأداء"

عندما يتم إدراك الذات، في حالة الوعي الكوني، على أنها منفصل عن كلّ نشاط، يكون "العمل الذي يستحقّ الأداء" عمل مكرّس إلى الله. إن نشاط التكريس هو النشاط الأرقى والأعلى والأكثر صفاءً، لأنه يرفع بشكل مباشر إدراك الافتراق بين الكينونة والنشاط، كما يتم اختباره في حالة الوعي الكوني، وصولاً إلى حالة موحدة لإدراك لله وحده. يفسح إدراك الذات

وإدراك النشاط، إدراك الاثنان، المجال للوحدانية في إدراك الله، في وعي الله. إن ثنائية الذات والنشاط تجدان نفسها متغلغلة بالله. هو وحده يبقى، هو وحده يسيطر على الحياة، وفي نوره هو، ومتغلغلة به، تقف الذات في الأحادية معه ومع الحقل الكامل للعمل المسيطر عليه من قبله. فيه نجد الاثنان متّحدان إلى الأبد إنهما الذات والنشاط للوعي الكوني.

هذه هي حالة الحياة في وحدانية وعي الله التي تم التعبير عنها بالكلمات " يصل إلى الأسمى" في هذا الآية التي تمجد العمل في حالة الوعي الكوني.

إن العمل الذي يستحقّ الأداء قد يتم اعتباره في خمسة مستويات مختلفة من الحياة؛ الأولى، في أثناء حالة اليقظة العادية للوعي؛ والثانية، عندما يتم اكتساب وعي الذات ويتطوّر إلى الوعي الكوني؛ والثلاثة، العمل في حالة الوعي الكوني؛ والرابعة، العمل الذي يساعد الوعي الكوني للتطوير إلى وعي الله؛ والخمسة، العمل في حالة وعي الله. تعنى هذا الآية بالمستويات الثلاث الأخيرة من العمل. أما التعبير "تستحق الأداء" يؤكّد على نوعية العمل المساعد لكسب الحالات الأعلى من الوعي.

إن من أدرك الذات في الوعي التجاوزي، وأدرك الذات بأنه منفصلة بالكامل عن النشاط في الوعي الكوني، والذي اكتسب الاكتمال بإدراك الذات في التوحد مع الله في وعي الله، وصل إلى الحالة حيث تكون غاية كلّ نشاط مكتملة. لأن ذاته هي ثابتة في الذات الكونية، لا يوجد هناك شيء يمكن أن يكسبه من غيره. إن ذاته هي غير متورطة بأي طريقة – هي غير مرتبطة بالنشاط (الآية السابعة عشر) وهي غير مرتبطة بذات الكائنات الفردية (الآية الثامنة عشر). وتكون ذاته هي ذات كل الكائنات.

الآية العشرون

بالعمل وحده، اكتسب الملك جناكا
والمحاربون الآخرون الكمال.
علاوة على ذلك، حتى في النظر في
مصلحة العالم يجب أن تقوم بالعمل.

تمجد هذه الآية العمل لقيمته إلى العالم وفي كونه وسيلة لتحرر الأبدي من العبودية. وفي نفس الوقت تعطي بالأمثلة الملموسة، المبادئ المجرّدة للكارما يوغا وتأثيراتهم.

لقد كان مجد العمل الذي جلب تكامل الحياة في وعي الله إلى "جناكا والآخرون" ومكّنهم في فعل الخير إلى العالم.

يعتمد تكامل الحياة على العقل ويعبر في دورة بين حقل المطلق وحقل النشاط يذهب العقل إلى غير الظاهرة ويرجع إلى الظاهر، وهكذا يختبر حقولي الحياة والمطلق والنسبي. هذه هي حالة الإنسان المتكامل في الوعي الكوني.

عندما تبيّن أن الملك جناكا والآخرون مثله كانوا مثبتين في الحقيقة بينما هم نشيطون بالكامل، في العالم، لم يكمن السرّ في نشاطهم الخارجي المستمر. بل كان كمن في الحقيقة بأنّ مثل هذا النشاط قد اكتمل باختبارهم التجاوزي من خلال النشاط الداخلي للتأمل. إذا نظرنا إلى مسيرة العقل من النشاط الخارجي السطحي إلى التجاوزي، يمكننا أن نقول بأنّه نشاط في

اتجاه إنهاء النشاط الذي يعطي العقل منزلة المطلق. إن التأمل بحد ذاته هو نشاط وعلى ضوء ذلك، يمكن بالتأكيد أن نعتبر بأنّ "العمل وحده" هو الذي يجلب الكمال.

إنّ الذات هي كلية الوجود وأبدية. وهي ليس بحاجة إلى أيّ شيء لإدراك ذاتها. يفقدها الإنسان بالبقاء في حقل النشاط لذلك ومن أجل أن يدركه، يجب عليه ببساطة أن يخرج من النشاط، لينشغل في الحقول المرهفة من النشاط إلى أن يخرج بالكامل من حقل النشاط، في الحقل التجاوزي. هذا ما يوضّح مبدأ التنوير من خلال العمل.

وكنتيجة مباشرة لهذا النشاط الداخلي للتأمل، يصبح النشاط الخارجي في العالم أكثر ناجحاً وأكثر مثالية. هذا ما يعني به المولى عندما يقول: " بالعمل وحده، اكتسب الملك جناكا والمحاربون الآخرون الكمال"

يبدأ كلّ عمل من الطبقة المرهفة للحياة النسبية، التي هي واحدة تقريباً مع مستوى المطلق، مع الكينونة الصافية. يبدأ كفكرة. وتمر الفكرة بحد ذاتها من خلال العديد من المراحل من المستوى المرهف إلى السطحي. في مرحلة معينة تصل إلى ذلك مستوى حيث يقدرها العقل بشكل واعٍ كفكرة، ويكونها أن تتحول عندئذ إلى الكلام أو النشاط.

خلال ممارسة التأمل التجاوزي، يبدأ تقدير الفكرة المستوى الألطف. وفي هذا المستوى يكون أكثر قوّة ويؤدّي إلى العمل الأكثر ناجحاً. هكذا، بالاختبار المباشر للكينونة التجاوزية من خلال التوجه الداخلية للعمل أثناء تأمل، لا يكسب الإنسان التحرر الروحي فقط بل يكسب أيضاً نجاحاً أعظم في العالم.

إن الطمأنينة والصفاء المكتسبة من خلال هذا العمل للتأمل تنتج التأثيرات المنسجمة

والمساندة للحياة في العالم بأكمله. وبرفع وعي الإنسان، فهي تملأ قلبه بالمحبّة الكونية، التي تقنعه بالعمل من أجل "مصلحة العالم" على نحو طبيعي أكثر.

يجب علينا أن نتذكّر بأنّه لا نحتاج إلى وقت طويل من التأمل الصامت للوصول إلى الكينونة التجاوزية: فقط وبعملية غطس واحدة في أعماق الذات لبضع دقائق ويكون العقل متغلغلاً بطبيعة الوعي الصافي، الذي تبقيه معززاً خلال كلّ نشاطات اليوم. هذه هي الطريقة كي نعيش الحياة الروحية، التي تجعل أيضاً الأوجه البدنية والمادية مجيدة من الحياة في العالم.

الآية الواحدة والعشرون

إن ما يفعله الرجل العظيم،
يفعل مثله تماماً الرجال الآخرون،
والخط الذي يرسمه، يتبعه العالم به

إن الرجل العظيم هو الذي يعيش إدراك الكينونة في حياته اليومية ويكسب الحالة التي فيها يبقي بشكل طبيعي في منزلته العالية للكينونة الأبدية حتى عندما ينشغل في النشاط وفي فعل الخير للآخرين.

تصف هذه الآية ميل الجماهير لحذو حذو الرجال المتطوّرين. وفي نفس الوقت، يمسّ فخر أرْجونا. في هذه الآية تكمن المهارة العظيمة للحديث. وبالرغم من أنها منصوص بشكل غير مباشر، تصل الفكرة إلى أرْجونا بأنّه مبجّل في المجتمع، وبأن الناس سيحذون حذوه. لذلك تقع عليه

المسؤولية التي تتخطى حدود اهتمامه الخاص.

من أجل تطور نفسه الخاصة، من المتوقّع نهوض أرْجونا وانشغاله في النشاط وحتى أنّه يجب أن لا يهتمّ بتطوره الخاص، يتعين عليه قبول النشاط لأجل آخرون.

تكشف الآيات التالية أضواء أكثر على هذا الأمر.

الآية الثاني والعشرون

في العوالم الثلاثة لا يوجد عمل
أحتاج أنا أن أقوم به، يا بارتا؛
ولا يوجد لي أي شيء أرغب في
أن أحقّقه ولم يتحقّق بعد؛
ومع ذلك أنا مستمرّ في العمل

بعد أن ذكر " جناكا والآخرون" في الآية العشرين، يشير المولى هنا لذاته كمثال لشرح المبدأ المؤكد عليه في الآية الواحدة والعشرين.إنه يتكلّم من حالته المطلقة للطمأنينة الأبديّة.

بعد أن كشف أهمية العمل في تطور الإنسان، وبعد أن أظهر أصالة هذا المبدأ مستشهداً بمثال

الرجال الذين عاشوا الكمال في الحياة من خلال العمل، يكشف المولى صلاحية العمل الآن في الحقل الصافي للقدسّي، الذي هو خالي بالكامل من النشاط في الحقل النسبي. يمكن تفسيرها بأنّه في حين يكون الإنسان في حالة التنوير فهو يعيش بالكامل النشاط والوعي القدسي كليهما معاً لأن حياته لها وجهتان والنسبي والمطلق، لن يكون هناك أثر للنسبية في الحقل القدسي التجاوزي الصافي للمولى. وعلى الرغم من هذا، يقول المولى بأنّه "مستمر بالعمل" إنّ المولى الأسمى للخليقة، يترأّس المطلق والحقول النسبية للحياة والملجأ لكليهما، هو "مستمر بالعمل" – إنه النشاط القدسي الذي يقع تحت استمرارية الخليقة المتغيّرة باستمرار.

عندما يتكلّم المولى عن ذاته والعوالم الثلاثة، يخاطب أرْجونا باسم "بارتا" لإبقاء حبل المحبة الرفيعة بين ذاته وأرْجونا. هذه هي المهارة في التعليم. يجب أن يرى أرْجونا أن المولى كريشنا هو قريب لنفسه وليس بعيداً وكأنه مثال رفيع صعب المنال.

وعبارة "العوالم الثلاث" تعنى كامل حقل الوجود النسبي.

الآية الثالثة والعشرون

ماذا سيحصل إذا لم أستمر بالعمل
دون كلل، يا بارتا؟ سيتمثل بي
البشر بطرقهم المختلفة

يقصد المولى إقناع أرْجونا بحقيقة المبدأ العظيم بأنه لا يمكن أن يكون هناك هروب من الواجب من دون وضع المثال الشرّير الذي سيتورط فيه كلّ المجتمع.

وعلاوة على ذلك، يشير المولى بأنّ نشاطه المستمر الخاص يكمن في جذور كلّ الحياة. إن الخلق بأكملها هي الوجهة الظاهرة لكينونته غير الظاهرة. ومع بقائه غير ظاهر، يظهر ذاته، وهذا العمل من الظهور هو التعبير عن ذاته في الخليقة. إن نشاطه المستمر هو المسؤول عن الحفاظ على كلّ شيء عن وتطور كل شيء موجود؛ ومن دونه ستهبط الخليقة بالكامل إلى العدم.

هكذا يشرح المولى نشاطه الدائم، يستشهد به كمثال للاقتضاء به من قبل الآخرين.

الآية الرابعة والعشرون

إذا توقفت عن العمل،
ستنهار هذه العوالم،
وأكون أنا سبب الإرباك
والدمار للبشر

إنّ المبدأ المشروح في الآيات الثلاثة السابقة يتم التأكيد عليه وتحديده مرة أخرى ويكشف بشكل مشابه لآية المرفوعة من قبل أرْجونا في الآيات التاسع والثلاثون إلى الخامسة والأربعون من الفصل الأول. في هذه الآيات قال أرْجونا أنّه بالقتال يكون قد تسبّب في عرقلة

المجتمع.

في هذه الآية، يعيد المولى الكرة إلى أرْجونا بالإشارة إلى نفسه. فيعطيه الطمأنينة بشكل واضح بالمثال الخاص به بأنه إذا لم يستمر في العمل سيفسد كلّ المجتمع، وبأنّ مثاله السيئ سيكون مسؤولاً عن السماح لقيم المجتمع أن تحطّم.

والاستنتاج هو حتى إذا كسب الإنسان الاكتمال في حياته الخاصة، يتوجب عليه أن يعمل من أجل الآخرين. هذه الفكرة تظهر بشكل واضح جداً في الآية التالية.

الآية الخامسة والعشرون

كما يتصرف الجهَلة من دافع
تعلّقهم بالعمل، يا بهاراتا (أرْجونا)،
هكذا يجب على الحكماء أن يتصرفوا
من دون تعلّق متمنيّن مصلحة العالم

يظهر المولى إلى أرْجونا بأنّه بالتأكيد لا يوجد اختلاف بين عمل الإنسان الجاهل ومن هو في حالة التنوير؛ إن العمل هو العمل سواء تم تأديته من قبل الجاهل أو المتنور. إما الاختلاف فيوجد فقط في النتيجة.

إنّ نتيجة عمل الإنسان الجاهل التي يتمتّع بها بذاته ويتعلّق بها بشكل رئيسي بذاته، لأنه

مرتبط بها؛ عندما يرتبط الفاعل بالعمل، ترتبط نتيجة العمل بالفاعل بشكل طبيعي. لكن عندما لا يكون الفاعل مرتبطاً بالعمل، لا ترتبط النتائج به.

يتصرّف الإنسان الجاهل ويستفيد من نتائج أعماله؛ وبما أنه مرتبط بهذه النتائج، فهي تحدث انطباعاً عميقاً عليه. أما تأثيرات أعمال الإنسان المتنور فتنتشر في العالم وكل شيء ينتفع منها؛ ويعبر انطباع النتيجة قربه، تاركاً إياه متحرراً عبودية العمل لأنه أدرك بأن الذات هي منفصل عن النشاط ويعمل من قاعدة الطمأنينة الأبديّة. تكون أعماله ردّاً على حاجات الزمن؛ إنها تكمل طلبات بيئتهم المحيطة. إن الحكماء هم أدوات في أيدي القدسي؛ ينفّذون الخطة القدسية بشكل بريء. تنشأ أعمالهم عن رغبتهم من أجل" مصلحة العالم".

الآية السادسة والعشرين

على الحكيم أن لا يخلق انقساماً

في عقول الجهَلة المتعلّقين بالعمل.
وبوعيه الثابت عليه أن يوجههم
للقيام بكل عمل، وذلك بأن يقوم هو
بذاته بالعمل على أكمل وجه

"على الحكيم أن لا يخلق انقساماً في عقول الجهَلة": إنّ حالة الإنسان المدرك هي نتيجة العديد من سنوات التطوير الداخلي المؤسسة على القيم الصحيحة في الحياة. هذا ما يجعل حياته تسير بشكل طبيعي في القنوات الصحيحة من التصرّف. وبالرغم من أن الكينونة هي فوق عوالم الصواب والخطأ، تكون أعماله أعمالاً صحيحة بشكل طبيعي جداً. في هذا الآية، توجه إليه النصيحة بأن يسمح للإنسان الجاهل بأن يقوم بواجبه. يجب عليه أن يمتنع عن إخباره بأنّ حالة التنوير متحررة من كل الخير والشر، وبأنّ الحقل الكامل للنسبية هو فقط مسرحيّة الغونات الثلاث، الذي لا تنتمي إلى الكينونة.

إنه ربما مهم بدرجة أكبر أن لا يربك الرجال الحكماء الجاهل بإخباره عن الطبيعة الذات غير المتورطة. إن فكر الإنسان الذي لم يدرك بعد هو مرتبط كلياً بالنشاط يجب على المدركون أن لا يخلقوا انقساماً في عقل مثل هذا الإنسان. يجب عدم التكلم معه عن الانفصال بين الذات والنشاط، وإلا قد يفقد الإنسان الجاهل اهتمامه في الحياة العملية، وإذا حدث هذا، فلن يكون قادراً على اكتساب الإدراك إنه ليس الفهم الفكري عن انفصال للقدسي عن النشاط ما هو مطلوب، لكن الأجدى هو اختبار تلك الحالة التي تجلب التنوير للإنسان. لكي يكتسب الفرد هذا الاختبار ويصبح ثابتاً فيه، من الضروري القيام بالنشاط الواعي على مستوى الحقول السطحية والحقول المرهفة أيضاً. يحثّ المولى الحكماء: بأن يعلموا التأمل التجاوزي إلى الإنسان الجاهل

بحيث قد يشغل ذاته في المراحل المرهفة من النشاط وبذلك يدرك الكينونة التجاوزية، الذات، في طبيعتها الحقيقية كونها مجردة من أيّ نشاط وبأن يعلموه أن بعد أن يكسب هذا الإدراك، يجب عليه أن يواصل التصرّف في الحياة اليومية بحيث قد يصبح ثابتاً بحزم في الطبيعة الحقيقية لعقله. ومن ثم أعطيه المصل بقيامك بنفسك "بالعمل على أكمل وجه".

"بكل عمل": إن كلّ نوع من النشاط هو ضروري للحياة في العالم، نشاط الأنا والفكر والعقل والجسم. كلّ النشاطات السطحية والمرهفة، وفي كلّ حقل الحياة، لها مكانها في مخطط تطوره.

إن النشاط على المستويات المرهفة أكثر هو نشاط عملية التفكير. في أثناء التأمل، تصبح عملية الاختبار، وفي كلّ لحظة، صافية أكثر فأكثر، ويتجاوز العقل في النهاية المستوى الألطف للنشاط يشير المولى ضمناً إلى أنّ هذا النشاط الأدق، هو أيضاً، لا يجب أن يكون مهملاً في وسط النشاط السطحي للتفكير والكلام والعمل. لقد أعطي الحكماء بأن يروا أن كلّ نشاط، أكان سطحياً أو مرهفاً، يقوم به كلّ إنسان في المجتمع وبالنسب المطلوبة –يجب أن يكمّل نشاط الحياة اليومية بالتأمل في الصباح والمساء.

"بكل عمل" لا يجب أن نفهمها بأنها تضمن الأعمال الخاطئة. هذا ما يظهر في الآية الثامنة والتاسعة.

تقدم الآيات التالية تبرير المولى كريشنا لأداء النشاط الصالح من قبل الجاهل.

الآية السابعة والعشرون

تُنجز الأعمال في مطلق الأحوال
نتيجةً لتفاعل غونات الطبيعة؛
أما من ضُلِّل عقله بالشعور بالأنا،
يعتقد أنه هو الفاعل

يكشف هذه الآية الفاعل لكلّ الأعمال وتعطي جواب مبارك إلى السؤال الذي يطرح نفسه بشكل طبيعي عندما، ومن خلال ممارسة التأمل التجاوزي، يبدأ الفرد في العيش في وعي الغبطة، يبدأ بالشعور بالاكتفاء الذاتي. كيف يمكن للعمل المندفع دائماً ببعض الرغبة، يكون ممكناً في حالة الطمأنينة الكاملة؟ الجواب على هذا السؤال: "تُنجز الأعمال في مطلق الأحوال نتيجةً لتفاعل غونات الطبيعة ".

إن الساتفا والرَجَس والطَمَس ، هي الغونات الثلاثة للطبيعة (براكريتي). وبراكريتي هي القوة المحركة الأساسية. هي المكوّن الأساسي للمخلوقات الظاهرة وفي أساس كلّ النشاط هذا ما يعني به المولى عندما يقول بأنّ كلّ الأعمال وكلّ الأحداث في الخليقة تنشأ عن الغونات الثلاثة ومن التقلبات والتجمعات.

إن كيفية تفاعل الغونات قد يوضح بمثال التالي.إنه من قوانين الطبيعة بأنه عندما

يتكون الفراغ في مكان ما في الجوّ، يبدأ حالاً تدفق التيار من منطقة الضغط المرتفع، ويقع السبب لذلك على الفراغ. إن الفراغ هو الذي كوّن هذه الحالة. وبالطريقة ذاتها، تجري تيارات الغونات الثلاثة من أجل أن تبقي متوازنة فيما بينهم تتدفّق التيارات بشكل مستمر بين حقول الوجود، وبهذه الطريقة تخلق النشاطات مختلفة وتحافظ عليها بشكل طبيعي. إن العالم الظاهري بكامله هو لا شيء سوى تفاعل الغونات الثلاثة.

تتفاعل الغونات وتظهر، على سبيل المثال، في العمليات الأيضية للجسم، وعلى أساسها يأتي الشعور بالجوع والعطش. إنّ الحاجة للغذاء والماء هي في المجال الفسيولوجي، لكن الأنا يشعر " أنا جائع" أو "أنا عطشان". هكذا تكون الغونات، وعلى نحو مماثل، مسؤولة عن كلّ اختبار. إنها أساس كلّ الأحداث والنشاطات، لكن الأنا تأخذ الأمر على عاتقها وتشعر "أنا أتصرّف".

طالما لم يتم اختبار الذات بأنها منفصل عن النشاط، يبقى العقل "مخدوعاً" حول منزلته الخاصة وعلاقته بالنشاط؛ وبربط ذاته مع طبيعة الغونات، يتخذ دور الفاعل للعمل، الذي في الحقيقة يعود إلى الغونات. هكذا، ونتيجة لجهل ذاته الخاصة، يقع الإنسان في عبودية العمل.

الآية الثامنة والعشرون

ولكن من يعرف حقيقة تقسيم

الغونات وأعمالها، يا أيها
المسلّم الجبّار، ويعرف إن
الغونات هي التي تعمل بالغونات،
يبقى دون تعلّق وغير مقيّد بها

هذه الآية، وبالمقارنة مع الآية السابقة، تظهر الحالة العقلية للإنسان المدرك، وفي الوقت ذاته، تعطيه نظرة عميقة على عملية الإدراك من خلال معرفة الغونات الثلاثة.

هناك ثلاثة غونات التي تشكّل براكريتي. وبراكريتي لها ثمانية طيات. هذا ما يسبّب الانقسامات الأساسية إلى أربع وعشرين في حقل الغونات. إن معرفة هذه الانقسامات الأربعة والعشرون ومعرفة أعمالهم تحرّر الإنسان من عبودية العمل بإظهار كيفية انبثاق الوجهتين الذاتية والموضوعية في حياتنا من الغونات، وكيف تكون الذات غير مرتبطة بأيّ شيء إلى الأبد في الحقل الظاهر للحياة.

تعرض طريقة التحرر من العبودية هنا الميزّات الهامّة التالية:

1. يجب أن تكون المعرفة شاملة وعميقة، لذلك يقول المولى: "هو من يعرف الحقيقة".

2. يجب أن تكون المعرفة حول:

(أ) "الغونات"

(ب) "انقساماتهم"،

(ج) "أعمالهم".

3. يجب أن تكون المعرفة أيضاً حول تفاعل الغونات؛ يجب على الفرد أن يعرف بأنّ الغونات هي بذاتها الذاتية، وهي بذاتها الموضوعية وهي بذاتها علاقة الذات بالموضوع؛ وبأنّها تشكّل شمولية الوجود الظاهري. يقول المولى: "إن الغونات هي التي تعمل بالغونات".

وبما أننا، في الآية السابق، وضعنا مسؤولية العمل على الغونات الثلاثة، يقول المولى، في هذا الآية بأنّ من يعرف الحقيقة حول الغونات وأعمالهم "يبقى دون تعلّق"

وقد يطرح السؤال: هل أن الفهم الفكري للغونات هو كافٍ لجلب الحرية؟ إذا أمكن للفهم الفكري أن يكمل شروط المعرفة الواردة أعلاه، عندئذ وطبقاً لهذه الآية، من الممكن وبالتأكيد جعل الإنسان "دون تعلق" بما فيه الكفاية كي يصبح حرّاً بشكل كامل. لكنّ من المشكوك فيه ما إذا أمكن "للحقيقة" حول الغونات الثلاثة وتفاعلهم أن تُعرف فقط على مستوى الفهم الفكري، من دون الفهم المباشر لطبيعة الغونات في المستوى المرهف للخليقة.

وعندئذ يطرح سؤال آخر: ما هي الطريقة إلى مثل هذا الفهم المباشر؟ الجواب بسيط إن الغونات هي الوجهة الألطف للخليقة. لذلك، إذا تمكن الإنسان في أخذ انتباهه إلى المستوى المرهف للخليقة، سيكون ممكناً له معرفة ماهية الغونات وانقساماتهم وكلّ التفاصيل التي تتعلّق بأعمالهم. في الحقيقة، يتم كسب كلّ هذه المعرفة في أثناء التأمل تجاوزي عندما يوشك العقل أن يتجاوز الحالة المرهفة لغرض الانتباه. وبناء عليه، وبقول المولى: " من يعرف حقيقة ... الغونات" يمكن أن نضيف في مجال التعاليم: "كون من دون الغونات الثلاثة" لأنه ا

هي الطريقة لمعرفة "الحقيقة" في المستوى المرهف للخليقة.

عندما نثبت في الوعي التجاوزي، الحالة التي هي من دون الغونات الثلاثة ، يعرف العارف للحقيقة بالاختبار أن نطاق العمل متواجد على سطح حياته ومنفصل عن وجوده الحقيقي. هكذا لا تعني عبارة "من يعرف الحقيقة" فقط من يعرف "انقسامات الغونات وأعمالهم"، بل يكون أيضاً قد أدرك الذات بأنها منفصلة عن النشاط هذه الحالة الطبيعية للافتراق عن العمل، التي يتم كسبها من خلال ممارسة التأمل التجاوزي، هي أساس بقائه "دون تعلّق". عندما تثبت حالة الكينونة، أو الوعي الصافي، بحزم في الطبيعة الحقيقية للعقل، يعيش الفرد بشكل طبيعي جداً هذه الحالة من الوجود الصافي منفصلة عن حقل النشاط، حتى حينما تكون كل من الأنا والفكر والعقل والحواس منشغلة بالعمل. يجد الفرد أن حقل النشاط يبقى في دائرة الغونات الثلاثة ودون أن يرتبط بوجوده بشكل حميم. هكذا "يبقى دون تعلّق" بشكل طبيعي وفي وسط النشاط تملأ هذه الحالة من المعرفة الحقل الكامل من فهم الفرد. لذلك يقول المولى: "ويعرف إن الغونات هي التي تعمل بالغونات، يبقى دون تعلّق".

تتكلّم الآية الحالية عن العمل من ناحية الحرية من خلال معرفة السانكهيا، لكن وبينما تكسب هذه المعرفة كمالها من خلال عملية الاختبار المباشر فقط، فهي تشمل تقنية وفلسفة اليوغا. لذلك يجمع المولى، في هذا الآية، فلسفات السانكهيا واليوغا، التي تم وصفها بشكل منفصل في الفصل الثاني، ويطلق مبدأ التحرر من عبودية الكارما الناتجة عن التأثير المشترك من التعاليم الفلسفتين. هذا ما يؤمن القاعدة للكارما يوغا وضروريات إنجازها.

إنّ الغاية الشاملة لهذا الآية،و بالرغم من أنّها تتكلّم من ناحية الغونات، هي في تسليط الضوء على حالة امتلاء الحياة في وعي الغبطة المطلقة – جيفان موكتي.

الآية التاسعة والعشرون

أولئك المضلّلون بغونات الطبيعة
هم متعلّقون بأعمال الغونات.
ولكن من يعرف الشمولية عليه
أن لا يربك من يعرف الجزء منها فقط

يحذّر المولى ثانية الإنسان المتنور أن لا يذيع ما يفهمه عن الحياة على الجهلة. ويعود سبب ذلك في أن الإنسان المتنور، الثابت في الكينونة، يقف على أرضية صلبة؛ ومن هذا المنطلق يرى العالم بأنه تفاعل الغونات الثلاثة ويعرف من اختباره أن تأثيرات الساتفا والرجس والطمس، ليس لها تأثيراً عليه. لكن إذا حاول الإنسان الجاهل تقليد حالة المتنور في حياته الخاصة، عندئذ سيخلق الإرباك في سلوكه، وعمله قد يهبط إلى النمط الذي فيه يقوّض صلاحية الخير والشر في حقل الحياة العملية. إن مثل هذا الرجل لن يثبت جدارته لنفسه ولا إلى الآخرين. وإذا ارتكب عملية السرقة، قد يقول الرجل الجاهل بأنّ هذا هو فقط تفاعل الغونات الثلاثة فيما بينهم، وأن ذاته غير متورطة بالعمل وبالتالي هو غير مسؤول. إنه لم يفعل أي شيء! لهذا يحذّر المولى المتنورين بعدم كشف الحالة الداخلية لعقلهم إلى الجاهل.

إنّ الاستدلال من ذلك هو بأنه إذا أراد الإنسان المتنور أن يبارك من هو جاهلاً، يجب عليه أن يقابله على مستوى جهله ويحاول رفعه من هناك بإعطائه المفتاح للتجاوز، وبذلك قد يكسب

وعي الغبطة ويختبر حقيقة الحياة. يجب أن لا يخبره عن مستوى المتنورين، لأنه يربكه فقط

الآية الثلاثون

أسلّم كل أعمالك لي،
وحافظ على وعيك في
الذات الكلية، متحرّراً من
التشوّق والشعور بالتملّك،
حارِب، مبتعداً عن حمّى الضلال

بما أن الخليقة كلها هي مسرحيّة الغونات الثلاثة، يقول المولى لأرْجونا بأن يتصل بمصدر الغونات الثلاثة. بأن يجلب الانتباه إلى الوعي التجاوزي ويصبح ثابتاً في ذلك الحقل للوجود، يقول، أنت ستتحرر من كلّ النشاطات وتأثيراتها. في تلك الحالة من الحرية والطمأنينة، انهض وحارب.

هذه الآية مكمّلة للآية 28 لأن معرفة النسبية يكسب الاكتمال في إدراك الأسمى. وعلاوة على ذلك، حتى بالمعرفة الكاملة للغونات الثلاثة، التي تشكّل قاعدة الخليقة الكاملة، يظلّ التآلف الشامل مع الخالق أساسياً.

"حمّى الضلال": يذكّر المولى أرْجونا بالحيرة التي انتاباه في الآية الثانية.

"متحرراً من التشوّق": لأن الفرد قد اكتسب الاكتمال في الحياة (الآيات 17 و18).

"متحرراً من ... الشعور بالتملك": عندما يكسب الفرد الوحدة مع الكينونة والانشقاق عن حقل النشاط (الآيات 27 و28)، تتوقّف الأنا عن أخذ الأعمال على عاتقها وبالتالي تتوقّف عن التقيد بثمارها. وهكذا ينقل كلّ العمل بشكل آلي إلى سيد الخليقة.

في أثناء التوجه الداخلي للتأمل، يكسب الفرد اختباراً واضحاً للكينونة التجاوزية. وبالممارسة المتكرّرة للتجاوز، يختبر الفرد ذاته أنها بعيدة عن النشاط ويدركها بأنه غير فاعلة، بالرغم من أنّ الفرد يكون منشغلاً بالعمل. في هذه الحالة ينسب الفرد كلّ نشاط يقوم به إلى قوّة الكلي القدرة الذي يقع خلف الغونات وانقساماتها وأعمالها (الآية 28). فيبقى الفرد ثابتاً في الذات، بينما يتم إدراك المولى بأنه القائم بكل الأعمال، ينفّذها من بواسطة الغونات.

إن الخطوات التي فيها يتم بلوغ هذه الحالة هي كالتّالي: خلال ممارسة تأمل تجاوزي يختبر الفرد أولاً الذات، أو الكينونة، وبعد ذلك، كنتيجة لهذا الاختبار التي تصبح أعمق وأوضح، يختبر الفرد انفصال الكينونة عن النشاط وكذلك وعندما يصبح اختبار الانفصال أعمق وأوضح، يبلغ الفرد التنور بالمعرفة حول ميكانيكية النشاط (الآيات 23, 24, 27, 28). تكشف هذه معرفة موقع الفرد الحقيقي والخاص نسبة إلى موقع الأشياء وعلاقتها بالنشاط وبسيد الخليقة كلّها. هذا يؤمن للفرد القاعدة الصحيحة للحياة الأبديّة في وعي الله. إما مجد الحديث الحالي فهو: إن الصلة المباشرة مع الله يتم تثبيتها إلى الأبد استناداً على اكتساب

الفرد البراعة في فنّ العمل.

إن تسليم كلّ الأعمال إلى الله هو الحقيقة الحيّة من حياته. إنها ليست بفكرة خيالية أو مزاج الاستسلام. هي حقيقة حياة الفرد في النشاط

إن مدى الاستسلام ليس محدداً إلى أي وجهة من أوجه الحياة: يشمل كلّ مجالات وجوده البدني والعقلي والروحي. وبالتالي فهو يتضمّن العقل والفكر بالتأكيد. لكن فيما يتعلق بهذه الحالة من تسليم العمل إلى الله وكأنه فعل مجرّد للعقل أو الفكر أو الشعور، سيكون ذلك غير منصف للمبدأ الذي تكشفه هذه الآية.

"حافظ على وعيك في الذات الكلية" تعني الحفاظ على الوعي الذاتي في حين القيام بالعمل. إن الحفاظ على الوعي الذاتية التجاوزي سويّة مع النشاط في حالة وعي اليقظة يتطلّب التعايش في الحالتين من الوعي. إنّ قدرة الجهاز العصبي للإنسان، التي الآلية البدنية والتي من خلالها يظهر الوعي ذاته، يجب أن تتطوّر لاحتواء هاتان الحالتان بشكل متزامن. هذا ما يمكن تحقيقه بالمقاطعة المنتظمة للنشاط الدائم في حالة وعي اليقظة، بفترات من الاستكانة في الوعي التجاوزي. عندما يتكيّف الجهاز العصبي بشكل دائم، من خلال هذه الممارسة، على الحفاظ على هاتين الحالتين سوية، عندئذ يبقى الوعي متمركزاً دائماً في الذات. يوضّح المولى هذه المركزة للوعي في الذات في طريقة "تسليم كلّ الأعمال لي".

الآية الواحدة والثلاثون

أولئك الذين يمتلئون بالإيمان
ولا يرتكبون الخطايا
ويتبعون دوماً تعاليمي،
سيتحرّرون أيضاً من العمل

لقد تم توجيه التعاليم في الآية السابقة إلى أرْجونا بذاته،قال المولى إليه: 'حارب'. توسع هذه الآية الحالية التعاليم إلى كلّ الرجال في جميع الأوقات.

"يمتلئون بالإيمان" تعني بأنّ الإيمان ثابت، وبأنّه دائم. عندما يصبح الإنسان ثابتاً في الإيمان، ومتحرراً من الشكّ وبالتالي يتوقّف عن إيجاد العيوب.

إن عدم إيجاد العيوب وعدم التكلّم بالسوء عن الآخرين يعتبر من الشرط الأساسية لإدراك الله والتحرر من العبودية. عندما يتكلم الشخص بشكل سيء عن الآخرين، يشارك في أخطاء من يتكلّم عنهم. هكذا يجلب مثل هذا الشخص تأثيراً سيئاً أكثر فأكثر لذاته؛ وبذلك، يهبط بعمق إلى النجاسة. هنا يقصد المولى: أولئك الذين يكرّسون أنفسهم والذي يشعرون بالامتلاء في أنفسهم لا يجدون أي عيب معي أو في تعاليمي؛ هم متحررون من العبودية.

إنّ منافع التعاليم يتم اكتسابها فقط عندما يبدأ الفرد بتطبيقها. إنّ تعليم المولى في الآيات الثلاثة السابقة هي كاملة جداً بحيث أن ممارستها يمكن أن تؤدّي إلى اكتمال الحياة

ولا شيء أقل من ذلك، قد يكون الفرد غير قادراً على استيعاب المجال التعاليم وأهميتها بشكل فكري، لكن أولئك الذين يطبقونها بإخلاص، حتى من دون فهمها، "هم سيتحرّرون أيضاً من العمل"– يدركون أيضاً تلك الطمأنينة الأبديّة في وعي الغبطة التي تثبت الذات على أنها منفصلة عن النشاط وبذلك تجلب الاكتمال في وعي الله.

الآية الثانية الثلاثون

لكن أولئك الذين يرتكبون الخطايا
ولا يتبعون تعاليمي، سيكونون
مضلّلين في كل معرفة،
أنهم هالكون وتافهون

إنّ كلمات المولى بسيطة وفعّالة.

"أولئك الذين يرتطبون الخطايا" يفعلون ذلك لأنهم أخفقوا في الفهم، وبدؤوا بإساءة فهم

هم "لا يتبعون تعليمي" يعني بأنّهم لا يفهمونها ولا يضعها في الممارسة؛ لا يتحققوا من طبيعة الغونات الثلاثة أو الحقيقة التي توجد خلفها.

"مضللون في كلّ معرفة" تعني مربكين حول معرفة الوجود النسبي وحول طبيعة الحقيقة المطلقة.

"كلّ معرفة": هي المعرفة حول انقسامات الغونات وأعمالهم (الآيات 27 و28)، والمعرفة حول الذات بأنها منفصل عن حقل العمل (الآيات 17 و18)، والمعرفة حول المولى العظيم لكلّ الخليقة ويترأّس الحقل المطلق للذات، أو الكينونة، كما يترأس على الحقل النسبي لغونات (الآيات 30 و31)، والمعرفة حول نشاط المولى (الآيات 22 و23).

"هالكون": إنّ غاية حياتهم مفقودة. هم لا يستطيعون إيجاد الاكتمال الدنيوي وهم يتفقدون إلى القدسي. يخفقون في العيش في وعي الغبطة وهكذا يبقون في المعاناة.

"تافهون": من دون قيم صحيحة في الحياة ومجردون من الوعي الصافي. إنهم لم يصلوا إلى حالة الكينونة. ولم يختبروا الذات على أنها منفصلة عن النشاط؛ تتورط ذاتهم في النشاط، وهي ليست في طبيعتها الخاصة. لهذا السبب يقول المولى بأنّهم "تافهون"، كما لو أنّهم من دون حياة، ومن دون وعي.

في هذه الآية، يفصح المولى بأن إدراك حالة كلّ المعرفة هي الطريقة الوحيدة إلى الخلاص والنجاح في الحياة؛ وليس هناك من طريقة آخر.

الآية الثالثة والثلاثون

تتبع المخلوقات طبيعتها الخاصة،
حتى الرجل الحكيم يعمل طبقاً
لطبيعته الخاصة. ماذا سيحقّق إذا
الكبح عن العمل؟

تكشف هذا الآية الحقيقة بأن التحرر من العبودية يكتسب بأسلوب طبيعي. يتبرأ المولى من صلاحية السيطرة في طريق التنوير. إنه يقصد تقديم طريقة طبيعية حياة من أجل الاكتمال. في حقل النشاط، من غير المرغوب خلق الضواغط والإجهاد في محاولة السيطرة أكان ذلك من الداخل أو من الخارج. فليتقدم كل فرد بشكل طبيعي، ليتمّ حالة الوعي التجاوزي المكتسبة في أثناء التأمل مع نشاط الروتين اليومي، وليتأكد من كسب الاكتمال.

بما أن الميل الطبيعي للعقل هو باتجاه السعادة الأعظم، سيجد العقل الطمأنينة حتماً في السعادة الأسمى التي هي وعي الغبطة التجاوزي وسيرتفع فوق "التجاذب" (الآية 34)، الذي هو أساس العبودية. أما في إدانة "الكبح"، في هذا الآية، ينصح المولى أرْجونا كي يأخذ الأشياء بسهولة ولا يجهد حتى في إتّباع التعاليم. وبما أن الكبح هو غير طبيعي، فلا يستطيع جلب تلك الحالة الطبيعية للحياة حيث تقف الذات بذاتها في حالة عدم التجاذب وعدم التورط بالنشاط

بعد أن قال في الآية السابق: "سيكونون مضلّلين في كل معرفة"، يعطي المولى، في هذا الآية، مفتاح اللغز لكلّ المعرفة: لكي يكونوا "متحررين من العمل" (الآية 31) فمن غي الضروري استعمال 'الكبح'؛ إنما من الضروري فقط رفع مستوى وعيهم باختبار الكينونة، وهذا ما هو ضروري فقط كي يصبحوا "متنورين". أما "الكبح" عن النشاط فلا "يحقق" الهدف لأن المقعد

الطبيعي للعبودية، وكما توضح الآية القادمة، لا يتوقّف على العقل أو الحواس، التي وحدها يمكنها أن تتأثّرا بالكبح. لا يقع التجاذب، أي مقعد العبودية، ضمنها؛ إنه يقع في الخارج، في نطاق غرض الاختبار. لذلك إن عدم التعلق لا يمكن اكتسابه بكبح العقل أو الحواس؛ وبإبعادها عن النشاط لا يؤدي ذلك إلى خلق حالة عدم التعلق؛ لا يمكن اكتساب عدم التعلق بعدم النشاط (الآية 4) أو بأيّ نوع من الكبح. لكن يمكن فقط أن يكتسب بإدراك الذات (الآية 17) وبإدراك انفصالها عن النشاط (الآية 28). لا يوجد هناك طريقة آخر، لأن المخلوقات يجب أن "تتبع طبيعتها الخاصة". يجب أن ينشغلوا في النشاط طبقاً لمستواهم الخاص للوعي، وبناء عليه التنوير. أما إذا كان ذلك سيصبح تطبيقاً عالمياً، فيجب أن يكون ممكناً، بصرف النّظر عن نوع النشاط الذي ينشغل به الفرد. لهذا السبب لا يمكن اكتساب حالة التنوير، وحالة المعرفة، من خلال الكبح، الذي يميّز بين الأنواع المختلفة من النشاط يجب أن يكون على مستوى الكينونة المطلق، على مستوى إدراك الذات وبغض النظر عن النشاط الذي يتعهّد به الإنسان "طبقا لطبيعته الخاصة".

تسلط الآية القادمة الضوء أكثر على هذا الموضوع.

الآية الرابعة والثلاثون

إن التجاذب والتنافر بأي حاسة هما
موجودتان في إدراك تلك الحاسة؛
يجب على الإنسان أن لا يرزح

تحت سيطرتهما، لأنهما عدواه
المتربصان له في طريقه

يقصد المولى إبراز أن كلّ شيء هو موضوع بشكل حسن وبحكمة: دع كل شيء يبقى في مكانه. إنّ التجاذب والتنافر لكلّ حاسة "موجودتان في إدراك تلك الحاسة" دعهما يبقيان في ذلك الحقل ودع حقل الذات يبقى خالياً منهما.

تكمّل هذه الآية، الآية السابق، حتى أن فكرة الكبح تشغل العقل في أغراض الحواس: من أجل أن ينسيها، يواصل العقل التفكير بها. وفي اللحظة التي يقابل فيها العقل الغرض من خلال الحواس، فيتأثّر بالتجاذب والتنافر، الموجود في الغرض. لذلك من الخطأ التفكير في مصطلح الامتناع من نشاط الاختبار كونه الوسيلة لكسب حالة الحرية الدائمة من التجاذب والتنافر، لأنه من غير الممكن جسدياً البقاء من دون نشاط في جميع الأوقات.

إنّ التعاليم هي في: إدراك الكينونة في امتلائه، وإدراكها بأنه منفصلة عن النشاط؛ وهذا ما سيحافظ على الذات بعيدة عن التجاذب والتنافر في وسط كلّ النشاط وفي حضور كل أغراض الحواس.

في الآية السابق، طلب المولى من أرْجونا أن لا يتبع طريقة "الكبح". وفي هذا الآية، يضع التجاذب والتنافر على مستوى واحد: "لأنهما عدواه المتربصان له في طريقه"

هذا ما يقودنا إلى استنتاج ملحوظ الآية التالي.

الآية الخامسة والثلاثون

لأنه من الممكن للفرد تأدية الدهارما
الخاصة به، (ولو) بجدارة أقل، يكون ذلك
أفضل من القيام بدهارما غيره. الأجدى به
أن يموت في تأدية الدهارما الخاصة به:
لأن دهارما الآخرين تجلب الخطر

للحياة مراحل مختلفة من التطور. من أجل تقدم عملية التطور، من الضروري أن ترفع المرحة الأولى المرحلة التي تليها، وبهذه العملية تكون لكلّ مرحلة متعاقبة الأهمية الحيوية. يعطي المولى تعبيرا لهذه الحقيقة بوضع المبدأ الذي له أهميته في كل مستوى من مستويات التطور: " لأنه من الممكن للفرد تأدية الدهارما الخاصة به ولو بجدارة أقل، يكون ذلك أفضل من القيام بدهارما غيره"

هناك أناس في المستويات المختلفة من التطور، وكلّ مستوى له مبدأ توجيهي، ومعيار خاص به. إن المبدأ التوجيهي، أو الدهارما، للمستوى الأعلى سيكون مناسباً وعملياً لذلك المستوى، لكن لن يكون كذلك للشخص الأقل تطوّراً. يؤكّد المولى بأنّه على الشخص أن يسير بمستواه الخاص للوعي، لأنه وبمتابعة ذلك فقط سيتأكّد من وصوله إلى المرحلة القادمة للتطور. وفيما يتعلق بعملية تطور الحياة، تكون الدهارما الخاص بالفرد هي الأكثر ملائمةً حتى ولو تبدو "أقل جدارة" عند مقارنتها مع دهارما الآخر. إن الجدارة الحقيقية للدهارما تكمن في الاستفادة منها

في ترقي التطور بالأسلوب الأكثر فاعلية.

عندما تكون الحياة في مرحلة معينة، وعندما تترقى بواسطة الدهارما في تلك المرحلة إلى مرحلة أعلى، تبدأ بأن تكون محكومة من قبل الدهارما في المرحلة الأعلى. هكذا، ومرحلة بالمرحلة، تتطوّر الحياة من خلال الدهارما للمراحل المختلفة للتطور. إن مقارنة الجدارة لدهارما حالة الفرد الحالية قد تكون أقل من الدهارما في الحالة أعلى، لكن جدارتها في مكانها الخاص هي أعظم إلى حد بعيد. إنّ أول كتاب لتعليم القراءة هو بالتأكيد أدنى من أي كتاب من كتب البلاغة، لكنّه أكثر أهمية لطالب في الصف الابتدائي الأول لأنه مناسب أكثر له.

إذا حاول الإنسان إتباع الدهارما المناسبة لفرد متطور أعلى منه، لن يكون قادراً على تطبيقها بنجاح وهكذا يضيّع وقته وطاقته. وقد يذهب به الأمر إلى فقدان ميراث طريق تطوره. أما بإتباع بعد الدهارما الخاص به، وبعد مماته، من الطبيعي أن يرتفع إلى حالة أعلى من الحياة؛ لكن إذا استوفاه الموت وهو يحاول إتباع دهارما الآخر، سيموت مخلوعاً من مستواه الخاص للتطور، وبإرباك كلي حول طريق تطوره.

يقول المولى: "الأجدى به أن يموت في تأدية الدهارما الخاصة به" والسبب الذي يعطيه هو: "لأن دهارما الآخرين تجلب الخطر". وبذلك، من الواضح أنّه يوجد هناك خطر أعظم للحياة من ظاهرة الموت.

إن الموت في حد ذاته يسبب فقط بتوقف مؤقت في عملية التطور. وهذا التوقف لا يوجد فيه خطر حقيقي على الحياة لأنه، ومع حيازة الجسم الجديد بعد التوقف، يصبح التقدّم الأكثر سرعة لتطور الحياة ممكناً. أما الخطر الأعظم فهو الشّيء الذي سيعيق فعلاً عملية التطور.

في إتباع دهارما الآخر، يحدث الفرد بالتأكيد بعض التأثيرات في حياته، لكنّ لن يكون لذلك أي تأثير على مستواه الحالي للتطور، لأنها تعنى فقط بالدهارما الخاص به. أما دهارما الآخر فتنتمي إلى مستوى مختلف للتطور عن مستواه الخاص. وبسبب أن الإنسان يتمتع بحرية العمل، فهو قادر بالتأكيد على محاولة القيام بلعب دور النشاط الذي ينتمي إلى مستويات مختلفة من التطور. هذا يعني بأنّه قادراً على محاولة أداء الأعمال المناسبة لدهارما الآخر. لكن إذا أدى مثل هذه الأعمال، يفقد استمرارية التقدّم على المستوى الذي فيه يمكنه أن يتطوّر. هذا هو الخطر الأعظم للحياة: أن يعيش الفرد حياته ويمر به الوقت، من دون أيّ تقدّم على طريق التطور.

يعلّم المولى بأن كلّ شخص يجب أن يعيش طبقاً لمستوى الدهارما الخاص به، وبذلك سيضمن التقدّم الثابت على طريق التطور. من المؤكد أن هناك طرق لتحسين تقدّم الفرد، لكن كلّ منهم تبدأ برفع المستوى الحاضر وليست بالتخلي عنها بشكل خطر.

وكون التعاليم الحالية هي الحديث عن شاسترا يوغا، من الضروري اعتبار الدهارما ليست فقط على مستوى الحياة النسبية، أي مستوى الغونات الثلاثة ونشاطهم، لكن أيضا على مستوى الكينونة، الذي هو مجرد من النشاط إن الدهارما الذات هي أبدية، في حين أن الدهارما في الحقل النسبي لها قيمها المختلفة في المستويات المختلفة من النشاط تتضمن الحياة هذان النوعان من الدهارما - الدهارما الأبديّة للذات الثابتة والحالات المتغيرة للدهارما على المستويات المختلفة من الحياة في الحقل النسبي.

إنّ تعاليم هذه الآية في مستواها الأعلى هي: من الأفضل البقاء ثابتاً دهارما الذات، التي هي وعي الغبطة المطلق، من المشاركة في الدهارما للغونات الثلاثة والوقوع تحت تأرجح التجاذب والتنافر. عندما يكون الإنسان ثابتاً في الدهارما الخاصة به، دهارما الذات، يكون نشاطه

متواصل تحت التأثير المباشر للطبيعة القوية ويتمتّع بدعمها الكامل؛في حين أنه وإذا تشارك مع دهارما الآخر، الدهارما في الغونات الثلاثة، يفقد الدعم ورعاية الطبيعة القوية في الحياة الكونية، ويصبح نشاطه محدودًا بمحدودات الحياة الفردية.

بما أن هذا المبدأ هو حقيقي لدهارما الذات، فهو حقيقي على حد سواء لدهارما الغونات الثلاثة. لا تدع حقل النشاط يستولي على حقل الذات. بذلك فقط يمكن للإنسان أن يعيش بشكل طبيعي كل من دهارما الذات والدهارما في حقل النشاط في كل مستوى من مستويات التطور. وسيبقى حقل الذات وحقل النشاط إلى الأبد في قوامهما الكامل. وسيعيش الإنسان الحرية أبديّة في وسط كلّ النجاح في المجالات المختلفة لنشاط الحياة، الفردية والاجتماعي.

عندما يواجه جسم الإنسان المدرك الموت ويتوقف الجهاز العصبي عن العمل في النهاية، تبقى الذات ثابتة في الدهارما الخاصة بها، الدهارما الأبدي للكينونة، بينما يستمرّ مجال الغونات الثلاثة في الدهارما الخاصة بها للتغيير المستمر، وتحوّل الجثّة إلى عناصرها المكوّنة المختلفة. في مثل هذا الحالة، يكون الموت كناية عن توقف النشاط الفردي فقط، ويترك الذات في حالتها غير المحدودة للحرية الأبديّة. إن مثل هذا الموت هو فقط الإعلان صامت عن لا عودة – لا عودة إلى دورة الولادة والموت. وعندما يقول المولى: "الأجدى به أن يموت في تأدية الدهارما الخاصة به"، فهو لا يمجد الموت؛ بل هو يثبت فقط مبدأ كسب تلك حالة الأبدية للكينونة التي فيها يفقد الموت أهميته البائسة.

بهذا، يكون المولى قد أجاب على كلّ القلق الذي أظهره أرْجونا بما يتعلق بالدهارما في الآيات 40 إلى 45 من الفصل الأول. حيث اعتبر أرْجونا أن الدهارما بشكل رئيسي هي على مستوى السلوك، على مستوى الوجهة السطحية للحياة النسبية، فجاء اعتبار المولى للدهارما من القاعدة الحقيقية للحياة، من مستوى الكينونة، التي هي قاعدة الغونات الثلاثة. وباعتبارها

من هذا المستوى الأساسي للحياة ستؤمن الدهارما الحلّ لأيّة مشكلة وبأي مرحلة من مراحل تطور الحياة.

الآية السادسة والثلاثون

قال أرْجونا:

ما هي دوافع الإنسان كي
يرتكب الخطيئة، وكأنه منجذب
بالقوة دون إرادته، يا سيد فرشنايا؟

"فرشنايا": المولى كريشنا، عضو عائلة فريشني التي تعود إلى عشيرة يدافا.

إنه سؤال أساسي وعملي الذي يسأله أرْجونا؛ يريد أن يعرف ما هي القوة التي تقود دوريودهانا ومؤيدوه والتي قد تجعله شخصياً يرتكب الخطيئة العظمى لقتل أقربائه.

يعرف اللصّ بأنّه يرتكب الخطأ وبأنّ ذلك سيؤدّي إلى العقاب. بالرغم من ذلك فهو ليس قادر على المقاومة. لماذا هذا؟

بعد أن سمع الفلسفة العميقة انفصال الذات القدسية الداخلية عن حقل النشاط، وبعد أن فهم بوضوح من الآية السابقة بأنّه من الخطر للذات أن تسقط من الدهارما الخاصة بها للوجود الأبدي إلى مجال الدهارما في الطبيعة المتغيّرة باستمرار للغونات الثلاثة، يندهش أرْجونا لرؤية بأنّ الحقيقة هذه لانفصال للذات عن النشاط التي هي الحالة الطبيعية للحياة، ليست ظاهرة في الحياة اليومية للناس. هذا ما جعله يسأل السؤال في الآية الحالي. ويريد أن يفهم تلك القوة التي تسلب الإنسان من حقيقة وجوده.

الآية السابعة الثلاثون

قال المولى المبارك:

إنها الرغبة، إنها الغضب، المولودة
من راغو-غونة، تبيد الكل، والأكثر شراً.
اعلم أن هذا هو العدوّ هنا على الأرض

"راغو-غونا": الرجس، إحدى الغونات الثلاثة للطبيعة. وهي المسؤول عن الحركة والطاقة.

إن الرغبة هي التي تربط الحواس مع مدركاتها وبذلك تؤثّر على الذات عن طريق التجاذب والتنافر (الآية 34)، والتي بدورها تخلق حافز للنشاط الذي يورط الذات.

إن الوعي الذاتي، الوعي الصافي غير الظاهر، يظهر على شكل اهتزاز -يتذبذب الوعي ويصبح عقلاً واعياً، وتظهر الفكرة. تستمرّ عملية الظهور، وتطوّر الفكرة إلى رغبة. الرغبة هي الوعي المتذبذب يوضع في الحركة ويسلك في اتّجاه معيّن. إنها كلّية الحركة وتمتطي الوعي الصافي الساكن دائماً؛ وهذا يحدث استناداً إلى راغو-غونة.

عندما يكون تدفق رغبة معيّنة معرقلاً بتدفق آخر، تنتج الطاقة في نقطة الاصطدام، وهذا ما يندلع كغضب، الذي يزعج ويربك ويكسر الانسجام والتدفق السلس للرغبة. وهكذا يتم خلق

الإرباك في الحقل الظاهر للحقيقة، وتفسد غاية الظهور، التي تعمم السعادة؛ وتخذل الغاية الحقيقية للخليقة.

لذلك يدعى الغضب "العدو" من قبل المولى. إنه مثل الدوّامة في النهر التي تهدّد بإزعاج التدفق السلس لكلّ شيء يمرّ فيه. إنه مثل النار التي تحرق كلّ شيء في طريقه. يقال أن الغضب هو الشر الأكبر، يشوّه الغاية الحقيقية للخليقة.

هنا يقف كل من الرغبة والغضب في قفص الاتهام في حين يحطم الغضب غاية الخليقة، تبقي الرغبة العقل يعوم في حقل الاختبار الحسّي وبذلك تكون مسؤولة عن جعل العقل يورط الذات بالعمل ما لم تكسب الذات استقراراً في طبيعتها الخاصة. وهكذا يتم حجب الحرية الأبديّة الطبيعية للذات. تحجب الرغبة في حالة الجهل الطبيعة الصافية للذات، التي هي وعي الغبطة المطلقة، وهذا ما يبقي الحياة في العبودية والمعاناة.

"تبيد الكل": يتقدم هذا التعبير "المولودة من راغو–غونة". يشير هذا ضمناً، بما أن راغو–غونا هي المسؤولة عن عمل الساتفا والطمس، وبما أن راغو–غونا موجودة في قاعدة كلّ القوى البنّاءة والهدّامة للطبيعة، وكون الرغبة لها مصدرها في راغو–غونة، فيكون للرغبة القدرة الطبيعية أيضاً في إسناد الحقل الكامل للغونات الثلاثة أو تدمر غايتها بالكامل. لا يناقش المولى هنا وجهة التأييد والإسناد للرغبة، لأنه في السياق الحالي يحلّل طبيعتها الحقيقية التي تخرج الذات من ذاتها. وبحد ذاته، هي "تبيد الكل، والأكثر شراً"، لأنها تحجب الطبيعة الحقيقية للذات كما تحجب وعي الغبطة المطلق، الطبيعة الحقيقية للحياة أبديّة.

إن طبيعة الرغبة، كما تم كشفها هنا من قبل المولى، تنطبق فقط طالما لم يكسب الفرد التنوير. إنها حقيقة فقط بالنسبة للباحث والإنسان الجاهل، وليس للإنسان المدرك عندما

يكسب الفرد إدراك الذات بأنها منفصلة عن النشاط، تتوقّف رغبة في أن تكون "العدوّ هنا على الأرض"، لأنه عندئذ تكون مدعومة فقط بواسطة الغونات الثلاثة، بينما تبقى الذات متحررة بالكامل من تأثيرها.

في بقيّة هذا الفصل، يواصل المولى في إظهار طبيعة الغضب والرغبة، ويعرض في النهاية الطريقة للتغلب على هذان العدوان في الحياة.

الآية الثامنة والثلاثون

كما هي النار مغطاة بالدخان
والمِرآة بالغبار والجنين بغلاف الرحم،
هكذا هو مغطى بذلك

"هو مغطى بذلك": الوعي الصافي مغطّى بالرغبات.

هناك ثلاثة استعارات في هذه الآية، ولكل واحدة أهميتها الخاصة.

يأتي الدخان عن النار ويغطّيه: وتأتي الرغبة عن الوعي الصافي وتحجبه.

المرآة مغطّاة بالغبار، التي تأتي من خارجها. إن مصدر الرغبة موجود خارج حقل الكينونة في حقل الغونات. هذا المحفّز الخارجي يخلق الرغبة ويغطّي الكينونة الصافية. لذلك من الممكن

القول أن الرغبة تأتي من الخارج وتغطي الكينونة كما تغطي الغبار المرآة.

بينما يغطّي غلاف الرحم الجنين فهو يدعمه ويبقيه على قيد الحياة، كذلك تفعل الرغبة بحجب الكينونة وتدعم الكائنات وتعطيهم الحياة، فهي تغذّيهم وتبقيهم على قيد الحياة.

لذلك إنها الرغبة التي يحجب في كلّ طريق الطبيعة غير متورطة للذات وتتركها متورطة، إذا جاز التعبير وكما لو أنّها مقيدة بالنشاط

الآية التاسعة والثلاثون

تُحجب الحكمة بلهيب لا يشبع
من الرغبة التي هي العدو الدائم
للحكماء يا ابن كونتي

"الحكمة": أنظر الآية 32.

الرغبة، كما تم تعريفها في الآية السابع والثلاثون، هي مثل نار غير قابلة للإخماد، لأن تدفق الرغبة هو في اتجاه معيّن، يستمرّ في الحركة باختبار السعادة أو البحث عنها، يواصل التدفّق من النقطة إلى أخرى، حيث لا يوجد هناك نقطة في الحقل النسبية ترضيه شهوته للسعادة الأعظم بشكل نهائي.

هكذا يستمر النشاط الذي لا يتوقف للرغبة في الحفاظ على الصلة الوثيقة للترابط بين الذات والعالم الخارجي، وهذا ما يبقي الذات مقيدة، إذا جاز التعبير، إلى حقل العمل. لا تسمح الرغبة للذات في البقاء غير متورطة في حقل العمل، بالرغم من أنّ كلّ النشاط، في الواقع، تقوم به الغونات الثلاثة.

"الحكماء" في هذا السياق هم الذين يعرفون "الحقيقة حول انقسامات الغونات وأعمالهم" والذي يعرفون "بأنّ الغونات هي التي تعمل للغونات" كما هو واضح في الآية 28. الحكماء هم الذين، ثبتوا في معرفة الغونات الثلاثة، يبقون غير مقيدين بحقل العمل. عندما يقول المولى في هذه الآية أن الرغبة هي "العدو الدائم للحكماء"، إنه يحذر طلاب السانكهيا بأنّ الفهم الفكري المجرّد للغونات الثلاثة غير كافٍ لتثبيت الذات على أنها غير مرتبطة بالعمل وبثماره. من الضروري الارتفاع فوق تأثير الرغبة. لكن طالما تستمرّ الحياة، يجب أن تكون في حقل الرغبات. لا يمكن للإنسان العملي أن يكون أبداً من دون الرغبات. عندما يقول المولى: "تُحجب الحكمة بلهيب لا يشبع من الرغبة التي هي العدو الدائم للحكماء"، هو لا ينوي عرض المبدأ بأن الرغبة يجب أن تستأصل، لأن ذلك غير ممكن مادياً. وإن أيّ محاولة في ذلك الاتجاه ستجعل فقط الحياة متوترة أو مملّة أو عديمة الفائدة.

إنّ غرض المولى هو في وضع الحقائق أمام أرْجونا، وبعد ذلك في إعطائه التقنية التي بها يمكنه أن يرتفع بسهولة فوق التأثير الملزم للرغبة ويجعل حياته زاهية وأكثر ونجاحاً واكتمالاً على كلّ مستوى. يشرح المولى بوضوح ميكانيكية العبودية، لكي يكون أرْجونا قادراً أفضل على إدراك أن الارتفاع فوق هذه العبودية وعيش الحياة بالحرية الأبديّة ليست صعبة ولكنها سهلة. إن تشدد هذه الآية بشكل كبير على عداوة الرغبات يظهر ضمنياً بأنّ المولى سيقود أرْجونا إلى الطريق الذي سيحوّل تأثير الرغبة من العداوة إلى الفائدة. ستتوقّف

الرغبات عن أن تكون "عدو الحكماء"؛ هم سيثبتون أنهم يؤيدون الحكماء وسيجلبونهم الاكتمال من كل الجهات.

سيعطي المولى، من دافع اللطف العظيم، إلى أرْجونا تقنية بسيطة لتحويل الآليات الكاملة التي تسبّب الرغبة، ولتحويل العقل والقلب بحيث يخدم ارتفاع الرغبات وكلّ نشاطاتها كالموج العارم من المحبّة والغبطة نعمة في البحر غير المحدود لوحدانية وعي الله. هذا يتضمّن إعطاء النمط إلى الآليات التي تخلق الرغبة – الحواس والعقل والفكر – وبذلك ومع بقائها في حقل الرغبة، تبقى متحررة من تأثير الرغبة. هذا ما سيسمح للذات في البقاء غير متورطة، تاركاً الرغبات كي تعتني بها الغونات الثلاثة، بما يتعلق بنشأتها ونموها ولعب دورها.

تحلّل الآية التالية الآليات التي تسبّب الرغبات، أما الآيات الباقية هذا الفصل فهي مكرسة لإظهار الأساس، وفي نفس الوقت، التعاليم الأكثر تقدّماً للتقنية حيث يخرج بها الفرد من التأثير الملزم للرغبات.

الآية الأربعون

الحواس والعقل والمنطق

هي مقرٍ لها (للرغبات)

فتُحجب الحكمة بسببها،
وتضلّل المقيم في الجسم

بعد أن أوضح إلى هذا الحدّ بأنّ خسارة الحكمة بشكل رئيسي هي بسبب ارتباط العقل المستمر في حقل النشاط، بسبب الرغبة، يبدأ المولى الآن في وصف الطريقة التي بها يمكن للوجهة الذاتية لحياة الفرد، التي هي مسؤولة عن كلّ الرغبة والنشاط، أن تتأثر بالأسلوب الذي، من ناحية، لا يسمح للرغبات في حجب الكينونة ومن ناحية أخرى، يجلب الاكتمال إليها، وبالتالي جلب النجاح والخلاص للحياة.

يصف المولى الآليات الذاتية المسؤولة عن جعل الجوهر المجرّد للرغبة ملموساً. من خلال الفكر والعقل والحواس، تأخذ الرغبة المجرّدة، التي هي على شكل الفكرة، شكلاً ملموساً. كنتيجة لذلك، تصبح الذات كما لو أنّها متورطة في حقل النشاط هكذا تكون الطبيعة غير المتورطة للذات مخدوعة، إذا جاز التعبير. إن الحكمة التي تحمل الذات كي تكون غير مرتبطة وخارج قيود العبودية، تُحجب بالحواس والعقل والفكر التي تدخل إلى عمل تحت سيطرة الرغبة.

بعد أن أظهر الحواس كونها الوسيلة المباشرة التي من خلال تعمل الرغبات، يشدد المولى، في الآية التالية، على ضرورة تكيّف الحواس كي تصبح متحررة من طبيعة الرغبات الحاجبة.

الآية الواحدة والأربعون

لذلك بعد أن تنظم الحواس أولاً،

يا أفضل البهاراتا، اقتلع منك هذا الشر،

المدمّر للمعرفة وإدراك الذات.

"تنظم": إنّ الكلمة السنسكريتية قد استعملت في النصّ النيايا، التي تعني بشكل حرفي: بعد تطبيق القانون والنظام، وتنظيم الشيء ليعمل بشكل دقيقي وبأسلوب منظّم إن كلمة "تنظم" تبقى ناقصة لإعطاء المعنى الدقيق، لكنّه تم اختيارها تفادي للشعور بالسيطرة والكبح، الذي تم الدلالة عليه عموماً من قبل المفسرين والذي أدّى فقط إلى تشويه المعنى الكامل وغاية التعاليم.

تكشف هذه الآية مبدأ أساسياً وتظهر كيف يتم جعل الحياة خالية من "هذا الشرّ" من الرغبة، ويتم تركها في امتلاء الحكمة والحرية في الوعي القدسي.

لقد ورد في الآية السابقة أن الحواس والعقل والفكر هي "مقرّ" الرغبة. في تعليم أرْجونا كيف يضبط وينظّم تدفق الرغبة لكي تتوقّف عن حجب الطبيعة الأساسية للذات؛ يبدأ المولى تناول حقل الحواس؛ إن الحواس هي المنبع الذي منه تتدفق كل مجاري الرغبات.

في جبل، تتدفّق عدة تيارات مختلفة من الماء في باطن الأرض من كلّ الاتجاهات وكلّها تجد المخرج المشترك في النبع. إن الطريق الوحيد لتنظيم كلّ هذه التيارات في باطن الأرض أن تنظّم المخرج. تكون الرغبات في حقول الفكر والعقل مثل التيارات تحت الأرض. وحقل الأحاسيس هو مثل المخرج الذي منه تظهر التيارات إلى الهواء الطلق. أما السيطرة على المخرج، فيكون من الممكن جداً استعمال الفيض الكامل للماء للإفادة. طبقاً لهذه الآية، إن تنظيم المخرج وتنظيم الحواس، هو الطريقة للاستعمال الأفضل لتيارات الرغبة التحتية.

والنصيحة هنا ليست للتخلي عن الرغبات أو القضاء عليها، وكذلك ليست في التحكم بالرغبات والسيطرة عليها، لكن للتحكم بمخرج الرغبات بتنظيم الحواس. إنّ الغاية هي في إعطاء

النمط لعمل الحواس لكي يكون نشاطهم دائماً، وكأمر طبيعي، بالتوافق مع قوانين الطبيعة التي تقود عملية التطور. هذه هي الوسيلة البسيطة والفعّالة "لاقتلاع هذا الشر المدمّر للمعرفة وإدراك الذات".

يكمن تنظيم الحواس في جذور كلّ الإنجازات الحقيقية في الحياة. وتشرح الآيات التالية التقنية.

الآية الثانية والأربعون

يقال إن الحواس مرهفة؛
والذهن أرهف من الحواس
وأرهف من الذهن هو الفكر،
أما ذلك الذي هو وراء الفكر إنه هو

بعد التشديد في الآية السابقة، على ضرورة تنظيم الحواس، يشير المولى الآن إلى تسلسل النواحي المرهفة للحياة الذاتية التي يقع خلف الحواس. هذا من أجل إيجاد المفتاح إلى تنظيم الأحاسيس.

إذا واجه الفرد صعوبة في التعامل مع الضابط، يجب عليه أن يبحث عن رئيسه في الرتبة. في حقل الحياة الداخلية، يقول المولى، إن من هو خلف الفكر هو السلطة الأعلى للكلّ.

في الآية القادمة يوضح بأنّه، بالاتّصال به تخضع الحواس بشكل طبيعي.

الآية الثالثة والأربعون

لذلك، بمعرفة من هو الذي وراء الفكر،
باستكانة ذاتك بالذات الكلية،
يا أيها المسلّم الجبّار،
دمّر العدو المتمثل بالرغبات،
والصعب الإخضاع.

"بمعرفة من هو": هذا يعني بعد أن عرفت المقيم في الجسم بطبيعته الحقيقية بأنه الكينونة، المنفصلة عن الحقل الكامل لنشاط الجسم، الحواس والعقل والفكر. يشير التعبير ضمناً إلى أنّ هذه هي الطريقة من أجل " تدمير العدو المتمثل بالرغبات".

"الصعب الإخضاع": سيكون إخضاع الرغبات صعباً بأيّ محاولة تهدّف لإخضاعها بشكل مباشر. إن الرغبات هي نبضات العقل. وما لم يتّجه العقل إلى الكينونة فهو منشغل بشكل طبيعي في الرغبة. بما أن هذه هي العلاقة الطبيعية للعقل والرغبات، وبما أن العقل هو أساس وجود الرغبات، تكون الطريقة الوحيدة لإخضاعها في توجيه العقل إلى الكينونة.

هذه هي الحكمة العظيمة للحياة، وجوهر مذهب الكارما يوغا. لقد قدم المولى عرضاً أساسياً حول السبب والنتيجة: قم بالتأثير على السبب لتعديل النتيجة، اذهب إلى نطاق الكينونة لكي تعدّل طبيعة الفكر والذهن والحواس. اذهب إلى الحقيقة النهائية المطلقة، و ستتوقّف كلّ المستويات النسبية عن أن تكون العبء. كون متنوراً، و ستكون الحياة أبداً في الحرية والامتلاء، بعيدا عن ظلام الجهل.

يقول المولى: إن إدراك النهائي هو سهل المنال. أنت تملك قوّة إدراك العليّ الأسمى، بشرط أنك لم تقوّض تلك القوّة. تبلغها فقط في أن تكون كما أنت. وفي كونك كما أنت، ستجد الحقل الكامل للوجود في وضع من الانسجام الأبدي. ستعمل كل من الفكر والذهن والحواس بالتوافق، لا شيء يقهر الآخر، ولن يكون أي جانب للحياة ضعيفاً. ستعيش الحياة في الامتلاء.

إن هذا هو إعادة تأكيد كلمات المولى الواردة في الآيات الخامسة والأربعون والسادسة والأربعون للفصل الثاني. إنها مقاربة للتخلّص من الحاجة للسيطرة على الحواس بالتقشّف غير الطبيعي أو الشاق. ويجعل أيّ ممارسة للانعزال أو الزهد من أجل بلوغ حالة التنوير غير ضرورية.

إن الطريقة العملية جداً للإدراك هي مؤمنة، سواء كان الفرد على طريق الغيانا يوغا، طريق المعرفة، أو على طريق الكارما يوغا، طريق العمل. وبصرف النّظر عن طريقة حياة الفرد، أكان هو رب البيت أو المتنسك، هذه هي المقاربة المباشرة إلى الاكتمال.

لسوء الحظ، هناك معتقد سائد بأنّه يجب إخضاع الرغبات للوصول إلى التنوير. هذا الأمر هو خاطئ جداً. لقد نما سوء الفهم هذا خلال مئات السنين القليلة الماضية، وفي النتيجة، أصبحت مهمّة أولئك الذين يريدون الحقيقة أكثر صعوبة من أي وقت مضى. هنا يقول المولى: اذهب إلى حالة

التنوير لكي تخرج من عبودية الكارما، اجلب النور لكي تزيل الظلمة. هذا هو المبدأ الأساسي التحتي لهذه الآية؛ لا يجب على الفرد أن يحاول إزالة الظلام لكي يدخل في النور.

لكي يتخلص أرْجونا من عبودية الكارما، تمنى عليه المولى أن يترك الحقل الكامل للكارما. لقد أراده أن يعرف الحقيقة التجاوزية وبذلك يعزّز عقله إلى درجة ترفعه فوق التأثير الملزم للرغبات والأعمال. هذه هي الطريقة المباشرة لإدراك حالة التكامل وحالة الحرية الأبديّة خلال حياته هنا على الأرض.

بما أن هذه هي الآية الأخيرة للفصل، يلخّص المولى جوابه على أسئلة أرْجونا في الآيات 1 و2 و36.

إن هذا الفصل، الذي يشرح علم العمل، يؤيد رغبة التجاوز كتقنية لإخضاع الرغبات وأيضاً لجلب الاكتمال إليهم؛ أما الرغبات العديمة الفائدة كبتها بالرغبات المفيدة والتي ستجد اكتمالها. إنّ مبدأ الحفاظ على حياة الشجرة هو في تجاوز الشجرة. إذا وصل الفرد إلى المنطقة المحيطة بالجذر، إلى الحقل التجاوزي للشجرة، يكون من السّهل جلب الغذاء إلى كلّ أجزاء الشجرة. إذا وصل الفرد إلى الحقل التجاوز يمكنه أن يجعل شجرة حياته الكاملة سليمة ومثمرة.

إنّ بركة هذا الفصل هي في مبدأ تجاوز حقل العمل من أجل جلب الاكتمال للعمل. إنه يؤيّد ويدعم حياة رب البيت وحياة المتنسك كليهما معاً.

هكذا، في أوبانيشاد البهاغافاد غيتا المجيدة،

وفي علم المطلق، وفي نصوص اليوغا،

وفي الحوار بين المولى كريشنا وأرْجونا،

ينتهي الفصل الثالث، بعنوان:

يوغا العمل، الكارما يوغا.

الفصل الرابـع

نـظرة على التـعاليم في الفصل الرّابـع

الآيات 1–8. إن هذا الطريق في العمل لكسب النجاح في العالم والحرية في الوعي القدسي هي من التقاليد القديمة. في محتواها هي أبدية. حتى إذا ضاعت نقاوتها مع مرور الزمن وضاعت في ذاكرة الإنسان، في كلّ مرة ترجع في العالم بموجة من الإحياء تأتي من الله.

الآيات 9 و10. معرفة القدسيّ بأنه منفصل عن النشاط، ومعرفة ولادة المولى وأعماله بالقدسية، فترفع وعي الإنسان إلى تلك النقاوة التي تضعه على المستوى القدسي.

الآيات 11 و 12. ردّ الفعل القدسي على الإنسان تعتمد على عمل الإنسان باتجاه القدسي. يولد النجاح من العمل في عالم البشر.

الآيات 13–15. بعد أن عرف القدسي بأنه الخالق وبأنه منفصل عن النشاط، يتبع الباحثون عن التحرر هذا المثال وينشغلون بالعمل.

الآيات 16–22. بما أن مضمار العمل لا يمكن إدراكه، يكون أداء العمل الصحيح ممكناً فقط بمعرفة الطبيعة القدسية. يتم اكتساب هذه المعرفة بالكامل في الوعي القدسي، التي فيها يتم الحفاظ على الحرية الداخلية والنشاط الخارجي بشكل متزامن.

الآيات 23–33. باكتساب الوعي القدسي يرتفع الإنسان إلى وحدانية الحياة، وفي هذه الحالة يكون كلّ النشاط في نور الله. وتتتوّج كلّ الأعمال في معرفة الله.

الآيات 34–38. وبالثبات في هذه المعرفة، يرى الإنسان كلّ الكائنات في ذاته ويجد ذاته في الله. تضع هذه الحالة العليا للنقاوة في وعي الله، النهاية للجهل ولكلّ عبودية العمل.

الآيات 39–42. يضيء نور هذه المعرفة في قلب من هو ممتلئ بالإيمان ونية الغاية وحواسه خاضعة. ويجلب السلام الدائم من دون تأخير.

اكسب حالة عدم التعلق والتحرر من الشكوك؛ وكن ثابتاً في الذات ولن تربطك أعمالك.

ملخص سريع

ينبع هذا الفصل بذات النفس للمولى كما هو في الفصل الثّالث. تحتوي الآية الثامنة والأربعون من الفصل الثّاني الأفكار الرئيسية ي للفصلين: "اثبت في اليوغا ... وأدي العمل" في الفصل الثّالث، و"وبترك للتعلق وبعد توازنك في النجاح والفشل" في الفصل الرّابع. هذين الفصلين سوياً هما بالتالي كافيان لجلب التنوير إلى الباحث. أنهما يعطيانه، بقدر ما يمكن للكلمات أن تعطي، الاختبار المطلوبة والفهم الكامل عنه.

قدّم الفصل الثاني مذهب التحرر. إنه يحلّل الحياة في الوجهة النسبية والوجهة المطلقة ويعد بالتحرر من خلال معرفة ذلك.

تتألف المعرفة بشموليتها كل من الفهم والاختبار. لذلك، ولكي يكسب الاكتمال الإنسان من الضروري أن يكتسب الاثنان معاً؛ الفهم والاختبار للنسبي والمطلق، بصرف النّظر فيما إذا كان يسلك طريق رب البيت أو المتنسك إنها تتبع تلك الحكمة للسانكهيا، التي تجلب التحرر من خلال فهم النسبي والمطلق، وممارسة اليوغا، التي تجلب التحرر بتأمين الاختبار المباشرة للمجالين للوجود، إنهما الطريقين إلى التنوير. إن كلّ هذه التعاليم هي متضمنة في الفصل الثاني.

يقدم الفصل الثالث مذهب العمل المصمّم لجعل اختبار المطلق دائماً، كما ذكر بداية في الآية الخامس والأربعون للفصل الثاني.

عندما يصبح هذا الاختبار للمطلق دائماً، يتم الحفاظ على الإدراك الذاتي بشكل طبيعي خلال كلّ من حالات وعي اليقظة والحلم والنوم العميقة. يختبر الفرد ذاته منفصلة عن النشاط حينما يعيش الفرد هذه الحياة من غير

التورط، وغير التعلق الطبيعي، يبدأ فكره بالاستفسار: "هل هذه هي حقيقة الحياة؟ وهل لهذا الإحساس من الانفصال أو عدم التعلق علاقة بالحياة الحقيقية، أو هل هو الهروب من الحياة؟ هل هذه الحقيقة من الحياة هي ثنائية – ثنائية الكينونة والنشاط؟ إن مثل هذه الشكوك يتم إزالتها بالمعرفة المعطاة في الفصل الرابع.

يحلل هذا الفصل، ومع تكرّسه إلى معرفة الزهد، طبيعة الفعل وطبيعة الفاعل على المستويين؛ الفردي والكوني – على مستوى الإنسان وعلى مستوى الله – وبعد ذلك يعلن نتيجة هذا التحليل المنهجي والمنطقي: أن الفعل والفاعل هما مستقلان عن بعضهما البعض؛ ويوجد هناك حالة طبيعية من الانفصال بينهما في كلّ المستويات. هذه حالة من غير التعلق أو الزهد، تؤمن من ناحية الأساس الصلب للحرية الأبديّة للفاعل، ومن ناحية أخرى النجاح الأقصى الممكن في العمل وبالمردود الأكثر تمجيداً. هي حالة الزهد التي توفر ساحة اللعب الأبديّة للقدسي وللإنسان. إن جهل هذا الأساس الطبيعي للحياة هو سبب العبودية وكلّ المعاناة. إما معرفته فتؤدّي إلى الحرية الأبديّة. إن كشف هذه المعرفة هي غاية الفصل الرابع.

أما الناحية الفاتنة في هذا الفصل هي في إظهار معرفة الزهد في العمل، إنه يوضّح الحقل الكامل للعمل، مظهراً كيف يتقدّم مجرى الحياة نحو المجالات الأعلى للوجود (الآية 10) ونحو القوى الأعلى في الطبيعة (الآية 12)، إلى أن ينَدمج ببحر الحرية الأبديّة في وعي الله (الآية 9).

إن هذا الفصل للمعرفة هو في غاية الأهمية بالنسبة للباحث، لأنه يشرح الاختبار الأكثر قيمةً على الطريق إلى التنوير، اختبار الانفصال بين الذات والنشاط وكلما يتقدم في الممارسة، سيصل الباحث بالتأكيد إلى ذلك الاختبار؛ وإذا تابع في المضي بيسر على طريقه، غير معاق بالشكوك، يجب أن يمتلك هذه المعرفة.

لكي يظهر المعرفة الكاملة للانفصال أو حالة الزهد، الموجودة بين الذات والنشاط، يوضّح هذا الفصل المجالين للحياة النسبي والمطلق. وفي القيام بذلك، يعلن فلسفة الامتلاءان الموجودة في الأوبانيشاد: "هذا كامل

وذلك كامل"، بورنامدا بورناميدام– إن تلك الكينونة المطلقة التجاوزية الأبدية وغير الظاهرة هي كاملة، والعالم المتغيّر باستمرار النسبي الظاهر للوجود الظاهري هو كامل. إنّ المطلق هو أبدي في طبيعة غير المتغيرة أبداً، والنسبي هو أبدي في طبيعته المتغيّرة باستمرار.

تجد هذه الحقيقة الحيّة لامتلاءين في الوعي الكوني إتمامه في الوحدة الكبيرة لوعي الله. في شرح هذه الفلسفة الموحّدة للامتلاءين، يقدّم هذا الفصل صميم الحكمة المتضمن في هذا النصوص لليوغا، ولهذا السبب يبدأ المولى في إعطاء أرْجونا وصفاً لتقاليد هذه اليوغا.

آيات الفصل الرابع

١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧	١٨
١٩	٢٠	٢١	٢٢	٢٣	٢٤	٢٥	٢٦	٢٧	٢٨	٢٩	٣٠	٣١	٣٢	٣٣	٣٤	٣٥	٣٦
٣٧	٣٨	٣٩	٤٠	٤١	٤٢												

الآية الأولى

قال المولى المبارك:
لقد كشفت هذه اليوغا الخالدة
إلى فيفاسْوات، وفيفاسْوات علّمها
إلى مانو ومانو نقلها إلى إيكشْفاكو

"هذه اليوغا الخالدة": كرّست الفصول السابقة إلى اليوغا – سانكهيا يوغا وكارما يوغا. وبقوله "هذه اليوغا"، يتكلّم المولى عنها وكأنهما واحدة. هذا أن يعطي الطمأنينة إلى أرْجونا أنه وبالرغم من الإعلان عنهما أنهما مختلفتين، لكن لهما القاعدة ذاتها وتعطيان النتائج ذاتها. إنّ القاعدة "كن من دون الغونات الثلاثة" التي تجلب الاكتمال إلى حكمة السانكهيا وإلى ممارسة الكارما يوغا، إلا أن كلمة "يوغا" في هذه الآية تشير إلى السانكهيا يوغا والكارما يوغا معاً.

إنّ اليوغا كما يشرح المولى كريشنا هي خالدة لأنها تكشف حكمة المطلق وحكمة النسبي. إنّ النسبي والمطلق، كلاهما أبدي؛ وكذلك اليوغا، التي تشرح حقيقة الاثنان، التي هو حقيقة الحياة في امتلائها. إنها أبدية لأنها تخدم الغاية الكونية وهي طبيعية إلى عقل الإنسان.

يقول المولى بأنّه علّم هذا اليوغا الأبدي إلى فيفاسْوات في بداية الخليقة لكي يصبّ القوّة إلى الكشاتريا ويمكنهم على المحافظة على القانون والنظام وحماية طريق الصواب لخير المجتمع. فيفاسْوات كشفها إلى الابن مانو، مانح القانون إلى العالم. ، ومانو أعطاه إلى إبنه إيكشْفاكو، الذي حكم في آيودها كالملك الأول للسلالة الشمسية.

إنّ البهاغافاد غيتا هي التعبير الأعلى للذكاء القدسية القابل فهمه من قبل الإنسان. وبالتعامل مع الأوجه غير المرئية للحياة، تلامس أيضاً على الماضي والحاضر للعالم في حياتنا اليومية. علاوة على ذلك، البهاغافاد غيتا، بينما يشرح الحقيقة الكونية، هي بذاتها سجل تأريخي وتروي أحداثاً حدثت قبل خمسة آلاف سنة.

من أجل فهم الأهمية التاريخية للبهاغافاد غيتا، يجب على الفرد أن يكون متآلفاً بالمفهوم الهندي للتاريخ والزمن.

لدراسة التأريخ غاية مؤكّدة ومكان في حياة الفرد. هدفها هو في تثقيف العقل في الحاضر بالمعلومات من الماضي لكي تضمن حاضراً أفضل ومستقبلاً أفضل. بهذه الطريقة يستفيد كلّ جيل من إنجازات الماضي ويتقدّم نحو الحكمة الأعظم في الحياة.

لكنّ معرفة الترتيب الزمني للأحداث ليست هي التي تعلّم طلاب التاريخ؛ بل قيمة الأحداث هي الأهم، وعلى الوجهة للتاريخ هي التي ركّز عليها المؤرخين الهنود. لقد أرخوا، لكي تقرأ كلّ الأجيال، فقط مثل هذه الأمثلة، في المدى السحيق للزمن، ما يمكن أن يساعد لتكامل حياة الإنسان. إن غايتها في إلهام الناس كأفراد وكأعضاء في المجتمع.

إنّ الحكيم صاحب الرؤية المطّلعة، فيدا فياسا، الذي يُعتبر المؤرخ الأعظم للثقافة الآرية في الهند، كان أمامه المدى الواسع من الزمن للأخذ في الحسبان. كونه شخصاً واعياً ومتكاملاً كلياً، لم يكن باستطاعته أن يكتب تاريخ تلك الفترة السحيقة بلا حدود كتسلسل زمن للأيام والسنوات. كان باستطاعته أن يختار أحداثاً معيّنة فقط ويسجّلها بطريقة تلهمّ وتوجّه الناس بشكل لم يسبق له مثيل، على طريق التطور وتعلّمهم على تكامل حياتهم. لهذا السبب لا يوجد ترتيب زمني في التواريخ الهندية. اعتبر فياسا أنه أمر سخيف لتفنيد كلّ

حدث بتسلسل زمنيا فقط من أجل تثبيت كلّ رابط على الطريق الطويل للزمن.

علاوة على ذلك، إنه من غير الممكن بشكل مادي كتابة تاريخ ملايين السنوات في السلسلة الزمنية. في حالة البلدان الصغيرة مع بضعة ألف السنوات من الحضارة، إنه عملي جداً، ومع النظرة على تلك المنطقة الصغيرة وذلك المدى القصير للزمن، للحفاظ على الترتيب الزمني. لكن فياسا كان عنده الرؤية الواضحة للمدى الكامل للزمن الذي يبدأ منذ يوم الخلق. مثل هذا العقل لم يستطع ولن يستطيع أن يولي أيّ قيمة إلى الترتيب الزمني.

إن المفهوم الهندي للزمن، كما يعرض لاحقاً، سيظهر الحالة بشكل واضح الوضع الذي واجه فياسا وكتّاب آخرون من التاريخ الهندي.

الزمن هو مفهوم لقياس الأبدية. يسند المؤرخون الهنود مفهومهم عن الزمن على الكينونة الأبدية؛ بالنسبة لهم الأبدية هي الحقل الأساسي للزمن.

من أجل الوصول إلى مفهوم تقريبي للأبدي، سيكون الإجراء الأفضل فترة حياة لشّيء ما له العمر الأطول في الحقل النسبي للخليقة. هذا، طبقاً للرؤية المتنورة لفياسا، الأمّ القدسية، الأمّ العالم، التي هي في النهاية مسؤولة عن كلّ ما كان وما يكون وما سيكون في الكون كله.

إن أبدية الحياة الأبديّة للكينونة المطلقة يتم تصورها من ناحية الحياة للأمّ القدسية المتكررة بشكل غير المعدودة، إن الحياة الواحدة لها تشمل ألف مرة من حياة المولى شيفا. ومدة حياة واحدة للمولى شيفا يغطّي ألف حياة للمولى فيشنو. ومدة حياة واحدة للمولى فيشنو تساوي ألف حياة لبراهما، الخالق. ومدة حياة واحدة لبراهما تساوي مئة سنة لبراهما؛ تشمل كلّ سنة لبراهما 12 شهراً لبراهما، ويشمل كلّ شهر ثلاثون يوم لبراهما. يوم واحد لبراهما يدعى

كالبا. ويساوي الكالبا الواحد أربعة عشر مانو. ووقت المانو واحد يدعى مانفانتارا. يساوي المانفانتارا الواحد، واحد وسبعون تشاتوريوكي. يشمل التشاتوريوكي الواحد المدى الكليّ لليوكات الأربعة وبمعنى آخر: . السّات يوكا والتريتا يوكا والدويبارا يوكا والكالي يوكا. إنّ مدة اليوكات تقاس بانسبة إلى مدّة السّات يوكا. وهكذا تساوي مدّة تريتا يوكا ثلاثة أرباع من السّات يوكا؛ ومدة دويبارا يوكا نصف السّات يوكا، ومدة كالي يوكا تساوي ربع السّات يوكا. تساوي مدة الكالي يوكا 432,000 سنة من حياة الإنسان.

للنظر الآن في زمن الخليقة: لقد كان العالم منذ بليون تريليون سنة! حتى لو كانت أحداث سنة واحدة تدون في صفحة أو ربما سطر واحد، كيف يمكن لأي فرد أن يقرأ مثل هذا التاريخ ويطبّق درسه في حياته؟ لهذا السبب لم يتم الحفاظ على الترتيب الزمني من قبل المؤرخين الهنود. بمعزل عن كونه غير واقعي، لقد اعتبر بأنه غير ضروري وعديم الفائدة وضار للغرض الحقيقي للتاريخ.

إن كلّ هذا يجب أن يؤخذ في الاعتبار من قبل أولئك المؤرخين المعاصرين الذين يميلون إلى رفض أيّ سلسلة من الأحداث يخفقون في إيجاد ترتيب زمني صحيح لها ويعتبرونها غير تاريخية. من المحزن أن مثل هذه البيانات الثمينة للحياة على المستوى الأعلى للإنسان كتلك الموجود في المادّة التاريخية للهند القديمة ينظر إليها بأنها من الأساطير. يجب أن ينظر إليها بشكل معاكس ويكون معترفاً بها وكأنها التاريخ الأكثر إفادة لحضارة الأكثر رقياً التي لم يوجد مثلها أبداً على الأرض.

تشكل البهاغافاد غيتا الصميم المركزي للديوان الأكثر أصالة من التاريخ الهندي، المهابهاراتا. لا يمكن أن يطرد هذا لاعتباره من أساطير فقط بسبب الرؤية الضيّقة للمؤرخين المعاصرين، إن الربط الصارم بالترتيب الزمني، يفشل في فهمه كديوان تاريخي ويضعه في

خانة الأدب الخيالي.

من مؤسف أن بعض المفسرين المعاصرين للبهاغافاد غيتا ساروا على خطى المؤرخين المعاصرين ورفضوا الاعتراف بأصالتها التاريخية. علينا أن نأمل بأن النور سيكون ساطعاً وستكون الحقيقة معترف بها كحقيقة.

عندما يذكر المولى كريشنا لأرْجونا أن الحكمة العظيمة للبهاغافاد غيتا قد أعطية إلى فيفاسْوات في بداية هذا الكالبا. إنه لم يعدّد بالتفصيل كلّ الأمناء على هذه المعرفة السامية. ومن أجل إرضاء أرْجونا حول المصدر الأصلي للتعاليم، كان كافياً إعطائه الفكرة عن هذه الحكمة الأبديّة وعن تناقلها من جيل لجيل.

الآية الثاني

وبانتقالها من شخص إلى آخر،
عرفها الملوك الحكماء، ولكن على
مرّ الزمن السحيق، يا لهّاب الأعداء
ضاعت هذه اليوغا عن العالم

يقول المولى بأنّ هذه التقنية لتكامل الحياة انتقلت إلى الملوك الفلاسفة، الرجال الذين قادوا الحياة النشيطة وكان عندهم مسؤوليات عظيمة في العالم في تلك الأيام، كان الحكّام يتحمّلون مسؤولية كلّ أوجه لتطوير شعبهم، روحياً وعقلياً وبدنياً. أعطوا هذه الحكمة من اليوغا إلى الناس عموماً. أما في العالم الديمقراطي الحديث فيجب أن يعتني كلّ فرد بشؤونه

الخاصة. هكذا وبالتوافق مع وقتنا هذا، يجب على كلّ فرد أن يتحملّ مسؤولية تطوره الخاص.

بما أن التطور الروحي هو أساس كلّ الأشكال الأخرى من التطور، من الضروري نشر هذا العلم العظيم وفنّ المعيشة الناجحة الآن إلى كلّ شخص في كل مكان في العالم.

يقول المولى: "بانتقالها من شخص إلى آخر". بهذا، يظهر الأصالة المؤكّدة إلى هذا النظام من اليوغا. إنه كان منذ بداية التأريخ. وأيضاً يقول: "عرفها الملوك الحكماء"، مظهراً بأنّه مذهب نفيس تم إتباعه من قبل أولئك الذين كانوا في مواقع المسؤولية العظيمة.

إنّ السبب لخسارته، يقول المولى، هو "مرور الزمن السحيق". لكن في الآية الأولى تكلّم عن هذه اليوغا بأنها "خالدة". هذا ما يشير ضمناً إلى أنّه بينما يكون مبدأها خالداً تحتاج ممارستها إلى إحياء دوري، تماشياً مع الظروف المتغيّرة للمعيشة من جيل لآخر. لأنها توقظ وعي البشر على النقاوة القصوى، هذا النظام من اليوغا هو مناسب على حد سواء للناس في كلّ عصر. ربما، أحيانا لم يتم إتباعها بشكلها الصافي؛ فتكون النتائج المطلوبة غير محققة وهذا ما يؤدّي في النهاية إلى اللامبالاة في ممارستها. هكذا يصبح هذا المبدأ العظيم للحياة مفقوداً من وقت لآخر. لكنّه لا يمكن أن يفقد إلى الأبد لأنه حقيقة الوجود، ويجب أن يُكشف مراراً وتكراراً. وتساعد الطبيعة لإعادته. يجيئ من وقت إلى آخر معلمون عظماء ملهمون بالإلهام الصحيح لكشف الطريق مرة أخرى. يجدّدون التقاليد التي تبقي التعاليم. تبقى التقاليد المجدّد سائدة طالما تستمر في إلهام الناس. لكن عندما تخفق في الردّ على الحاجة المطلوبة للمعلمين الجدّد في المعاصرين. تتكرّر هذه الدورة مراراً وتكراراً.

يجيء البعض لإنعاش شرف تقاليد خط القديم للمعلمين؛ والآخرون الذين يخفقون في الربط بين الحلول التقليدية وحاجتهم الحالية، ينفصلوا عن التقاليد الثابتة. وتشكّل تعاليمهم

أغصاناً جديدة للجذع القديم.

يتصرف أمناء التقاليد القديمة للحكمة الفيدية كحماة للجذع الرئيسي، الذي منه تنبت الفروع المختلفة من وقت لآخر على شكل أديان مختلفة ومعتقدات وفلسفات وثقافات في الأجزاء المختلفة من العالم.

في أيامنا هذه، إن التقليد الأكثر إعزازاً للحكمة الفيدية هو تقليد الشانكراتشاريا الذي، في وضعه الحالي، ابتدأ منذ حوالي 2,500 سنة مع تعاليم أول شانكراتشاريا. لقد أحي الحقيقة المنسية. وبتفسيره المخلص لجوهر الأدب الفيدي، جدّد مبدأ أحادية الكينونة المتغلغلة في الكل في وسط تنوع الحياة. أسّس الفلسفة الموحّدة للامتلاءين بأنها التعاليم الضرورية للفيدانتا. كانت تفسيراته عن البرهما سوترا والأوبانيشاد والبهاغافاد غيتا ممجدة لعمقها في الحكمة والشرح الرائع لحقيقة الحياة.

إنه لأمر غريبة كيف تصبح الحقيقة والتعاليم مشوّهة مع مرور الزمن! لقد تم الإساءة في تقديم حقيقة تعاليم شانكرا من قبل أتباعه بحيث أن الكتابات الحديثة عن فكره لا تحتفظ سوى بالقليل من روح التعاليم. السنياسي أو الرهبان النساك في تقاليد شانكرا قد فسروا الفيدانتا لشانكرا بأنها قريبة بالكامل إلى نمط أرباب البيوت الذين يشكلون القسم الرئيسي للمجتمع، والمنفتحون فقط إلى أنفسهم. هذا ما أدّى إلى الانحطاط الروحي والسقوط الأخلاقي للمجتمع الهندي.

إن مثل هذا الانحطاط هو ليس بالشيء الجديد. إنه يحدث، كما يقول المولى كريشنا، "على مرّ الزمن السحيق". تحجب الحقيقة، تأخذ التفسيرات المحرّفة مكانها. لكن عندما تبتعد هذه التفسيرات كثيراً عن الحقيقة بحيث يصبح المبدأ بذاته مهدداً بالضياع، عندئذ يأتي

الانبثاق الجديد لإنقاذها.

إنّ التقاليد المقدّسة للمعلمين العظماء، المسؤولة عن إحياء التعاليم بعد كلّ ارتداد عنها، قد امتلكت عقول وقلوب المحبين للحقيقة في كلّ عصر. لم يكن تقديرها بمجرد احتراماً كبيراً، بل كان يصل فعلاً إلى العبادة من قبل الباحثين عن الحق والعارفين للحقيقة. أن الآية التي تدون أسماء المعلمين العظماء والأكثر تبجيلاً لم تلهم الباحثين فقط، لكنها كانت البهجة حتى للقلوب المكتملة للأنفس المدركة عبر الممر الطويل للزمن.

"ملهب الأعداء": باستعمال هذا التعبير، يشير المولى إلى أرْجونا بأنّ هذه اليوغا فقدت بسبب سقوطها في أيدي الضعفاء، وإنها الآن، بإيجاد طريقها إلى الأيدي القوية لأرْجونا، ستثبت جدارتها وتساعد العالم لإعادة طريق الصواب والحفاظ عليه.

يشير تعبير المولى إلى أرجونا أيضاً بأنّه سوف لن يثبت عدم جدارته بهذه البركة العظيمة.

في الآية التالية يعطي أسباب أخرى لتعليم هذه الحكمة إلى أرْجونا.

الآية الثالثة

هذه اليوغا ذاتها المعروفة منذ القِدم،

التي هي حقاً السرّ الأسمى،

إني أكشفها إليك اليوم

لأنك مُريدي وصديقي

"اليوغا المعروفة منذ القِدم" يشير بأنّ التعاليم قد قاومت اختبار الزمن، وبأنّها لا يمكن الإثبات سوى أنها مفيدة. لا يجرب المولى أيّة طريقة جديدة؛ هو يعيد التقاليد القديمة فقط. وهكذا كان ما أعن عنه كل المعلمين العظماء منذ الأزل؛ لم يدعو قط بأنّ تعاليمهم كانت جديدة، لكنهم، وعلى عكس ذلك، كانوا يكشفون الحكمة المنسية للحياة. تكلّموا فقط عن استعادة المعرفة، لأن الحقيقة لأيّ مبدأ مفيد تبقى مستمرة مع الزمن.

يذكر المولى هنا صفتان لأرجونا اللتان توّهلانه لاستلام هذه الحكمة السرية العظيمة: "مُريدي وصديقي". وأيضاً صفتان لنظام اليوغا: " السرّ و الأسمى". أن الأمر السري هو الذي يمكن نقله إلى الصديق، لكن الأمر الأسمى هو الذي يمكن نقله فقط إلى المريد. المريد لا يجادل أبداً أسئلة معلمه. ومن أجل أن يعطي لأرْجونا الحرية لطرح الأسئلة، يدعوه المولى كريشنا صديقه.

يستعمل أرْجونا هذه الحرية في الآية التالية.

الآية الرابعة

قال أرجونا:

فيما بعد كانت ولادتك وفيما قبل

كانت ولادة فيفاسْوات؛ كيف يمكنني

أن أفهم ذلك بقولك أنك صرّحت

بهذه اليوغا في البدء؟

يظهر هذا السؤال يقظة أرْجونا إلى كلّ كلمة يتكلم بها معه المولى، يقظته وفحصه بناية لكلّ نقطة. هكذا يكون عقل الباحث الجيد من الحقيقة. يتشجع المعلم الجيد فقط بمثل هذه الأسئلة .

في الآية السابقة، أوصل المولى كريشنا، من خلال ذاته، البعيد مع الحاضر. الآن يعزله أرْجونا بالزمن ويذكر صعوبته في فهم خلود الزمن بالنسبة للمولى.

جواب المولى كريشنا هو سهل وبسيط

الآية الخامسة

قال المولى المبارك:

لقد مررت أنا في عدة ولادات،
كما أنت مررت أيضاً، يا أرْجونا.
أنا اعرف ولاداتي كلها، ولكنك أنت

لا تعرف ولاداتك، يا ملهب الأعداء

هذا الشعر قد يقال لإثبات ما تكلمت عنه الآيتان 12و22 من الفصل الثاني من حيث المبدأ: تتغيّر الأجسام من الزمن، لكن الزمن يتغيّر في الذات، في الكينونة، الذي تستمرّ موجودة، بغض النظر عن الماضي أو الحاضر أو المستقبل. كما تبقى الذات المتجسّدة من دون تغيير عندما يعبر الجسم في الحالات المتغيرة من الطفولة والشباب والشيخوخة، كذلك تستمرّ الذات من دون تغيير في خلود الزمن.

يقول المولى: " أنا اعرف ولاداتي كلها، ولكنك أنت لا تعرف ولاداتك". هذا يشير إلى اختلاف بين حياة الإنسان وتجسد الله. يولد الإنسان نتيجة لأعماله السابقة، الجيدة والسيئة، وبذلك تبقى رؤيته ملوّنة أو معرقلة بتلك التأثيرات. أما طبيعة التجسد الإلهي هي ذكاء صافي وغير محدود وأبديّة دائماً. تكون رؤيته واضحة جداً؛ لهذا السبب وبالنسبة له يتم الحفاظ على أبدية المعرفة ويفشل عامل الزمن في عرقلتها.

إنّ كينونة المولى هي ساحة لعب الزمن الذي يخلقه. إنه يجيء ويذهب، لكنّ المولى، صامداً في كينونته الأبدية، إلى دهر الدهور مستمراً في الوجود. إنه بحر الحياة، في حين يرتفع الزمن ويهوي كالمدّ والجذر على سطح البحر. بالرغم من أن الأمواج العارمة تسحب من الأعماق لكن لا يمكنها أبدا سبر غور الهاوية التي لا يمكن سبر غورها.

إنّ حياة الإنسان هي مثل الموجة التي ترتفع للرؤية – يمكنها أن ترى لغاية الآن، ولا أكثر؛ لكن قوام المولى كريشنا هو مثل البحر الذي ينعكس عليه الفضاء كله. هكذا يعرف المولى

"ولاداتي كلها" ولكن أرْجونا لا يعرفها "لا تعرف ولاداتك".

شعر أرْجونا بالتحدي من كلمات المولى كريشنا، والتعبير " لا تعرف ولاداتك" يظهر بأنّ المولى أرغم على استعمال سلطته. لكن في الوقت ذاته يخاطب أرْجونا بعبارة "ملهب الأعداء"، لكي يمنع معنوياته من الغرق. يستعمل المولى كريشنا سلطته بالمحبّة.

توضّح الآية القادمة طبيعة المولى بشكل أبعد.

الآية السادسة

بالرغم من أني مولود وطبيعتي لا أفنى،
وبالرغم من أني رب كل الكائنات،
إلا أني أبقى في طبيعتي الخاصة،
وأولد من خلال قوتي الخاصة في الخليقة

في هذه النقطة هناك إيضاح عن تقنية نفسية مهمة. كما أكّد المولى أصالة نظام اليوغا هذا في وقت سابق ، معلناً بأنّه قديم وله تقاليد عظيمة، يجب عليه أن يوضح أيضاً إلى أرجونا بأنّه هو الذي يعطي هذه الحكمة الأبديّة وهو عظيم بذاته، وهو وحده الذي يمكن أن تؤخذ كلمة بكل ثقة.

كان اتّجاه الحديث بشكل يجعل أرجونا يسأل المولى على النقطة عينها التي يريد أن يتكلّم عنها فيما يلي. وبما أن كلاّم المولى في هذه الآية والآية السابقة كان في سياق مختلف وليس جواباً على سؤال أرْجونا (الآية الرابعة)، ولم يكن كلامه فعّالاً ومقنعاً جداً. لكن عظمة المعلّم هي التي تُخرج السؤال الصحيح من التلميذ. وفي الإجابة عليه، يتوسّع المعلّم بحرية في موضوعه الخاص وفي الوقت ذاته يبقي اهتمام التلميذ نشيطاً بفعالية أكثر مما قد يكون لو تكلّم المعلّم فقط.

بالرغم من أن الخليقة الظاهرة، والتي تتضمّن الإنسان والمخلوقات الأخرى، تنبع من غير الظاهر، يكون ظهورها استنادا على براكريتي. لكن الظهور القدسي للكينونة غير الظاهرة، الذي يأتي لتجديد الحكمة المنسية للحياة، يستند على "ليلا شاكتي"، الذي هو القوّة الحقيقية

للمطلق، والعنصر المكمّل لطبيعته القدسية التجاوزية.

الجراحة هي القوّة المتلازمة للجرّاح. تكون أحيانا نشيطة، عندما يعمل الجرّاح في غرفة العمليات، لكن في الأوقات الأخرى هي مستتر، عندما يرتاح في البيت. "ليلا شاكتي" (قوّة مسرحيّة البراهان) تعمل على نحو مماثلة، واستنادا على ذك يظهر غير الظاهرين، الذي يبقى دوماً في المطلقة، في الخليقة. وهكذا تحافظ الطبيعة الكلية القوة للكينونة الأبدية على الحقيقة في وجهتيها، المطلق والنسبي.

يقول المولى: "أبقى في طبيعتي الخاصة وأولد". تماماً كما يظهر النسغ في الشجرة كالورقة والزهرة من دون أن يخسر صفته كالنسغ، كذلك تولد الكينونة غير الظاهرة، ومع بقائه أبدي وخالد وغير ظاهر. لا يحدث شيئاً للمطلق، ومع أن تجسد المطلق يبرز استناداً لطبيعته الخاصة.

هنا يقول المولى: ومع بقائي في طبيعتي الخاصة أولد من خلال قوّتي في الخلق، ومن خلال ذلك أعمل؛ وهكذا أبقى غير مقيّد وفي الوقت ذاته أكون قادراً على إعادة القانون والنظام في الخليقة.

سيتم التوسع بهذا المبدأ الآية التالية.

الآية السابعة

كلما تتدهور الدْهرْما

وتعم الآدهارما، يا بهاراتا،
عندئذ، أخلق نفسي.

"الآدهارما": هي عكس الدهارما.

كلمة "دهارما" مشتقّة من الجذر دهري، وتعني "الذي يؤيّد". الدهارما هي التي تؤيّد أو تؤازر كلّ ما هو موجود. ما هو الذي يؤازر الخليقة؟ يعتبر كل من تشاراكا وسوشروتا، وهما من قدماء الحكماء الهنود في الأيورفيدا، تعاليم الصحة، بأن التوازن للغونات الثلاثة – الساتفا والرجس والطمس – هو الذي تؤازر كلّ الأشياء. تزداد الخليقة تكاملاً بارتفاع الساتفا وتنحلّ بارتفاع الطمس. إنّ توازن الغونات الثلاثة يتم الحفاظ عليه بشكل آلي، تماماً كما يتم الحفاظ على القانون والنظام بشكل آلي من قبل الحكومة. لكن حينما تظهر الأزمة، يجب على رئيس الدولة أن يمارس قوّته الخاصّة. حينما تكون الدهارما في الانحطاط، ويكون ميزان الغونات الثلاثة مختل، ويكون التوازن في الطبيعة مفقودة، و يحرّف طريق التطور و تسود الفوضى. في مثل هذه الأوقات الخاصّة، يتجسّد المولى. إنّ تجسد المولى كريشنا هو الظهور الخاص للبراهان، الكينونة الثابتة والأبدية.

الحياة لها وجهتان النسبي والمطلق. وكلاهما كامل: المطلق هو كامل في أبديّته ذات الطبيعة غير المتغيرة، والنسبي هو كامل في طبيعته المتغيّرة باستمرار وإلى الأبد. يتم المحافظة على هذه الطبيعة المتغيّرة باستمرار إلى الأبد للحياة النسبية في كلّ أوجهها في الخليقة والتطور استناداً على القوّة الظاهرية للطبيعة المسماة الدهارما، التي هي أساس العمل السلس للغونات الثلاثة. إنها مثل التيار القوي الذي يجرف معه بالقوّة كلّ ما يجيء في طريقه.

تؤيّد الدهارما التطور؛ لكن عندما تصبح قوّة الدهارما، وكنتيجة للأعمال الخاطئة للغالبية

الكبيرة من الناس على الأرض، محجوبة بشكل كبير، تصبح القوة الطبيعية للتطور في الطبيعة ضعيفة. ما يخلق عنها حالة يبدأ فيها العالم المتغيّر باستمرار للوجود النسبي بفقدان نمطه الطبيعي. هذا ما يعرّض امتلاء النواحي النسبية للحياة للخطر. فتضطرب القوّة الكلية القدرة التي تضبط سلامة امتلاء المطلق مع امتلاء النواحي النسبية للحياة. وتتجسد تلك القوّة الكلية القدرة.

إن انحطاط الدهارما – تشويه طريق التطور، وهبوط الأحقية في المجتمع – يدعو إلى الحاجة لإعادة المبادئ الحقيقية للحياة؛ يجيء التجسد ، وتبتهج الطبيعة كلّها بهذا المجيء, وتعود الدهارما إلى مجراها ويوضع حداً للشرّ.

وهكذا يكون الصالح مجبراً بالطالح لأنه، كلما يزيد الشر ويسيطر على العالم، تخلق الحاجة للكلي القدرة أن يأخذ شكلاً لكي يتمتّع به المستقيمين.

إنّ الغرض الكامل للتجسد سيوضح في الآية التالية.

الآية الثامنة

من أجل حماية الصالحين وتحطّم
الأشرار، لتثبيت الدهارما بحزم،
أولد في جيل بعد جيل.

يقول المولى بأنّ غايته ثنائية: حماية الصالحون وتحطيم الأشرار. إنّ حماية الصالحين هي

متضمنة في سحق الأشرار؛ لكن عندما يتكلّم المولى هنا عن حماية الصالحين. يعني شيئاً أكثر من مجرّد إزالة الأشواك من طريقهم.

يستمرّ الصالحون في تأييد الدهارما وهم ينجحون في ذلك، حتى في الأوقات التي يسود فيها الباطل والشر على المجتمع، استناداً على القوّة العظيمة التي ينالونها عندما يتواصلون مع القدسي في أثناء تأملاتهم اليومية. بينما تنمو عقولهم في الوعي القدسي، تزيد نقاوة حياتهم حتى يبدءون في النهاية بالشعور في الحاجة القوية للنعمة المجرّدة لوعي الله لكي تتجسّد، وكي يتم جلبها إلى مستوى الحواس، حيثما تصبح غرض كلّ الحواس ويتمتّعون بها. تصبح قلوبهم ممتلئة أكثر فأكثر بالمحبّة، وتصبح الحاجة قوية جداً لإيحاء القدسي بجسد ما. عندما لم يعد باستطاعة الطبيعة مقاومتها، سيأخذ المولى ولادة ويحقق رغبة الصالحين. هكذا يكون الصالحون محميين من قبل المولى.

يقول المولى: "أولد في جيل بعد جيل" يظهر ذلك أنّه في كلّ جيل يوجد أولئك المكرسين الغيورين والمحبّين لله والذي من أجلهم يأخذ جسداً؛ وعندما يجيء لإرضائهم، إنه ينقّي الأرض أيضاً بتحطيم القوى السلبية التي تلوّث الجوّ بمعارضة الصلاح.

إن دمار الأشرار ، وبالرغم من أنه السبب لتجسد المولى، ليس هي غايته الرئيسية. إنه يجيء لإرضاء وحماية الصالحين. وينزل على الأرض أرضاً بدافع من الصالحين، ولمحبّة الصالحين، والاكتمال الصالحين؛ وبنزول على الأرض كي يعطي محبّته إلى المكرسين له يعطي البهجة لله الكلي القدرة. ينزل على الأرض، ويشع النور؛ فينقرض ظلام الجهل ويهلك الأشرار. يعيد التوازن في الطبيعة، وتصبح قوى التطور أقوى. وتصبح الدهارما ثابتة بحزم في العالم.

إنّ تثبيت الدهارما في خليقة الله هو من عمله الخاص. هو يفعل ذلك. وهو يفعل ذلك مراراً

وتكراراً، أمّا من خلال الترتيب الآلي لحكمه، هو بنفسه يبقى متوارياً عن الحواس، أو بأخذ الجسد والمجيء ليكون فاعلاً في شؤون العالم.

الآية التاسعة

إن ولادتي ونشاطي هما قدسيان،
ومن يدرك ذلك بعمق،
لن يولد مرة أخرى بعد ترك جسده.
إنه يأتي إلي يا أرْجونا

"ولادتي": إن ولادة المولى ليست تماماً مثل ولادة الإنسان. هو قدسي بمعنى أنه هو، القدسي، وببقائه الأبدي في حالته الكونية للكينونة التجاوزية، يتجسد وينزل على الأرض. لن يحتاج القدسي إلى أية فترة للانتقال ويدخل في أي عملية للولادة الجسدية: إن الكينونة القدسية لن تصبح غير قدسّية وغير كينونية؛ وببقائه قدسي وبقائه كينونة، يظهر على شكل إنسان لإنقاذ الحياة البشرية على الأرض ويجدّد طريق الصواب.

"نشاطي": إن القدسي التجاوزي غير الظاهر، يأخذ شكلاً بشرياً، ويبقى في طبيعته القدسية ويعمل. إنّ الطبيعة القدسية هي كلّ من الكينونة وأبديّة وثابتة وغير نشطة، بالرغم من

أنّها المصدر اللانهائي لطاقة الحياة. لأن المولى يعمل في حين يبقى في طبيعته القدسية، تكون أعماله أيضاً قدسية.

لكي نفهم الولادة القدسية ونشاط التجسد القدسي، يجب أن يرتفع الإنسان إلى حالة الإلوهية. بعد أن يرتفع إلى هذه الحالة، وبعد أن يصبح ثابتاً في الكينونة الأبدية للمطلق، يرتفع فوق عبودية الزمان والمكان والسببية. بالنسبة له لا يوجد هناك سؤالاً عن الولادة والموت. له الحياة الأبدية، ويمتلكها في كلية الوجود غير المحدودة الخالدة للمولى؛ تكون حياته في حياة المولى. "يأتي إلي"، يقول المولى. وليس هناك أي سؤال عن إعادة ولادته في العالم.

الآية العاشرة

متحرّر من التعلّق والخوف والغضب،
ممتلئ بي، وتتخذني ملجأ لك،
نقي بتقشف الحكمة،
كثيرون أتوا إلى كياني

إنّ تسلسل العبارات هو هامّ جداً: "متحرّر من التعلّق والخوف والغضب" هي المتطلبات الأساسية" للامتلاء بي".

"متحرّر من التعلّق والخوف والغضب": يجد التعلق والخوف والغضب أرض خصبة في تربة الجهل،

حيث لم تكتشف الذات الصغرى معناه في الذات الكبرى. يأخذ التأمل التجاوزي، كما تم شرحه في الفصل الثّاني، الآية الخامسة والأربعون، العقل إلى حقل وعي الغبطة والطمأنينة الأسمى والطاقة اللانهائية، دون ترك المجال لأيّ نوع من الضعف. يجلب العقل إلى حالة الكينونة، التي تشكّل أساس وعي الله، كما واردة في العبارة "ممتلئ بي، وتتخذني ملجأ لك".

"نقّي بتقشّف الحكمة": تعني التقشّف بنكران متع الحواس، أو الخروج من حقل النشاط والمتعة الحسّية. إنّ غاية التقشّف هي في التنقية بتحرير العقل من تأثير أغراض الحواس. وعلى نفس النمط، تفصل المعرفة الذات عن الحقل الكامل للنشاط هذه هي أهمية العبارة: "تقشّف الحكمة". لا يجب أن يفسر ذلك، بما أن ممارسة تقشّف تتضمّن المشقّة، كذلك يجب أن تموت طريق المعرفة. بل بالعكس تماماً، إن اكتساب المعرفة هو ممتع من البداية حتّى النّهاية: من حالة الوعي التجاوزي ومروراً بالوعي الكوني إلى وعي الله. حينما يسير العقل باتجاه التجاوز، يصبح متحرراً أكثر فأكثر من الحقول السطحية للاختبار وهذا ما يجعله يقترب أكثر فأكثر إلى حالة النقاوة. وفي النهاية، وعندما يتجاوز العقل الحالة المرهفة للاختبار، يُترك لذاته، وعندئذ يصل إلى حالة النقاوة المطلقة.

هذه الحالة من النقاوة المطلقة، المكتسبة في أثناء الوعي التجاوزي، تصبح دائمة في الوعي الكوني وتجد غايتها واكتمالها في حالة النقاوة المولودة من معرفة الوحدانية النهائية للحياة في وعي الله. في هذه الحالة من المعرفة يجد الإنسان ذلك التوحيد بالله الذي يقول المولى عنه: "كثيرون أتوا إلى كياني"

باستعمال كلمة "كثيرون"، يعطي المولى الأمل للتوحيد بالله إلى أي إنسان كان.

بعد أن تم الآن وصف الطريق المباشر لبلوغ المعرفة النهائية في وعي الله، يتكلم المولى في

الآية التالي، عن ردّ فعله لطرق المقاربات المعتمدة من قبل الباحثين.

الآية الحادية عشر

كما يتقارب مني الناس، كذلك أتقارب أنا منهم؛
وبطرقهم المتعددة، يا بارتا، سوف يتبعوني في الطريق

"كما يتقارب مني الناس، كذلك أتقارب أنا منهم": إنه قانون طبيعي ثابت بان الفعل وردة الفعل هما متساويان. في امتلاء الإلهية، إن الله هو الكامل الدائم، وكما هي المياه في بحيرة كبرى، كذلك هذا يبقى هذا الامتلاء. لا يوجد للماء ميل للتدفّق بعيداً ولا مقاومة للتدفّق؛ تبقى الماء كما هي. إذا أراد مزارعاً أخذ الماء إلى حقله، يمدد قسطلاً على مستوى منسوب الماء. لا ترفض الماء في التدفّق عندما يكون القسطل في مستوى الماء.

علاوة على ذلك، يقول المولى: "بطرقهم المتعددة، يا بارتا، سوف يتبعوني في الطريق".
لهذه العبارة معاني مختلفة في المستويات المختلفة. أولاً، طبيعة الرجل مثل طبيعة الله في ذلك يتصرّف الإنسان مع الآخرين كما يتصرّف الآخرون معه.

ثانيا، وبالتعلّم بأنّ طبيعة المولى هي بحيث أنه بذاته لا يأخذ أيّ مبادرة، وبأنّه يردّ فقط، يحاول الناس استخلاص الحدّ الأعلى من المنافع باستسلام أنفسهم بالكامل إليه خلال التأمل، الذي هو الطريق المباشر إلى وعي الله. إن من يصل إلى هذه الحالة، يفقد هويته المحدودة حقاً، ويكسب منزلة أبدية غير محدودة للكينونة في وعي الله. إنّ غاية المولى في كشف هذه الخاصية الأساسية من طبيعته تكون من أجل أن يصل البشر إلى هذه الحالة من الوجود القدسي. هاهنا شرح التقنية التي تمكّن الشخصية المحدودة للإنسان في الارتفاع إلى المنزلة غير المحدودة للوجود الأبدي في وعي الله. إن الطريق مفتوح أمام الجميع.

ثالثاً، إن الميل الطبيعي لكلّ إنسان هو في أن يتوجه نحو السعادة الأكثر، وبالتالي المضي نحو السعادة الأبديّة لوعي الله. إنه سبب آخر كي يقول المولى: "بطرقهم المتعددة، يا بارتا، سوف يتبعوني في الطريق"

وأخيراً، "بطرقهم المتعددة، يا بارتا، سوف يتبعوني في الطريق" تشير بأنّ وعي الله الخاص هو العامل الوحيد الذي يوجّه وعي الإنسان. إنه يقع في خلفية كلّ حياة في الكون وهو الذكاء الأساس المحفّز لكلّ الكائنات. يؤيّد الذكاء الكوني ذكاء الإنسان.

الآية الثانية عشر

من يرغب الاكتمال في العمل،
يقدم التضحيات للآلهة هنا على الأرض،
لأن نجاح العمل يثمر بسرعة في عالم البشر

يكسب النجاح بالجهد بالتأكيد. أولئك الذين يعرفون كيف يتّصلون بالآلهة الفيدية، يفعلون ذلك من خلال المراسيم الطقسية المعيّنة، وبعد أن يتّصلوا بهذه القوى العلوية في الطبيعة، ينالون نيّتهم الحسنة ويحققون نجاح أكبر في الحياة. عندما يقول هنا المولى: "لأن نجاح العمل يثمر بسرعة في عالم البشر"، يقصد تذكير لأرْجونا بأنه كما تعتمد المخلوقات الأدنى في تطور أنفسها على التيارات المتجهة صعوداً في الطبيعة، تتحلى النفس في الجنس البشري بحرية العمل، وبالتالي يعتمد تطور الإنسان على كيفية تصرّفه وماهية عمله.

تضع هذه الآية أسس الحاجة للعمل بحد ذاته للنجاح في العالم وفي الوقت ذاته تظهر الاتجاه الذي يجب أن يتجه فيه النشاط

الآية الثالثة عشر

لقد خلقت النظام الرباعي
طبقاً لأقسام الغونات والعمل.
ومع أني أنا مؤلفها، اعلم أني
لست بالفاعل، أنا ثابت لا أتغيّر

إن الخليقة بالكامل هي تفاعل الغونات الثلاثة. عندما يهتز التوازن الأساسية للساتفا والرجس والطمس، يبدءوا بتفاعل ويبدأ الخلق. إن كلّ من الثلاثة يجب أن يكونوا موجودين معاً في كلّ وجهة للخليقة لأن، ومع الخلق، تبدأ عملية التطور وهذه تحتاج إلى قوتين متضادتين إلى بعضهما البعض وإلى قوة ثالثة تكون مكمّلة إلى الاثنين.

إن الساتفا والطمس هما مضادتين لبعضهما البعض، بينما الرجس هي القوة المكمّلة إلى الاثنين. يحطّم الطمس الحالة المخلوقة؛ وتخلق الساتفا حالة جديدة بما أن الأولى قد تحطّمت. بهذه الطريقة، زمن خلال العملية المتزامنة للخلق والدمار، تتواصل عملية التطور. تلعب قوة الرجس الجزء الضروري لكن المحايد في الخلق والدمار؛ فهي تحافظ على الرابط بين قوة الساتفا وقوة الطمس. هكذا تكون كلّ الغونات ثلاثة ضرورية لأيّ حالة من الحياة الظاهرة.

"النظام الرباعي": في معادلات الرياضيات، قد تندمج الغونات الثلاثة مع بعضها البعض في

سِتّة طرق محتملة:

1. عندما تسيطر الساتفا تكون الرجس ثانوية
2. عندما تسيطر الساتفا تكون الطمس ثانوية
3. عندما تسيطر الرجس تكون الساتفا ثانوية
4. عندما تسيطر عندما تسيطر تكون الطمس ثانوية
5. عندما تسيطر الطمس تكون الساتفا ثانوية
6. عندما تسيطر الطمس تكون الرجس ثانوية

إن التركيبتان الثانية والخامسة هما غير ممكنتان بسبب التباين في طبيعة الساتفا والطمس. هكذا يكون للغونات الثلاثة أربع تركيبات ممكنة فقط

هذا هو النظام الرباعي في الخليقة. تقسم كلّ أجناس الكائنات، سواء كانت من النبات أو الحيوان أو الإنسان، إلى أربعة أصناف طبقاً للتقسيمات الأربعة للغونات، التي تحدد النمط الطبيعي لنشاط كلّ صنف.

"لست بالفاعل": إن نشاط في جميع حقول الحياة هو بسبب الغونات الثلاثة. والكينونة النهائية الكونية هي أساس الغونات؛ لذلك يقال بأن "الأنا" للكينونة غير الظاهرة الكلية الوجود هي الخالق. إنها الخالق وفي الوقت ذاته، تبقى أبداً ثابتة في كينونتها الخاصة، غير

متورطة، "لست بالفاعل"

هذا قد يتم توضيحه أكثر بالمثال التالي: تتجمع آيونات الهيدروجين والأوكسجين لتعطي صفة الماء. تتجمد الماء وتعطي صفة الثلج. وفي هذه الحالات المختلفة من الغاز والسائل والصلب، تبقى العناصر الأساسية – أوكسجين وهيدروجين – من دون تغيير. وبقدر ما يكونان المادّة الأساسية التي منها يتشكل الغاز وماء وثلج، يمكن أن يقال بأن الأوكسجين والهيدروجين هما اللذان خلقا هذه المواد المختلفة. ولكن وبسبب بقائهما أوكسجين وهيدروجين في خلال مراحلهما المختلفة، يمكن أن يقال أنهما ليسا بالفاعلين. هكذا هي حالة الكينونة السامية. وبما أنها في أساس كلّ الخليقة، فهي "المؤلف" وبقائها من دون تغير، إنها لست بفاعلة وثابتة.

عندما يقول المولى: "اعلم أني لست بالفاعل" فهو يسأل أرْجونا بأن يوجه علقه إلى الحالة التجاوزية للوعي، خلف حقل الغونات الثلاثة، ويكسب المعرفة مباشرة من مصدر الخليقة؛ ليرى بأم عينه بأن الصمت المطلق هو الطاقة الخلاقة والذكاء للكينونة الأبديّة، إنها المنبع الرئيسي لكلّ الطاقة الخلاقة والذكاء في الحقل النسبي.

في هذا الآية، يأخذ المولى على عاتقه عملية تأليف الخليقة، وفي الوقت ذاته يكشف طبيعته الثابتة المطلقة. وكونه كلي القدرة، فهو قادر على إبقاء منزلته غير متورطة حتى عندما يطلق الخليقة. توضّح الآية القادمة هذه الفكرة بشكل أوسع.

الآية الرابعة عشر

لا تورطني الأعمال،
ولا أتشوّق إلى ثمار العمل.
إن من يعرفني حقاً هكذا،
فهو غير مقيّد بالأعمال.

إن أي فرد له وعي الله، الإدراك الثابت لمصدر الخليقة، سيعرف باختباره الخاص بأنّه تجاوزي في الطبيعة. لهذا السبب يقول المولى: "إن من يعرفني حقاً هكذا، فهو غير مقيّد بالأعمال". تعني العبارة "يعرفني حقاً هكذا" يعرفني بالكامل. والمعرفة الكاملة تعني المعرفة على أساس الاختبار إضافة إلى الفهم.

"لا تورطني الأعمال": تذكّرنا بالآية الثامنة والعشرون من الفصل الثّالث "بأن الغونات هي التي تعمل بالغونات" في حين تبقى الكينونة غير متورطة. وأيضاً، تذكّرنا بالآية التاسعة من الفصل الحالي بأنّ نشاط المولى ليس دنيوياً، ليس ضمن حقل الغونات؛ إنه قدسي ويحدث في حريته الأبديّة. إن طبيعة المولى بأنه المطلق قد كشفها في الآية السادسة. وبذلك تكون الطبيعة غير المتورطة للمولى واضحة جداً.

"ولا أتشوّق إلى ثمار العمل": أبدى المولى حالته الأبديّة من القناعة في الفصل الثّالثة، الآية الثانية والعشرون.

" إن من يعرفني حقاً هكذا" تعني من يعرف طبيعتي كليّاً كوني غير مرتبط بالأعمال على الإطلاق كما بالإضافة إلى ثمارها. إنّ الكلمة "حقاً" هي مهمة جداً. إنها تعني المعرفة بالممارسة، وتشير إلى أن الإنسان قد اكتسب وعي الله.

تكشف العبارة: "ولا أتشوّق إلى ثمار العمل" ضمناً عن ميزّة شائعة في المجالين الظاهر وغير الظاهر للحياة. يستمرّ كليهما إلى الأبد استناداً على الطبيعة الأبديّة للمولى العلي والقدير. إن المعرفة الدقيقة عن عدم تورط العلي في وسط النشاط الواسع للخليقة غير المحدودة يمكن أن تتضح على أساس اختبار الفرد للذات بأنها غير متورطة في حقل النشاط

ها هو التسلسل لإدراك الطبيعة الحقيقية لمولى: أولاً يدرك الفرد ذاته الخاصة بأنها منفصل عن النشاط وهكذا، وبكسبه لمعرفة الطبيعة الحقيقية لذات الفرد، يسلّم كلّ النشاط إلى المولى ويلجأ إليه (الآية العاشرة). ومن ثم، وباتحاده معه، يعرفه الفرد بطبيعته الحقيقية بأنها غير مرتبطة بالنشاط ومن دون أيّ تشوّق إلى ثمار العمل. هذه المعرفة للطبيعة الحقيقية لله تؤدّي إلى الحرية الأبديّة من التأثير الملزم للعمل. لهذا يقول المولى: "إن من يعرفني حقاً هكذا، فهو غير مقيّد بالأعمال".

تقدّم هذه الآية إحدى أهم تعليمات السانكهيا. وتكشف الطبيعة غير المتورطة للمولى، وببساطة من خلال معرفة هذه الحقيقة، تعد بالتحرر من العبودية. هذه هي قوّة السانكهيا، التي تقدم التحرر من خلال طريق المعرفة.

تتضمن الآية الثامنة والعشرون من الفصل الثّالث، تعاليم مماثلة. لكن المناقشة كانت هناك من ناحية معرفة الغونات الثلاثة، معرفة الحقل النسبي للنشاط؛ حيثما في هذا الآية تنبع من معرفة الطبيعة الأساسية للكينونة القدسية، المتجسدة بالمولى كريشنا، الذي خلف النسبي والمطلق، وخلف أحادية الكينونة وتعددية الخليقة، لكن يحمل في طيات ذاته امتلاء الاثنين.

الآية الخامسة عشر

بعد أن عرف هذا، حتى الباحثين
القدماء عن التحرّر قاموا بالعمل؛
لذلك قم أنت بالعمل مثلما فعل
القدماء في الأيام الغابرة

"بعد أن عرف هذا" تشير إلى تعاليم الآيتين السابقتين.

لكي يذكّر أرْجونا بأنّه يمكن أن يكون هناك حالة من الحياة التي فيها لا يزعج النشاط الأكبر المنزلة الأبديّة للكينونة المطلقة، أعطى المولى في الآيتين السابقتين، مثالاً عن هذه الحالة بالإشارة إلى حالته الخاصة. وبرؤية ذلك أمام عينيه كتجسد حيّ للأفكار التي كان قد تعلمها، قد يصبح أرْجونا عندئذ مقتنعاً بأنّه هو أيضاً يمكنه أن يرتفع إلى هذه الحالة في حياته.

"الباحثون القدماء عن التحرر": هذا التعبير يشير إلى "جناكا والآخرون" (الفصل الثّالث، الآية العشرون). إنّ استعمال العبارة "الباحثون عن التحرر" يوضح بأنّ العمل ضروري حتى لأولئك الذين كرّسوا حياتهم للسعي إلى الحقيقة ولم تهتمّوا بأيّ شيء غير التحرر. لكن، وكما يظهر التعبير"بعد أن عرف هذا" المعرفة حول الطبيعة الحقيقية للمولى هي مطلب رئيسي نشاط "الباحثون عن التحرر".

عندما يبلغ الباحث عن التحرر الوعي الكوني ويدرك ذاته أنها منفصل عن النشاط، يصل إلى

هدفه. سيكون متحرّراً من عبودية العمل، وإذا لم يكن هناك مثال أعظم أمامه، سيشعر بالاكتمال. لكن إذا شعر الفرد بالاكتمال في حالة الوعي الكوني ولا يطمح إلى وعي الله، سوف يفقد الفرد فرصة نيل المستوى الأعلى الذي هو التوحيد بالله. لهذا السبب، إن معرفة الطبيعة الحقيقية للمولى هي ضرورية حتى للباحثين عن التحرر. كما أنه لا يوجد شكل في ضرورتها للباحثين عن الله.

في هذه الآية، يريد المولى أن يوضح بأن معرفة الغونات الثلاثة وتفاعلها يجب أن تتكامل مع معرفة الطبيعة الأساسية للمولى العلي لكي تجلب الاكتمال إلى حالة التحرر.

"القدماء في الأيام الغابرة": بهذا التعبير، يعطي المولى سلطة إلى تصريحه. إنّ التعاليم هي بأن الطريق إلى التطور الذي قاوم امتحان الزمن لا يجب أن يكون مشكوك فيه، لأن ما هو متوافق مع قوانين التطور فقط، يمكنه أن يدوم. وأيّ شيء لا يتوافق مع هذه القوانين ترمي به الطبيعة.

في الآيات التالية، يدور النقاش في التحليل المعمق للعمل.

الآية السادسة عشر

ما هو العمل وما هو عدم العمل؟
حتى الحكماء يرتبكون في ذلك
سأشرح لك عن ذلك العمل،
الذي بمعرفته ستتحرّر من الشر

في الآية السابق، أعطى المولى الأسباب لأرْجونا كي يعمل؛ لذلك من الطبيعي أن يظهر له في هذه الآية الجاذبية والتأثير البعيد المدى من العمل لكي يهيّئ عقل أرْجونا على تفاصيل ذلك العمل الذي سيكون مفيداً له ويحرره من كلّ "الشرّ".

إن جهل الفرد لطبيعته القدسية الممتلئة بالغبطة كونها غير متورطة ومستقلة عن النشاط تبقي الفرد تحت التأثير الملزم للعمل، تسبّب التعقيدات والمعاناة في الحياة.

يقول المولى بأنه: "حتى الحكماء يرتبكون في ذلك" في قضية العمل وعدم العمل. إنّ الرجل الحكيم هو الذي يفهم بأنّ العمل يستند على الغونات الثلاثة وبأنّه هو بنفسه يبقى غير متورط لأن طبيعته الحقيقية تجاوزية. لكن مثل هذا الفهم، يقول المولى، ليس كافي، حتى الحكماء يستمرّوا في الإرباك

إن "الحكماء" قد عرفوا الذات بأنها منفصل عن النشاط وبذلك حققوا التحرر. يقول المولى بأنه حتى الحكماء يرتبكون في العمل وعدم العمل. إن كسب التحرر من العمل هو شيء واحد؛ أما كسب المعرفة الكاملة حول العمل وعدم العمل فهو شيء آخر مختلف. يقول المولى في الآية القادمة: "إن مجال العمل متعذراً فهمه". من مستحيل معرفة المدى الكامل للعمل على مستوى

الفهم الفكري. لهذا السبب يقول المولى: "حتى الحكماء يرتبكون".

قد نتذكّر بأنه في حين كان يعطي التنوير لأرْجونا بحكمة السانكهيا في الآية الثامنة والثلاثون من الفصل الثّاني قال المولى: "بعد أن تقبّلت التساوي ... سوف لن تقترف أي خطيئة": في الآية الحالي يقول: "سأشرح عن لك ذلك العمل، الذي بمعرفته ستتحرّر من الشر". إن الدراسة الدقيقة لهذه العبارات تكشف الترتيب التصاعدي لتعاليم المولى: كلما تزداد القدرة على الفهم، تلقن التعاليم بشكل مرهف وسهل. تشير الآية السابق ضمناً إلى أنّه يجب القيام بشيء ما لكسب التساوي الذي سيؤدّي إلى التحرر من الخطيئة. في الآية الحالي، يظهر المولى بأنّ لا شيء يجب القيام به، وأنه ببساطة وبمعرفة النشاط سيتحرّر أرْجونا من الشرّ. انتقلت التعاليم من مستوى العمل إلى مستوى المعرفة. ربّما يكون الأمر أنه كلما تقدّمت التعاليم، كلما تبدلت المعرفة بعملية أسهل على المستوى الحسّي المشترك للسمع أو النظر. هذه هي تقنية تعليم السانكهيا – سلسلة من المناقشات ستتتوّج في النهاية ببعض الكلمة المنطوقة البسيطة التي ستحدث تغييراً أساسياً في الفهم الكامل للحياة وسترفع بشكل نهائي الإنسان إلى حالة الحرية الأبديّة من العبودية.

إنه من المهم أن نلحظ بأن الآيتين السابقتين أعلنتا عن التحرر من العبودية من خلال معرفة الطبيعة غير المتورطة للمولى التجاوزي؛ في حين تعد هذه الآية بالحرية من خلال معرفة التساوي من الحقل النسبي، معرفة العمل وعدم العمل. إن هذه المعرفة تعطى في الآيات الخمسة التالية.

الآية السابعة عشر

العمل، في الحقيقة، يجب أن يفهم،
والعمل الخاطئ يجب أن يفهم أيضاً
وعدم العمل يجب أن يفهم كذلك
من المتعذر فهم مجال العمل.

"العمل": من أجل فهم العمل من الضروري معرفة الحالات المختلفة للوعي عند الفاعل، لأن قيمة العمل تعتمد بشكل رئيسي على مستوى الوعي للشخص الفاعل. إنّ الحالات الممكنة للوعي هي: اليقظة والحلم والنوم والوعي تجاوزي والوعي الكوني ووعي الله.

تستخدم كلمة عمل هنا لتدل على العمل الصحيح، الذي ينتج تأثيرات مساندة لحياة الفاعل والخليقة بأسرها، العمل الذي يساعد على تطور الفرد ويخدم الغاية الكونية بشكل متزامن. إن مثل هذا العمل ممكناً فقط عندما يكون عقل الإنسان في الانسجام الكامل مع الكينونة التجاوزية، التي تتواجد في خلفية كلّ الخليقة والتي هي في أساس كلّ الحياة وكلّ قوانين الطبيعة. هذه هي الحالة في الوعي الكوني. أما حالة وعي الله هي حالة أخرى حيث يتم تنفيذ مثل هذا العمل بشكل آلي. في الوعي الكوني يؤدي الإنسان الثابت في الحياة الكونية عمله كفرد؛ في حالة وعي الله، يكون نشاط الفرد الموضوع في نور الله، على المستوى الذي يقابل مستوى النشاط الكوني. يعيش الأحادية الأبديّة للحياة من خلال كلّ النشاط

"من المتعذر فهم مجال العمل": إن نشاطات الفرد الطبيعية في الحالة الثلاثة النسبية للوعي – اليقظة والحلم والنوم – هي محكوم بالدهارما لمستويات تطور الفرد. علاوة على ذلك، حتى في ذات المستوى تختلف الدهارما في الظروف المختلفة وفي المجالات المختلفة من الحياة. ومع

كلّ هذه الاختلافات هناك التعقيد الإضافي بأنه في كلّ حالة للدهارما لا تعود فقط للنشاط وتأثيره على الفرد، بل للتأثير على العائلة والمجتمع والوطن والعالم. يبدأ كلّ فكرة أو كلمة أو فعل موجات من التأثيرات في الجوّ. تسافر هذه الموجات عبر الفضاء وترتطم بكلّ شيء في الخليقة. وحيثما ترتطم تحدث بعض التأثيرات. إن تأثير الفكرة المعيّن على أيّ غرض معيّن لا يمكن أن يعرف بسبب التنويع والمدى الواسع في الخليقة. يتجاوز هذا التعقيد إمكانية الفهم. لهذا يقول المولى: "من المتعذر فهم مجال العمل"

"العمل الخاطئ" يمكن أن يكون من عدة أنواع: الأعمال التي تؤذي الفاعل في الحاضر أو في المستقبل؛ تلك الأعمال التي لا تنجم؛ تلك الأعمال التي تعيق التطور؛ تلك الأعمال التي يؤدّي إلى عدم الحلول؛ تلك الأعمال التي تقيد الفاعل بدورة الولادة والموت؛ تلك الأعمال التي تنتج التأثيرات الضارّة للحياة في البيئة المحيطة وعلى الآخرين؛ تلك الأعمال التي هي ضدّ قوانين الطبيعة. حتى هذا الحقل للعمل الخاطئ هو كذلك من "المتعذر فهمه".

إن مثل هذه الأعمال الخاطئة ممكنة مادام الفاعل في حالة من الجهل للدهارما الخاصة به، ومادام غافلاً عن الطبيعة الأساسية لذاته الخاصة وطبيعة النشاط وطبيعة الله، ومادامت حالة وعي اليقظة غير مدعومة بالوعي الصافي التجاوزي.

"عدم العمل": غياب النشاط إن النوم العميق هو حالة من عدم العمل، ولكنّه ليس مثل هذه الحالة فقط إنّ حالة عدم العمل توجد أيضاً في الوعي التجاوزي. وعلاوة على ذلك، عدم العمل هو المكوّن الأساسي للوعي الكوني وأيضا لوعي الله، الحالة الأعلى لتطور الإنسان. من ناحية عدم العمل هو الخمول في النوم، في حين ومن ناحية أخرى يصبح قاعدة الحقيقة الحيّة للكون بأكمله. هذا ما يعنيه المولى عندما يقول: "وعدم العمل يجب أن يفهم كذلك". هذا ما يظهر أن

ليس العمل فقط هو المتعذر فهمه بل عدم العمل كذلك

"في الحقيقة": بهذه الكلمة، يؤكّد المولى الحاجة لمعرفة العمل. الحياة تعني العمل – لا أحد يمكنه التهرب من النشاط وبما أن ذلك صحيحاً، من الحكمة معرفة ما سيقوم به الفرد، وليس ذلك فقط، بل معرفة أين سيقوم بالعمل وما هي النتائج التي سينتهي بها.

سيكون أمراً مثيراً في الملاحظة عن قرب كيف تمكن المولى، بعد أن أقر بأنّ العمل "متعذر فهمه" وبعد أن أكّد بأنّه يجب أن يفهم، من توجيه التقدم البارع بين هذه الحقائق المتعارضة. لتبرير تعبيره "متعذر فهمه"، تطلبت الحكمة عدم الدخول في فحص مجال العمل. لكن الكلمة "في الحقيقة" تتطلب بأنّه مهما كانت الطريق التي يتبنّاها، سواء دخل في التفصيل أم لا، يجب التوصل إلى معرفة العمل. لقد تبنّى المولى نمط من التعليمات التي بها، ومن دون معرفة الحقل الكامل للعمل، يمكن للفرد أن يكتسب كلّ منفعة يمكن أن تمنحها مثل هذه المعرفة. لقد كشف فنّ العمل حيث، من دون الحاجة لكسب معرفة العمل، يمكن للفرد أن يتمتّع بالبركات التي ستعطيها مثل هذه المعرفة. هذا الفنّ للعمل هو مثل فنّ البستاني الذي،في قيامه بريّ الجذور، يجعل النسغ يرتفع إلى كلّ جزء في الشجرة من دون الحاجة لمعرفة أيّ شيء عن ميكانيكية النسغ المتصاعد.

هذه هي روعة كمال الحديث. قال المولى بأن معرفة العمل ضرورية وحتى ولو كان مجال العمل متعذر فهمه، ومعرفته يجب أن تبقى ناقصة. لذلك، يكشف لنا التقنية التي فيها سيتم اكتساب تأثيرات المعرفة من دون الضرورة لكسب المعرفة. هذا بسبب أن تعاليم المولى هي ليست لأجل المعرفة بحد ذاته؛ بل هي فقط لإنتاج تأثيراً معيّناً في الحياة العملية. وما هو المهم هو التأثير وليس المعرفة. هذا هو حديث يوغا شاسترا، إنها الفلسفة الأكثر عملية للتوحيد القدسي. وغايتها في إعطاء الحكمة العملية التي بها قد يكسب كل إنسان الخير

الأعلى بشكل طبيعي من خلال نشاطه.

توضّح الآيات التالية هذه التعاليم.

الآية الثامنة عشر

مَن يرى في العمل عدم العمل
وفي عدم العمل يرى العمل
هو حكيم بين البشر.
إنه متحِّد وقد حقّق كل عمل

"يرى في العمل عدم العمل": هذا يعني بأنّه عندما يكون العقل منشغلاً بواسطة الحواس ومن خلالهم في عملية النشاط إنه يرسو في الصمت للكينونة الداخلية. يزوّد هذا المرسى اختبار الصمت في وسط كلّ النشاط

بالنسبة للإنسان الذي "يرى في العمل عدم العمل"، يكون اختراق الحقل الكامل للعمل بالكينونة غير العاملة والدائمة الصمت حقيقة حيّة. بالنسبة له لا يحجب العمل حالة عدم العمل، أو الكينونة التي تقع تحته. فهو يعيش الكينونة الدائمة الصمت والتي تتغلغل كلّ نشاطات الحواس والعقل والجسم؛ يرى الصمت في النشاط والنشاط في الصمت.

هاهي التعاليم التي تمكّن الإنسان على تعزيز التحرر الذي يتم التوصل إليه بالمعرفة القائلة "أن الغونات هي التي تعمل بالغونات" إنها تربط العالم النشيط مع الغونات الثلاثة بصمت

الكينونة وهكذا، وعلى مستوى الصمت، تثبت التعايش بين الزائل والأزلي. إنها تؤكّد التعليم النهائي للأوبانيشاد: "بورنامادا وبورناميدام" – هذا العالم الظاهر للنشاط هو كامل (بورنا)، وتلك الحياة للكينونة المطلقة هي كاملة.

يأتي إدراك هذه الحقيقة في حالة الوعي الكوني، لكن تعاليم هذا الآية توسع ذلك إلى وعي الله.

يثبت إدراك الحقيقة الكاملة حالة الحياة التي تقع وراء وحدة المطلق وتعدّدية النسبي وينتج عنها شمولية الرؤية التي يحمل هذا (العالم) وتلك (الكينونة) كلاهما سوية في نور الله، في وعي الله. إن من حقق ذلك "هو حكيم بين البشر". طبقاً لهذه العبارة، "البشر" هم أولئك الذين أدركوا أمّا حقيقة النشاط أو حقيقة الصمت لكن "الحكيم" هو الذي أدرك حقيقة الاثنين، أمّا في حالة افتراقهما في الوعي الكوني أو في حالة إتحادهما في وعي الله.

إن تعريف الإنسان المعطى في هذه الآية يشير إلى الاستنتاج بأنّ الفرد الذي لم يدرك حقيقة النشاط أو حقيقة الصمت لا يستحقّ أن يدعى إنساناً. وبالتالي هناك ميزّة أساسية من حياة الإنسان وهي في أن يكون ثابتاً أمّا في طريق المعرفة أو طريق العمل. وإذا أراد أن يكون "حكيماً"، عندئذ يجب عليه أيضاً أن يرتفع إلى عناق هدف الاثنين.

"قد حقّق كل عمل" تعني بأنّ في حياته الفردية قد أدّى المجال الكامل للنشاط، السطحي والمرهف. علاوة على ذلك، أدّى نشاطه على مستوى الحياة الكونية كذلك لا يتضمّن النشاط على المستوى الفردي نشاطاً عقلياً وبدنياً عادياً فقط لكن أيضاً النشاط المرهف للتجاوز وكسب التوحد مع الكينونة القدسية. إن النشاط على المستوى الكوني من نوعين: أولاً، نشاط في الوعي الكوني، الذي يكون بالكامل متوافقاً مع عملية التطور، وثانيا، نشاط في وعي الله،

الذي هو على مستوى الوحدة النهائية للحياة.

"قد حقّق كل عمل" تعني أيضا بأنّه حقق الكمال. إن العمل هو الطريق لتحقيق رغبات الإنسان. يعني عبارة "قد حقّق كل عمل" قد حقق كلّ الرغبات، ما يشير بأنّ الفرد قد اكتسب الاكتمال. يجب أن نلحظ بأن اكتمال العمل لا يكمن في كسب ثمار العمل فقط بل يكمن في كسب ثمار العمل سويّة مع التحرر من التأثير الملزم للعمل ونتائجه. إنّ إدراك عدم العمل في العمل والعمل في عدم العمل هو نتيجة الاكتمال المكتسب خلال الاختبار المباشرة للغبطة المطلقة، ومن الحرية الأبديّة من العبودية التي تكمن في حالة الوعي الكوني، حيث يتم اختبار الذات بأنها منفصل عن النشاط

في هذا الآية، إن تسلسل العبارات هو مهمة جداً. من أجل أن يقنع أن "مَن يرى في العمل عدم العمل وفي عدم العمل يرى العمل" هو ليس مجنون، يضيف المولى بأنّ مثل هذا الإنسان له فهم أفضل من الناس الآخرين: "هو حكيم بين البشر". إضافة إلى ذلك ولكي يشر إلى أنّ هذا الإنسان الحكيم هو ليس مجرد إنسان نظري يشغل نفسه في التفكير المثالي المجرّد، يقول المولى: "إنه متحِّد"، ويشير ضمناً إلى أنّه رجل عملي، اكتسب الاكتمال في الحياة.

هناك أربع عبرات في هذا الآية، تحتوي كلّ منها على أفكار متميّزة ومستقلة:

1. يرى عدم العمل في العمل

2. يرى العمل في عدم العمل

3. الحكيم بين البشر هو متحِّد

4. لقد حقق كلّ العمل.

إنه لأمر ممتع أن نلاحظ أن كلّ من هذه الأفكار قد تتطور بشكل متتالي في الآيات الخمس القادمة. لقد تطورت الفكرة الأولى في هذه الآية في الفكرة الأولى لكلّ من الآيات الأخرى. أما الأفكار الثانية والثالثة والرابعة من هذه الآية تطوروا على نفس النمط في أفكار الثانية والثالثة والرابعة المطابقة من الآيات الخمس الأخرى.

تقدّم دراسة المقارنة لهذه الآيات الخمس علم العمل الملخّص في نهاية التفسير في الآية الثالثة والعشرين

أعطى المولى لأرْجونا نظرة عن العمل في عدم العمل وعن عدم العمل في العمل وذلك عندما أشار إلى ذاته كمثال، في الآية الثالثة عشر والرابعة عشر. لهذا السبب نكتفي في هذه الآية أن نعطي تصريح عن الحقيقة من دون الدخول إلى التفاصيل والتفسيرات.

على أية حال، تناقش الآيات التالية، ، هذه النقطة من النواحي الملموسة أكثر في الحياة العملية.

الآية التاسعة عشر

مَن يكون في كل تعهد متحرّراً
من الرغبة به والحافز منه،
من يحرق أعماله بنار المعرفة،

هو مَن يدعوه عارفي الحقيقة بالحكيم

تقدّم هذه الآية فكرة الآية السابقة بشكل أكثر تقدّماً. ولكي نرى عدم العمل في العمل من الضروري الارتباط بالعمل في حين يبقى الفرد متحرراً من الرغبة في داخل نفسه. إن حالة الداخلية للإنسان "متحرّراً من الرغبة" هي حقل من "عدم العمل". هكذا "مَن يكون في كل تعهد متحرّراً من الرغبة به" و "يرى عدم العمل في العمل" (الآية 18).

يذكر المولى الصفات الخاصّة لعمل إنسان المتنور. يجب أن يكون للعمل بالتأكيد حافز وبداية فعّالة، لكن الإنسان "الحكيم" لا يكون مندفعاً بالتعلق الشخصي لا في بداية العمل ولا في أثناء القيام به ولا في إتمام انجازه. ولا يعتمد على ثماره. هكذا يكون، خلال المجال الكامل للعمل، مشاركاً في حين يبقى غير متورط لهذا يقول المولى: "من يحرق أعماله بنار المعرفة، هو مَن يدعوه عارفي الحقيقة بالحكيم".

يتعهد الإنسان المدرك بالعمل ولكن، استنادا إلى معرفته بأن الذات هي منفصل عن العمل، يبقى متحرراً من التأثير الملزم للعمل. هذه المعرفة تشبّه هنا بالنار المشتعلة التي تحرق كلّ أعماله، بمعنى أن العمل قد وضع بشكل كامل متحرراً من التأثير الملزم للعمل أو لثماره.

"تعهد متحرّراً من الرغبة به": بشكل عام، يبدأ الإنسان عمله فقط عندما يصبح مدركاً لرغبة به. إنّ المستوى الذي يتم فيه إدراك الرغبة يختلف طبقاً لمستوى العقل الواعي للفرد. يدرك أصفياء العقل الفكرة والرغبة في المستوى المرهف جداً في أثناء عملية التفكير. يجب أن نفهم بأنّ الفكّرة تبدأ من المستوى الأعمق للوعي وتطوّر إلى الرغبة عندما تصل إلى المستوى الواعي للعقل. أما الإنسان الذي أصبح مستوى الوعي التجاوزي في مستوى العقل الواعي، فيدرك الفكرة في بدايتها الأولية قبل أن تطوّر فعلاً إلى رغبة. تصبح فكرته متحوّلة إلى

العمل من دون أن تظهر نفسه كرغبة. هذا ما يوضّح أنه عندما ينجح الإنسان في تناغم عقله مع الوعي التجاوزي، "يكون في كل تعهد متحرّراً من الرغبة به"

إن هذه حالة من عدم التعلق هي أكثر تقدماً مما تم وصفه في الآية السابق، الذي فيه يرى الفرد عدم العمل في العمل والعمل في العدم العمل. كلما تتقدّم ممارسة التأمل التجاوزي، تبدأ الكينونة بأن تصبح ثابتة في طبيعة العقل ويبدأ الفرد بالشعور بأن ذاته منفصلة عن النشاط عندئذ نجد النشاط ثمّ في المستوى الساكن للإدراك الداخلي. هكذا يبدأ الفرد بشكل طبيعي في إدراك الصمت والنشاط بشكل متزامن.

وكلما تقدمت ممارسة التأمل أكثر، يصبح صمت الكينونة مدركاً حتى في بداية النشاط، وبذلك تنشأ حالة طبيعية لكلّ عمل لكي يكون "متحرّراً من الرغبة به والحافز منه". يجب الملاحظة أن بداية العمل تشغل العقل بعمق أكثر من عملية تنفيذ العمل. لهذا السبب نختبر الذات أولاً أنها غير متورطة في أثناء عملية العمل، والممارسة المتقدّمة جداً هي التي تجعلها تبدأ بأن تكون مدركة لعدم تورطها في بداية العمل. هكذا، وبنمو الكينونة في طبيعة العقل، تظهر حالة طبيعية يكون فيها "كلّ تعهّد" على مستوى الصمت للكينونة، التي في طبيعتها الأساسية هي وعي الغبطة. يعطي وعي الغبطة هذا مستوى من الطمأنينة والقناعة الأبديّة التي على أساسه يكون "كلّ تعهّد متحرراً من الرغبة به والحافز منه".

في هذه المرحلة لنمو الكينونة في طبيعة العقل، يشعر الفرد بأنه غير متعلق بالعمل في بدايته وفي أثناء تقدّمه. لكن وبما أن كلّ عمل يبدأ بتحقيق بعض الإنجازات في نهايته، تشغل غاية العمل العقل أكثر مما تشغله كل من البداية والتنفيذ؛ لذلك يتطلب عدم التعلق في ثمار العمل تغلغل أكبر للكينونة في طبيعة العقل. ومع اكتساب الوعي الكوني، يكون الفرد قد أكمل "التخلّي عن التعلّق بثمار العمل" (الآية 20). تجد هذه الحالة

الأكثر تقدما لعدم التعلق اكتمالها في النهاية في وعي الله، الذي فيه "سترى كل الكائنات في ذاتك وأيضاً فيّ أنا" (الآية 35).

يعتمد كلّ عمل على حالة وعي الفاعل. لذلك إذا كان هناك رغبة في أن يكون لكلّ الأعمال نوعية معيّنة، من الضروري إنتاج حالة من الوعي تسمح في ظهور تلك النوعية من العمل.

إنّ الكلمة "كلّ" هي مهمة جداً في هذا السياق. إنها تتضمّن المجال الكامل للنشاط الحسّي والعقلي. من المقترح بأنّ حالة وعي الإنسان يجب أن تكون بمستوى يجعل كل عمل يتعهد القيام به وفي أي وقت كان، متحرراً بشكل طبيعي من الرغبة ومن الحافز. إن مثل هذه الحالة للوعي موجودة في الوعي الكوني ووعي الله.

أما الإنسان الذي أصبح مستوى الوعي التجاوزي في مستوى عقله الواعي فيكون قد اكتسب الوعي الكوني، وفي هذه الحالة، يختبر الكينونة بأنها منفصلة عن العمل. يخلق هذا الاختبار وضعاً طبيعياً يكون فيه العمل على السطح وحالة عدم العمل في الداخل. إن الرغبة هي الرابط بين الفاعل والعمل. لكن عندما يتم تثبيت حالة طبيعية من الانفصال بين الفاعل والعمل، لا يوجد رابط بينهما. في مثل هذا الحالة بين الفاعل وأعماله، لا يوجد للرغبة مكاناً. هكذا يكون ممكناً "لكلّ" تعهّد أن يكون متحرراً من الرغبة.

"متحرراً من ... الحافز منه": لكي نفهم حافز الرغبة، يجب أن نحلّل عملية تشكيل الرغبة. ينتج الاختبار عندما تدرك الحواس مدركاتها وتترك انطباعاً على العقل. يرجع اندفاع هذا الانطباع الجديد بانطباع من اختبار سابق مماثل له موجوداً في العقل ويربط نفسه مع ذلك الانطباع. إن مجيء الاثنان سوية يعطيان اندفاعاً في المستوى الأعمق للوعي، حيث تخزّن انطباعات كلّ الاختبارات. يتطوّر هذا الاندفاع، وبارتفاعه إلى المستوى الواعي للعقل،

ويصبح مدركاً على أنه فكرة. تخلق هذه الفكرة، ومع اكتسابها لتعاطف الحواس، رغبة وتحث الحواس على العمل. من حيث المبدأ، يكون حافز الرغبة بسبب الشعور الشاحب. في هذه الحالة من الوعي الكوني، حيث يجد الفرد الطمأنينة الأبديّة في داخل ذاته ويجد حقل النشاط منفصل طبيعياً عن ذاته، تكون الذات ذاتية الاكتفاء – ولا يمكن أن تكون بحجة لشيء. في هذه الحالة، هكذا يكون كلّ تعهّد متحرراً من حافز الرغبة.

وقد يطرح السؤال نفسه: ما هو المسؤول عن المباشرة بالعمل عند مثل هذا الإنسان؟

والجواب هو القوّة القديرة للطبيعة، التي هي سبب النشاط الواسع والمستمر للخليقة والتطور في كلّ أنحاء الكون.

تشكل الكينونة أساس الطبيعة. عندما يصل العقل إلى التآلف الكامل مع الكينونة، يكسب المنزلة الحقيقية للكينونة وهكذا يصبح هو أساس كلّ النشاط في الطبيعة. تبدأ القوانين الطبيعية بدعم اندفاع مثل هذا العقل: يصبح كما لو أنّ واحد مع كلّ قوانين الطبيعة. تكون رغبة مثل هذه العقل هي حاجة الطبيعة، ولنصغ الجملة بطريقة أخرى، تكون حاجات الطبيعة الدافع لمثل هذا النشاط لا يكون للذات أي علاقة "بالرغبة والحافز منها". هكذا يصبح ممكناً "لكلّ تعهّد" كي يكون بشكل طبيعي "متحرراً من الرغبة والحافز منها".

يجب أن نتذكّر بأنّ تطور مثل هذا الحالة للوعي تحدث من خلال حضور الكينونة على مستوى العقل الواعي، العقل السطحي. ولا يوجد هناك طريق لتطورها من خلال أيّ عملية تفكير أو فهم. إنّ غاية هذه الآية هي في إعطاء تفسيراً لهذه الحالة؛ فهي لا تصف الطريق لتحقيقها. سيكون أمراً خاطئاً جداً تخيّل ذلك، بمحاولة إزالة الرغبة وتخفيض حاجات الفرد لكي تقلّل حافز الرغبة، يمكن للفرد أن يكسب هذه الحالة الطبيعية لعدم التعلق، التي تجعل الإنسان "حكيماً" في

نظر العارفين للحقيقة.

"نار المعرفة": إدراك الكينونة بأنها منفصل عن حقل العمل.

إنّ أعمال مثل هذه الإنسان المتنور هي بالتالي ليست أعماله؛ إنها أعمال الغونات الثلاثة (الفصل الثّالث، الآية الثامنة والعشرون). يبقى غير متعلقاً بها ومطمئناً (الفصل الرّابع، الآية العشرون)، قلبه وعقله مهذبان (الآية 21)، خلف ازدواجية الأضداد، (الآية 22) ومتحرّراً (23 الآية).

الآية العشرون

بالتخلي عن التعلّق بثمار العمل،
مطمئن دوماً، لا يعتمد على شيء،
وبالرغم من ارتباطه الكلي بالعمل،
فهو لا يعمل بتاتاً

في تفسير الآية السابقة لقد تم التوضيح كيف يصبح عدم التعلق، مع نمو الوعي الكوني، عميقاً جداً ما يجل الإنسان يتخلى حتى عن "التعلق بثمار العمل".

يمكننا أن نناقش الآية الحالي من الزاوية الأخرى. عندما يلعق اللسان العسل الصافي، يتخطى مذاق الحلاوة القوي بدرجات كلّ الأذواق الحلوّة التي تم اختبارها لحينه. إذا واصل اللسان بالتشوق لمذاق العسل، عندئذ لن يكون هناك فرصة لأي مذاق حلوّ سابق للرجوع. هذا ما يحدث

عندما يعيش العقل بشكل دائم في اختبار الغبطة التجاوزية في حالة الوعي الكوني؛ عندئذ، لن يبقى هناك أية فرصة لانطباعات الاختبارات الماضي كي تأسره. هكذا يكون الإنسان المتنور قد "تخلى عن التعلّق بثمار العمل" الذي قام به في الماضي.

إذا تذوّق الفرد بلسانه الحلاوة المركزة ومن ثم يتذوق حلويات أخرى، فلا تترك هذه الأذواق أيّ انطباع هامّ. عندما يعمل الإنسان المثبت في غبطة الكينونة المطلقة في الحقل النسبي للحياة، لن تترك اختباراته على العقل أيّ انطباع عميق قد يمكن أن يسبّب الرغبات المستقبلية. بهذه الطريقة تنكسر حلقة العمل فالرغبة فالانطباع فالعمل. وهكذا يكون النشاط والاختبار عند الإنسان المتنور في العالم محظوراً من زرع بذرة العمل المستقبلي. هذا سيوضّح أكثر في الآية التالي.

"وبالرغم من ارتباطه الكلي بالعمل": تستمرّ أعضائه في العمل في أداء واجباتها مندفعة بالطبيعة، وكذلك تبقى حواس الاختبار منشغلة؛ بهذه الطريقة نجده يعمل.

"فهو لا يعمل بتاتاً": يبقى عقله، المثبت بامتلاء الكينونة، غير متورط بالعمل. هذه هي حالته من الحياة – منشغل ظاهرياً في العمل، وثابت داخلياً في الصمت الأبدي

الآية الواحدة والعشرون

من لا يتوقع شيئاً، قلبه وعقله
مهذّبان، متنازلاً عن كل تملّك،
يقوم بعمله بواسطة الجسم فقط،
هو الذي لا يرتكب أي خطيئة

"لا يتوقع شيئاً" الرغبة هي سبب القلق والتوقّع. إن أعمال الإنسان المتنور معروفة بأنها "متحررة من الرغبة والحافز منها" (الآية 19). لهذا السبب يعمل و "لا يتوقع شيئاً".

"قلبه وعقله مهذبان": انظر الفصل الثّالث، الآية ثلاثة وأربعون.

"متنازلاً عن كل تملّك": يوازي هذا التعبير مع "لا يعتمد على شيء" (الآية 20). تشير كلمة

"تملك" إلى كلّ ما جمعه الفرد حول نفسه، كلّ شيء ما عدا ذاته الخاصة؛ إن التنازل عن كلّ شيء موجود خارج ذات الفرد الخاصة تعني ترك الحقل الكامل للوجود النسبي، ليكون "من دون الغونات الثلاثة".

"يقوم بعمله بواسطة الجسم فقط": لقد تم شرح ذلك في تفسير الآية 19 كيف يبقى عقل الإنسان المتنور منفصلاً، حتى عندما يؤدّي الأعمال على مستوى الحواس، وبالتالي "يكون كل تعهد متحرراً من الرغبة به والحافز منه". لا يسجّل عقل الإنسان المتنور بعمق أيّ انطباعات للأعمال التي يؤديها بالجسم على مستوى الحواس؛ يبقى عقله خلال كلّ النشاطات مثبت دوماً بالكينونة. وبثباته في النقاوة المطلقة للكينونة، يكون خارج حقل الجهل، وخارج حقل "الخطيئة".

الآية الثانية والعشرون

مقتنعٌ بما يأتيه، لا يسأل،
خلف ازدواجية الأضداد،
متحرّرٌ من الحسد،
متوازنٌ في النجاح والفشل،
حتى في عمله فهو غير مرتبط

تقدّم هذه الآية صورة عن الشخص المتحرّر.

"مقتنعٌ بما يأتيه، لا يسأل": يعيش الإنسان المتنور حياة الاكتمال. وكونه متحرراً من

الرغبة، تخدم أعماله فقط حاجة الزمن. ليس له اهتمامات شخصية للكسب. هو منشغل في إكمال الغاية الكونية ولذلك توجه أعماله بالطبيعة. لهذا السبب لا يتوجب عليه القلق على حاجاته. إن حاجاته هي حاجات الطبيعة، التي تعتني بإكمالها، ويكون هو آلة بيد القدسي.

"خلف ازدواجية الأضداد":خلف الغونات الثلاثة هذا التعبير ينطبق على حد سواء على الوعي التجاوزي والوعي الكوني ووعي الله. إن الوعي التجاوزي هو مطلق في الطبيعة، من دون أيّ أثر للثنائية. في حين يقبل الوعي الكوني "ازدواجية الأضداد"، لكن كأنه منفصلة بالكامل عن الذات. بينما يقبل وعي الله أيضاً "ازدواجية الأضداد"، لكن كأنها متلازمة من الذات، التي هي بدوره متلازمة من الله.

"متحرّرٌ من الحسد": إن الحسد هو الصفة التي تخلّ توازن الفرد وتجعله عرضة للاعتداء من الدهارما ذات المستوى المختلف من الوعي عن المستوى الخاص به. إن هذا خطر عظيم، لأنه قادر على رمي الإنسان خارج طريق تطوره الخاص. إن من هو متحرّرٌ من الحسد هو متحررٌ من هذا الخطر. مثل هذا الإنسان لا يغريه شيء، لأنه ارتفع إلى الحرية المطلقة. إلى أيّ شيء أكثر من ذلك يمكنه أن يطمح؟ بعد أن ارتفع إلى حالة الوعي الكوني يمكنه التطلّع إلى وعي الله، وهذا ما قد نفكر بأنه قد يترك الباب مفتوحاً لإمكانية الحسد. لكن إذا تثنى للإنسان في الوعي الكوني أن يرى إنساناً في وعي الله، فسيمتلئ بالمحبّة والولاء له بدلا من الحسد من حالته.

"متوازنٌ في النجاح والفشل": انظر الفصل الثّاني، الآيات 38 و 48 و50.

"حتى في عمله فهو غير مرتبط": انظر الفصل الثّالث، الآية 28.

عندما يصبح العقل، خلال التأمل، مطمئناً في غبطة الذات، لن يكون هنا إمكانية للقلق. عندئذ

يكون التساوي في العقل في كل من المتعة والألم هكذا تكون حالة الإنسان المتحرر.

الآية الثالثة والعشرون

إن من تحررّ من التعلّق،
متحرر، عقله مثبّت بالحكمة،
يعمل من أجل اليغيا،
تكون أعماله متحلّلة كلياً

تبيّن هذه الآية بأنّه عندما يكسب الإنسان، خلال الممارسة الثابتة للتأمل، الوعي الكوني، وعندما يستقر الوعي التجاوزي الصافي في الطبيعة الحقيقية للعقل، يصبح "متحرّراً" من حقل العمل و "يتحرر من التعلق". في هذه الحالة، ينتج كلّ عمل تأثيرات مساندة للحياة في الخليقة وهذا ما يساعد التطور الكوني؛ وهكذا يكون كلّ عمل "من أجل اليغيا".

هكذا تكون أعمال الفرد الذي يمارس التأمل التجاوزي تستحقّ أن تصنّف كأنها يغيا.

نستنتج من العبارات الأربعة من هذا الآية تطوير العبارات الأربعة المتضمنة في كلّ من الآيات الخمسة السابقة. وفيما يلي نعرض هذا التطور.

أ.   مَن يرى في العمل عدم العمل (18)
مَن يكون في كل تعهد متحرّراً من الرغبة (19)
بالتخلي عن التعلّق بثمار العمل (20)

من لا يتوقع شيئاً (21)

مقتنعٌ بما يأتيه، لا يسأل (22)

إن من تحررّ من التعلّق (23).

ب. وفي عدم العمل يرى العمل (18)

مَن يكون في كل تعهد متحرّراً من الحافز منه (19)

مطمئن دوماً (20)

قلبه وعقله مهذبان (21)

خلف ازدواجية الأضداد، متحرّرٌ من الحسد (22)

متحرر (23)

ج. هو حكيم بين البشر (18)

من يحرق أعماله بنار المعرفة (19)

لا يعتمد على شيء (20)

متنازلاً عن كل تملّك(21)

متوازنٌ في النجاح والفشل (22)

عقله مثبّت بالحكمة (23)

د. قد حقّق كل عمل (18)

هو مَن يدعوه عارفي الحقيقة بالحكيم (19)

وبالرغم من ارتباطه الكلي بالعمل فهو لا يعمل بتاتا (20)

يقوم بعمله بواسطة الجسم فقط، هو الذي لا يرتكب أي خطيئة (21)

حتى في عمله فهو غير مرتبط (22)

يعمل من أجل اليغيا، تكون أعماله متحلّلة كلياً (23)

إنه بسبب التعاليم المذكورة في هذه الآيات الستّة يكون هذا الفصل الرابع هو فصل الحكمة – حكمة الكارما يوغا والسانكهيا في الوقت عينه. إنها تكشف حالة الإنسان المدرك على مستوى العمل والسلوك، وهكذا تقدّم الوجهة العملية للمسعى الماورائي المجرّد الذي يواجه الإنسان في طريق تطوره.

الآية الرابعة والعشرون

عمل التضحية هو بْرَهْمان،

والذبيحة هي بْرَهْمان، وتسكب بواسطة

بْرَهْمان في النار التي هي بْرَهْمان.

إلى بْرَهْمان وحده سيرحل من هو

مثبّت ببْرَهْمان من خلال عمله

هذا الآية لا تعلّم بأنه في أثناء أداء اليغْيا الطقسية، أو أداء أيّ نوع آخر من العمل، يجب على

الفرد أن يحفظ في العقل، الفكرة بأنّ كلّ شيء هو بْرَهْمان. تتعلّق التعاليم هنا بالمستويات العميقة جداً للحياة عن المستوى السطحي للتفكير وصنع المزاج.

لقد قيل في الآية السابق: "إن من يعمل من أجل اليغيا، تكون أعماله متحلّلة كلياً. هذه الكلمات توضّح أكثر في الآية الحالي، التي يعتبر الأوجه المختلفة من العمل التي يؤديها الإنسان المتنور. إنها تتكلّم عن تلك الحالة من الوعي التي تدرك وحدانية الوجود في كلّ تنويع العمل.

في هذا الآية والآيات التالية يعدّد المولى الأوجه مختلفة من عمل اليغْيا ويقول بأنّ كلّ الأوجه هي بْرَهْمان. بالتأكيد إن التقدمة هي التقدمة، والقرابين هي القرابين، والنار هي النار والمؤدّي هو المؤدّي – على مستوى الحياة النسبية تسود الثنائية. كلّ شيء بْرَهْمان فقط على مستوى وعي المؤدّي الثابت في الوعي الكوني. إن ما قيل في الآيات من 19 إلى 23 يقود إلى الاستنتاج إلى أن الإنسان المتنور، الثابت في وعي الغبطة في جميع الأوقات، بصرف النّظر عن ارتباط العقل والحواس في العمل، هو مركز على البْرَهْمان، بينما في نفس الوقت كلّ ما يستلزم العمل يتابع بشكل طبيعي على مستوى الحواس، من خلال عامل الغونات.

عندما يصبح العقل متغلغلاً بالكينونة، عندئذ لا يمكن لأية فكرة أو كلمة أو فعل أن تخرج العقل من الكينونة. هذه هي حالة الوعي الكوني. إن غاية الآية الحالية هي في وصف علاقة العمل مع الوعي الكوني الذي تشكّل فيه كلّ الأعمال عنصراً مكمّلاً لذلك الوعي وبالتالي يتم إدراكها وكأنها لا شيء سوى ذلك الوعي، ولا شيء سوى البْرَهْمان.

تشير الآية أيضاً إلى أنّ الثبات في البْرَهْمان يشكّل براعة في العمل وفي الوقت ذاته اكتمالاً

للعمل.

يتكلّم المولى عن اليغْيا كي يوضّح بأنّ الأجزاء المختلفة لعمل والأنماط المختلفة من أدائها لا يترك أيّ أثر من العبودية للإنسان المتنور. وبثباته الدائم في حالة الوعي الصافي، أو الكينونة الأبدية، يكون ببساطة الشاهد الصامت والبريء لما يحدث من خلاله؛ إنه الوسيلة التي من خلالها تنجز الطبيعة غايتها للتطور. تكون أعماله استجابة إلى حاجات الزمن. وبشكل طبيعي وتام، يقوم بالأعمال التي تؤدّي إلى كلّ نوع من الخير.

"إلى بْرَهْمان وحده سيرحل": إن البْرَهْمان هو الحقيقة التي تعانق كل من الحقل النسبي والحقل المطلق للحياة. بعد أن يكسب حالة البْرَهْمان، يرتفع الإنسان إلى الحقيقة النهائية للوجود. في هذه الحالة من التنوير يحقق التحرر الأبدي، وعندما يرتفع الإنسان إلى هذه الحالة لن يكون هناك أي سقوط منها. لهذا يقول المولى: "إلى البْرَهْمان وحده سيرحل من هو مثبّت بالبْرَهْمان من خلال عمله".

إن التعبير "سيرحل" لا يعني بأنّه عندما يترك الجسم سيغادر إلى مكان آخر. تجد الكلمة "رحل" معناها هنا في الحقيقة بأنّه، وبزوال الجسم، لن يوجد الإنسان المدرك كفرد، وعندما لا نجد شخصاً ما نقول بأنه رحل. إلى أين رحل إذاً؟ لكي نوضّح موقعه من ناحية الرحيل، يجب أن يقال بأنّه رحل إلى البْرَهْمان؛ لكن في الحقيقة لا يمكن أن نسأل عن الرحيل إليه في حين هو "مثبّت في البْرَهْمان"، وهو الذي ارتفع إلى الحقيقة الكليّة الوجود. يبقى علينا أن نعرف ماذا كان البْرَهْمان لكن من دون الجسم الفردي.

"من هو مثبّت في البْرَهْمان من خلال العمل": يرتفع الفرد إلى حالة البْرَهْمان في الوعي الكوني، حيث لا يوجد نشاط، ومهما كان نشيطاً، يمكن أن يخرج الفرد من الكينونة. يتم الوصول إلى

هذه الحالة من الثبات في البْرَهْمان بأداء العمل بعد كسب حالة الكينونة من خلال نشاط التأمل – النشاط الداخلي للتأمل يتبعه النشاط الخارجي للحياة اليومية. هكذا من الواضح أنّه "من خلال العمل" يكون الفرد "مثبّت في البْرَهْمان". وهكذا لا تصف هذه الآية حالة البْرَهْمان فقط بل تكشف أيضاً الطريق المباشر إلى إدراكها.

الآية الخامسة والعشرون

يؤدي بعض اليوغيين اليغيا
بمجرد تكريم الآلهة، والبعض
الآخر يؤدي اليغيا ذاتها في
النار التي هي البْرَهْمان

"تكريم الآلهة" يقال بأن ذلك هو أداء اليغْيا. يقول المولى بأنّه عندما يقدم تكريم الآلهة إلى البْرَهْمان، تكون مثل هذه التقدمة أيضاً أداء اليغْيا.

إن تحليل عن كيفية "تكريم الآلهة" يتم تقديمها إلى البْرَهْمان وكيف تكون التقدمة إلى البْرَهْمان أداء اليغْيا قد يوضّح هذا.

إن الوعي الكوني هو حالة البْرَهْمان. بما أن الوعي الذاتي التجاوزي هو الذي يتطوّر إلى الوعي الكوني، ومن أجل أن يحقق الفرد الوعي الكوني من خلال التكريم، يجب أن يتجاوز من خلال عملية التكريم. هذا ما يستوجب الدخول إلى المراحل المرهفة في عملية التكريم. وهذا يمكن النجاح به بشكل كبير و بطريقة منهجية بأخذ اسم أو شكل الإله واختباره في حالته

المرهفة لحين يتجاوز العقل الحالة المرهفة ويبلغ الوعي التجاوزي. أما أولئك العاطفيين جداً، فقد يتجاوزون حتى من خلال الشعور المتزايد للحبّ الإله في أثناء عملية التقدمة.

تجاوز عملية التقدمة يقال عنها تقدمة التكريم إلى البْرَهْمان. إن لها الفائدة في تقبل بركات الإله وفي نفس الوقت المساعدة على تطوّر الوعي الكوني.

بالتجاوز، يصل مؤدي التقدمة إلى الاكتمال النهائي لليغْيا وبذلك يطوّر الوعي الكوني، الحالة التي يكون فيها كل عمل يقوم به وكأنه يغْيا. وكلّ ما يتعلّق به سيكون مساعداً للتطور، وبثباته في كينونيته، سيكمل غاية الحياة. لهذا السبب يعتبر يتجاوز حقل اليغْيا للوصول إلى حالة البْرَهْمان بأنه اليغْيا أيضاً. عندما يكسب الإنسان الوعي الكوني، يأخذ كلّ أعماله منزلة اليغْيا. لأن مثل هذا العمل يتم أدائه في حالة البْرَهْمان، هو بالفعل على مستوى البْرَهْمان. هذا هو تقديم اليغْيا بذاتها في النار التي البْرَهْمان.

الآية السادسة والعشرون

البعض يقدّمون السمع والحواس الأخرى
في نيران السيطرة؛ والبعض الأخر
يقدّمون الصوت والمدركات الأخرى
للحواس في نيران الحواس

"النيران": إنّ وضع الكلمة في صيغة الجمع يشير إلى أنّ هناك طرق مختلفة للسيطرة على الحواس المختلفة.

هناك نوعان من الناس: أولئك الذين يبقون حواسهم نشيطة، تمتّع بمدركاتها في العالم، وأولئك الذين يمارسون الطرق المختلفة من السيطرة. يشير المولى إلى الثانية عندما يقول بأن الحواس تقدّم في "نيران السيطرة".

لقد تم ترجمة كلمة "سيطرة" من قبل معظم المفسرين للدلالة على الكبح، ولذلك يدعون

للإخضاع القويّ للحواس. لكنّه بالتأكيد من غير الممكن وضع حدّاً لنشاطات الحواس خلال ممارسة الامتناع عن إشباعها. هذا تم توضيح ذلك فعلاً من قبل المولى في الآية 59 من الفصل الثاني. لذلك من الواضح أن كلمة "سيطرة" تعني شيئاً ما غير الكبح، شيء ما له حقاً القوة في تهدئة الحواس. يتم شرح هذا في طريقتين: أولاً، في الاستعمال الصحيح للحواس، وتفسير ذلك معطى في هذه الآية؛ وثانياً، عملية السماح لكلّ الحواس للتلاقي بشكل طبيعي في نقطة واحدة والبقاء هناك في حالة من القناعة. هذا الطريق الثاني يتم وصفها في الآية القادم.

"والبعض الأخر يقدّمون الصوت والمدركات الأخرى للحواس في نيران الحواس": إن بعض الناس لهم حواس نشيطة في العالم الخارجي. هذا يعني الاستعمال الصحيح للحواس من أجل اختبار مدركاتها، يترقبون فقط الأشياء المحرّمة، يعتبر أيضا بأنها أداء الياغْيا.

هكذا يكون معنى هذه الآية واضحاً. يحول البعض حواسهم إلى الداخل من خلال ممارسة التأمل التجاوزي وبذلك يخلقون حالة تتلاقى فيها حواسهم بشكل آلي في الكينونة، بالتالي يكملون بشكل طبيعي الغية الحقيقية للسيطرة. والآخرون لا يتأمّلون لكن يبقون حواسهم تحت سيطرة العمل المستقيم؛ بعدم السماح لحواسهم اختبار الأشياء المحرّمة، إنه أيضاً يتبعون طريق الياغْيا ويتطوّرون للوصول العلي. إن هذا العملية هي بطيئة وصعبة؛ إنها صعبة لأن أساس العمل الصحيح هو في الوعي الصافي. إن العمل الصحيح من دون أساس صحيح هو صعب جداً، إن لم يكن مستحيلاً. ولكن ومع التأمل التجاوزي، من السّهل كسب الوعي الصافي وبالتالي أداء العمل الصحيح بشكل تلقائي.

الآية السابعة والعشرون

والبعض الآخر يقدم كل نشاطات الحواس
ونشاطات نفَس الحياة في نار اليوغا،
التي هي السيطرة الذاتية المتقدة بالتنوير.

من المفهوم بشكل عام بأنّ ممارسة السيطرة الذاتية هي ضرورية لجلب التنوير؛ هذا ما يتناقض بشكل واضح مع تعاليم المولى، الذي يصرّح بشكل محدّد بأنّ السيطرة الذاتية هي نتيجة حالة التنوير. في أثناء عملية التأمل التجاوزي، عندما يدخل العقل المستويات المرهفة للاختبار، ينخفض نشاط كلّ الحواس وأخيراً يوقّف؛ ويصبح النفس أيضاً أكثر صفاء ويتوقّف في النهاية. هذا هو تقدمة " كل نشاطات الحواس ونشاطات نفَس الحياة في نار اليوغا".

"السيطرة الذاتية المتقدة بالتنوير": تعني السيطرة الذاتية بقاء الذات في داخل ذاتها من دون أيّ انحراف إلى العالم الخارجي. وسيطرة العقل في حالتها المثالية تعني بأن يبقى العقل في ذاته من دون أيّ انحراف إلى العالم الخارجي. وأية درجة أقل من سيطرة العقل ستكون انحرافاً إلى العالم الخارجي باتجاه مرغوب فيه. كذلك، تعني سيطرة الحواس في حالتها المثالية بأن تبقى الحواس في ذاتها من دون أيّ انحراف إلى العالم الخارجي. وأية درجة أقل من سيطرة الحواس ستكون انحرافاً إلى العالم الخارجي باتجاه مرغوب فيه.

"السيطرة الذاتية المتقدة بالتنوير" تعني حالة مثالية للسيطرة على الذات والعقل والحواس. تعني بأنّه في حالة التنوير، أو الوعي الصافي، في حالة الكينونة، يتم وضع العقل والحواس في ذاتها من دون أيّ انحراف إلى العالم الخارجي. هذا يحدث في الحالة التجاوزية المجردة من أيّ نشاط عندما تصبح هذه الحالة التجاوزية للوعي دائمة وتتحوّل إلى الوعي

الكوني، عندئذ يرسو العقل في حالة الكينونة ويتقبل النشاط في العالم الخارجي بالاتجاه المرغوب.

وهكذا يبقى العقل، حتى عندما يكون نشيطاً، ضمن مجال السيطرة الذاتية. وتتبع الحواس دوماً نمط العقل، لذلك عندما يكون العقل في هذه الحالة من السيطرة الذاتية، يبقى نشاط الحواس أيضاً بشكل تلقائي وتام ضمن حدود السيطرة الذاتية. هذا ما يعني بأنّ الحواس تعمل آليا في الاتجاه الصحيح.

هكذا، وبواسطة كسب حالة التنوير، يتم تقديم "نشاطات الحواس ونفَس الحياة" في "نار اليوغا". لذلك، إنه من الواضح أن "نار اليوغا" يجب أن تضيء أولاً، وبعدئذ فقط تتبعها السيطرة.

يجب أن نلحظ أنه استناداً على هذه الحالة من السيطرة الذاتية على المستوى الكوني، يستمر نشاط الخليقة وتطور الحياة الكونية بشكل آني بطبيعة الغونات الثلاثة، في حين تبقى الكينونة الكونية لله غير متورطة بالنشاط هذه هي الصورة الوظيفة الداخلية للحياة الكونية؛ تظهر العفويّة والدقّة التي تقود نشاط الحياة الكونية مستندة على السيطرة الذاتية.

لقد تم تعريف اليوغا هنا بأنها حالة السيطرة الذاتية التي توجد بشكل تلقائي بالتنوير، بإدراك الذات في الوعي التجاوزي، وبالتالي في حالة الوعي الكوني كذلك

إن وعي الله هي الحالة العليا للتنوير. عندما يتم اكتساب هذه الحالة، ترتفع السيطرة الذاتية على مستوى الحياة الفردية إلى السيطرة الذاتية على مستوى الحياة الكونية.

الآية الثامنة والعشرون

والبعض كذلك يؤدي اليغيا بالتضحية
بممتلكاتهم المادية، وبالتقشف،
وممارسة اليوغا؛ في حين بعض
أصحاب النذور الصارمة يؤدون اليغيا
بالتضحية في دراساتهم الدينية ومعرفتهم

يصف هنا المولى الطرق المادية والجسدية والعقلية في التنقية من أجل التطور، ومن أجل كسب الحرية في الوعي الكوني واكتمالها في وعي الله.

"اليغيا بالتضحية بممتلكاتهم المادية" تدلّ على إعطاء الثروة إلى من يستحقها. وتعني أداء الطقوس الفيدية أيضاً بتقديم نيران الأضاحي.

أداء الياغْيا "بالتقشّف" تعني تعريض الجسم للسخونة والبرودة وغيرها من الآلام من أجل التنقية.

"بممارسة اليوغا": انظر الفصل الثّاني، الآية 45 و50؛ والفصل الثّالث، الآية 7.

"يؤدون اليغيا بالتضحية في دراساتهم الدينية ومعرفتهم": يجلسون ويتأمّلون ويتجاوزون حقل التعلّم؛ يختبرون الكينونة التجاوزية، التي هي هدف كلّ تعلّم

الآية التاسعة والعشرون

وآخرون أيضاً، من يثابرون على
تمارين التنفس، يسكبون النفس الداخل
في النفس الخارج، والنفس الخارج في
النفس الداخل، ويكبتوا مجال الشهيق والزفير

يوضّح المولى هنا إلى أرجونا بأنّ هناك صنف من الباحثين عن الحقيقة الذين يحاولون الإدراك من خلال عملية تمارين التنفّس. يسكبون "النفس الداخل في النفس الخارج و النفس الخارج في النفس الداخل"، وبالتالي يكبتوا "مجال الشهيق والزفير". هذا يؤدّي إلى تعليق التنفّس، الذي يجلب العقل إلى السكون في صمت وعي الغبطة. ويثقّف الجهاز العصبي بشكل آني لإبقاء هذه الحالة من الوعي. لهذا السبب تعتبر ممارسة تمارين التنفّس بمثابة الياغْيا.

يعطي التأمل التجاوزي اكتمال لمتطلبات هذه الآية أيضاً، لأنه في أثناء ممارسته، يبدأ النفس الخارج والداخل بشكل آني بالانخفاض كي يصبح خفيف جداً. يصبح تدفق النفس الخارج أقل، كما يصبح تدفق النفس الداخل أقل. هذه الظاهرة للنقص الآني للاثنين يتم وصفها بسكب الواحد في الآخر. هكذا، ومن خلال ممارسة التأمل التجاوزي، بطريقة سهلة جداَ، يسكب الفرد "النفس الداخل في النفس الخارج و النفس الخارج في النفس الداخل".

الآية الثلاثون

وهناك أيضاً من يحدد تغذية الحواس،
يقدم الأنفاس في الأنفاس،
هؤلاء جميعاً هم حقاً من يعرف تأدية اليغيا،
من خلال اليغيا تُغسل عنهم خطاياهم

عندما يحدّد الإنسان غذائه، تتطلب العملية الأيضة أقل أوكسجين، ولذا يصبح تنفّسه خفيفاً جداً.

"يحدّد تغذيتها" تعني عدم تغذّية الحواس بمدركاته ا، وعدم الانشغال بالعمل أو حتى بالفكرة. يتطلب عدم الارتباط هذا في النشاط تخفيض في عملية الأيض، التي تتطلب بدورها تخفيض النشاط التنفسي. هذا، كما تم شرحه في الآية السابقة، ما يعني به المولى: "يقدم الأنفاس في الأنفاس".

كلّ هذه هي الطرق المختلفة لتنقية الفرد؛ لهذا تدعى كلها باليا غْيا. من خلال ممارستها "تُغسل عنهم خطاياهم". يرد في البرهمابيندو أوبانيشاد بأنّ الجبل الضخم من الخطايا الممتد لأميال ينهار بالتوحيد التي يتم بلوغه من خلال التأمل التجاوزي والذي من دونه لا يوجد هناك مخرجاً.

الآية الواحدة والثلاثون

بأكل بقايا اليغيا التي هي الإكسير،
يصلون إلى بْرَهْمان الأبدي.
إن هذا العالم، يا أفضل الكوروس،
لن يكون مقراً لمن لا يؤدي اليغيا،
سيكون أقل بكثير العالم فيما بعد

بعد أن وصف الأنواع المختلفة لليغْيا في الآيات السابقة (24–30)، يوضّح المولى، في هذا الآية، نتيجتها. اليغْيا هي عملية التنقية. إن كلّ عملية مثل هذه تترك العقل أدق وبالتالي أكثر قدرة على التجاوز. عندما تنتهي اليغْيا، يصفو العقل ويكسب المستوى أعلى من الوعي. هذا ما يؤدّي إلى وعي الغبطة في النهاية، الذي يدعوه المولى "الإكسير". تبقى الغبطة، إذا جاز التعبير، بعدما تنتهي اليغْيا. إن أولئك الذين يتمتّعون بهذه الغبطة، يقول المولى، "يصلون إلى البْرَهْمان الأبدي"، لأن هذا الوعي للغبطة التجاوزية هو الذي يتطور، من خلال الممارسة المستمرة، إلى الوعي الكوني وفي النهاية إلى وعي الله.

يقول المولى إضافة لذلك، إذا لا يؤدّي الإنسان اليغْيا لن يكون ناجحاً لا في هذا العالم ولا فيما بعد. ما لم يسحب السهم بالكامل على القوس، لن يكسب الطاقة الكافية لينطلق إلى الأمام بالقوة العظمى؛ وما لم يسحب العقل إلى الداخل ويتم جلبه إلى الحدّ الأقصى توجهه الداخلي، لن يصبح ديناميكياً. وما لم يصبح العقل نشيطاً وقوياً، بالتأكيد سوف لن يحقق النجاح في العالم. يظهر المولى بأنّ عملية التنقية، أو اليغْيا، هي ضرورية للنجاح في هذا العالم ولاكتساب القوة للنجاح في العالم فيما بعد.

من كلّ أنواع اليغْيا، تكون يغْيا التأمل التجاوزي هي الأكثر فعّالية، لأنها الوسيلة المباشرة لجلب العقل إلى النقاوة المطلقة وتمكينه على الاتصال بالمصدر اللامحدود لطاقة الحياة والذكاء.

الآية الثانية والثلاثون

بهذه الطريقة تعرّف كلمات الفيدا
عن مختلف أنواع اليغيات.
إنها جميعها مولودة من العمل.
وبمعرفتك بذلك ستجد التحرّر

تتكلّم الفيدا عن الأنواع المختلفة لليغْيا التي يساعد عملية تطور الإنسان في المستويات المختلفة من الحياة. يعني المولى بأنّ معرفة الأنواع المختلفة من اليغْيا، كما هي مذكورة في الفيدا، هي كاملة بحد ذاتها؛ ويتوجب تبنيها فقط ليكشف هذا، يقول: "إنها جميعها مولودة من العمل". العمل الضروري لأداء اليغْيا: ما لم يتم تأديتها، سوف لن تعطي اليغْيا أيّ نتيجة. إن المعرفة النظرية عنها لها قيمتها لكن لا تحمل في طياتها ثمار اليغْيا. إنّ أهمية العمل مؤكّدة هنا.

تعطي العبارة "إنها جميعها مولودة من العمل" نقطة أخرى. يريد المولى جعلها واضحة جداً إلى أرْجونا، أن معرفة اليغْيا، التي علمها في الآيات السابقة والتي لها صلاحية الفيدا، هي ضرورية للنجاح في هذا العالم وفيما بعد. لكن وفي الوقت ذاته يشير بأن هذه هي ليست المعرفة

النهائية التي ستحرّره من العبودية؛ هناك شيء أكثر من ذلك يجب أن يعرفه. في حين استمراره في نشاط اليغْيا، يجب على أرْجونا أن يأخذ في الاعتبار بأنّ كلّ شيء هو في حقل النشاط وبأن الحقيقة هي تجاوزية. لذلك لا يجب على الفرد يبقى بشكل دائم في حقل نشاط اليغْيا. إنّ المعرفة بأن اليغْيا هي النشاط وبأن الحقيقة هي تجاوزي ستحرّر بالتأكيد الإنسان.

هنا يوجد نقطة مهمة لممارسة التأمل التجاوزي. إن وسيط الانتباه يجب أن يمكّن العقل للوصول إلى التجاوز وإدراك الحالة المطلقة للكينونة. إذا لم يكن الطامح مدركاً لهذه الحقيقة عندئذ، وفي أثناء ممارسته للتأمل (اليغْيا) وعندما يجد بأن الذي وسيط الانتباه قد اختفى، سيشعر بالإرباك ولإنقاذه من مثل هذا الإرباك، يقول المولى بأنّ كلّ الممارسات التي تجلب التنوير (اليغْيا) هي في حقل النشاط، والهدف هو في تجاوز ذلك الحقل، للوصول إلى الوعي التجاوزي، وكسب الوعي الكوني والارتفاع إلى الأعلى لإتمام كلّ العمل في النهاية في حالة التوحيد في وعي الله.

تسلط الآية التالية الضوء أكثر على هذه النقطة.

الآية الثالثة والثلاثون

أفضل من يغيا التقديم المادي

هي يغيا المعرفة. يا ملهب الأعداء

وكل عمل من دون استثناء، يا بارتا،
يتتوج بالمعرفة.

"يغيا التقديم المادي": أنظر الآية 28.

"يغْيا المعرفة" تعني العمل الذي يؤدّي إلى المعرفة. إن يغْيا "التقديم المادي" يتم تأديتها من خلال التقدمة المادّية، بينما يغْيا المعرفة يتم تأديتها من خلال النشاط العقلي –النشاط العقلي الذي يؤدّي إلى حالة الوعي التجاوزي، وأيضا النشاط العقلي لفهم المتجاوز. إن المعرفة في محتواها هي وعي الله، التي تطوّر من حالة الوعي الكوني، والتي بدورها تطوّر من المعرفة (الفهم والاختبار) للوعي التجاوزي.

العمل هو الوسيلة للتطور، ويكسب التطور قمّته العليا عندما يبلغ الإنسان التوحيد بالله، وعي الله. في هذه الحالة من الاكتمال لا يوجد هناك شيئاً يحتاج أن يفعله. فيصل إلى هدف كلّ الأعمال.

تنتهي كلّ الوسائل كأمر طبيعي عندما يتم بلوغ الهدف. يهدّف أيّ شكل من اليغْيا إلى درجة معينة من التنقية. عندما يتحقق الوعي الصافي بشكل دائم، وعندما يتم إدراك الذات بأنها منفصل عن النشاط، وعندما يتم كسب وعي الله، يكون المستى الأعلى للتنقية قد تحقق. وبتحقيق ذلك، بشعر الإنسان بشكل طبيعي بالحرية الأبديّة. هذه الحالة من الاكتمال هي هدف كلّ العمل، وهدف كلّ يغْيا. لهذا السبب يقول المولى بأنّ المعرفة هي الحقل الذي تتلاقى فيه كلّ الأعمال والذي فيها تصبح مدموجة أخيراً: "كل عمل من دون استثناء، يا بارتا، يتتوج بالمعرفة".

إنّ حديث المولى هو مثال المهارة النفسية العظيمة. لقد بنا أهمية اليغْيا بشكل تدريجي (من الآية 23 إلى هذا الآية)، الطريق إلى التنوير. عندما أثبت عظمتها، يقول فجأة بأنّ هذه كلّه في حقل العمل، وبذلك يعني أولاً بأنّه ضمن وصول كلّ إنسان، وثانيا بأنه لا يجب أن يبقى الإنسان موقوفاً في حقل العمل، أو اليغْيا، لأن ذلك هو ليس الهدف النهائي للحياة. بعد أن أشار إلى ذلك، يستنتج المولى فوراً، في هذا الآية، تفسيره القائل بأن المعرفة هي الهدف لكلّ الأعمال. أما اليغْيا من خلال الوسائل المادية فيمكنها في أحسن الأحوال أن ترفع مستوى الوعي في الحقل النسبي للحياة. وتحوّل يغْيا المعرفة الآلية البشرية الكاملة إلى وسيلة يعبّر بها القدسي عن ذاته في العالم. لأنه لا يمكن أن يكون هناك حالة للتطور أعظم من ذلك، "يغْيا المعرفة"، تقود لما تفعله لهذه الحالة، هي أفضل من "يغيا التقديم المادي".

عندما يشدّد المولى على المعرفة قبالة العمل، يخاطب أرْجونا بأنه "الملهب للأعداء"، كما وأنه مرتبط بالنشاط القوي. هذه ما يظهر أنّه من خلال المعرفة يمكن للحياة أن تكون أكثر ديناميكية. في الآية التالية، يشير المولى إلى الطريق المباشر للبحث عن هذه "المعرفة".

الآية الرابعة والثلاثون

اعرف ذلك: من خلال الولاء

والتوسل والخدمة،

إن رجال المعرفة الذين اختبروا

الحقيقة سيعلمونك المعرفة

هاهي عملية كسب التنوير من المتنور. "بالولاء" تعنى الطاعة أو الاستسلام هذا ما يخدم في إحداث حالة من التقبّل. في هذه الحالة من الطاعة، يضع القلب والعقل جانباً طرقهما الخاصة للشعور والتفكير؛ ويصبحان متحرران من كلّ ما يحجب على قوتهما الكامنة ويصبحان متقبلان بالكامل للإنسان المتنور، المجسد للمعرفة.

الطاعة هي الوسيلة لتجريد الباحث بشكل طبيعي وتمام من فرديته المحدودة وللتغلّب على أيّ مقاومة فيه قد تمنعه من فتح ذاته على الكينونة الكونية. في هذا الآية، يتم نصح باحث الحقيقة للخضوع للرجل المتنور وليس في مجرد أن يكون له إحساس بالطاعة إلى الكينونة الكونية. ذلك لأن الخضوع إلى الكينونة الكلية الوجود، ليس له نقطة تركيز ملموسة، فتبقى مجرّدة وغير محددة ولا تتبلور إلى النتائج المؤكّدة. إن الخضوع المباشر للفكر الفردي إلى الذكاء الكوني تحدث فقط في حالة التجاوز. إما في حقل النسبية، فيتطلب الخضوع على مستوى التفكير والفهم نقطة معيّنة للتركيز، هذا إذا كان المراد منها أن تكون ذات صلاحية ومنتجة للنتائج.

أما النقطة الثانية في عملية الوصول إلى التنوير فهي بأنّ يكون الفكر يقظاً لكي تمييز، أو تكون القدرة على فهم الأوجه مختلفة للحقيقة حادّة. إن هذا هو ضروري لأن حالة التنوير الكامل تتضمّن الفهم الواضح للحقيقة، ومرة أخرى هذا ما يمكن تحقيقه فقط بالفكر اليقظ والحاد والمميّز والحاسم. تتضارب حالة اليقظة الفكرية بحالة الخضوع. ويتم حل هذا النزاع بما يدعوه المولى "الخدمة".

تعني "الخدمة" العمل بموجب رغبة المعلم. إن إحساس الخدمة ليس له الشيء الكثير بطبيعة

العمل بحد ذاته، لكنّه يعنى أولاً بتحقيق رغبات المعلم؛ إذا كان المعلم مسروراً، تكون الخدمة ناجحة. إذا كان مسرور بإنجاز العمل، عندئذ تكون الخدمة قد أنجزت ويكون العمل قد حقق غايته. أما إذا أراد المعلم إلغاء العمل في منتصف تنفيذه، فسيتطلب نجاح الخدمة الطاعة. يشمل فنّ الخدمة هذا تلك الحالات من الخضوع ويقظة الفكر التي هي ضرورية للتنوير.

يدرّب الإحساس الصحيح للخدمة عقل الباحث لتعديل ذاته إلى منزلة العقل المتكامل للإنسان المتنور. ولكي يكون ناجحاً في فنّ الخدمة، يجب على الفرد أن يعدّل عقله، وكل ما يحب وما يكره، لتكون متوافقة مع عقل المعلم. يقوم بعمل شيءٍ ما وبعد ذلك يراقب عن قرب ليرى سواء كان معلمه مسروراً أو غير مسرور. ومن ثمّ يعدّل أعماله وفقا لذلك إن هذا هو أكثر من مجرّد التقيّد بالخضوع ويقظة الفكر كليهما معاً. وبتعديل ذاته لما يحبه وما يكرهه العقل الكوني المتنور للمعلم، يكسب العقل الجاهل للباحث بشكل تدريجي تلك المنزلة ذاتها. هكذا نجد الخضوع والتوسل والخدمة، كلّ هذه الصفات الثلاث، مكمّلة وتخلق حالة مفضّلة للتنوير.

وتعليقاً على هذا الآية، يقول شانكارا: "اعرف بأي وسيلة يتم اكتسابها. وبمقاربتك إلى المعلمين بتواضع، انحني واسجد أمامهم، أدي لهم الولاء مطوّل. اسألهم ما هي العبودية وما هو التحرر، ما هي الحكمة وما هو الجهل. قدّم الخدمة للمعلم. وبسرورهم بذلك وبغيرها من إشارات الوقار، سيفصح إليك المعلمون الذين يعرفون الحقيقة من الكتب المقدّسة والذين أدركوها أيضاً من خلال اختباراتهم الشخصية المباشرة، هذه المعرفة"

إنّ نتيجة هذه المعرفة تظهر في الآية القادمة.

الآية الخامسة والثلاثون

بمعرفتك لهذا، يا ابن باندو،
لن تسقط أبداً في مثل هذا الضلال؛
لأنك سترى من خلال ذلك
كل الكائنات في ذاتك وأيضاً فيّ أنا

"بمعرفتك لهذا": بعد أن كسب المعرفة المعطاة له في الآيات السابقة.

"لن تسقط أبداً في مثل هذا الضلال": يعطي المولى هنا إلى أرْجونا تقنية الارتفاع فوق إمكانية الضلال. إن حقل ثنائية الحياة وحده يمكنه أن يكون حقلاً للضلال. عندما يدرك الفرد، في حالة الوعي الكوني، الذات على أنها منفصل عن النشاط، وعندما تتطوّر هذه الحالة إلى التوحيد الأبديّ لوعي الله، عندئذ سترى "كل الكائنات في ذاتك وأيضاً فيّ أنا". في هذه الحالة من وحدانية الحياة، وحدانية وعي الله، ليس هناك أي أثر للثنائية ولذلك ليس هناك إمكانية لأيّ ضلال. إنّ التعاليم هي في زرع حالة الأحادية في وعي الله؛ ازرع هذه الحالة من المعرفة لكي لا تسقط أبداً في مثل هذا الضلال.

إنّ الكلمة "مثل هذا" هي هامّة جداً. فهي تشير إلى حالة خاصّة من الضلال – إلى ضلال أرْجونا بشكل خاص – الضلال في حالة الساتفا. بذلك يعلّم المولى بشكل صامت أرْجونا في فلسفة الضلال: إن أيّ ضلال يتم اختباره في حالة الطمس يمكن التغلّب عليه بزيادة الرجس؛ وعلى نفس النمط، إن أي ضلال يتم اختباره في حالة الرجس يمكن التغلّب عليه بارتفاع الساتفا؛ لكن الضلال في حالة

الساتفا، كما في حالة أرْجونا، لا يمكن التغلّب عليها ما لم يتجاوز الفرد حقل الساتفا ويكسب الوعي التجاوزي. هنا تجد صفات القلب والعقل هدفاً مشتركاً، وبالتالي تذوّب ثنائية وجودهما المنفصلة وترتفع فوق إمكانية الضلال.

إنه من غير الممكن عملياً البقاء في التجاوز في كل الأوقات. لذلك من الضروري جعل هذا الوعي التجاوزي دائماً والارتفاع إلى حالة الوعي الكوني. في هذه الحالة من الوعي الكوني، يختبر الفرد بأن ذاته منفصلة عن النشاط قد يبدو أن في هذه الحالة يعيش الفرد في الثنائية، ثنائية الكينونة والنشاط؛ لكن هذا النوع من الثنائية، الذي فيه تبقى الذات منفصلة عن كلّ شيء، هو خالٍ من إمكانية الضلال. لكن يتمنّى المولى على أرْجونا أن يرتفع فوق الثنائية حتى التي هي من هذه الطبيعة. لكي يفعل ذلك، فهو يؤكّد على أهمية كسب معرفة الأحادية في وعي الله التي تنتج من الولاء في حالة الوعي الكوني.

بممارسة التعاليم في الآية السابقة، يتم تنقية القلب والعقل عند الباحث بشكل آلي ويصبحا قادرين على الولاء والتكريس؛ يؤدي هذا الولاء إلى تطوير وعي الله، الذي فيه تصبح الأحادية حقيقة حيّة من الحياة، وتزول إمكانية وجود أيّ نوع من الثنائية بالكامل.

"لأنك سترى من خلال ذلك كل الكائنات في ذاتك وأيضاً فيّ أنا": عندما ينظر من خلال النظارات الخضراء، يبدو له كلّ شيء أخضراً. وعندما يتم إدراك الذات، من خلال المعرفة، بأنها منفصل عن النشاط و يصبح الوعي الذاتي دائماً في حالة الوعي الكوني، عندئذ سيتم اختبار كلّ شيء بشكل طبيعي في الإدراك للذات؛ وعندما تتحول من خلال الولاء، هذه الحالة الدائمة للوعي الذاتية، أو الوعي الكوني، إلى وعي الله، عندئذ سيتم اختبار كلّ شيء بشكل طبيعي في الإدراك لله، ويكون كل اختبار من خلال وعي الله، ويتم اختبار وفهم كلّ شيء في نور

الله، ومن ناحية الله، وفي الله.

رؤية "كلّ الكائنات" تتضمّن معرفة الحقل الكامل للكون المشكّل بالغونات الثلاثة؛ ورؤيتك "لي" تعني رؤية المولى يترأّس كل من المطلق والنسبي كليهما معاً. هكذا وبرؤية "كل الكائنات في ذاتك وأيضاً فيّ أنا" تدلّ على امتلاك المعرفة الكاملة لكل من حقل المطلق وحقل النسبي، والعلاقة بينهما وترأّس الله عليهما.

إن رؤية كلّ الكائنات في الذات هي بداية تحوّل الوعي الكوني إلى وعي الله، ويكتمل هذا التحول عندما يتم رؤية كلّ الكائنات في الله. أولاً، يتم رؤية كلّ الكائنات في الذات، ومن ثم رؤية الذات في الله. لهذا السبب يقول المولى: "لأنك سترى من خلال ذلك كل الكائنات في ذاتك وأيضاً فيّ أنا". لا تصف الفكرتان في العبارة الواحدة الحالتين فقط ولكنهما تصفان أيضاً التسلسل الذي فيه يطوّران.

في حالة وعي كوني، يتم اختبار الذات بأنها منفصلة عن النشاط إن هذه الحالة من الحياة في عدم التعلق المثالي هي مستندة على وعي الغبطة، واستناداً على ذلك تكسب صفات القلب تطورها الأكثر كمالا. وبذلك تسود المحبة الكونية على القلب، الذي يبدأ بالفيضان بمحبّة الله؛ ويبدأ البحر الصامت للغبطة، والبحر الصامت للمحبّة، بالارتفاع بأمواج الولاء والتكريس. ويبدأ القلب في حالته من القناعة الأبديّة بالتحرّك، وهذا يبدأ جمع كلّ شيء مع بعضه البعض ويزيل هوة الافتراق بين الذات والنشاط ويبدأ الإتحاد لكلّ التنويع في الذات بالنمو. تثقّف كثافة هذا الإتحاد وعي الإنسان، الذي يبدأ بإيجاد كلّ شيء متلازم مع الذات؛ وهكذا، وبالأسلوب الأكثر طبيعية، تجد الذات، التي تحدّد هويتها بأنها منفصلة عن كلّ نشاط في حالة الوعي الكوني، كلّ شيء في ذاتها. هذا يحدث في الطّريق إلى وعي الله، الذي في كماله

يُخدع الذات أيضاً، ويحتوي كلّ الأشياء.

تفصل الكائنات ذاتها من الكينونة الأسمى بواسطة البراكريتي، لكن هذا الحجاب يزول عندما يشرق نور المعرفة على الحياة، إنه نور إدراك أحادية الحياة في وعي الله، الذي يثبت الخلود في العالم الفاني.

هذه رؤية لكلّ شيء في الله هي غير محدّدة بمحدودات البصر؛ إنها على مستوى الحياة ككل؛ إنها على ذلك المستوى العالي للحياة التي توازي حياة الله بذاته. محظوظ هو، الإنسان الذي يمكنه أن يرتفع إلى حياة الله.

الآية السادسة والثلاثون

حتى وإن كنت أكبر الخطاءة،
يمكنك أن تعبر كل الشرّ
بمركب المعرفة وحده

وبعد أن مجد المعرفة في الآية السابقة، لفعاليتها في إزالة الضلال، يتكلّم المولى الآن عن فعاليتها في إزالة الخطيئة. تكمن القيمة الخاصّة لهذه المعرفة في الحقيقة بأنّها تتجاهل الضرورة لكسب المعرفة حول العمل الخاطئ. إنّ التعاليم الصامتة هنا هي في أن معرفة القدسي هي الضرورية وليست معرفة العمل والعمل الخاطئ وعدم العمل كما تم الإشارة إليها في الآية 17. يصبح هذا كله ظاهراً بدرجة أكبر في الآية التالي، حيث يوضّح المولى بأنّ كلّ الأعمال تحترق كلياًّ في نار المعرفة.

"يمكنك أن تعبر كل الشرّ بمركب المعرفة وحده": تشير كلمة "وحده" بأنّ لا شيء باستثناء المعرفة هو ضروري للإنسان كي "يعبر كل الشرّ". يجب أن نفهم بشكل صحيح

كيف يتخطى الفرد الشرّ في حالة التنوير.

لقد قيل في الآية 35 بأنّ المعرفة تأخذ الإنسان خلف الضلال وتصقل حياته في وحدانية وعي الله. في هذه حالة تكون حياته على المستوى الأعلى للوجود، وتكون متّحدة مع مولى الكلّ. تستجيب كلّ قوانين الطبيعة إيجابياً لمثل هذه الحياة، لأنها تكون متناغمة مع القوة الكلية القدرة والمنيعة للطبيعة، التي تنظم تطوّر كلّ شيء في الخليقة. في مثل هذه الحالة تنتج كلّ فكرة وكلمة وعمل للإنسان تأثيراً مسانداً للحياة لنفسه وللكون أجمع. هذه هي حالة الحياة حيث لا يكون العمل الخاطئ ممكناً. في هذه الحالة يكون الفرد قد عبر كلّ الشرّ بمركب المعرفة.

"المعرفة" لا تقاوم، لأنه لا يمكن لأحد أن يقاوم ذاته. إنّ حالة المعرفة في المستوى الأول هي حالة الذات الخاصة بالفرد ، الوعي التجاوزي. وفي المستوى الآخر، هي حالة الذات في وسط النشاط، الوعي الكوني. في مستوى آخر أيضاً، هي حالة وعي الله. التنوير هو غير متعلق بأي شيء في الحقل النسبي؛ لا يمكن لأي شيء أن يكون عقبة للتنوير. مهما كان الظلام كثيفاً ومهما طال بقائه، يكفي شعاع واحد من الشمس المشرقة ليبدّد الظلام، بالرغم من الوقت الذي يحتاجه للوصول سطوع شمس الظهيرة. حتى الوميض المؤقتة للوعي التجاوزي يكون كافياً لتبدّد ضلال الجهل، بالرغم من الوقت الذي يحتاج لكسب التنوير الكامل في وعي الله، حيث يعبر الفرد كلّ الشرّ بمركب المعرفة. هذا ما يعطي الأمل إلى الإنسان الذي قد تكون حياته مليئة بعمل السوء.

تولد الخطيئة خشونة في الجهاز العصبي، ما يمنعه عن العمل بشكل عادي ويعرقل قدرته على بعث الوعي الصافي. تمنع هذه الحالة الضعيفة للجهاز العصبي الكينونة عن التأثير

المباشر على حقل النشاط

وهكذا، وبمهاجمة التركيب الطبيعي للجهاز العصبي وبالتالي منع الوعي الصافي من أن يعاش في الحياة اليومية تسبب الخطيئة الحزن والمعاناة. إن المعرفة وفي إزالة هذه الإمكانية، تستأصل في نفس الوقت كلّ إمكانية للحزن والمعاناة. توصي هذه الآية باللجوء إلى المعرفة للارتفاع فوق إمكانية الوقوع بأيّ خطيئة في الحياة وتعد بالإصلاح حتى لمن هو أكبر الخطاءة في العالم.

في حين يعد المولى في هذا الآية، بالتخلص من عبودية العمل الخاطئ من خلال المعرفة، فهو يعد في الآية التالي بالإبادة الفعلية لكلّ عمل في نار المعرفة.

الآية السابعة والثلاثون

كما تحوّل النار الملتهبة الوقود إلى رماد،
هكذا تحوّل نار المعرفة كل الأعمال إلى رماد

"المعرفة": التي بها "تُغسل عنهم خطاياهم" (الآية 30)، والتي بها "سترى كل الكائنات في ذاتك وأيضاً فيّ أنا" (الآية 35). المعرفة تعني الإدراك، الذي في طبيعته هو الوعي الصافي؛ هذه الحالة من المعرفة هي مجردة من أيّ نشاط لذلك يقول المولى بأنّ "نار المعرفة" تحوّل "كلّ الأعمال إلى رماد". عندما تصبح هذه الحالة ثابتة بشكل دائم في طبيعة العقل، يتم اختبار الذات بأنها منفصلة عن النشاط وثماره (الآية 19). هكذا تحوّل نار المعرفة، نار الوعي الكوني، "كلّ الأعمال إلى رماد". عندما تصل هذه الحالة من الوعي، حالة المعرفة، إلى إتمامها

في وعي الله، يذوّب افتراق الذات من النشاط في وحدانية الذات والنشاط هكذا في حالتها العليا تحوّل نار المعرفة أيضاً "كلّ الأعمال إلى رماد".

عندما قال المولى في الآية 33 بأنّ "كلّ عمل ... يتتوّج بالمعرفة"، شرح بأنّه عندما يتم اكتساب المعرفة تصل الأعمال إلى نهايتها – فقد أكملوا غايتهم النهائية. في هذه الحالة يرتفع الإنسان إلى حالة من الوعي بعيدة عن متناول النشاط؛ يتم انجاز النشاط كلّه، العقلي والجسدي، تحت التأثير المباشر لقوى الطبيعة، التي لا تكترث بوعي الفاعل. يجد الفاعل نفسه ثابتاً على مستوى الحياة الذي ليس له أي شيء مشترك مع حقل العمل. في هذه الحالة، يتوقّف العمل الذي يتم تأديته عن أن يكون، ويتوقّف عن إشغال وعي الفاعل. هذا ما يعنيه المولى عندما يقول "بأنّ نار المعرفة تحول كلّ الأعمال إلى رماد".

"كلّ الأعمال": هذا التعبير له معنيان؛ نوعي وكمّي، ويتضمّن أيضاً مجال الزمن؛ الماضي والحاضر والمستقبل. تصبح انطباعات الأعمال السابقة، التي تعمل كبذرة الأعمال المستقبلية، مثل البذور المحمصة، فتفقد فعاليتها. هكذا تحترق الأعمال السابقة في "نار المعرفة". أما الأعمال التي يتم تأديتها في الحاضر فتبقى على مستوى العقل والحواس؛ فهي لا تلمس أعماق العقل الراسي في الكينونة، وبالتالي لا تخلق الانطباعات العميقة ولا تخزن كالبذرة للأعمال المستقبلية. وهكذا تحترق الأعمال المنجزة في الحاضر في "نار المعرفة"، فتزيل بشكل كامل أساس الأعمال المستقبلية. هذا ما يكسر حلقة السبب والتأثير في حقل العمل؛ وبدوره يكسر حلقة الولادة والموت، ويجلب الحرية الأبديّة إلى الحياة.

الآية الثامنة والثلاثون

حقاً، لا يوجد في هذا العالم أي شيء
منقّي أكثر من المعرفة. ومن يتقن
اليوغا سيدرك ذلك مع الوقت،
بذاته وفي داخل ذاته

"لا يوجد أي شيء منقّي أكثر من المعرفة": إنّ عمل المنقي هو أولا في أن ينقّي المكونات أو المقومات المختلفة وبعد ذلك، وبعد أن حرّر المكوّنات من الشوائب، يقدم المركّب الكامل في حالته الصافية.

المعرفة هي المنقي للحياة. إنها تنقّي الحياة بمعنى أنها تحلّل الأوجه المختلفة للوجود وتميّز وتفصل الأوجه الأبديّة عن الفانية. إنها تعمل كالمصفاة لتصفي الوحل من الماء الموحل. إنّ الطبيعة الحقيقية للحياة هي وعي الغبطة المطلق؛ هذا الماء النقي للحياة كان قد تلوّث نتيجة لمزجه بنشاطات الغونات الثلاثة. هذا ما أدّى إلى إخفاء خلود الحياة خلف الأوجه الفانية والدائمة التغيّر.

يتم إدراك الحالة الصافية للكينونة بمعرفة المكوّنات النسبية والمطلقة للحياة. تصل هذه المعرفة إلى الكمال عندما يكسب العارف التآلف المثالي مع الكينونة ويصبح مدركاً بالكاملة للنشاط الأساسي للحياة، نشاط الغونات الثلاثة على أنه منفصلة عن الكينونة. يتم اكتساب التآلف المثالي مع الكينونة عندما يكسب العقل الحالة التجاوزية للوعي. هذه الحالة المطلقة للمعرفة، التي يمكن أن توصف كحالة العرفان. عندما تصبح معرفة مثالية، تصل إلى حالة المعرفان وتجلب الحياة إلى النقاوة المثالية. بهذه الطريقة تزيل المعرفة

الجهل، الذي هو الشائبة الأعظم في الحياة، وتخرج الحياة من دورة الولادة وموت ومعاناة.

إنّ الوجهة السطحية للمعرفة التعرف والتفهم؛ والطبيعة الحقيقية للمعرفة هي حالة المعرفان، حالة الوعي الصافي، أو الكينونة. بمعالجة المعرفة بهذه الطريقة، نجد بأن الوعي التجاوزي يمثّل الطبيعة الحقيقية للمعرفة. هناك مرحلة أخرى للمعرفة حيث يتعايش الوعي التجاوزي مع نشاط حالة وعي اليقظة. في هذه الحالة، عندما يصبح الوعي التجاوزي ثابت بشكل دائم في الطبيعة الحقيقية للعقل، تبدأ المراحل المطلقة والنسبية للحياة بأن تكون مدركة بشكل متزامن: فيتم اختبار الذات بأنها منفصلة عن النشاط هناك حالة أخرى من المعرفة أيضاً، والتي فيها يذوّب الانفصال بين الذات والنشاط في أحادية وعي الله، التي هي الحالة الأكثر تنقية من الحياة، خالية من أيّ لطخة للشوائب. إن مثل هذه الحياة، في النقاوة المطلقة تمثّل الحالة العليا للمعرفة، التي يقول عنها المولى: "ومن يتقن اليوغا سيدرك ذلك مع الوقت، بذاته وفي داخل ذاته".

قد يضاف على هذا أنّه فقط من خلال التأمل التجاوزي، الذي هو الطريق المباشر لكسب الوعي الصافي وأخيراً الرفع إلى وعي الله، يمكن معيشة النقاوة المطلقة في الحياة اليومية.

عندما تصبح حالة اليوغا، حالة الوعي التجاوزي، دائمة وتحافظ على ذاتها خلال كلّ النشاطات، يصل الفرد إلى حالة الوعي الكوني. إن مثل هذا التغلغل المثالي للمطلق إلى النسبية يحدث بدرجات، خلال الممارسة المنتظمة للذهب إلى المتجاوز والرجوع إلى حقل العمل في الحياة اليومية. وينتج عن التناوب المتوازن للتأمل والنشاط الإدراك الكامل، سنوضح ذلك في هذا المثال: ننقع القماش الأبيض في الصباغ الأصفر ونتركه في الصبغ الّذي سيلوّنه لمدّة بضع دقائق. ومن ثمّ نخرجه وننشره في الشمس لحين يبهت اللون. نكرّر العملية ذاتها، ونضع القماش ثانية في نور الشمس حتى يبهت اللون. بذات الطريقة، نتأمّل حولي نصف سّاعة

ونتبع ذلك بالخروج للعمل في الحياة عملية لمدة عشرة ساعات تقريباً، في ذلك الوقت نبدأ بشعور بأنّنا فقدنا تأثير التأمل الصباحي. فنتأمّل ثانية بالطّريقة ذاتها، ونترك التأثير ثانية يبهت بالخروج إلى الحياة العملية؛ نتابع في تكرار عملية كسب حالة الكينونة الكونية في التجاوز (السمادي) أثناء تأمل وفي الخروج لاستعادة الفردية في حقل الوجود النسبي. هذا ما يسمح لتغلغل الكينونة أن يكون أكثر فأكثر في طبيعة العقل حتى عندما يكون منشغلاً في النشاط من خلال الحواس.

عندما يتم تحقيق التغلغل الكامل للكينونة، يتم اكتساب حالة الوعي الكوني.

تزوّد حالة الوعي الكوني الأساس لتطوير حالة اليوغا المتقنة في وعي الله. يتطلّب تطوير الوعي الكوني إلى وعي الله بأنّ يتحوّل الافتراق الموجود بين الذات والنشاط إلى انصهار هاتين الهويتين المنفصلتين، ما يؤدّي إلى الأحادية الأبديّة لوعي الله.

يحدث هذا التحويل لحالة الافتراق استناداً إلى النشاط الأكثر نقاوة لكلّ، نشاط الولاء والتعبد إلى الله.

ومن أجل أن نحلّل الطريق الذي يؤثر فيه فعل الولاء على هذا التحويل وينتج عنه حالة الأحادية الأبديّة في وعي الله، من الضروري أن نفحص عن قرب، في حالة الوعي الكوني، كيف يتم اختبار الذات بأنها منفصل عن النشاط؛ وكيف يصبح الصمت الأبدي للوعي الذاتي التجاوزي متوافقاً مع النشاط المستمر لحالة وعي اليقظة. أولئك الذين يمارسون التأمل التجاوزي يختبرون انخفاض في عملية الأيض في أثناء التوجه الداخلي للتأمل؛ ويختبرون أن الجهاز العصبي يصل إلى حالة من اليقظة المريحة عندما يتجاوز العقل الفكر ويكسب الوعي التجاوزي. ومرة أخرى، يختبرون أن الجهاز العصبي يصبح نشيطاً عندما يشغل ذاته في نشاط

الفكر أو العمل.

لك حالة من الوعي لها حالة مطابقة في الجهاز العصبي. يقابل الوعي التجاوزي حالة معيّنة محددة من الجهاز العصبي التي تتجاوز أيّ نشاط وهي بالتالي تختلف كلياً عن تلك حالة للجهاز العصبي التي تقابل حالة وعي اليقظة.

الآن، ومن أجل أن يصبح الوعي التجاوزي دائماً ويتعايش مع حالة وعي اليقظة، من الضروري أن تتعايش الحالتان في الجهاز العصبي المتقابلتان لحالتي الوعي. هذا ما سيحدث باكتساب العقل بشكل متناوب الوعي التجاوزي وحالة وعي اليقظة، ويتنقل من حالة إلى أخرى. هذه الثقافة التدريجية والمنهجية للجهاز العصبي المادي تخلق حالة فسيولوجية تتواجد فيها الحالتان من الوعي سوية وبشكل آني. من المعروف جداً أنه يوجد في الجهاز العصبي العديد من المستويات المستقلة ذاتياً في وظيفتها، ومن بينها يتواجد نظام التنسيق أيضاً. في حالة الوعي الكوني، هناك مستويان مختلفان من التنظيم في وظيفة الجهاز العصبي بشكل آني في حين يحافظان على هويّاتهما المنفصلة. استناداً على هذا الافتراق التشريحي للوظيفة، يصبح ممكناً للوعي التجاوزي أن يتعايش في حالات وعي اليقظة والحلم والنوم.

في المراحل المبكّرة لممارسة التأمل التجاوزي، لا يمكن لهذين المستويين لوظيفة الجهاز العصبي أن يظهرا في الوقت نفسه؛ تمنع الوظيفة الأولى الوظيفة الأخرى. لهذا السبب، وفي هذه المرحلة، يتم اختبار أمّا الوعي التجاوزي أو حالة وعي اليقظة. ومع ممارسة العقل في المرور من وظيفة إلى أخرى تتغلّب على هذا المنع الفسيولوجي بشكل تدريجي، ويبدأ المستويان بالعمل بشكل مثالي في الوقت نفسه، من دون منع بعضهما البعض ومع الحفاظ على هويّاتهما المنفصلة. إنّ وظيفة كلّ منها هي مستقلة عن الأخرى، ولهذا تقابل هذه الحالة للجهاز العصبي الوعي الكوني، الذي فيه يتواجد الوعي الذاتي منفصلاً عن النشاط. ويتم

اختبار الصمت مع النشاط وأيضاً منفصلاً عنه.

لكي يطوّر الوعي الكوني إلى وعي الله، من الضّروري أن يثقّف الجهاز العصبي إلى حد أبعد لكي يعمل هذان المستويان، اللذان يشتغلان بشكل مستقل، بأسلوب متكامل. هذا ما سوف يسبّب حالة من الوعي يكون فيها الإحساس الافتراق بين الذات والنشاط متلاشياً، وهذه الثنائية التي تشكّل الوعي الكوني تصنف ضمن أحادية وعي الله.

هذا التكامل من الوظائف في المستوى الفسيولوجي يأتي من النشاط العقلي بالنقاء الأقصى. ولكي نحدّد النشاط لهذه النوعية، يجب أن نحلّل المدى الكامل للنشاط إنّ نشاط أعضاء العمل هو الأكثر سطحي، ونشاط حواس الإدراك هو أكثر دقة، والنشاط العقلي للفكر أدق منه، ونشاط الشعور والعاطفة الأدق أكثر من الكلّ. يمكن للفرد أن يصنّف مستويات مختلفة أكثر من النوعية في النشاط العاطفي، مثل الغضب والخوف واليأس والسعادة والوقار والخدمة والحبّ.

يشتمل نشاط الولاء على مشاعر الخدمة والوقار والحبّ، التي هي النوعيات المرهفة أكثر من الشعور. إنه خلال نشاط الولاء يتطوّر الوعي الكوني إلى وعي الله.

عندما يتعرض الجهاز العصبي بشكل ثابت إلى هذا النشاط الأكثر صفاءً للولاء، يحدث التكامل الفسيولوجي للوظائف التي تم وصفها. وإنها الحالة الدائمة لهذا الوضع للجهاز العصبي الذي يمكّن الإنسان أن يعيش وعي الله في حياته اليومية؛ يتصرّف في الوسط كلّ أنواع الظروف، مكملاً غاية الحياة الكونية، إنه يحمل شمولية الوجود في داخل ذاته ويتحرّك في أحادية الله.

وهكذا يكون من الواضح أن تطوّر وعي الله، الذي يمثّل الحالة العليا للمعرفة، هو ضروري

لتثقيف الجهاز العصبي المادي. هذا ما يتطلّب ممارسة منتظمة وثابتة، والتي من الواضح تحتاج لمدة من الوقت. لهذا يقول المولى "سيدرك ذلك مع الوقت ".

"في داخل ذاته": بهذا التعبير، يتمنّى المولى أنّ يتم فهمه بشكل واضح بأنّ الحالة العليا للمعرفة لا تكتسب من الخارج. فهي تكتسب في داخل الذات، عندما يعيش الفرد لبعض الوقت في الحالة المتقنة لليوغا في وعي الله. إنّ عنصر الوقت يشير هنا بأنّ أثناء المراحل المبكّرة لوعي الله تكون الحياة ممتلئة بمثل هذا الاختبار الغامر للأحادية في التنويع الذي يعيش فيه الفرد بضياع تام. لكن،و بشكل تدريجي ومع مرور الوقت، يبدأ الفرد بإدراك هذه الأحادية من ناحية الأشياء والنشاطات الأخرى في العالم. عندئذ، يكون الفرد قد أدرك الله، امتلك معرفة الله. وهكذا يصبح واضحاً لماذا يتكلّم المولى عن ضرورة الوقت في كسب المعرفة العليا.

الآية التاسعة والثلاثون

يكسب المعرفة مَن يمتلك الإيمان،
ومَن يعمل لغاية معينة، ومَن يسيطر
على الحواس. وباكتساب المعرفة
يصل سريعاً إلى السلام الأسمى

"المعرفة": وعي الأحادية في وسط تنويع الحياة. عندما يصبح هذا الوعي كاملاً، يمكن أن يقال عنه بأنه وعي الله.

للارتفاع من حالة وعي اليقظة إلى وعي الله، يجب أن يعبر الفرد حالات الوعي التجاوزي والوعي الكوني. في تسلسل التطور، تقود حالة واحدة إلى الأخرى وبالترتيب من اليقظة إلى التجاوزي إلى الكوني وإلى وعي الله. إنها تبدو مختلفة الواحدة عن الأخرى، مثل النظارات بالألوان المختلفة، ومن خلالها يبدو المنظر الواحد مختلفاً. عندما يتم إدراك الغرض الواحد في الحالات المختلفة من الوعي، يتم إدراك قيمه بشكل مختلف. يتم إدراك الحياة بشكل مختلف في كلّ مستوى مختلف من الوعي.

بينما يمرّ العقل عبر كلّ هذه الحالات، يجب أن يمرّ بالاختبارات الجديدة المختلفة التي، في غياب الإيمان، يمكن أن يكون بسهولة إساءة فهمها في أي خطوة. لهذا السبب يسمّي المولى الإيمان كمطلب رئيسي للمعرفة.

هناك ثلاثة حقول للإيمان: الإيمان في ذات، والإيمان في المعلّم والإيمان في الله. إن الإيمان في الذات هو ضروري كي لا يبدأ الفرد في الشكّ في اختباره الخاص. والإيمان في المعلّم يمكّن الفرد لقبول أساسيات التعاليم؛ إذا تم رفض، في غياب الإيمان، المبادئ الأساسية للتعليم، لا يمكن للفرد أن يستخلص أيّة منفعة منها ولا يحقّق من حقيقتها، نظراً إلى أن حقيقة التعاليم يمكن التحقّق منها فقط بواسطة الاختبار الشخصي الذي تنشأ عن الممارسة المعطاة من قبل المعلّم. أما الإيمان في الله يحمي قلب الإنسان وعقله ويضمن ذلك التقدّم الثابت الذي هو مهم جداً في حياة الباحث.

يؤمن الإيمان مرساة الحياة، ليس فقط لباحث عن الحقيقة ولكن لأيّ إنسان. إنه مطلوب لأيّ إنجاز في الحياة؛ وللإنجاز الأكبر يكون مطلوباً بقدر أكبر؛ وللاكتمال الأعلى في وعي الله، يكون الإيمان الأعظم هو المطلوب.

إن التأمل هو العملية التي تعطي تجاذباً متزايداً في كلّ خطوة في الطّريق إلى التجاوز. يسبّب اختبار هذا التجاذب بنمو الإيمان. علاوة على ذلك، تجلب الممارسة المنتظمة للتأمل البركات العظيمة للانسجام والبهجة إلى الحياة؛ هذا ما يساعد أيضاً القلب والعقل على النمو بالإيمان ويبقي الإنسان " يعمل لغاية معينة" على الطريق إلى التنوير، وبذلك يكتسب الاستقرار في الطّريق. يصبح نشاط الحواس متوازناً وطبيعياً أيضاً. هكذا، وعندما يبدأ إنسان ممارسة التأمل التجاوزي، يكون قد أكمل الظروف الضرورية للتنوير.

إنّ الشعاع الأول للشمس المشرقة يكفي ليبدّد ظلام الليل، ورغم ذلك تحتاج الشمس لبعض الوقت كي تشرق بالكامل. خلال التأمل، يصل العقل إلى الوعي التجاوزي بسرعة ويتنور بالشعاع الأول للقدسي؛ رغم ذلك وللسماح لهذا الوعي القدسي التجاوزي في الإشراق في كلّ الظروف، خلال اليقظة والحلم والنوم بلا أحلام، تكون الممارسة المنتظمة للتأمل ضرورية جداً.

يأخذ التأمل العقل إلى الوعي الذاتي التجاوزي، ويؤدي النشاط الطبيعي والمتوازن إلى تغلغل الطبيعة القدسية التجاوزية في العقل، حيث لا يمكن فقدها حتى عندما يكون العقل منشغلاً في حقل النشاط بهذه الطريقة، ينمو الوعي الذاتي إلى الوعي الكوني –أتمانانندا إلى براهمانانندا، سافيكالبا سمادي إلى نيرفيكالبا –وفي النهاية هذه الحالة من اليوغا، الوعي الكوني، تصل إلى اكتمالها في وعي الله؛ ويصل الشعاع الأول لتنوير مجده الكامل.

تشدّد هذا الآية على الحاجة للإنسان في أن "يعمل لغاية معينة" وأن يملك نشاطاً متوازناً طبيعياً للحواس والعقل بالإضافة إلى الإيمان. تساعد كلّ هذه الأمر، متجمعة بانسجام، على إنتاج الولاء، تلك الصفة الأعلى في الباحث التي فيها ينجز المرحلة النهائية من تطوره. بأخذ كل هذه الأمور سوية يتم خلق حالة لكشف الحقيقة العليا في طبيعتها الشاملة، فيرفع المنزلة المحدودة للفرد إلى المنزلة غير المحدودة للوعي الكوني، وفي النهاية إلى تلك

الأحادية للحياة في وعي الله التي ترضي العقل والقلب إلى الأبد. وبعد أن يتم كسب ذلك، يكسب الإنسان المعرفة مع مرور الزمن، الذي من خلاله يصبح متحرراً من أيّ شكّ أو ضلال، هذه هي حالة "السلام الأسمى" حيث يرتاح القلب في القناعة الأبديّة والعقل ممتلئ لأحادية الحياة، حيث أنّ هناك لا أثر للثنائية وبالتالي يكون السلام دائماً.

الآية الأربعون

ولكن الإنسان الذي لا يملك المعرفة،
ولا يؤمن، ومشكّك في طبيعته، سيهلك
لأن العقل المشكّك ليس له سعادة في
هذا العالم ولا في العالم الذي يليه.

إنّ تسلسل العبارات هو مهم جداً في إعطاء النظرة العميقة في التعاليم.إن قلة المعرفة هي أساس قلقة الإيمان، التي هي بدورها أساس "المشكّك في طبيعته". لذلك إن قلة المعرفة، أو حالة الجهل، هي التي في جذور كلّ الفشل في التقدّم المادي والتطوّر الروحي. الجهل هو مصدر كلّ ضعف ومعاناة في الحياة. إن التعاليم تفرض على الفرد أن ينزع الجهل ويرتفع إلى حالة المعرفة لكي يربح كلّ السعادة ويتقدّم في هذا العالم وفيما بعد.

نظراً لما قيل حول الآية السابق، إن أهمية هذا الآية هي واضحة. لكن يجب على الفرد أن يتذكّر بأنّه الجاهل هو الذي يصبح متنوراً، لأن التأمل هو عملية تكشف الحقيقة إلى الجاهل. قد يضاف شيئاً واحداً هنا: لا يمكن أن يكون الإنسان أبداً مجرداً من الإيمان بالكامل وممتلئاً بالشكّ

تماماً، ولا يمكن أن يكون الإنسان جاهلاً كلياً للحقيقة. علاوة على ذلك، إن ممارسة التأمل التجاوزي تلك، يمكن أن تبدأ من أي مستوى للإيمان عند الإنسان، لأنها تجلب الإيمان إلى الكافر وتبدّد الشكوك في عقول المشكّكين بتزويدهم بالاختبار المباشر للحقيقة.

تطلبت الآية السابقة الإيمان من أجل كسب المعرفة. وتقول هذا الآية بأن قلة الإيمان هي نتيجة للجهل. يضع هذا التناقض الظاهر الأساس للمبدأ بأنّ الإيمان والمعرفة تعتمد على بعضهما البعض من المرحلة البدائية إلى المرحلة المتقدّمة جداً، تستمد كل واحدة إلهاماً من الأخرى وفي نفس الوقت تساعد الآخر على النمو.

الآية الواحدة والأربعون

إن من تخلّى عن العمل بفضل اليوغا،

يا ظافر بالثروة، ومن تبدّدت شكوكه بالمعرفة،

ومن امتلك الذات، هو غير مقيّد بأعماله

"إن من تخلّى عن العمل بفضل اليوغا": مَن يرى في العمل عدم العمل (18)؛ مَن يكون في كل تعهد متحرّراً من الرغبة (19)؛ بالتخلي عن التعلّق بثمار العمل (20)؛ من لا يتوقع شيئاً (21)؛ مقتنعٌ بما يأتيه، لا يسأل (22)؛ إن من تحررّ من التعلّق ، متحرر ... تكون أعماله متحلّلة كليا (23).

تعني كلمة يوغا هنا الكارما يوغا. عندما يبدأ الفرد، بممارسة الكارما يوغا – ممارسة التأمل التجاوزي المكملة بالنشاط – في عيش الكينونة سوية مع النشاط، ويختبرها منفصل عن النشاط، يدعى هذه الاختبار لافتراق ذات الفرد عن النشاط بالزهد. هكذا يتم اكتساب الزهد بشكل آلي من خلال ممارسة اليوغا. قد نلاحظ بأنّ هذه الحالة من الزهد هي غير محدّدة بالمستوى العقلي للتفكير أو المستوى الفكري للفهم: إنها على مستوى الكينونة، على مستوى حياة بذاتها. إنها حقيقة حيّة للإنسان المدرك في الوعي الكوني.

"من تبدّدت شكوكه بالمعرفة": 'هو حكيم بين البشر ... هو موحّد (18)؛ من يحرق أعماله بنار المعرفة (19)؛ مطمئن دوماً (20)؛ قلبه وعقله مهذبان (21)؛ متوازنٌ في النجاح والفشل (22)؛ عقله مثبّت بالحكمة (23)؛ هكذا تحوّل نار المعرفة كل الأعمال إلى رماد (37).

بعد أن صرّح بأنّ الزهد يتحقق من خلال ممارسة الكارما يوغا، يوضّح المولى هنا نقطة عملية جداً على طريق التنوير. مع تتقدّم ممارسة الكارما يوغا، يبدأ الفرد بالشعور أن ذاته منفصلة عن النشاط يجلب هذا الاختبار معه الشعور بالإرباك يجد الفرد نفسه فاعلاً في حين يشعر داخلياً أنه منعزل عن النشاط تبدأ الشكوك في الظهور في العقل، ويبدأ الفكر في البحث عن بعض التفسير للحالة. إن الفهم الصحيح حول الحقيقة النهائية متوفر في تعاليم الآيات الأربعون السابقة؛ عندما يبلغ الإنسان الوعي الكوني، وبمعرفته أن الكينونة هي مستقلة ومنفصلة عن النشاط، يتأكد بأنّ اختباره صحيحاً. هي هذه المعرفة التي تزيل كلّ الشكّ حول طبيعة

الحقيقة. من دون الفهم صحيح، حتى الاختبار المباشرة للحرية الأبديّة قد يخلق الإرباك والخوف. إنّ مجد المعرفة ممجد هنا.

"من امتلك الذات": هذا يقال عنه "من تخلّى عن العمل بفضل اليوغا " و "من تبدّدت شكوكه بالمعرفة". شخص ما يختبر ذاته غير متورطة بالنشاط لكنه لا يفهم بوضوح هذا الاختبار، يبقى مربكاً به؛ في هذه الحالة يخفق في عيش الكينونة بالكامل، ويخفق في امتلاك الذات في مجدها الكامل ونعمتها. "من امتلك الذات" تشير إلى الثبات في الذات إلى الأبد، حالة الوعي الكوني. مثل هذا الإنسان يقول عنه المولى: "هو غير مقيّد بأعماله"؛ لأنه لم يعد متورط بالأعمال، يتوقّف عن ربط ذاته بنشاطه. لقد ربط ذاته بالكينونة الأبدية، لقد "امتلك الذات"

لقد تم شرح المعاني المختلفة للتعبير "امتلك الذات" في الآيات السابقة من هذا الفصل: قد حقّق كل عمل (18)؛ هو مَن يدعوه عارفي الحقيقة بالحكيم (19)؛ لا يعتمد على شيء (20)؛ يقوم بعمله بواسطة الجسم فقط (21)؛ متوازنٌ في النجاح والفشل (22)؛ يعمل من أجل اليغيا (23)

الآية الثانية والأربعون

لذلك، وبعد أن تقطع إرباً بسيف
المعرفة هذا الشكّ المولود من الجهل
والمغروس في قلبك، وباعتمادك

اليوغا سبيلاً، تأهّب للقتال يا بْهاراتا

إنّ حالة الأحادية هي كاملة حتى في الوعي التجاوزي. لكنّها لا تعتبر حالة متقدمة للأحادية ما لم يصبح الوعي التجاوزي دائماً في حالة الوعي الكوني. هكذا نجد أن الأحادية المكتسبة في حالة الوعي التجاوزي تصل إلى مرحلة متقدمة في الوعي الكوني، الذي بدوره يجد الاكتمال في وعي الله.

تعني 'اليوغا' هنا أيضاً الكارما يوغا، التي تتطلّب من الإنسان أن يكسب الوعي التجاوزي وينشغل في النشاط عندما يبدأ باختبار السمادي، حالة اليوغا. لا يحتاج بأن يقوم بأي شيء آخر للتنوير الكامل – للوعي الكوني، أو جيفان موكتي – باستثناء الممارسة منتظمة للسمادي، والتناوب مع النشاط الطبيعي في الحياة العملية. لهذا السبب يحثّ المولى أرْجونا إلى "اعتمادك اليوغا سبيلاً"، من أجل اكتساب الوعي التجاوزي وينشغل في النشاط هذا، كما يقول، سيحرّر أرْجونا من كلّ الشكوك يطمئنه المولى بأن كلّ البؤس هو بسبب جهل حالة الافتراق للكينونة عن النشاط

"سيف المعرفة": كما يكون حد السيف القاطع قادراً على قطع كل ما يعترض سبيله، كذلك هي حالة المعرفة، إن إدراك الكينونة بأنها منفصلة عن النشاط، يقطع إرباً كلّ الشكوك حول الطبيعة الحقيقية للحياة والنشاط إلى أن تشرق هذه المعرفة، من المؤكد أن تبقى الشكوك. إن كلّ الشكوك هي بسبب "جهل" هذه الحقيقة، يقول المولى.

"المولود من الجهل والمغروس في قلبك": إن الشكّ ولد من الجهل يجب أن ينتمي إلى العقل، لكن المولى يقول: "المغروس في قلبك". يهتم القلب بالاختبار والعقل بالفهم. عندما يتكلّم المولى عن الشكّ بأنه "المغروس في قلبك"، يقصد أنّه وبالرغم من أنّ الشكّ هو في العقل،

لكن جذوره في القلب، الذي هو خالٍ من اختبار الكينونة واختبار الكينونة بأنها منفصلة عن النشاط

تقول التعاليم بأنّه من الضروري اختبار الكينونة وفهم الانفصال الكينونة عن النشاط بشكل واضح؛ وبالتالي يجب على المتنور أن يقوم بواجبه.

يتوجب التشديد بأنّ حالة الزهد لا تخلو من الكارما يوغا أو من السانكهيا. إنها الحالة التي تتطوّر في كل من الطريقين. سواء كان الفرد يتبع الكارما يوغا، ممارسة التأمل التجاوزي المكملة بالنشاط الطبيعي، أو يتبع طريق السانكهيا، ممارسة التأمل التجاوزي المكملة بالنشاط العقلي للتمعّن، من المؤكد أن يصل الفرد إلى اختبار حالة الزهد.

هذا هو جوهر التعاليم لهذا الفصل: انزع كلّ الشكوك حول الحقيقة بواسطة معرفة السانكهيا، واشغل ذاتك في ممارسة الكارما يوغا.

هكذا، في أوبانيشاد البهاغافاد غيتا المجيدة،
وفي علم المطلق، وفي نصوص اليوغا،
وفي الحوار بين المولى كريشنا وأرْجونا،
ينتهي الفصل الرابع، بعنوان:
يوغا معرفة الزهد في العمل.

الفصل الخامس

نظرة على التعاليم في الفصل الخامس

الآيات 1–3. يكتسب التحرر من خلال العمل والزهد ؛ لكن طريق العمل هو متفوّق، بالرغم من أنّ الزهد يجلب التحرر من العبودية بسهولة.

الآيات 4–10. لا تعتبر الطريقان منفصلان من قبل الحكماء. يرى مدركي الحقيقة الطريقين كأنهما واحد؛ إن الزهد هو صعب المنال من دون التوحد بالقدسي، الذي يجلب أيضاً الحرية من عبودية العمل.

الآيات 11–13. يؤدّي الإنسان الثابت في التوحيد بالقدسي الأعمال على مستويات الحواس والعقل والفكر لتنقية الذات. وببقائه في الغبطة في داخل ذاته، يكون غير متورط بالعمل وثماره.

الآيات 14–16. في الواقع، لا يعود تأليف العمل إلى الفاعل. يتم تأدية كلّ الأعمال بقوة الطبيعة. في ظل فترة الجهل، يفترض الفاعل بأنه هو من قام بالعمل ويصبح مقيد بثماره. تجلب المعرفة نور الحقيقة وتبدّد ظلام الجهل.

الآيات 17–21. في ثباته بالمعرفة، ونقائه الكلية، وفي تلك الحالة من الرصانة العميقة، يعيش الإنسان الحرية الأبديّة في الغبطة الدائمة للتوحيد القدسي.

الآيات 22 و23. إنّ بهجة الحواس هي مصادر الحزن؛ الإنسان المتنور لا يبتهج بها. إن القدرة على مقاومة حماس الرغبة والغضب هو معيار الإنسان الموحد.

الآية 24. مسرور في الذات، ومتحرر من الرغبة والغضب، يجد إنسان الحرية الدائمة في الوعي الكوني ويرتفع للسلام الأبدي في وعي الله.

الآيات 25–29. يتضمن مبدأ الزهد العلو ذاته إذا تم تحقيق الكمال البشري كما هو بطريق العمل.

ملخص سريع

في فصل الثاني أنار المولى كريشنا أرْجونا على فهم السانكهيا واليوغا لكي تتضح له الصورة حول الأوجه الفانية والأوجه الخالدة للحياة وبذلك، ينتزع عنه الجهل حول طبيعة الحياة وعلاقتها بحقل العمل، ويدرك طبيعته القدسية الحقيقية في الحرية الأبديّة.

لقد خلقت كلمات إلهام المولى في عقل أرجونا حافزاً لإتّباعها. كشف الفصل الثالث ممارسة الكارما يوغا. والعمل في حالة التوحيد مع القدسي، أو العمل من أجل جعل هذا التوحيد القدسي دائماً، وبالتالي رفع كرامة كل من الفاعل والفعل.

بمواصلة التعاليم في الفصل الرابع، أعطى المولى كريشنا إلى أرْجونا الفهم العميق عن علاقة الذات الفردية مع حقل العمل، يوضح له حالة الافتراق التي تتواجد بشكل طبيعي بين الكينونة الداخلية والمرحلة الخارجية للحياة في النشاط هذا ما يعطيه البصيرة لحقيقة الحياة والنشاط، وكشفت له بأنّ الكينونة الداخلية هي مستقلة بالكامل عن العمل. وبذلك أدرك أرجونا بأنّ النشاط لا يعود إلى ما هو جوهري في حياة – الكينونة في الحرية الأبديّة.

الفصل الرابع قد دعي "يوغا معرفة الزهد في العمل". إنّ العنوان هو هامّ جداً. يخبرنا بأنّه طبقاً لهذه التعاليم يتم اكتساب اليوغا، أو التوحيد، من خلال معرفة الزهد، ومن خلال معرفة الذات بأنها منفصلة بالكامل عن النشاط يضع الأسس بأنّ حالة الزهد هي طبيعية على المستويين للحياة الكونية والفردية؛ على مستوى الكوني يبقى الله غير متورط بنشاطات الخليقة والتطور؛ أما على مستوى الحياة الفردية، فتبقى الذات غير متورطة بالنشاط إن الحالة الطبيعية للزهد هي القاعدة الحقيقية لكلّ الحياة، ومعرفتها بشكل صحيح يجلب الحرية من العبودية. هذه هي التعاليم الأساسية للفصل الرابع.

قد يبدو بأنّ الفصل الرابع كان يتحدّى مذهب الكارما يوغا الذي تم تعليمه في الفصل الثالث. لكن في الحقيقة إنه ليس كذلك لذا. لو أعلن هذا الفصل عن التنوير من خلال الزهد في العمل، لأمكن أن يكون بذلك على نقيض لمبدأ الكارما اليوغا. لكنّه يعلن عن التنوير من خلال معرفة الزهد في العمل. هذا ما يوضح بأنّ مبدأ الزهد هو الذي يتوجب فهمه فقط؛ وليس ممارسته. إنّ حالة الزهد تنتج من خلال الكارما يوغا (الفصل الرابع، 41)؛ لا يوجد هناك طريق لممارسة الزهد. يتم تمجيد معرفة الزهد هنا، وليس ممارسة الزهد.

عندما نصرّح بأنّه لا يجب ممارسة الزهد نحن ندرك لطريقة التنسك في الحياة. لكن الزهد المتنسك هو الزهد للأشياء الخارجية وله علاقة بطريقة معيّن من الحياة فقط؛ فهو ليس بطريق بحد ذاته للوصول إلى الله. إنها ليست ممارسة الزهد ما هو مطلوب، بل إنها معرفة الذهد هي التي تساعد في الطّريق إلى الله.

إنّ معرفة الزهد كما تم شرحها في الفصل الرابع هي ضرورية لأولئك الذين هم على طريق كارما يوغا أيضا لأولئك الذين هم على طريق السانكهيا. يتم اختبار حالة الزهد على كلا الطريقين، وما لم يكون الفكر واضحاً حول أهمية هذا الاختبار، ستبقى الشكوك وستعرقل أي تقدّم.

تبدأ كل من الكارما يوغا والسانكهيا على الأرضية المشتركة للتأمل التجاوزي. هذا يقودنا مباشرة إلى الوعي الذاتي التجاوزي، حيث يتم التخلي عن الحقل الأكثر صفاء للفكر وتقف الذات وحدها في حالتها الصافية للوجود (الآية 2). هذه هي حالة الزهد الكامل، لكنّ يتم الوصول إليها فقط في أثناء التأمل؛ وليس دائماً. خلال الممارسة المنتظمة والمستمرة للتأمل، ومع التناوب مع النشاط – النشاط العقلي على طريق السانكهيا ونشاط المادي على طريق الكارما يوغا – يتطوّر الوعي الذاتي التجاوزي إلى الوعي الكوني، في حين يختبر الفرد الذات بأنها منفصلة عن النشاط ويعيش الحالة الطبيعية للزهد في الحياة اليومية. وتصبح حالة الزهد دائمة. تتطوّر هذه الحالة للوعي الكوني أكثر فيتحلل الافتراق بين الذات والنشاط، الذي قدّم الحالة الكاملة من الزهد، بالوحدة النهائية لوعي الله. تبدو هذه الحالة التي يتحلل فيها هذا الافتراق بأنها خلف نطاق الزهد، لكنّها، في الحقيقة، هي الزهد في كماله المثالي. ولا يبقى شيء الآن ما عدا الحياة الصافية. يظهر الفصل الرابع مبدأ الزهد في كلّ هذه الحالات؛ الوعي التجاوزي والوعي الكوني ووعي الله.

إن المعرفة المعطاة في ذلك الفصل قد أغنت التعليمات حول طرق السانكهيا والكارما يوغا التي تم إعطائها في الفصلين الثاني والثالث. لقد وضع بشكل صامت أسس حالة الزهد كأرضية مشتركة، ومعلم مشترك والهدف المشترك على كلا الطريقين. ويأخذ الفصل الخامس فائدة المعرفة المعطاة في الفصل الرابع، فيضع السانكهيا والكارما يوغا سوية بشكل واضح ، ويقدّمهما على أنهما مفيدان على حد سواء في جلب التحرر الأبدي في وسط كلّ نشاط

إنه يضع أسس فلسفة اليوغا، أو الإتحاد القدسي، خلال الزهد في العمل. هذه ما قد نتوقّعه مناقضاً لفلسفة اليوغا من خلال العمل، الكارما يوغا. لكن موضوع المولى هو رائع جداً بحيث، بعيدا من العرض لأيّ إحساس

بالتناقض مع الكارما يوغا، ينجح الفصل في إعطاء صورة الكارما يوغا وسانكهيا معاً. إنه يضعهما بشكل مجيد، على ذات المستوى للزهد، وبإظهار المبدأين لهاذين الطريقين اللذان ستكونان في تقارب، يستعملهما سوية ليطوّر فلسفة جديدة من اليوغا؛ يوغا الزهد.

إن الزهد بحد ذاته هو بوضوح حالة من الخسارة. وهكذا يوغا الزهد تعني يوغا الخسارة: التوحيد من خلال الخسارة. إنه مجد حديث المولى بأن تصبح الخسارة وسيلة للكمال – يتقدّم الزهد لإنقاذ الحياة وجلب الاكتمال إليها.

من دون فلسفة الزهد، ستبقى فلسفة العمل ناقصة دوماً، لأن الزهد في العمل يكمن في النهاية المعاكسة إلى أداء العمل. كما يتقابل الافتراق مع الإتحاد، كذلك يتقابل الزهد مع يوغا العمل. وما لم يتم أخذ هذه النهايتين؛ الإتحاد والزهد في الحسبان ، ستكون الفلسفة ناقصة.

إن فلسفة الزهد ليست مكمّلة لفلسفة العمل بشكل مجرّد، وليست هي فقط جزء أساسي من تلك الفلسفة. لكن يمكن اعتبارها حقاً بأنها فلسفة العمل الكاملة بحد ذاتها. إنّ فلسفة الزهد هي كاملة جداً بحيث أنها، وببقائها بصرامة ضمن حدود الزهد ومن دون الحاجة لمناقشة حقل العمل مطلقاً، قادرة على تأييد فلسفة العمل. يمكن أن توضّح الفلسفة الكاملة لكارما يوغا من خلال هذه الفلسفة للزهد، لأن قاعدة الكارما يوغا هي الوعي التجاوزي. وبما أن الطريق إلى الوعي التجاوزي هي من خلال انسحاب العقل من الحقل الاختبار الخارجي، لا يهمّ سواء ناقشنا عملية كسب الوعي التجاوزي من ناحية النشاط في الاتجاه إلى التجاوزي أو من ناحية النشاط بعيداً عن حقل الاختبار الخارجي. الناحية الأولى تعبر عن المبدأ من ناحية الكارما يوغا، والناحية الثانية من ناحية الزهد. لكن يجب أن لا يتغاضى الفرد عن الحقيقة بأنّ الزهد لا يقدم أيّ ممارسة. ستوجد الوجهة العملية لفلسفة الزهد في تقنيات السانكهيا والكارما يوغا. لا يؤمن مذهب الزهد ممارسة مستقلة، ولذلك إن الزهد ليس بطريق في حد ذاته – إنه يقدّم نظرية مستندة على ممارسات الطرق الأخرى.

أظهر مبدأ العمل في الفصل الثّالث، ومعرفة الزهد في الفصل الرّابع، يشرح الفصل الخامس التوافق بين هذين الاثنين. والمعجزة هي بأنّها تفعل ذلك من وجهة نظر الزهد، التي هي مجرّدة، وليس من وجهة نظر العمل، التي هي ملموسة. فيما ندمج طرفي العمل والزهد، نحن ندمج الطريقين المختلفين من اليوغا وسانكهيا، وبذلك يعطي التعبير إلى الفلسفة الكاملة للحياة المتكاملة. هاهو النداء إلى كلّ إنسان: تعال من أي طريق كان، والتحرر سيكون لك

هذا الذي يجعل البهاغافاد غيتا الكتاب المقدّس للإتحاد القدسي. إنه يعلن بسهولة عن كل من يوغا العمل ويوغا الزهد في العمل. هذا هو كمال الحديث من شفاه يوغيشفارا، كريشنا، سيد ممارسي يوغا في كلّ زمن.

يتم تنسيق التناقضات الأكثر تطرفاً ويتم توحيدها في هذا الفصل. إنه يقدّم حالة الحرية الأبديّة في الوعي القدسي على مستوى العمل المستند على الزهد. علاوة على ذلك، يضع أسس الحاجة لكسب الوعي القدسي من أجل النشاط الناجح في الحياة اليومية، وفي ذات الوقت يؤكّد الحاجة للنشاط من أجل كسب الوعي القدسي. وبجلب الانسجام إلى الوجهتين المادية والروحية للحياة، يفتح الطريق إلى النجاح وإلى الخلاص للإنسان، سواء كان رب البيت أو الناسك، وفي أيّ عصر. إنه يمكن أيّ إنسان على تمجيد عالمه بنور القدسي – وأيضا للوصول إلى الحرية القدسية بطريقة طبيعية جداً من خلال النشاط اليومي للحياة.

إن الحكمة التي لا تنضب هي متضمنة في الآيات التسعة والعشرون لهذا الفصل. يقف هذا الفصل كالمشعل، ليس فقط لأولئك البأساء والمربكون، لكن أيضاً للباحثين، وحتى لأولئك الذين تقدّموا جداً على الطريق.

آيات الفصل الخامس

١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧	١٨
١٩	٢٠	٢١	٢٢	٢٣	٢٤	٢٥	٢٦	٢٧	٢٨	٢٩							

الآية الأولى

قال أرْجونا:

أنت تشدّد يا سيد كْريشْنا على
الزهد في العمل وعلى يوغا
العمل في الوقت نفسه.
أخبرني حقاً أيهما الأفضل؟

هاهو البرهان لما قاله المولى: "حتى الحكماء يشعرون بالإرباك" حول مشكلة العمل وعدم العمل. خلال الكلام كله وحتى الآن، يظهر أرْجونا نفسه بأنه حكيم، في كونه يمتلك البصيرة العظيمة ويمتلك معرفة الدهارما. ولكن لا ينوي أن يقوم بالعمل إلى أن يتأكّد من كلّ نتائج عمله.

هذا هو السؤال الثالث، وبالروح ذاتها، الذي سأله أرْجونا عن العمل الأفضل لإتّباعه من أجل منفعته الخاصة ومن أجل الآخرين. تنشأ هذه الأسئلة المتكرّرة عن رغبته المخلصة لمعرفة الحقيقة؛ إنها تتوافق مع الشخصية التي تتصرف من دون عيب، وتنبع بشكل طبيعي من حالة الفرد الذي يبحث عن الحقيقة والذي اسلم نفسه إلى المعلم.

لولا أسئلة أرْجونا، لما أمكن كشف الحكمة العظيمة في هذا الفصل والفصول القادمة، وما كان ممكناً لحديث المولى أن يكون كامل. لهذا السبب سيكون أولئك المريدون للحقيقة مدينون دائماً إلى أرْجونا. لقد غاب عن المفسرين الذين صوّروا الحديث بشكل مربك فهمه بعمق. يسأل

أرْجونا أسئلة عميقة مراراً وتكراراً، لأنه رجل عملي صاحب ذكاء فائق، ولأنه لا يرغب بأن يسلم جدلاً بأيّ شيء. يريد كلّ التفصيل للخطة المقدمة من المولى، لأنه يعرف بأنّ أيّ خطأً صغير من ناحيته سيضرّ في أقدار العديد من الأجيال القادمة.

لقد قال المولى: "لا يمكن إدراك مجال العمل" عندما تكون طبيعة العمل على هذا الشكل، يمكن أن يكون هناك عيوب غير معدودة في أيّ شرح عنها، ويمكن أن يكون هناك عدداً غير محدود من وجهات النظر حول كل حالة بمفردها. لهذا السبب، ومن أجل حلّ لغز العمل إلى الأبد، قال المولى لأرْجونا: "أنا سأشرح لك ذلك العمل الذي بمعرفتك به سوف تتحرر من كل شرّ. ومن ثمّ تابع شرحه لتلك الحكمة الأبديّة التي تقدّم الحلّ إلى كلّ مشاكل العمل والسلوك لكلّ البشر في كلّ العصور.

يؤيد المولى أداء العمل من ذلك المستوى من الحياة حيث يكون العقل ثابتاً في حالة من الحرية. يمكن أن نعيش هذه الحالة بسهولة، ولكن وصفها بكلمات وبشكل كافي هو صعب. لهذا السبب طلب المولى من أرْجونا قائلاً "كن من دون الغونات الثلاثة" وبذلك سيختبر بالفعل حالة عدم التعلق كما وصفها له في تعاليم السانكهيا. يمكن إظهار الطريق إلى الطامح كي يتبعها، لكن من الصعب إعطائه صورة مؤكّدة عن تلك الحالة لأنها تكمن في الحقل الذي يتجاوز كلّ كلام.

وبما أن الطبيعة الحقيقية للعمل في الحرية تتضمّن حالات العمل وعدم العمل والزهد من العمل في وقت متزامن، يجب أن يتكلّم المولى في شرحه أحياناً من ناحية العمل وأحياناً أخرى من ناحية عدم العمل – أحيانا عن يوغا العمل وأحياناً أخرى عن الزهد في العمل. هناك حاجة في توضيح هذه البيانات المتعارضة التي سبّبت سؤال أرْجونا الحالي. إن سؤاله لم ينبع من أيّ

نقص في فهمه.

يمكن إيجاد السبب الفوري للسؤال في التعبيرين في نهاية الفصل الرابع: "تخلّى عن العمل باليوغا" (الآية 41) و "باعتمادك اليوغا سبيلاً" (الآية 42). في الآية الأولى يقدم اليوغا كوسيلة للزهد، أما الآية الثانية فتؤكد على ممارسة اليوغا بعد اكتساب معرفة الزهد. في العبارة الأولى اليوغا هي الوسيلة والزهد هو الهدف؛ وفي العبارة الثانية الزهد هو الوسيلة واليوغا هي الهدف. يلاحظ أرْجونا هذا التناقض الظاهر، ويطرح السؤال الذي يفتتح هذا الفصل. إن سؤاله هو المسؤول عن تدفق الحكمة العظيمة من المولى ولا يقدّم فقط جوهر تعاليم المولى حتى الآن، لكنه يعطي أيضاً زخماً إضافياً إلى موضوع حديث المولى.

الآية الثانية

قال المولى المبارك:

إن الزهد ويوغا العمل كليهما يؤديان إلى السمو.
لكن يوغا العمل هي أرقى من الزهد في العمل

"الزهد في العمل" (السنياسا) قد تفسر بأربعة طرق. طبقاً للمفهوم الأول والأكثر شيوعاً، يفصل الإنسان ذاته عن كلّ نشاط في الحياة الدنيوية. وطبقاً للثاني، يباشر في ممارسة التأمل التجاوزي للتخلي حتى عن الحالة الأكثر صفاء للفكر وهكذا يصل إلى الوعي الذاتي. هذا ما يعتني به السنياسا بالكامل – تتخلى عن كلّ شيء في حقل النسبية وينفصل عن كلّ أوجه الحياة، السطحية والمرهفة. وطبقا للثالث، يتقبل النشاط بعد كسب الوعي التجاوزي،

ويرتفع إلى الوعي الكوني، الذي فيه يختبر النفس بأنها منفصلة بالكامل عن النشاط وهكذا يصل إلى حالة الحياة في الزهد المثالي. أما طبقاً للمفهوم الرابع، يتقبل النشاط ذات النوعية الأجود، الولاء والتكريس، ويرتفع إلى وعي الله، حيث تتحوّل حالة الزهد التي تم اختبارها في الوعي الكوني على أنه افتراق الذات عن النشاط، إلى الرابط الحي لتوحيد الذات والنشاط وينـدمج الاثنان في وحدة وعي الله.

"يوغا العمل" تم التعريف عنها في الفصل الثالث. عندما يتقاعد العقل من حقل النشاط ويصل إلى حالة الوعي الذاتي التجاوزي، ويعود ثانية إلى حقل النشاط عندما يعود العقل، يجعل الوعي الذاتي المتغلغل في طبيعته، المطلق التجاوزي قادراً أن يصبح منسّقاً مع حقل النشاط إن عملية جلب القدسي إلى العالم هذه، هي غاية الكارما يوغا. تبلغ النضج في حالة الوعي الكوني وتجد اكتمالها في وعي الله.

في حالة الوعي الكوني، يتم إدراك الذات بأنها منفصل عن النشاط، وهذا ما يجعل الزهد حقيقة حيّة من الحياة اليومية، ويجلب بركات الحرية الأبديّة. هكذا نجد أن السنياسا والكارما يوغا متوازيان. يقول المولى: "لكن يوغا العمل هي أرقى من الزهد في العمل"، لأن عملية الزهد هي الخسارة بينما عملية اليوغا، أو الإتحاد، هي الربح؛ والربح هو مقبول للعقل أكثر من الخسارة، لدرجة أكبر عندما يختبر العقل في عملية الإتحاد تجاذباً متزايداً في كلّ لحظة. هكذا نرى بوضوح أنّ للانشغال في عملية كسب التوحيد القدسي هي أسهل للعقل من للانشغال في عملية الزهد في العالم. هذا ما يجعل الكارما يوغا أرقى من السانياسا. علاوة على ذلك، تسبّب عملية الكارما يوغا حالة الزهد بشكل تلقائي. عندما يمضي العقل نحو المتجاوز، نحو حالة الإتحاد القدسي، ينحسر تلقائياً عن العالم، وينتج عن ذلك حالة الزهد بشكل تلقائي. واعتبارها من وجهة النظر هذه ، تبدو الكارما يوغا بأنه سبب الزهد. إن هذا الأمر بحد ذاته هو

السبب الكافي للمولى ليقول "يوغا العمل هي أرقى من الزهد في العمل" بالرغم من أنّهما متوازنتان ومتزامنتان، "وتؤديان إلى السمو".

تناقش الآية التالي السنياسي الحقيقي، الإنسان الثابت في حالة الزهد.

الآية الثالثة

أعرفه إنه دوماً رجل الزهد، من لا يكره
ولا يشتهي؛ متحرّر من ازدواجية الأضداد،
ومتخلّص بسهولة من القيود، يا أيها المسلّم الجبّار

في هذا الآية، يظهر المولى الصفات الأساسية "لرجل الزهد" السنياسي. إنه متحرر من الرغبة وفي الوقت ذاته لا يرفض شيء؛ يأخذ الحياة بسهولة كما هي، دون أن تخلق له أي توتّرات. تتدفّق حياته بحرية بالتوافق مع قوانين الطبيعة المحكومة بالقانون الكوني.

إن مثل هذه الحالة الهانئة للحياة بالحرية هي ممكنة فقط عندما يكون الإنسان مطمئناً. وتكون الطمأنينة ممكنة فقط عندما يثبت العقل في وعي الغبطة، حالة المطلق التجاوزي، لأنه في الحقل النسبي لا يوجد هناك سعادة قوية جداً بحيث يمكنها أن تروي نهائياً عطش العقل للفرح.

بعد أن يكتسب هذه الحالة من الوعي التجاوزي بشكل دائم، يتحرر الإنسان من العبودية ويعيش الحياة في الحرية الأبديّة للوعي الكوني. في هذه الحالة يعيش الكينونة الأبدية

بأنها منفصلة بالكامل عن حقل النشاط هذه هي حالة الانفصال المثالي، أو السانياسا، كما وصفها المولى بأنها الحرية "من ازدواجية الأضداد". تسود مثل هذه الحرية في الوعي التجاوزي والوعي الكوني ووعي الله.

إنّ الكلمة "بسهولة" هي من الأهمية بمكان. يتم اكتساب التحرر من العبودية "بسهولة" وبالارتفاع فوق "ازدواجية الأضداد" إلى حالة الكينونة، وبالارتفاع إلى حالة السانياسا، تلك الحالة من الافتراق التي توجد بشكل طبيعي بين الكينونة والنشاط

يمكن الوصول إلى حالة الحرية من العبودية أمّا من خلال حكمة السانكهيا أو ممارسة اليوغا، ويظهر ذلك في الآية التالية.

الآية الرابعة

الجهلة وحدهم، وليس الحكماء، هم الذين يتكلمون
عن الاختلاف بين طريق المعرفة (سانكيا)
وطريق العمل (يوغا). إنما من هو ثابت حقاً
بأحدهما يجني ثمار الاثنين معاً

تكشف تعاليم السانكهيا الافتراق الموجود بين الوجهة الخالدة والوجهة الفانية للحياة، بين الكينونة والنشاط وتكشف ممارسة اليوغا، في جلبها للكينونة إلى الاختبار المباشرة، الافتراق أيضاً الموجود بين الكينونة والنشاط هكذا تقدّم كل من السانكهيا

ويوغا كلاهما إلى الحرية من العبودية.

إنّ العبارة "هو ثابت حقاً" لها أهميتها كي نفهم بشكل حقيقي تعاليم هذه الآية. لكي يكون "هو ثابت حقاً" في تعاليم السانكهيا أو يوغا، إن فهم الاثنين واختبارهما له أهمية حيوية. السانكهيا ويوغا هما كافيان بحد ذاتهما في جلب التحرر. لذلك من غير المهمّ سواء كانت الأهمية الأولى للواحدة أو الثانية.

"الحكماء" هم الذين ارتفعوا إلى حالة الحرية. هم لا يرون أي اختلاف بين السانكهيا واليوغا، ليس فقط لأن الاثنان يقودان إلى الهدف ذاته، لكن أيضاً لأن الميزّة الرئيسية لكليهما الممارسة ذاتها للتأمل التجاوزي. إنّ الفرق الوحيد هو أنه في طريق الكارما يوغا يتناوب التأمل التجاوزي مع النشاط في مستوى الحواس وفي طريق السانكهيا يتناوب التأمل التجاوزي مع النشاط العقلي. لكن ومع هذا الاختلاف الصغير تعتبر السانكهيا واليوغا متشابهان. لذلك لا ينظر الحكماء إليهما بأنهما مختلفان.

تقدم هذا الآية والآية القادمة الغاية الكاملة للفصل الخامس، الذي أن يضع اليوغا والسانكهيا على الموطئ ذاته فيما يخص نتائجهما.

الآية الخامسة

إن الحالة التي يصل إليها أتباع طريق
المعرفة يصل إليها أيضاً أتباع طريق
العمل. ومن يرى أن السانكهيا واليوغا

هما واحد، هو حقاً يرى.

هذا هي الآية التي تعد بالتحرر للطريقين في الحياة، تلك التي يسلكها رب البيت والتي يسلكه الناسك. إنها تضع أسس الوحدة للسانكهيا واليوغا. إن التحرر الأبدي هو هدفهما المشترك، ويرى رائي الحقيقة بأنها كذلك

إنه من الواضح أن طريق السانكهيا لا يطبق في حياة رب البيت، بل طريق الكارما يوغا هو الذي يطبق. لكن يقول المولى كريشنا هنا بأنّ الاختلاف بين الطريقين يزول عندما يتم الوصول إلى الهدف. يحتار فقط الفكر غير المتطور في الاختلافات بينهما. يعتمد الإنسان الحكيم على الواحد أو الآخر ويصل إلى الهدف. هو لا يضيّع وقته وطاقته في فحص الفوارق.

تظهر الآية بأنّ السانكهيا واليوغا هما مصمّمان لإرضاء أنواع الناس المختلفة. لكن بقدر ما يتعلق الأمر بهدفهما، فلهما ذات الهدف.

يجد هذا المفهوم للمسألة تبريراً آخرا في لآيات 24 و25، اللتان تصفان بلوغ التحرر الأبدي من خلال اليوغا والسانكهيا على التوالي، وفي الآية 21، التي تتكلّم عن نيل السعادة بلا حدود من خلال الطريقين.

علاوة على ذلك، وبدراسة تفاصيل طريق المعرفة وطريق العمل يجد الفرد حتى أن الطريقين بحد ذاتها هما أساساً ذات الشيء. تجلب العملية الوحيدة للتأمل التجاوزي الاكتمال إلى الاثنان، لهذا السبب "من يرى السانكهيا واليوغا أنهما واحد، هو حقاً يرى".

تبدأ الطريقان وتستمران على الأرضية المشتركة للتأمل التجاوزي وكلما يتقدّمان يعطيان للاختار ذاته للزهد في الوعي الكوني. لكن بعد الوصول إلى المعلم المشترك في هذا الإدراك

المباشر لانفصال الكينونة عن النشاط، لا يكونا قد حققا هدفهما النهائي. ومن أجل الاكتمال التام يجب أن يتابعا كي يندمجا في هدف واحد، في الوحدة العظيمة في وعي الله.

يدور الفصل الخمس بشكل رئيسي حول اختبار الزهد المشترك بين الطريقين، سيعطي الفصل السادس تفاصيل لممارستهما المشتركة للتأمل التجاوزي، كما ستكشف الفصول من السّابع إلى الثّاني عشر طبيعة هدفهما النهائي –وعي الله – بالإضافة إلى الطريق إليه.

الآية السادسة

إن الزهد هو حقاً صعب المنال من دون
اليوغا يا أيها المسلم الجبّار.
أما الحكيم المتوحِّد باليوغا فيأتي إلى
البْرَهْمان من دون تأخير طويل

توضح هذه الآية أن حالة الزهد "هو حقاً صعب المنال"، وبأن الانفصال بين الكينونة والنشاط هو صعب التحقيق، ما لم يثبت العقل بحزم في الكينونة.

هنا لا تعني كلمة يوغا، الكارما يوغا أو ممارسة اكتساب الوعي التجاوزي؛ بل تعني حالة الإتحاد بحد ذاتها، الوعي التجاوزي.

إنّ حالة البْرَهْمان، التي هي امتلاء النسبي والمطلق كليهما معاً، يتم إدراكها بشكل أفضل على مستوى الإتحاد عندما يكون هذا الاتحاد دائماً، ويكون الوعي التجاوزي دائماً. تعطي هذه الحالة للوعي الكوني اختبار السانياسا، الذي هو انفصال الذات عن النشاط؛ ويصبح هنا الانفصال للنسبي والمطلق حقيقة حيّة.

يشير المولى إلى هذه عملية جعل الإتحاد دائماً في قوله: "بدون تأخير طويل". هذه لأن حالة الإتحاد، أو الوعي التجاوزي، وكونها ممتلئة بالسعادة في طبيعتها، فهي مغرية دوماً للعقل. يصل العقل إليها مسحوباً بطبيعته الخاصة، التي تريد دائماً أن تتمتّع أكثر. هكذا يصبح نيل الإتحاد سهلاً ومن دون مقاومة.

تحتاج العملية الطبيعية لكسب هذه الحالة فقط في أن تكون متناوبة بالنشاط الطبيعي

للحياة اليومية وجعلها دائمة. هكذا يكون واضحاً أنّ العملية الكاملة هي عملية طبيعية، لهذا السبب لا تأخذ الوقت الطويل.

يكون الإنسان الذي حقق الوعي الكوني ثابتاً دوماً في الذات، حتى بينما يكون منشغلاً في النشاط هذه الحالة من الوعي هي الحالة الناضجة للسانياسا، إنها حالة غير التعلق الكامل للذات عن النشاط، حتى في استمرار النشاط في الحقل النسبي للحياة. إن مثل هذه الحالة من غير التعلق الكامل ليست ممكناً ما لم يكن العقل ثابتاً في الطمأنينة الأبديّة. تجلب الممارسة الثابتة لكسب اليوغا، أو الإتحاد بالوعي القدسي، العقل إلى الحالة التي تعطي الطمأنينة الأبديّة، بالتالي تثبت الحالة الطبيعية للسانياسا أو الزهد.

بالنمو نحو الوعي الكوني، تنمو الطمأنينة، وبنمو الطمأنينة الداخلية، يزيد إدراك الانفصال بين الكينونة والنشاط إلى أن يصبح العقل منغرساً في طبيعة الكينونة. ويكون بذلك قد حقق الوعي الكوني. وبإظهار الصعوبة في تحقيق الزهد من دون اليوغا، يشير المولى إلى بساطة الارتفاع إلى الحالة حيث ستصبح فيها اليوغا والسانياسا عادة يومية في الحياة.

تغنّي هذه الآية مجد الوحدة. إنها أساس الزهد الحقيقي وتسبّب حالة البْرَهْمان في حياة الإنسان اليومية.

تظهر الآية القادمة كيف يرتفع الإنسان، بواسطة هذا الإتحاد، فوق التأثير الملزم للعمل ويعيش حياة الحرية الأبديّة.

الآية السابعة

مصمم على اليوغا، نقي الروح،
من تحكّم كلياً بذاته وتغلب على حواسه،
ومن أضحت ذاته ذات كل الكائنات،
هو غير متورط حتى حينما يعمل

هنا، كما في الآية السابقة، لا تعني كلمة يوغا الكارما يوغا أو ممارسة التجاوز؛ بل هي مستعملة بمعنى وحدة العقل مع الكينونة.

"مصمم على اليوغا": إن من لا يكون أبداً خارج الذات، سواء كان في حالة يقظة أو حالة الحلم أو في حالة النوم العميق. إن مثل هذا الإنسان هو ثابت في نفسه، ولا تكون الاختبار النسبية قادرة على حجب منزلته في الكينونة المطلقة.

"نقي الروح": إن من وصل إلى حالة الكينونة، الوعي المطلق، التي ذاتها أبداً في نقاوتها الأبديّة، ومن ثبت هذه الحالة في الطبيعة الحقيقية لعقله. إن العمل هو الحجاب الذي يخفي هذه الطبيعة الأساسية للذات. أما التأمل فهو عملية الغوص في كلّ المستويات المرهفة للنشاط؛ عندما يتم تجاوز المستوى المرهف، يكسب العقل حالة صافية للكينونة. عندما يكون العقل كذلك ويخرج إلى حقل النشاط، عندئذ يقال بأن الذات قد أشرقت بنقاوتها. وعندما يتحقق التكامل التام بين الذات والعقل، من خلال الممارسة الثابتة، لا يمكن للمنزلة الصافية للكينونة المكتسبة بواسطة العقل وفي أية حال أن تُحجب، حتى ولو كان العقل منشغلاً بالنشاط في الحقل النسبي. هذه هي حالة الوعي الكوني، حيث تكون الذات قد فصلت ذاتها بالكامل عن حقل النشاط في هذه الحالة، حيث تتعايش الكينونة المطلقة مع العالم النسبي

للنشاط بشكل متزامن، يقال بأن الذات قد تحررت من كلّ لطخ بشكل دائم؛ وقد حققت النقاوة المطلقة.

"من تحكّم كلياً بذاته". الذات لها دلالتين: الذات الأدنى والذات الأعلى. إنّ الذات الأدنى هي تلك الوجهة الشخصية التي تتعامل فقط بالوجهة النسبية للوجود. إنها تشمل العقل الذي يفكّر، والفكر الذي يقرّر، والأنا التي تختبر. يعمل هذه الذات الأدنى فقط في الحالات النسبية من الوجود – اليقظة والحلم والنوم العميق. وببقائها دوماً ضمن حقل النسبية، فهو ليس لها الفرصة في اختبار الحرية الحقيقية للكينونة المطلقة. لهذا السبب هي في مجال العبودية. أما الذات الأعلى فهي تلك الوجهة من الشخصية التي لا تتغير أبداً، الكينونة المطلقة، الذي الأساس الحقيقي لحقل النسبية الكامل، بما في ذلك الذات الأدنى.

إن إنسان الذي يريد التحكم بذاته يجب أن يتحكم بالذات الأدنى أولاً وبعد ذلك الذات الأعلى. إن التحكم بالذات الأدنى يعني أخذ العقل (العقل والفكر والأنا) من الحقول السطحية للوجود إلى الحقول المرهفة، حتى يتم تجاوز الحقل المرهف للوجود النسبي ويتم الوصول إلى الكينونة التجاوزية المطلقة وغير الظاهرة في الوعي القدسي. هذا ما ينزع الذات الأدنى من قيود فرديتها، في الزمان والمكان والسببية، ويحرّرها في حالة الوجود الكوني.

عندما يتم التحكم بالذات الأدنى بهذه الطريقة من قبل الذات الأعلى ويتم القبول بها من الذات الأعلى قبولاً كاملاً، يصبح الاثنين واحد. وبعد ذلك تتطوّر الحالة التي فيها تتواجد كل واحدة بشكل حميم ضمن نطاق الأخرى وبالتماسك الكامل للوجود. عندما يتواجد الوعي القدسي للكينونة المطلقة التجاوزية في تعايشٍ مع العقل في الوجود النسبي، وفي حقل الزمان والمكان والسببية، يكون عندئذ التحكم بالذات الأعلى تامّاً. ويكون المطلق، وإذا جاز التعبير، وكأنه جلب إلى الخارج من الحقل التجاوزي للوجود من أجل خدمة ودعم حقل النسبية.

ويكون الذي لا يتغير أبداً قد تم جلبه إلى حياة الذي يتغير دوماً. وتكون الحالات النسبية من الوجود – اليقظة والحلم والنوم – متغلغلة بالحالة المطلقة للكينونة. وتصبح الحرية الأبديّة متغلغلة في حقل العبودية. كما يتم العيش مع وحدة الطبيعة القدسية في تعدّد الخليقة المتنوّع. هذا ما يجعل الإنسان قادراً على العيش بحياة الحرية الأبديّة في عالم الوجود الزائل. هكذا يكون المتحكم الذات، يتمتّع بالحقل الكامل للنسبية، ويعيش حياة الكينونة المطلقة في الوعي القدسي.

إنه لأمر ممتع في اكتشاف كيفية نجاح عملية التأمل التجاوزي في التحكم بكل من الذات الأدنى والذات الأعلى. يأخذ التوجه الداخلي للتأمل الفرد إلى الحالة التي فيها يستسلم العقل المتحرر من الفردية، إلى الذات الأعلى. هذا هو التحكم بالذات الأدنى. أما في التوجه الخارجي للتأمل فيخرج العقل متغلغلاً بالكينونة. ونتيجة للممارسة الثابتة، يعيش العقل بالكينونة المطلقة في كلّ حقول الحياة النسبية. هذا هو التحكم بالذات الأعلى.

هكذا التحكم بلذات الأدنى للذات الأعلى يتم تحقيقه بواسطة التوجه الداخلي والخارجي للتقنية الوحيدة للتأمل التجاوزي.

"تغلب على حواسه": تحكم بها. في واقع الحال، تقع الحواس دائماً تحت إمرة العقل. كلّ شخص يعرف بأنّ العيون سترى فقط إذا رغب الإنسان أن يرى. وإذا لم يرغب بالرؤية، فهو سوف لن يقوم بذلك حتى ولو كانت عيناه مفتوحتان. لذلك إن الانتصار على الحواس يبدو بأن ليس له أي معنى واضح. إنّ المعنى الداخلي لهذا التعبير هو بأنّه، عندما تبدأ الكينونة أولاً في التغلغل في طبيعة العقل، يصبح العقل كما ولو أنه ثمل بشعور الاكتفاء الذاتي. وعندما يتصرف العقل في هذه الحالة من خلال الحواس، فهو يتصرّف بطريقة هانئة جداً، التي قد يعتقد

أنها قريبة إلى اللامبالاة.

في الحالة التنوير المتقدمة أكثر ينقص هذا الإحساس الغريب للامبالاة، ويصبح سلوك العقل طبيعياً أكثر. ويصبح النشاط في المجال الخارجي للحياة منسّقاً مع الحالة الطبيعية للصمت الداخلي. وتتم متابعة النشاط نتيجة للتنسيق بين العقل وأعضاء العمل. في الوقت ذاته، ونتيجة للتنسيق بين العقل وحواس الإدراك، تصبح الحواس قادرة على تسجيل الاختبار. ومع تغلغل الكينونة في العقل، لا تسجّل حواس الإدراك الانطباعات العميقة من الاختبارات، حتى ولو كانت منشغلة في عملية الاختبار. إنّ الانطباعات التي يتلقاها هي كافي فقط لتمكينها على الاختبار، لكنها ليست عميقة بما فيه الكفاية لتكوين بذرة الرغبات المستقبلية. هذا ما يحدث أكثر فأكثر وبشكل فعّال عندما يصبح العقل أكثر ثباتاً في الكينونة. هكذا إذاً هي الميكانيكية الداخلية لتحكم بالحواس.

إن الغزو الحقيقي هو حينما يتوقّف العدو عن أن يكون عدواً؛ ويًترك حرّاً للقيام بما يشاء، لكن لا يكون في وضع للمهاجمة أو للقيام بأية إساءة. إنّ غزو الحواس يتحقق بشكل كامل من خلال التحكم بالذات الأعلى التي تترك الحواس حرّة تعمل، وعلى الرغم من كلّ اختبارات الحقل النسبي، تكون الحياة ثابتة بحزم في الحرية الأبديّة للوعي القدسي.

عندما يتم اختبار الذات الأعلى بأنها منفصل عن الحواس ونشاطهم، في حالة الوعي الكوني، يرى الإنسان في داخل ذاته الحالة غير المحدودة للكينونة من جهة ويرى التدخّل في عالم الأشكال والظواهر من جهة أخرى. فهو يرى كلّ الكائنات الحية وكأنها مدعومة من قبل تلك الكينونة التي هي ذاته الخاصة.

هكذا يختبر ذاته بشكل طبيعي بأنها "ذات كل الكائنات"، وفي هذه الحالة يكون "غير

متورط حتى حينما يعمل".

يمكن فهم عدم التورط هذا من وجهة نظر أخرى أيضاً. يختفي نور المصباح في نور الشمس. ومجد نقطة الماء ليس لها أي تأثير في عظمة البحر. وبهجة العمل لن تترك أي انطباع دائم على غبطة الوعي الكوني. لذلك عندما يثبت الإنسان في هذه الحالة، يتمتّع بشكل طبيعي بالامتلاء العظيم للكينونة حيث لا يشعر أبداً بأنّه ينفذ منه. بالنسبة له لا يتضمّن العمل الخروج من الذات؛ ولن يكون هناك حقاً، أيّ فرصة لذلك أبداً. لهذا السبب يقول المولى "هو غير متورطاً حتى حينما يعمل". إنه مضمون بحزم في الوجود الكوني الذي هو من دون نشاط، بالرغم من أنه الأساس الحقيقي لكلّ عمل. بالنسبة له وكأن كل شيء ينجز من تلقاء ذاته. هذه الحالة تتم وصفها بشكل أوضح في الآيتين القادمة.

الآية الثامنة والآية التاسعة

إن من هو متوحّد مع القدسي،

ومن يعرف الحقيقة يقول

"أنا لا أعمل أبداً". ورغم انشغاله

في النظر والسمع اللمس والشمّ

والأكل والمشي والنوم والتنفس والتكلّم

والتساهل والتمسك وحتى في فتح

وإغماض العنين، فهو يعلم ببساطة

أن الحواس تعمل بين مدركات الحواس.

"إنّ من هو متوحّد مع القدسي": إنّ الطبيعة القدسية هي منفصلة بالكامل عن حقل النشاط عندما يتم إدراك ذلك، يتم اختبار الذات بأنها مستقلة من النشاط بذلك تصبح تعاليم هذه الآية حقيقة حيّة من الحياة اليومية.

"من يعرف الحقيقة" هو الذي يعرف بأنّ الحياة لها وجهتين النسبية والمطلقة، وبأنّ حقل الحياة النسبية محكوم بالغونات الثلاثة. يعرف من خلال الفهم والاختبار بأنّ الذات منفصلة عن حقل النشاط

تخلق هذه المعرفة الأساسية عن الذات وطبيعة النشاط حالة في العقل يكون فيها الإنسان المدرك ثابتاً بشكل آلي في حقيقة التعبير القائل: "أنا لا أعمل أبداً". إنه ليس متمسّكاً بهذه الفكرة على نحو زائف لكن البنية الحقيقية لعقله ترتكز على عدم التعلق الطبيعي هذا. إنه يعيش هذه الحالة. بالنسبة له إن عدم التعلق هو حقيقة حيّة في الحياة اليومية. يتصرّف ويختبر ويستعمل حواسه، لكن وفي داخل ذاته هو ثابت في الكينونة. يعيش امتلاء الكينونة في حين يكون منشغل بالكامل في حقل الحواس. يعيش على نحو مضاعف: يكون استقرار الكينونة التي لا تتغير الجوهر الداخلي من حياته، وعلى السطح الخارجي يوجد النشاط على المستوى الحسّي – انشغال الحواس في اختبار مدركاتها هذا ما يعنيه المولى عندما يقول: "أن الحواس تعمل بين مدركات الحواس".

تطوّر هذه الآيتين الفكرة التي أفصح عنها في الآية السابقة. عندما يتم اكتساب الوعي الكوني، من خلال ممارسة التأمل التجاوزي، وتوسّع الأنا الفردية إلى المنزلة الكونية، يعمل العقل تلقائياً من مستوى إمكانياته الكاملة وتعمل الحواس، بعد أن وصلت إلى تطوّرها

الأقصى، بقدرتها الأعلى. تبقى مدركات الحواس، على كل حال، في حالتها من دون تغيير. لهذا السبب تختبر الحواس التي تعمل من مستواها المرتفع، مدركاتها بشكل تام، ما يؤدّي إلى إدراك أكبر للمدركات وبالتالي يعطي اختبار السعادة الأكبر على المستوى الحسّي. هذا ما يخلق الحالة التي فيها يتم التمتّع بمدركات الحواس بشكل شامل أكثر من ذي قبل، لكن وبما أن الكينونة هي مترسبة أكثر وبالكامل في الطبيعة الحقيقية للعقل، تخفق انطباعات الاختبار الحسّية في القبض على العقل. هكذا يبقى الإنسان المتنور بشكل طبيعي في الحالة التي تواصل الحواس فيها اختبار مدركاتها في حين يبقى هو حرّاً.

إن هذا هو مجرّد بيان للمقارنة؛ إنه لا يشير ضمناً بأية حال، إلى أنّ مثل هذا الإنسان يصبح عاجزاً عن الاختبار. إنه يعني فقط بأنّ، في حين كان اختبار العالم قبل التنوير يحجب الكينونة، يشرق الآن كينونته من خلال كلّ الاختبارات. قبل التنوير، وإذا نظر إلى زهرة، تغمر الزهرة العقل بالكامل بحيث تبقى الزهرة فقط ويضيع صاحب الاختبار في اختباره. وتكون الذات وكأنها أبيدت بالموضوع.

إن الحياة التي تسود فيها المدركات، حيث توجد المادة وحدها و تكون قيم الروح أو النفس محجوبة، تدعى الحياة المادية. بعد التنوير، ما تزال الزهرة مرئية، لكن اختبار الزهرة لا يحجب الكينونة، لأنه قد تم إدراك الكينونة منفصلة عن حقل النشاط، وهكذا يتم الحفاظ على الذات والموضوع بشكل منفصل؛ إنهما، على سبيل المثال، يحييان في امتلائهما. تخفق الزهرة في حجب الكينونة وفي الوقت ذاته لا يخفت نور الكينونة صلاحية الزهرة. في نور الكينونة، يتم إدراك الزهرة بشكل لانهائي، وهذا ما يجلب التكامل للروح والمادة. هذا هو مجد التأمل التجاوزي: إنه يجلب التنوير الذي يكمّل كلّ القيم المادية للحياة مع القدسّي.

الآية العاشرة

إن من يعمل مقدّماً كل أعماله إلى
الكينونة الكونية، مبتعداً عن التعلّق،
لا تلامسه أي خطيئة، كما لا تلامس
ورقة زهرة اللوتس بالماء

"الكينونة الكونية": البْرَهْمان الحقيقة النهائية، المطلق والنسبي سوية في الوقت ذاته.

يقود التوجه الداخلي للتأمل العقل إلى الوعي الذاتي ويجعل حالة الوعي الذاتي، الكينونة، متغلغلة في طبيعة العقل. ويجلب التوجه الخارجي للتأمل مثل هذه العقل إلى حقل العمل، حيث يتصرّف مع درجة معينة من الكينونة. هذه الممارسة من التأمل والنشاط الذي يليها – التأمل في الصباح والمساء والنشاط في أثناء اليوم – يطوّران الحالة التي تصبح فيها طبيعة العقل متحوّلة إلى حالة الكينونة، بينما تكون القدرة على التصرّف في كلّ حقول الحياة العملية محافظاً عليها بالكامل. فقط عندما يتصرف العقل الثابت في الذات، من حالة الكينونة الكونية، من الممكن أن يصرّف "مقدّماً كل أعماله إلى الكينونة الكونية"؛ في تلك الحالة يكسب الرد الوعي الكوني، الذي هو مستوى الكينونة الكونية.

لا تعني هذه الكلمات بأنّ الإنسان يجب أن يعمل بينما يحفظ في عقله فكرة الكينونة الكونية. لا تعلّم هذه الآية تخيل الاستسلام بشكل فكري إلى الكينونة الكونية، أو الاعتزاز بالفكرة عنه، أو تصنع مزاج عن القدسيّ، أو تذكّر الله خلال عمل. إنها لا تعلّم بأن أيّ

من هذه المحاولات على مستوى العقل أو الفكر يمكنها أن تقود الإنسان إلى حالة بريئة من الخطأ. تقدم كلّ الأعمال على طبيعتها إلى الكينونة القدسيّة ويترك كل تعلق بشكل طبيعي عندما يرتفع العقل، خلال ممارسة التأمل التجاوزي، إلى مستوى الوعي القدسي ويحافظ عليه بشكل دائم. عندما تفصل الذات ذاتها بالكامل من النشاط، عندئذ يتم خلق الحالة التي يصبح فيها تأليف العمل متحول تلقائياً إلى الكينونة الكونية.

"لا تلامسه أي خطيئة" تعني أنه متحرر من أيّ خطأ؛ والحياة التي هي غير مؤذية بالكامل، تكون متوافقة مع قوانين الطبيعة. يتم اكتساب هذه الحالة في الوعي الكوني، الذي فيه تكون الذات منفصلة بالكامل عن النشاط إنها في هذه الحالة التي فيها تكون الأعمال المدفوعة بقوّة الطبيعة، مسؤولة عن كلّ الخليقة والتطور. لهذا السبب تنتج جميعها التأثيرات المساندة للحياة ولا يكون هناك من إمكانية للخطأ.

الآية الحادية عشر

بواسطة الجسم والعقل والفكر
وحتى بالحواس وحدها،
ومبتعداً عن التعلّق،
يؤدي اليوغي عمله للتنقية الذاتية

يوضح هنا المولى ضرورة العمل للتنقية الذاتية. ما هي حالة التنقية الذاتي التي يهدّف ممارس اليوغا إليها عندما يؤدّي عمله؟ من خلال ممارسة السمادي، ألم يملك ممارس اليوغا حالة صافية من الوعي؟ أليست ممارسة السمادي كافية لتنقية الذات؟ لا يبدو كذلك، إلى حد الآن، يظهر المولى الحاجة بشكل واضح لأداء العمل إلى تلك الدرجة من التنقية الذاتية التي لا يتم اكتسابها بالسمادي وحدها.

"اليوغي": أو ممارسو اليوغا، وهم متّحدون مع القدسّي في الوعي التجاوزي أو الوعي الكوني أو وعي الله.

عندما يبلغ ممارس اليوغا الوعي الكوني ويدرك الذات بأنها منفصلة عن حقل النشاط، يكون قادراً، استناداً على هذا الإدراك، تقبل النشاط بينما يبقى أيضاً في الحرية الأبديّة للذات. لأن أداء العمل في هذه الحالة من الإدراك لا يتضمّن الذات، إنه يبقى بشكل طبيعي على مستوى "الجسم" و "العقل" و "الفكر" و "الحواس".

إنّ الكلمة "وحدها" في هذا السياق هي هامّة جداً. إنها تثبت ومن دون أدنى شك وبكلّ تأكيد

ممكن، انفصال الذات عن حقل النشاط في حياة الإنسان المدرك وعلاوة على ذلك، إنها تعني أيضا بأنّ في هذه الحالة من الإدراك، تكون كل من الجسم والعقل والفكر والحواس قادرة على العمل بشكل مستقل تماماً.

في أثناء ممارسة التأمل التجاوزي، وبينما يكسب العقل الوعي التجاوزي، تنخفض عملية الأيض في الجسم إلى أدنى مستوى ويكسب الجهاز العصبي بالكامل حالة من اليقظة المريحة. هذه هي الحالة البدنية المرادفة إلى حالة الكينونة. في هذه الحالة، تصل المستويات العقلية والبدنية للحياة الفردية إلى مستوى الحياة الكونية للكينونة الكليّة الوجود – ويكون العقل الفردي مدعوماً بالذكاء الكوني ويكون الوجود الجسدي الفردي مدعوماً بالوجود الكوني – فيصبحون آلة بملكه ويبدءون بالاستجابة إلى الحاجة الكونية.

عندما يتم اكتساب الوعي الكوني، وتصبح هذه الحالة دائمة. يبقى "الجسم" و "العقل" و "الفكر" و "الحواس" آلة بملك القدسي، بصرف النّظر عن نمطها في النشاط في هذه الحالة، تكون قوة التحفيز الرئيسية لنشاطها بمشيئة القدسي، الذكاء الكوني الكلي القدرة، الذي هو المسؤول عن الخليقة وتطورها في الكون برمته. وكما يستجيب كلّ شيء في الطبيعة إلى حاجة الغاية الكونية، كذلك تستجيب كل من جسم وعقل وفكر وحواس الإنسان الذي بلغ مستوى الذكاء الكونية، إلى حاجة الحياة الكونية. هذا ما يعني به المولى عندما يقول: بواسطة الجسم والعقل والفكر وحتى بالحواس وحدها، ومبتعداً عن التعلّق، يؤدي اليوغي عمله".

إنّ أهمية التعبير "مبتعداً عن التعلّق" في هذا السياق هو بأنه، في الوقوع تحت التأثير المباشر للذكاء القدسي، يترك الحقل الكامل للنشاط عالم الذات الفردية، الذي بذلك يكسب الحرية من التأثير الملزم للعمل. لأنه وبارتفاع الإنسان إلى مستوى الكينونة القدسية،

يصبح "مبتعداً عن التعلّق" بشكل تلقائي وحقيقة حيّة من حياته اليومية، من دون الحاجة لغرس عدم التعلق في أي وقت كان.

"التنقية الذاتية": إن الوعي الصافي هو الحالة الصافية للذات؛ وله طبيعة تجاوزية. يصل العقل إليه بتجاوز الاختبار المرهف للحقل النسبي. عندما تتناوب هذه الحالة مع النشاط، يكسب العقل وعياً صافياً بشكل دائم ومن ثم يتم الحفاظ على الوعي الصافي بشكل طبيعي بالرغم من الارتباط في النشاط في هذه الحالة، تصبح ثنائية الحياة حقيقة حيّة – وتصبح وجهتي الحياة، الذات وعدم الذات، المطلق والنسبي، منفصلتان، ويتم معيشة الذات على أنها الكينونة الصافية غير المتحالفة مع أيّ شيء.

إن هذا الاختبار للانفصال الكامل للذات عن النشاط يجب أن يعني ذروة عملية "التنقية الذاتية". لكن ومع ذلك تستمرّ العملية، وتتسبب أخيراً بتلك الحالة من الأحادية التي لا تقبل النشاط حتى وإن كان منفصلاً عن الذات. هنا يتحول الانفصال المسؤول عن التسبّب بإحساس الثنائية في حالة الوعي الكوني إلى نور الله، ما يسمح لثنائية الذات والنشاط في الاندماج بتجانس الوجود القدسي في وحدانية وعي الله. هذه الحالة للوحدة الأبديّة للحياة هي الذروة الحقيقية لعملية "التنقية الذاتية".

وبذلك يكون لعملية تنقية الذات ثلاث مراحل. أولاً، من حالة يقظة الوعي إلى الوعي التجاوزي؛ وثانياً، من الوعي التجاوزي إلى الوعي الكوني؛ ثالثاً، من الوعي الكوني إلى وعي الله. في كلّ المراحل الثلاث من الضروري أن "يؤدي اليوغي عمله للتنقية الذاتية". وبأداء العمل على المستويات المرهفة للحياة يتمكّن الفرد على تجاوز حقل النشاط ويكسب الوعي التجاوزي. وبتناوب الوعي التجاوزي مع النشاط العادي والطبيعي للحياة اليومية – النشاط العقلي للتمييز في حياة المتنسك ونشاط البدني في حياة رب البيت – يصبح الوعي التجاوزي دائماً

ويكسب منزلة الوعي الكوني. ومرة أخرى، يتطوّر الوعي الكوني إلى وعي الله استناداً على نوع النشاط الأكثر صفاءً الذي هو نشاط الولاء والتكريس.

هكذا تتواصل عملية التنقية إلى خاتمتها النهائية من خلال أداء العمل.

تظهر هذه الآية تقنية أداء العمل في حالة الوعي الكوني؛ فهي تقول: "بواسطة الجسم والعقل والفكر وحتى بالحواس وحدها... يؤدي اليوغي عمله". لقد أظهرت في توضيح أهمية الكلمة "وحدها"، بأن العمل على هذا المستوى هو العمل في حالة الوعي الكوني، وهذا يساعد على تحويل الوعي الكوني إلى وعي الله.

الآية الثانية عشر

من هو متّوحدٌ بالقدسي، مبتعدٌ عن ثمر العمل،
يحقّق السلام الدائم. لكن من هو غير متّحد
بالقدسي ويخضع لرغباته ويتعلّق بثمار
أعماله يكون مقيّداً بإحكام.

إن اكتساب التوحيد بالقدسي هو المفتاح إلى اكتساب الحرية من عبودية ثمار العمل، وبدوره يكون المفتاح إلى اكتساب السلام الدائم. نجد التوحيد مع القدسي في ثلاث حالات: في الوعي الذاتي، الذي هو من الطبيعة التجاوزية؛ في الوعي الكوني، الذي يتضمّن كل من حالتي المطلق والنسبي للوعي بشكل متزامن – الوعي الذاتي التجاوزي سوية مع حالة وعي اليقظة

أو الحلم أو النوم؛ وفي وعي الله، الذي يحمل سوية كأنهما واحد كل من الذات وحقل النشاط

"مبتعدٌ عن ثمر العمل": يوازي هذا التعبير ما ورد سابقاً "مقدما كل عمله للكينونة الكونية، مبتعداً عن التعلق".

في حالة السلام الدائم، تنمو المراحل الداخلية والخارجية للحياة كلاهما بشكل قوي جداً بحيث تصبح في النهاية مستقلة تماماً عن بعضها البعض. يتم اختبار الكينونة الداخلية بأنها منفصلة بالكامل عن النشاط، في حين ينمو النشاط بكل قوية لكي يصبح مستقلاً تماماً عن الكينونة. وهكذا ترتفع كل من الكينونة والنشاط إلى قوامهما الكامل .

هذه هي الحالة التي يعيش فيها الفرد في القدسي وفي العالم بشكل متزامن، والتي يتابع فيها النشاط مندفعاً بالطبيعة من دون أي دافع للرغبة في النفس، وفي هذه الحالة يتمتع الفرد بالحرية من عبودية العمل. هذا هي مثالية السنياسا – الحياة في الانفصال الكامل من عالم العمل.

"من يخضع لرغباته": من هو غير ثابت بحزم في الذات، أو في القدسي. ولأنه يفتقر إلى مثل هذا الحزم، يبقى متعلقاً بثمار العمل، وبسبب ذلك، "يكون مقيّداً بإحكام" بالعملية الكاملة للعمل من البداية حتّى النّهاية.

لا تصف الآية الحالية حالة واحد فقط التي هي التوحيد بالقدسي، بل تصف أيضاً من هي غير متحد. إنها تشير إلى ميكانيكية العبودية: عندما لا يتوحد الإنسان بالذات، أو بالقدسيّ، يكون التعلق بثمار العمل الذي تسببه الرغبة مسؤولاً عن الربط سوي بين الذات والنشاط لا يجب أن يضيع عن النظر بأنّ هذه العبودية ليست حقيقية؛ إن الذات في طبيعتها الأساسية وكونها

متحررة إلى الأبد، لا يمكن أن تتقيد. طالما لم يدرك هذه المنزلة الحرة إلى الأبد للذات، يستمر الإنسان بالشعور بالتعلق بالنشاط ولذلك يبقى في العبودية. وكيف يمكنه الخروج من عبودية الرغبة، يتم توضيح ذلك في الآية التالية.

الآية الثالثة عشر

بتخلّي العقل عن كل عمل يستريح
المقيم في الجسم سعيداً في مدينة
البوابات التسع، غير عامل
وغير مسبب للعمل

العقل هو الرابط بين الفعل والفاعل، الذات. طالما العقل هو أحادي الجانب، متجهاً فقط إلى النشاط ومن دون التأثير المباشر للكينونة، يخفق في أن يكون وسيط ناجح. فهو يخفق في حماية حرية الذات من تأثير العمل، وفي الوقت ذاته يخفق في حماية العمل من محدودات الفردية، وبالتالي يبقى النشاط من دون الدعم المباشر للقوّة الكلية القدرة للطبيعة.

توضّح هذا الآية كيف يمكن للعقل أن يصبح الوسيط الناجح ويجلب القوّة والنعمة والمجد للعمل والحرية للحياة. يجب أن يصبح العقل متآلفاً مع الكينونة كما هو متآلف مع النشاط ويدخل مجال الكينونة. تصف الآية الحالية كيف يجد العقل ذاته عندما يخرج من حقل العمل، وكأنه الذات المنفصلة تماماً عن النشاط، ويبقى دوماً في الحالة المطلقة، "سعيداً"، الشاهد الصامت (ساكشي كوتاستها) لكلّ الأحداث، "غير عامل وغير مسبب للعمل".

"سعيداً": تقع السعادة وراء مجال النشاط حيث أنّ "لا تتأثر ذاته باحتكاكها مع المواضيع الخارجية" عندما وعندما تصل إلى هذه الحالة، يعرف العقل حقيقة علاقة الفاعل بأفعاله وبثمارها، الذي يعلن عنه في الآية القادمة.

الآية الرابعة عشر

لم يخلق الرب صلاحية العمل
ولا عمل الكائنات ولا الرابط
بين الفاعل والفعل وثماره.
إن ذلك هو من عمل الطبيعة

"ولا عمل الكائنات": هذا ما يوضح بأنّ الكائنات تخلق أعمالهم الخاصة.

"ولا الرابط بين الفاعل والفعل وثماره": تفصح التعاليم بأن الفاعل يخلق بنفسه الرابط بين ذاته وعمله، بينما يخلق الرابط بين ثمار العمل والفاعل بواسطة الطبيعة.

"إن ذلك هو من عمل الطبيعة": تخلق طبيعة الفاعل العمل، وتخلق طبيعة العمل نوعية الثمار. إنّ ثمار العمل هي مرتبطة بالفاعل، بطبيعة الفاعل وعمله.

تضع هذه الآية الأسس بشكل لافت للنظر للانفصال الكامل بين الكينونة القدسية الداخلية والحقل الخارجي للعمل. إنها تنوّرنا حول حالة الزهد المثالي التي تتواجد بشكل طبيعي بين المراحل الداخلية والخارجية للحياة؛ إذ أن الحياة تتكوّن من النشاط على السطح الخارجي سوية

مع استقرار الكينونة في الداخل. في طبيعتها الأساسية لا يوجد هناك أي رابط بينهما. كما لجوزة الهند وجهتان مختلفتان، الغلاف الصلب الخارجي والحليب الداخلي في داخلها، إحداها صلب، والآخر سائل، من دون أيّ رابط بينهما، كذلك للحياة وجهتان، واحدة ثابتة وأبديّة، والثانية متغيّرة باستمرار ونسبية، ومن دون أيّ رابط بينهما.

أوضّحت الآية السابقة كيف يكون الساكن في الجسم غير متأثّر بالعمل. وفي الآية الحالية، ينوى المولى إقناع أرجونا بالحقيقة بأن العمل والعلاقة "بين الفاعل والفعل وثماره" يعود فقط إلى الحقل النسبي للحياة، إنها تعود إلى الطبيعة؛ وليس لها أي تأثير على المنزلة المطلقة للكينونة.

إنّ غاية الخليقة هي تمدد السعادة. إن الغونات الثلاثة المولودة من الطبيعة، هي المسؤولة عن الخليقة وتطورها؛ هي المسؤولة عن كلّ الانقسامات المختلفة – الفاعل والفعل وثماره. إنها وحدها تقع في الخلفية وهي المسؤولة عن الخلق والمحافظة والفناء لكلّ شيء في الكون، التي هي الأوجه الذاتية للحياة الداخلية والأوجه الموضوعية للعالم الخارجي.

في الواقع لا ينتمي تأليف العمل إلى "أنا". /ن الخطأ فهم بأن "أنا" قمت بهذا و "أنا" اختبر هذا و "أنا" أعرف هذا. كلّ هذا غير صحيح أساساً. "أنا"، في طبيعتها الأساسية هي غير مخلوق؛ فهي تعود إلى حقل المطلق. بينما الفعل وثماره والعلاقة بين الفاعل وفعله تعود إلى الحقل النسبي، إلى حقل الغونات الثلاثة. ولذلك يتم أداء كلّ العمل بالغونات الثلاثة المولودة من الطبيعة. إن نسب التأليف إلى "أنا" هو فقط بسبب جهل الطبيعة الحقيقية "للأنا" وللعمل.

إنّ موضوع تعاليم المولى حول معرفة العمل هو متطورة على نحو رائع. في الفصل الثّاني، ألاية 48، كانت التعاليم في التخلي عن التعلق، وتم غناء مجد مثل هذا التخلي في الآيات 64 و 71.

إن فكرة ترك التعلق أدّت إلى تعاليم عدم التعلق في الفصل الثّالثة، الآية 7. في الفصل ذاته، الآيات 17 و 18 أوضّحت بأن عدم التعلق يتم بلوغه بإدراك الذات. الآية 19 وضعت أسس كرامة العمل في هذه حالة من عدم التعلق المكتسبة من خلال إدراك الذات. الآية 25، أعطت دور جديد إلى هذا الموضوع بتقديم عنصر العمل الطبيعي. والآية 26 كرمت العمل الطبيعي طبقاً لمستوى الإنسان في التطور. أما الآية 27 فقد أوضّحت بأنه في الواقع كلّ الأعمال يتم تأديتها بواسطة الطبيعة، وبأن المضللون وحدهم هم الذين يدعون تأليف العمل؛ يعرف الإنسان المتنور بأنّ الغونات تتفاعل بين ذاتها، وبأن الحقل الكامل للنشاط يعود إلى حقل الغونات وبأن الذات تبقى غير متورطة في نشاط الغونات. والآية 30 قدّمت عنصر الله، الذي تستسلم إليه كلّ أعمال الغونات الثلاثة كوسيلة لفصل حقل النشاط عن الذات. الآية 33 تدحض الحاجة للسيطرة في جلب مثل هذا الاستسلام للعمل إلى الله وتمجد العمل ثانية الكتوافق مع طبيعة الإنسان، متحرراً من أيّ تحكم الآية 39 تقدّم الفكرة بأن جهل الذات هو مسؤول عن العبودية. الآية 43 ترفع سيف المعرفة لتقطع إرباً هذا الجهل.

إنّ تطور التعاليم إلى هذا الحدّ أعطى المبدأ بأن العمل هو ضروري للخروج من حقل العبودية. بدأ الفصل الرابع بشرح طبيعة المولى بأنها منفصلة عن النشاط المستمر للكون. هذا ما قدّم الشرح لمعرفة الزهد في العمل، الذي تطوّر خلال الفصل الرابع وفي الآيات السابقة من هذا الفصل ولغاية الآية الحالية يعلن بشكل مؤكد أنّه لا يوجد علاقة "بين الفاعل، الفعل وثماره". إن ذلك هو صحيحاً على مستويي الحياة – مستوى الحياة الكونية ومستوى الحياة الفردية. تضع الآية الحالية هذه النقطة بشكل واضح عندما تقول "لم يخلق الرب صلاحية العمل ولا عمل الكائنات" وتعني بأنّه لا يخلق أيّ شيء؛ يبقى بعيد جداً من النشاط المستمر للخليقة.

هذه هي الحالة على المستوى الكوني. نجد الحالة ذاتها على مستوى الحياة الفردية، لأنه لا يوجد

هناك رابطاً حقيقياً "بين الفاعل والفعل وثمارها". هذا ما يزيل الحاجة لأيّ عمل، ولأيّ محاولة للإدراك الذاتي. إن ترك كلّ المحاولات للإدراك والمعيشة في حالة الاكتمال هي تلك الحالة العالية، الزهد، التي تجد إتمامها في حالة معرفة، في وعي الله. هذا هو مجد الزهد.

إنّ الحالة الأكثر تطوّراً للحياة في الحرية الأبديّة متوفرة بسهولة على نحو طبيعي أكثر إلى كلّ شخص. تأتي معاناة الحياة وبهجتها للإنسان بسبب جهله لذلك، تقول الآية القادمة، ويمجد مجد المعرفة في الآية التي تليها.

الآية الخامسة عشر

لا يقبل الذكاء المتغلغل في الكل بأن تنسب إليه
الخطيئة ولا الحسنة التي يقوم بها كل فرد،
تحجب الحكمة بالجهل، وبالتالي تضلّل المخلوقات.

"الذكاء المتغلغل في الكل" هو الكينونة المطلقة. لأنها متغلغلة في الكل، إنها ذات الطبيعة التجاوزية، ولأنها متجاوزة، فهي خارج تأثير العمل. إنها الشاهد الصامت لكلّ الحياة النسبية.

أوضحت الآية السابقة أنّ تأليف العمل يعود حقاً إلى الغونات الثلاثة. لذلك لا يوجد أي متوكل آخر غير الغونات الثلاثة متورط في خلق النتائج الحسنة أو السيئة.

إنّ حالة التنوير هي محجوبة بالجهل، "وبالتالي تضلّل المخلوقات". إن معرفة القدسّي على أنه غير متورط بحقل العمل، ومعرفة ذات الفرد بأنها الكينونة القدسية. تجلب الحرية إلى الحياة؛ بينما يكون جهل هذه الحقيقة مسؤولاً عن الوهم بأنّ القدسي الذي يمنح ثمار أعمال الفرد. هنا ينوي المولى إظهار بأن الحالة غير المدركة هي سبب عبودية العمل والتدخّل في الخطيئة والفضيلة.

تعرف الحقيقة بطريقتين: بالإشارة إلى المطلق وبالإشارة إلى النسبي. إن الغونات هي المسؤولة عن العمل ولكلّ شيء في حقل الوجود النسبي، و يبقى المولى، " الذكاء المتغلغل في الكل"، غير متورط كلياً. هكذا يبقى هو، أو الذكاء القدسي، أو المولى، في الحرية الأبديّة. وأولئك الذين يرتفعون إلى هذه المعرفة السامية يكسبون الحرية الأبديّة، ويبقى الآخرون في العبودية.

تسلط الآيتان التالية الضوء أكثر على هذا الموضوع.

الآية السادسة عشر

ولكن في داخل أولئك الذين فيهم يتلاشى
ذلك الجهل بنور الحكمة، مثل الشمس تنير
الحكمة فيهم ذلك الذي هو الأسمى التجاوزي

"الجهل": حول الانفصال للأوجه الداخلية والخارجية للحياة، حول الكينونة كونها غير متورطة بالنشاط، حول الطبيعة الحقيقية "للأنا" والعالم، حول الأوجه الدائمة والمتغيّرة باستمرار للحياة، حول طبيعة الحرية والعبودية.

"ذلك الجهل": إن استعمال كلمة "ذلك" وليس "هذا" لكي يوضح الفكرة بأن الجهل هو بعيد عن الذات. في طبيعته إنه غريب عن الذات.

في تصوير الحكمة كمدمرة للجهل، تظهر هذه الآية بأنّ دمار الجهل وتنور الكينونة المتجاوزة بالحكمة يحدثان سوية. تزيل الشمس الظلام وتنشر النور في الوقت ذاته. هذا ما يشير بأنّه عندما يتحطّم جهل بالحكمة، لا يكون هناك حاجة لشيء أكثر للقيام به من أجل إدراك المتجاوز. إنه كلي الوجود، يحجب فقط بواسطة الجهل، وعندما يتحطّم هذا الحجاب بالمعرفة، يشرق ببهاء بنوره الخاص. لهذا السبب تنسب الحكمة إلى طبيعة المطلق، الكينونة المتجاوزة – الحكمة هي المطلق؛ وكما يرد في الأوبانيشاد: "براغيانام براهما".

توضح هذه الآية بأنّ الجهل يتحطّم باكتساب المعرفة، وليس بأن المعرفة تكتسب بتحطيم الجهل. لذلك لا يحاول الباحث الخروج من الجهل؛ بل يجب عليه أن يحاول كسب المعرفة من خلال الاختبار المباشرة.

قد يكون مفيداً للذكر هنا تلك الحياة، التي تعتبر بأنها واحدة بسبب الجهل، وتتفتت بتحليل السانكهيا إلى مكوّنين مختلفين، المتغير وغير المتغير. يتم إدراكهما بأنهما حقلان مختلفان للحياة بالاختبار المباشرة من خلال اليوغا. يكون المفهوم المكتسب من السانكهيا مؤكداً باليوغا: عندما يبدأ الفرد، في الوعي الكوني، بعيش الحياة في الحالة التي تبقى فيها الذات غير متورطة بالنشاط، عندئذ تصبح حقيقة تعاليم السانكهيا هامّة في الحياة العملية. هذا ما يمكّن الإنسان للعيش مدركاً بأن مرحلتي الحياة، النسبي والمطلق، هم منفصلان أحدهما عن الآخر، وبأنه حتى في الحقل النسبي، ترتفع كل من الخطيئة والفضيلة، اللتان تؤدّيان إلى المعاناة والفرح، من تعلق الذات إلى النشاط، والذي بدوره ينشأ عن قلة المعرفة.

الآية السابعة عشر

فكرهم منغمس في ذلك، كيانهم
متثبّت في ذلك، وهدفهم إلى ذلك،
مكرّسون كلياً إلى ذلك، مطهّرون
بالحكمة من كل نجس، يبلغون
الحالة التي منها لا رجوع

توحّد هذه الآية اليوغا والسانكهيا في هدفهما المشترك من النقاوة المطلقة والتحرر الأبدي. إنها تدعم حقيقة الآيتان 4 و5، اللتان تعلنان موضوع هذا الفصل.

إنّ كلمة "فكرهم" وكلمة "كيانهم" هما من الأهمية بمكان، وكذلك التسلسل في استعمالهما. إنها تعلّم بأم من له الفكر المنغمس في ذلك يصبح أيضاً كيانه بالكامل "مثبت في ذلك". وعلاوة على ذلك، عندما يصبح الفكر في أثناء التأمل، "منغمساً في ذلك"، وبخروجه من المتجاوز يبقى "هدفه إلى ذلك". عندما يصبح الفكر "مستهدفاً لذلك" يصبح كيان الفرد "مكرس كلياً إلى ذلك".

لقد تم اختيار كلمة "كيان" هنا ليترجم الكلمة السنسيكريتية "آتمان"، التي تستعمل بشكل مختلف بمعنى الذات والفكر والعقل والنفس والجسم. لذلك يصبح التعبير "كيانهم" "مكرّس كلياً إلى ذلك" الذي يعني بأن العقل والنفس والجسم تصبح كلها موجّه نحو "ذلك".

يظهر المولى بأنّه ما لم يكن الفكر وكيان الفرد بالكامل ثابت في الحقيقة التجاوزية، فلن يكون صافياً؛ يبقى في عالم الوجود المؤقت، غير متصل بحالة الحرية الأبديّة التي منها "لا رجوع". ما لم تكون المرحلة المطلقة التجاوزية للحياة مدركة، يبقى مجال المرحلة الفردية للحياة تافه ولن تكتمل غايته؛ تستمرّ العبودية ولن تجد دورة الولادة والموت نهاية لها.

توضح هذه الآية بأنّ نقاوة الحياة، التي هي أساس كلّ النجاح في العالم وفي الوقت ذاته هي أساس الحرية الأبديّة، يتم اكتسابها بالحكمة –إدراك المتجاوز. وتصرح الآية أيضاً بالمبدأ القائل، ما لم يثبّت الإنسان هذه الحالة المطلقة للنقاوة في حياته بالارتفاع إلى حالة الوعي الكوني، قد يكون هناك إمكانية دائمة للنزول إلى مستوى أدنى من الحياة. هذا ما يعني أنّه طالما لم يصبح الوعي التجاوزي دائماً، لا يستمرّ تأثير التأمل الصباحي بكثافته الكاملة على مدار اليوم. مع مرور ساعات اليوم، تنخفض كثافة التأثير، وبذلك ينخفض مستوى النقاوة في الحياة، لحين يسترجعه التأمل المسائي.

"كن من دون الغونات الثلاثة" كما شرحها المولى في الآية الخامس والأربعون للفصل الثاني، هي المفتاح إلى إدراك تعاليم هذا الآية في الحياة اليومية.

تجد الحياة هدفها في حالة الحرية الأبديّة للمتجاوز، المشار إليه هنا بكلمة "ذلك"؛ المعرفة بذاتها. إن الاستعمال كلمة "ذلك" يوضح بأنّ هدف الحياة لا يكمن في مجال الوجود الظاهري؛ بل يقع ورائه. إن الحياة الحقيقية ليست هذه التي يشار إليها عموماً باسم الحياة؛ خلف هذه هي تلك الحقيقة للحياة. هذه هي تعاليم الحياة من وجهة نظر الزهد.

تصرح كتب الأوبانيشاد: "تات تفام آسي" – "ذلك هو أنت"، ويشير ضمناً إلى أنّ هذه المرحلة الواضحة للوجود الظاهري، التي تعتبرها بأنها ذاتك، هي ليست طبيعتك الحقيقية –أنت، في الحقيقة، تلك الحقيقة المتجاوزة.

"مطهّرون بالحكمة من كل نجس": تشير إلى الآيات 35 إلى 38 من الفصل الرّابعة.

"الحالة التي منها لا رجوع": طالما لم تتضمن الذات في خلود الحياة، وطالما لم يكسب العقل النقاوة المطلقة بشكل دائم في الوعي التجاوزي، تبقى الحياة ضمن الحقل النسبي للوجود. في هذه الحالة، تستمرّ دورة الولادة والموت في داخل الطبقات المختلفة لتطور الحياة. عندما يكسب الفرد الوعي الكوني، تتخطى الحياة مجال الولادة والموت. ولكونها أبدية فهي ثابتة؛ ولا تستطيع تناول التغيير. يجب أن نلاحظ بوضوح أنّ هذه الحالة يمكن أن تخلق فقط أثناء حياة الإنسان على الأرض. إنها مثل الإنسان الذي ارتفع إلى "الحالة التي منها لا رجوع". والطريق إليه يتضمن في المبدأ الشروح الآية الخامس والأربعون للفصل الثّاني.

إنّ الآية التالية تتعلق أيضاً بتجاوز تنويع الشكل في الخليقة، وهي تعطي التصوّر عن

وحدانية الحياة في كل مكان. وتتابع في تعاليم الزهد في هذا لإيجاد ذلك

الآية الثامنة عشر

إلى البْرَهْماني المكرِّس حياته في تعلّم
المعرفة والتواضع، وإلى البقرة والفيل
والكلب وحتى إلى المنبوذ الذي أضاع
دوره في الحياة، ينظر المتنور بعين المساواة

تعطي هذه الآية المعيار للرؤية في حالة التنوير. أولئك الذين أدركوا حقيقة الحياة "ينظرون بعين المساواة" الوحدانية خلال كلّ تنويع الاختبار.

"البْرَهْماني": هو إنسان مولود في عائلة براهمانية، الذين يكرّسون حياتهم إلى دراسة الفيدا والتعلّم الروحي. وفي استعمال هذه الكلمة ربطاً مع البقرة والفيل والكلب يشير بأنّ المولى يريد التأكيد بأن كينونة الإنسان المتطوّر وكينونة الحيوانات هي ذاتها؛ وبثباته في وحدانية الكينونة، وبعد أن أدرك أحادية المتجاوز التي هي خلف كلّ التنويع، يكسب مساواة الرؤية.

"التعلّم والتواضع": تجلب الحكمة تواضعاً. كما يرى الإنسان الحكيم التمايزات والاختلافات في الخليقة بأنها مؤقتة فقط، بحقيقة نهائية واحدة تقع في خلفيتها، لذلك هو لا يصرّ بأنّ الأشياء يجب أن تحدث في أيّ طريق معيّن. يأخذ الأشياء بخفية، لأنه يعرف بأنّها جميعها لها نهاياتها المشتركة. هذه النوعية الطبيعية للكينونة في الحكماء تفسّر بأنها تواضع. في

الحقيقة، التواضع هو معيار الحكمة، يظهر كذلك، نتيجة للإحساس المتزايد بوحدانية الحياة، الأحادية الأساسية لكلّ الكائنات.

يفهم التواضع عموما بأنه الاعتراف الصريح لمحدودات الفرد الشخصية، وجهله وتفاهته؛ لكن التواضع الحقيقي يكمن في صفة الكينونة وليس في أيّ موقف العقل.

يكون عقل الإنسان المدرك متغلغلاً بالكامل بحالة الكينونة –وحدانية الحياة – ومثل هذه العقل له بشكل طبيعي، وحدانية في الرؤية بصرف النّظر عن ما يرى. تخفق التمايزات الظاهرة في الوجود النسبي في خلق التقسيم في نظرتها.

هذا لا يعني بأنّ مثلَ هذا الإنسان يخفق في رؤية البقرة أو أنه غير قادر على تمييزها عن الكلب. بالتأكيد هو يرى البقرة بقرةً والكلب كلباً، لكن شكل البقرة وشكل الكلب يخفقان في إعمائه عن وحدانية الذات، التي هي ذاتها في كليهما. بالرغم من أنّه يرى البقرة والكلب، تكون ذاته ثابتة في كينونة البقرة وكينونة الكلب، التي هي كينونته الخاصة. يشدّد المولى بأنّ الإنسان المتنور، وبينما هو ينظر وتصرّف في الخليقة المتنوعة بشموليتها، لا يفقد وأحاديته الصامدة للحياة، التي بها يكون عقله مشبعاً والتي تبقى متغلغلة بثبات في نظرته.

"البرْهَماني المكرِّس حياته في تعلّم المعرفة والتواضع": تمثل هذه العبارة كلّ ما هو متحكم به بتأثير الساتفا. "البقرة" تمثّل ما هو متحكم به بالتأثير المختلط للرجس والساتفا. "الكلب" يمثّل ما هو متحكم به من قبل الرجس والطمس. الفيل" يمثّل ما هو متحكم به بتأثير الطمس. "المنبوذ الذي أضاع دوره في الحياة" يمثّل المستوى الأدنى في الحياة البشرية، الإنسان الذي يعيش في الجهل الكامل، والذي فقد طريق تطوره. إنّ المعنى من ذلك هو أن

الفرد الذي أدرك الذات بأنها منفصلة عن حقل الوجود النسبي هو صامد في ذاته وغير متأثّر أبداً بتأثير الساتفا أو الرجس أو الطمس والميول التي تنشأ عنها. إنه ينظر بعين المساواة في كل مكان.

تظهر الآية التالية الأهمية الأساسية لمثل هذه الوحدانية في الرؤية.

الآية التاسعة عشر

حتى هنا، في هذه الحياة، يخضع الكون
إلى أولئك الذين عقلهم في التساوي.
بدون أي نقصان، حقاً، والموجودٌ
بالتساوي في كل مكان هو البْرَهْمان.
لذلك إنهم ثابتون في البْرَهْمان

عندما يرتفع العقل، خلال ممارسة التأمل التجاوزي، إلى حالة الوعي الكوني، الكينونة المطلقة، تصبح ثابتةً بشكل دائم في طبيعة العقل، وتبلغ حالة البْرَهْمان، الكينونة الكونية. عندئذ يجد العقل ذاته على مستوى الحياة الذي منه يمكن لكلّ المستويات السطحية والمرهفة للخليقة أن تحفّز والتحكم بها وإعطائها الأوامر. إنه مثل البستاني الذي يعرف كيف يعمل على مستوى النسغ ويمكنه أن يؤثّر على الشجرة بالكامل بالطريقة التي يرغب. إن الشخص الملم بالمستوى الذرّي أو الجزئيات الذرّية للغرض، وبعمله على ذلك المستوى يمكنه أن يحدث بسهولة التغيير المرغوب في أيّ طبقة من وجود الغرض. هذا ما يعني المولى

بقوله: "حتى هنا، في هذه الحياة، يخضع الكون إلى أولئك الذين عقلهم في التساوي"، في الصفاء والهدوء، التي هي المستوى النهائي للحياة.

تكشف هذه الآية منزلة الفكر الثابت، ويتم وصفه هنا بأنه الحالة التي فيها "يخضع الكون". وتكون الطمأنينة والقوّة والحكمة والقدرة لدعم كلّ الأشياء الصفات الواضحة للمخضع للعالم. إن هذه الصفات والمزيد من مثيلاتها، موجودة في طبيعة الإنسان الذي، بينما يعيش في العالم، يكسب التساوي في العقل. تلك الحالة المستقرّة للمساواة في العقل في الوحدانية الأبديّة للحقيقة تعود إلى حقل الوعي الصافي، أو الكينونة الكلية الوجود، التي هي المصدر ذاته لطاقة الحياة، وخزان الحكمة الأبديّة، وأصل كلّ القوّة في الطبيعة والمنبع الرئيسي لكلّ نجاح في العالم.

طالما لم يرتفع العقل بشكل دائم إلى حالة الكينونة ولم يدرك حقل النشاط بأنه منفصل عن ذاته، سيستمرّ طويل جداً في تورطه في النشاط في الحقيقة، إنه مثل العبد للنشاط، ومثل العبد للكون. لكن عندما يكسب العقل استقراراً في الكينونة ويكسب الحالة الطبيعية للتساوي، عندئذ يجد بأن الكون منفصلاً عنه، ويستجيب له بشكل تلقائي، مثل الخادم، لكلّ حاجة يطلبها. هذه حالة لانفصال الكينونة عن النشاط، التي هي أساس التساوي والرصانة للعقل، يتم اكتسابها من خلال اليوغا والسانكهيا.

الآية العشرون

من لا يبتهج كثيراً في الحصول على ما هو عزيزٌ عليه،

ولا يحزن كثيراً في الحصول على ما هو مؤلم له،
من تثبّت فكره، ومن هو متحرّر من الضلال،
هو الذي يعرف بْرَهْمان ومتثبّت ببْرَهْمان

تصف هذا الآية طبيعة عقل الإنسان المتنور. إنه يؤيّد الحقيقة الكاملة، النسبي والمطلق سوية. إن مثل هذا الإنسان له بالتأكيد ما يرغب وما لا يرغب، وله بهجته الخاصة وحزنه الخاص في الحقل النسبي، لكنّها لا تخرجه من ذاته؛ إن هذا المعنى هو واضح في الكلمات "كثيراً"، لتصف "يبتهج" و"كثيراً"، لتصف "يحزن". إنها تظهر بأنّ الإنسان المدرك، وبالرغم من أنّه ثابت في الوعي القدسي، تبقي أقدامه على الأرض. وببقائه على المستوى البشري، يكون قدسي.

عندما ينغمس العقل بعمق في وعي الغبطة للذات، يبقى بشكل طبيعي غير متأثّر بالتعلق أو الكره الموجود في مدركات الحواس. هذا هو السبب الذي منه لا 'يبتهج' الإنسان المتنور ولا 'يحزن'. إنه اختبار مشترك حتى في الحياة الدنيوية وعندما يكون العقل منغمساً بعمق في شيء واحد، يخفق في تسجيل اختبارات الأمور الأخرى بعمق. إذا انشغل العقل بالكامل بفكرة اللحاق بالطائرة في الوقت المناسب، لا تستطيع لأشياء المتعددة التي يراها والأصوات التي يسمعها خلال قيادته للسيارة في الشوارع أن تحرف العقل عن المحطّة الجوية. في مثل هذه الظروف، يبقى اختبار الأشياء الأخرى على المستوى السطحي للإدراك الحسّي ولا تجعل سوى انطباع ضعيف جداً على العقل. إذا أمكن حدوث هذا في حالة وعي اليقظة، فكم بالأحرى سيكون أكثر عندما تسيطر على العقل حالة أخرى من الوعي.

إنّ عقل إنسان المتنور هو نشيط في العالم الظاهر، لكنه يخفق في تسجيل اختبارات ذلك العالم بعمق. فكره ثابت في نوره الداخلي الخاص، نور الذات. هو يقظ في ذاته ويقظ أيضاً في

العالم الخارجي. يعيش القدسي في العالم؛ يعيش المطلق والنسبي سوية. لذلك، "هو الذي يعرف بْرَهْمان ومتثبّت ببْرَهْمان"

فلنأخذ إنساناً في حالة وعي اليقظة، منشغل في اختبار العالم الخارجي، وفي الوقت ذاته يحمل اختبار حالة وعي الحلم في عقله. بالنسبة له إن اختبارات حالة اليقظة هي ملموسة أكثر بالتأكيد من تلك التي في حالة الحلم، لكن النوعين من الاختبار يتواجدان معاً. هذا ما يوضح بأنّه من الممكن للإنسان أن يكون في حالة واحد من الوعي ويتقبل اختبار الحالة الأخرى أيضاً وفي الوقت ذاته. عندما يكسب الفرد خلال التأمل، الوعي التجاوزي، يكون اكتفائه الذاتي غامر جداً بحيث حتى في حالة وعي اليقظة يحافظ الفرد في داخل ذاته على تأثير الكينونة. علاوة على ذلك، عندما يصبح الحفاظ على الكينونة كاملاً ودائماً في العقل، ستتواجد جميع النشاطات لحالة اليقظة فقط على المستوى السطحي جداً للعقل. هذه هي حالة الوعي الكوني، التي يتم فيها اختبار النشاط بأنه منفصل عن كينونة.

سنلاحظ بأنّ المولى قد شدّد عن شرطين الذين يجب أن يكونا مكتملتان إذا أراد الإنسان أن يصبح مدركاً. الأولى بأنّه يجب أن "يعرف بْرَهْمان"، ما يعني، أنه يجب أن ينال الفهم الفكري الواضح عن الحقيقة. هذا الشرط يعود إلى مجال سانكهيا. أما الشرط الثاني فهو بأنّه يجب أن يكون "متثبّت ببْرَهْمان"، ما يعني، أنه يجب أن ينال الاختبار المباشرة للطبيعة القدسية لكي تصبح حياته اليومية تعبيراً عنها. وهذا الشرط يعود إلى حقل اليوغا.

لذلك تؤيّد هذه الآية أيضاً تعاليم الآيات 4 و 5 من الفصل الحالي كما تؤيد الآية الأخيرة للفصل الرّابع، وبذلك ترضي كل من السانكهيا واليوغا على مستوى الزهد. إنها تصف الحالة الداخلية لزهد الإنسان المدرك، سواء كان قد أدرك من خلال اليوغا أو من خلال السانكهيا.

ولأنه أدرك الطبيعة المستقلة للذات، يكون مثل هذا الإنسان من دون ضلال حول هويته الخاصة؛ هذا ما يجعل الفكر ثابتاً. هذا الثبات للفكر هو حالة الحياة التي فيها "من لا يبتهج كثيراً في الحصول على ما هو عزيزٌ عليه، ولا يحزن كثيراً في الحصول على ما هو مؤلم له".

تكشف الآية الحالي الحالة طبيعية الزهد في حياة الإنسان المدرك، الذي لا يبتهج في أيّ شيء خارجي. وتوضّح الآية التالي السبب لزهده: هو ثابت في غبطة كينونته الخاصة.

الآية الواحدة والعشرون

من لا تتأثر ذاته باحتكاكاتها الخارجية،
يعرف أن السعادة هي في داخل الذات.
وباتحاد ذاته مع البْرَهْمان يتمتع بسعادة أبدية

"لا تتأثر ذاته باحتكاكاتها الخارجية": من أجل كسب اختبار الذات الداخلي في الحالة التجاوزية للوعي، يجب إزالة اختبار الأجسام الخارجية. من خلال الاختبار الثابتة، تصبح الذات متآلفة جداً مع العقل وبأن الطبيعة الحقيقية للعقل تتحوّل إلى طبيعة الذات. عندئذ يبقى الوعي التجاوزي سوية مع حالة وعي اليقظة، الذي يواصل دعمه لكلّ النشاط كما كان يفعل سابقاً. واستناداً على المحافظة الدائمة على الوعي التجاوزي، يتم اختبار الذات دوماً بأنها الذات. وبشكل متزامن، واستناداً إلى حالة وعي اليقظة، يستمرّ النشاط في الاختبار. هكذا يتم اختبار الذات بأنها منفصلة عن النشاط في هذه الحالة، تفقد الذات الأدنى إلى الأبد؛ لقد هو أصبحت الذات الكونية.

بخسارة الذات الأدنى، يصبح اتصال الذات الأدنى بالأجسام من خلال توكل العقل والحواس، الذي كان مسؤولاً عن تسبّب الاختبار، غير متواجد. وما يبقى هو الذات الأعلى في طبيعتها الصافية لوعي الغبطة، مجردة من أيّ اتصال بالأجسام التي محمولة بالذات الأدنى. هذا ما يعني به المولى عندما يقول: "من لا تتأثر ذاته باحتكاكاتها الخارجية". الآن، وبما أن الذات الأعلى هي ثابتة إلى الأبد في طبيعتها الأساسية، يصبح وعي الغبطة دائماً. عندما يقابل وعي الغبطة هذا الأجسام، ينتج الحالة التي وصفت بالتعبير: "باتحاد ذاته مع البْرَهْمان". هذا لأن البْرَهْمان حالة

الوعي الكوني، التي تجمع وعي الغبطة والنشاط

"باتحاد ذاته مع البْرَهْمان": إن هذا التعبير، سوية مع "لا تتأثر ذاته باحتكاكاتها الخارجية"، يقدمان المعيار الذي به يتمكن الباحث من معرفة متى اكتسب "بْرَهْمي ستهيتي" أو حالة البْرَهْمان – الوعي الكوني. وفي حين يختبر العقل الأجسام من خلال الحواس، يظل يقظاً في إدراك ذاته بأنها منفصلة عن حقل الاختبار والعمل. هذه هي إذاً حالة الوعي الكوني، التي يبقى فيها متيقظاً في العالم ومتيقظاً في ذاته.

لقد ظلم العديد من المفسرين تعاليم هذه الآية باقتراحهم أنها تصف تقنية التمتّع بغبطة الذات بواسطة تصنع مزاج في البقاء غير متأثّرين في حين يختبرون البهجة من خلال مدركات الحواس. عالجت العديد من الترجمات النصّ الأصلي بطريقة ما التي تقدم، ومع التقيد بالقواعد اللغوية للآية، صورة خاطئة لتعاليمها وعلى نقيض المبدأ الأساسي للعمل ومن الزهد.

إنها ديمومة وعي الغبطة المكتسبة من خلال يوغا العمل، ومرة أخرى إنها حالة الزهد المكتسبة من خلال يوغا الزهد مستند على وعي الغبطة الذي يبقي الذات غير متأثّر في أثناء اختبار البهجة؛ إنها ليست الممارسة الفكرية في محاولة منع العقل وإبقائه غير متأثّراً في أثناء عملية الاختبار هي التي تجلب الفرد إلى وعي الغبطة وإلى حالة الزهد، حيث يتم اختبار الذات بأنها منفصلة عن النشاط أنه بسبب اتحاد الذات بالبْرَهْمان يتمتّع الإنسان بسعادة أبديّة.

إن السبب لا يسمح لبهجة الحواس أن تحدث الانطباع العميق على الإنسان المتنور هو بأنّ ذاته الأدنى قد أصبحت الذات الأعلى، التي هي سعيدة كلياً في الطبيعة. وكونه يقظ بشكل تام في الذكاء الكوني، يكون موقعه الطبيعي في المنبع الرئيسي لكلّ بهجة للحواس كلها. وكونه

ثابت بشكل دائم في الغبطة المطلقة، تخفق البهجة المؤقتة للوجود النسبي في سحر ذاته. حتى عندما تحتك الأجسام الحسّية بحواسه، لا تكون البهجة من مثل هذه الاحتكاكات قويّة جداً كي بالنسبة إلى تصرف انتباه الذات عن حالتها الطبيعية في وعي الغبطة. لهذا السبب تبقى ذاته غير متأثّرة بينما تكون حواسه في الاحتكاك الكامل بمدركاتها.

إن العبارات "لا تتأثر ذاته باحتكاكاتها الخارجية" و "يعرف أن السعادة هي في داخل الذات" و "باتحاد ذاته مع البْرَهْمان" تضع السانكهيا واليوغا على قاعدة مشتركة، وهكذا تأييد الآية 4 والآية 5، اللتان تحتويان على جوهر تعاليم هذا الفصل.

الآية الثانية والعشرون

لأن كل الملذّات التي تولد من احتكاك الحواس

هي ليست سوى مصادر للحزن؛ لها بداية ونهاية،

يا ابن كونتي، لذلك لا يتمتّع بها الإنسان المستنير الحكيم

تتغاير هذه الآية مع سابقتها، في أنّها توضّح مبدأ الحالة المنفصلة للذات، وفي الوقت ذاته تتمّمه بتوضيح مبدأ السعادة والمعاناة.

"احتكاك": كما في الآية السابق، إنها تعني احتكاك الذات مع حقل النشاط أو الاختبار. إنها تصوّر الحالة التي فيها لا تبقى الذات غير متأثّرة، الحالة التي تبقى فيها الذات متورطة بحقل الاختبار وبهجة الحواس. إن مثل هذه البهجة هي "مصادر للحزن" استناداً إلى أن الذات هي

مرتبطة بها. ولكن إذا بقية الذات غير متأثّرة، لن تكون عندئذ بهجة الحواس مصادر الحزن، لأنه في تلك الحالة، تكون الذات في السعادة الأبديّة.

عندما يبدأ العقل بتلقي البهجة من أجسام الحواس، يظهر هذا بأنّ بهجته ليست من الداخل؛ و لم يرس العقل إلى غبطة الذات، هو مأخوذ في الاتجاه الخارجي بعيداً عن الغبطة. إذا لم يعد العقل مواجهاً في اتجاه الغبطة، وإذا لم يكن محايداً، عندئذ لا يكون مستديراً بوضوح نحو الحزن. لذلك عندما يكون العقل مأخوذاً في البهجة الخارجية، يكون مأخوذاً في حقل الحزن. وأيّ شيء يقود العقل في الاتّجاه الخارجي يصبح مصدراً للحزن.

إن هذه الحقيقة حول متعة العالم هي صحيحة عندما ننظر إليها من مستوى الوعي الكوني ومن مستوى وعي الله، الحقيقة النهائية للحياة. إما بالنظر إليها من هذا المستوى العادي لوعي الإنسان، يبدو القول بأن "الملذّات التي تولد من احتكاك الحواس هي ليست سوى مصادر للحزن" سخيفاً. ولكن حتى على هذا المستوى من الوعي ينطبق المبدأ ذاته: "ليست سوى مصادر للحزن" وسبب ذلك هو "لها بداية ونهاية".

"لا يتمتّع بها الإنسان المستنير الحكيم": ومع ثباته في حالة السعادة الأبديّة، في برْهَمي ستهيتي، ويختبر الذات بأنها منفصلة عن النشاط، من الطبيعي أن يكون قد ارتفع فوق المرحلة الظاهرية للحياة، فوق البهجة العابرة للحقل النسبي، ولذا فهو ليس في حالة يمكنه فيها أن يبتهج في البهجة المؤقتة. عندما يصبح البائع الصغير تاجراً بالجملة لن يتعامل في مجال البيع بالمفرق، الذي يتطلّب منه جهد أكثر وينتج ربحاً أقل.

يختلف اختبار أجسام الحواس في حالة اليقظة عن تلك في حالة الوعي الكوني. قد نشبّه ذلك باختبار الأجسام من خلال النظارات بالألوان المختلفة، حيث تختبر الجسم ذاته بشكل مختلف.

إنّ الإنسان المتنور ببساطة هو ليس في وضع يسمح له أن "يتمتّع بها" كما كان يتمتع قبل أن يدرك، وهذا بسبب الاختلاف في حالته من الوعي.

"مصادر الحزن": كثافة السعادة التي يمكن للفرد أن يتمتّع بها تعتمد على مستوى وعيه. في كل مستوى من مستوى من الوعي هناك كثافة مرادفة له من السعادة. ينطبق هذا المبدأ أيضاً إلى الذكاء والقوّة.

إنّ الاختلاف بين وعي الإنسان المتنور والإنسان غير المتنور هو كبير كما هو الاختلاف بين المطلق والنسبي، وبين النور والظلمة. لهذا السبب بهجة الحواس، التي تبهج الجاهل، ينظر إليها من قبل الحكماء على أنها مصادر الحزن. وذلك بالمقارنة مع الغبطة الأبديّة للمطلق، التي فيها يثبت المتنورون بشكل طبيعي، إن البهجة العابرة للعالم هي ليست "سوى مصادر الحزن". عندما يستعمل المولى هذه الكلمات، إنها لتعبر عن الحقيقة وفي ذات الوقت لكي يخرق بشدّة في عقول أولئك الذين يستغرقون في مثل هذه البهجة التي أعمت بصيرتهم

إذا ابتهجت الذات في اختبار الأجسام، وبما أن الأجسام تتغيّر، ستفقد البهجة قريباً. هذه الخسارة للسرور ستتسبّب بالمعاناة. لهذا السبب يقول المولى: "لها بداية ونهاية ... لا يتمتّع بها الإنسان المتنور". إن من ينقصه الاتصال بالكينونة الداخلية يصبح مستغرقاً في الملذات الخارجية.

"لها بداية ونهاية": هذا التعبير يعطي المقارنة مع "سعادة أبديّة" في الآية السابقة. عندما تنتهي البهجة الواحدة، يخضع الذات إلى حالة من دون بهجة والتي، بالمقارنة مع اختبار البهجة، تعاني. لكن إذا اكتسبت الذات حالة السعادة الدائمة، عندئذ لن يكون لها

أية إمكانية للمعاناة. إن غياب وعي الغبطة هو مصدر الحزن.

الآية الثالثة والعشرون

من هو قادرٌ، حتى هنا قبل أن يتحرر
من جسده، أن يقاوم إثارة الرغبات
والغضب، هو يوغي متوحّد بالذات.
إنه إنسانٌ سعيد

"حتى هنا": في بقائه ضمن محدودات الحقل النسبي للحياة اليومية في العالم القدرة على "أن يقاوم إثارة الرغبات والغضب" لها قاعدتها في حالة الطمأنينة العليا التي تنتج من الإتحاد مع القدسي ومن معرفة الذات بأنها منفصلة عن حقل النشاط في حالة الوعي الكوني، التي هي نتيجة لمثل هذا الإتحاد. في هذه حالة لديمومة الطمأنينة ليس هناك أيّ إمكانية للإثارة. يمكن أن تظهر الإثارة فقط في العقل القلق الذي يبحث دوماً عن المزيد.

"الرغبات والغضب" تعود إلى عالم العقل. من أجل أن يحدث أيّ نشاط عقلي من الضرورة أن يكون هناك نشاطاً مرادفاً في البنية الجسدية للجهاز العصبي. ينتج النشاط العقلي للرغبة والغضب "إثارة" قوية جداً في الجهاز العصبي. إن هذه إثارة الطبيعية التي تحرّك الجهاز العصبي إلى النشاط في حالة الإنسان غير المدرك تخرج هذه الإثارة فورا بشكل الكلام والعمل؛ لكن في حالة الإنسان المدرك، الذي يرسو في الصمت الأبدي مثل السفينة الراسية في قاع البحر. يحافظ جهازه العصبي بشكل دائم على تلك الحالة من اليقظة المريحة التي تقابل

الوعي الصافي للذات، وتمنع هذه الحالة من اليقظة المريحة حركة الرغبة والغضب في الجهاز العصبي. هكذا لا تسمح حالة جهازه العصبي للإثارة في الظهور في الإنسان المدرك

يعمل الوعي الذاتي كأنه مخفّف للصدمات على المستوى العقلي، في حين تعمل حالة اليقظة المريحة للجهاز العصبي كأنها مخفّف صدمات على المستوى الجسدي. هذه هي الحالة العادية للحياة في الوعي الكوني.

تتدفق حياة من خلال الرغبة. طالما تكون الرغبة موجودة، ستتواجد إمكانية الغضب دائماً، وبالتالي تكون الحركة الناتجة عن الرغبة والغضب الميزّة الأساسية للحياة. لهذا السبب لا يدعو المولى إلى إزالة الرغبة، لكن يقول فقط بأنّه من ضروري خلق الحالة التي فيها "الإثارة المولودة من الرغبة والغضب" تقاوم تلقائياً، بمعنى أنها لا تتغلب على الحياة.

يتم خلق هذه الحالة بتثقيف الأوجه العقلية والمادية للحياة من خلال ممارسة التأمل التجاوزي، التي تنتج النقاء الضروري في العقل والجهاز العصبي بشكل متزامن في حالة الوعي الكوني، التي هي الحالة الموصوفة من قبل في "التوحيد بالقدسي"، هذا النقاء هو بحيث لا يسمح لإثارة الرغبة والغضب في الظهور. لكن المولى يقول: "قبل أن يتحرر"، قبل كسب الوعي الكوني. هذه لأن المعرفة بأن الذات هي قدسية بطبيعتها ومنفصلة جداً عن حقل النشاط تنمو كلما تتقدم ممارسة كسب الوعي التجاوزي، وبالتالي وقبل قبل فترة طويلة من كسب الإنسان للوعي الكوني يصبح فعلاً تغلغل الكينونة في طبيعة العقل كافياً لإعطائه القدرة على مقاومة " الإثارة المولودة من الرغبة والغضب". تظهر الحاجة لمقاومة هذه إثارة فقط عندما يكون هناك فرصة للإثارة في الظهور. وهذا يحدث فقط قبل الكسب الفعلي للوعي الكوني.

على الرغم من هذا، إنه واضح من هذه التعاليم أن القدرة على مقاومة الإثارة يجب أن تأخذ من

معيار واحد في التوحيد مع القدسي. هذا لأنه ليس هناك طريق مباشر لقياس درجة تغلغل الكينونة في العقل والتحقّق سواء كان التغلغل كاملاً ونهائي أما لا للكينونة. أما المعيار الثاني الذي يعطيه المولى فهو: "إنه إنسانٌ سعيد"؛ هو متحرر من "مصادر الحزن"، كما هو ظاهر في الآية السابقة.

"قبل أن يتحرر من جسده": يظهر هذا التعبير بأنّ التعاليم الحالية هي للطامح المنشغل في ممارسة كسب حالة التوحيد مع القدسي. إنها تعني قبل نيل التخلص من التأثير الملزم للعمل، و قبل نيل حالة الوعي الكوني، التي فيها يتم اختبار الذات بشكل دائم كأنها منفصل عن النشاط، وقبل اضمحلال تحديد الذات بالجسم، وقبل تحقيق حالة الزهد.

لقد تم إساءة فهم هذا الآية عموماً بمعنى أن الذي يقاوم الرغبة بطريقة ما يصل إلى الإتحاد مع القدسي، وهذا سبّب كلّ أنواع ممارسات التقشف والتحذير لترك الرغبة لأجل مجيء الإتحاد. إنه من الخطأ الافتراض بأنّ هذا الآية تعرض طريق إلى الإتحاد من خلال المحاولة لمقاومة الرغبة. إنها تضع الإتحاد القدسي بشكل مجرّد بالمتوازي إلى القدرة الطبيعية لمقاومة الرغبة. هذه القدرة في الحقل النسبي التعبير عن الإتحاد في الحقل المطلق. من الاثنان، إن الإتحاد مع القدسي هو سهل المنال. إنه يشكّل قاعدة القدرة للمقاومة. وبما أننا صرحنا في هذه الآية بأنّ عقل ممارس يوغا يبقى ثابتاً في حقل النشاط، يستمرّ المولى، في الآية التالية، في وصف الحالة الداخلية لمثل هذا العقل.

الآية الخامسة والعشرون

إن الرائين الذين زالت خطاياهم وتبدّدت
شكوكهم، المتحكمون ذاتياً والمتمتعون في
فعل الخير لكل المخلوقات يصلون
إلى الحرية الأبدية الوعي القدسي.

يجب الملاحظة أنه عندما يقدّم المولى حالة الحرية الأبديّة من خلال مبدأ الزهد، كما فعف في الآية السابقة، هو لا يتأخر في الإضافة بأن في مثل هذه الحالة ينال الإنسان المتعة "في فعل الخير لكل المخلوقات". في حالة الزهد يصبح الإنسان مكرّساً إلى كلّ المخلوقات وقادراً على عمل الخير ليس لذاته فقط، بل إلى كلّ الكائنات الأخرى. إنها هذه التعاليم هي التي وضعت فلسفة الزهد بتوازي مع يوغا العمل.

"الراءون" : عارفو للحقيقة، هم ثابتون في إدراك الذات بأنها منفصلة عن النشاط، الذين يروا الحياة كأنها مسرحية القدسي بينما يبقون هم غير متورطين.

"الذين زالت خطاياهم": تزول الخطايا بكل من اليوغا والسانكهيا.

"وتبدّدت شكوكهم": بكل من اليوغا والسانكهيا.

"المتحكمون ذاتياً": يتم اكتساب هذه الحالة بكل من اليوغا والسانكهيا.

"متمتعون في فعل الخير لكل المخلوقات": يصلون إلى هذه الحالة بكل من اليوغا والسانكهيا.

يصف المولى هنا بعض المتطلبات الرئيسية للفرد الذي يريد "الوصول إلى الحرية الأبدية الوعي القدسي". لحسن حظ الطامحين أن كلّ هذه الشروط تكمل بشكل طبيعي وتلقائي من خلال

تعاليم السانكهيا، التي تشمل الطريقة التي وصفها المولى في الآية الخامس والأربعون للفصل الثاني: "كن من دون الغونات الثلاثة". إنّ التقنية البسيطة لإنجاز هذه الحالة "من دون الغونات الثلاثة" هي ممارسة التأمل التجاوزي، لأنها تجلب بسهولة العقل من حقل الاختبار السطحي إلى حالة الوعي التجاوزي.

عندما يتجاوز العقل في أثناء التأمل، يصل إلى حالة الوعي الصافي، متحررا من كلّ التنويع. عندما يصبح ثابتاً بشكل دائم في الكينونة، تكتمل معرفته و تختفي كلّ شكوكه تماماً، ومهما كانت، بشكل طبيعي. بعد أن يرتفع فوق الأنانية الفردية، يبقى في وعي الغبطة مرتبطاً بكامل بمصدر الطاقة، ويصبح الإنسان متحركاً بدافع العطف ويقوم بفعل الخير لكلّ الكائنات.

الآية السادسة والعشرون

المنـضبـطون والمتـحرّرون من الرغبـة
والغضب والذين ضبـطوا أفكارهم
وأدركوا الذات، يجدون الحرية المطلقة
الأبـدية في الوعي القدسي في كل مكان

يجب أن نـلاحظ بـأنّ الآية 24 وعدت بـالتحرر الأبـدي من خلال اليوغا، وأن الآية 25 وعدت بـذلك من خلال السانـكهيا، وتترجم هذا الآية نـفس وعد التحرير الأبـدي من مصطلح الزهد. يعكس تسلسل هذه الآيات الثلاث تسلسل موضوع الفصل الثّالث والرّابـع والخامس. وهكذا يجلب المولى كمالاً إلى فلسفة الزهد.

تصف هذا الآية الإنسان في الحرية الأبـديّة. إنـه "منضبـط" لأنـه ثابـت في معرفة الحقيقة، التي تعطيه الفهم الواضح لحالة الزهد، أو الانـفصال الذي يقع بـين الذات والنـشاط وبـكسب تلك الحالة يكون متحرراً من الرغبـة والغضب ويضبط أفكاره. لقد "أدرك الذات"، لأنـه ثابـت بـشكل دائم في الحالة الصافية للكينـونـة، أو الوعي الذاتي – لقد اكتسب الوعي الكونـي. وبـثبـاته في الوعي القدسي يجد الحرية الأبـديّة في كل مكان.

إنّ الحالة المشروحة في هذه الآية هي أعلى من تلك المشروحة في الآية 23، لأنـها تنـشأ عن دمار الخطايا وتبـديد الشكوك المحدّدة في الآية 25.

قدمت الآية 23 الإنـسان السعيد في التوحيد مع القدسي بـأنـه "قادر ... على مقاومة الإثارة المولودة من الرغبـة والغضب". هذا ما يشير ضمنـاً إلى أنـه ما زال ممكنـاً للإثارة النـاتجة عن

الرغبة والغضب في الفوران في مثل هذا الإنسان السعيد المتحد مع القدسي، لكنه سيكون قادراً على مقاومة هذه الإثارة. تظهر الآية الحالية "الذين ضبطوا أفكارهم وأدركوا الذات" يتحررون من أيّة إمكانية للإثارة من الرغبة والغضب التي تنشأ فيهم يعيش مثل هؤلاء البشر المكتملون الحرية الأبديّة في الوعي القدسي.

"الذين ضبطوا أفكارهم": ضبط الفكر الذي يتوافق مع عملية تطور المفكّر وكلّ شيء حوله. إنها متوافقة مع كلّ قوانين الطبيعة. عندما يكسب العقل، في أثناء التأمل، حالة الوعي القدسي التجاوزي، يصبح الأساس لكلّ قوانين الطبيعة التي تحكم عملية التطور على كل مستوى من مستويات الخليقة. وفي الخروج إلى حقل الحياة النسبية، تتلقى أفكاره بشكل طبيعي الدعم من كلّ قوانين الطبيعة. لذلك تعني العبارة "الذين ضبطوا أفكارهم" العيش في الكينونة في الحياة اليومية؛ وهي لا تعني السيطرة على الأفكار.

"في كل مكان" تعني أثناء الحياة هنا على الأرض وفيما بعد.

يتم إظهار ذلك إلى أرْجونا، لكي يصبح متحرّراً، من غير الضروري أن يموت الفرد أو يترك جسده. إذا عرف الفرد الذات وعرف أن العقل هو ثابت بلا انفصال فيها، إذا تم إدراك الذات بأنها منفصلة عن النشاط، عندئذ ومهما كانت الرغبات أو الغضب، تبقى الذات غير متورطة تماماً وبالتالي متحررة منهم. هكذا، عندما يتم ضبط العقل من ناحية الذات، يبقى غير مكترث بكلّ النشاط، بما في ذلك نشاط الرغبة أو الغضب. من الطبيعي، في مثل هذا الحالة، يتحرّر الإنسان خلال فترة حياته هنا على الأرض وبالتالي بعد الموت.

قد نتذكّر بأنّ حياة المنضبطة، والمتحررة من الرغبة والغضب، وانضباط الأفكار وإدراك الذات يتم تحقيقها من خلال كل من اليوغا والسانكهيا. لذلك قد نستنتج من هذا الآية بأنّ اليوغا

والسانكهيا هما متشابهان بما يتعلق هذه النتائج المعنية. بتوافق هذا الاستدلال مع الآية 4 و الآية 5، اللتان تقدّمان غاية هذا الفصل.

هذا الآية، سوية مع الآيات الثلاث السابقة، تضع الأسس لإمكانية الحياة القدسية في العالم أمّا من خلال ممارسة اليوغا أو حكمة السانكهيا. في الآية التالية، يبدأ المولى بالوصف الدقيق للممارسة التي تقود الإنسان إلى تحقيق تلك الحالة من الوعي الكوني (جيفان موكتي) خلال فترة حياته. هذا ما سيكمل تعاليم الفصل وسيوفّر القاعدة الصحيحة لحكمة الفصل الخامس.

الآية السابعة والعشرون

ينقطعون عن الاحتكاك مع الخارج،
ويوجهون النظر الداخلي بين حاجبي العينتين،
ويوازنون التنفَس الداخل والتنفَس الخارج
التي تجري من ثقبي الأنف.

إنّ النقطة الأولى بأنّ الانتباه يجب أن ينتقل بعيداً عن الحقل الخارجي للإدراك الحسّي. "ينقطعون عن الاحتكاك مع الخارج" تعني في إغلاق بوابات الحواس على أيّ الاختبار خارجي وفي الوقت ذاته عدم التفكير بشأن أجسام الانطباع الحسّي.

والنقطة الثانية هي بأنّ الرؤية "بين حاجبي العينتين". هذا يعني بأنّ الرؤية موجّهة إلى الخارج من ضمن الحواجب – هي موجّهة من وراء الحواجب، وهذه ما ينفذ بالعيون المغلقة. إنها الحالة المرتاحة والأكثر سهولة للعضلات البصرية. إنها يسكّن الجهاز العصبي بالكامل ولها

أيضاً التأثير المتزامن في ترك "الاحتكاك مع الخارج" ' وتوازن "التنفَس الداخل والتنفَس الخارج". لقد تم إساءة فهم هذه النقطة على نحو واسع وتم إساءة تفسير الآية بالدعوة إلى تركيز النظر بين الحاجبين. إن مثل هذه الممارسة ربّما يكون لها قيمتها في الأنظمة الأخرى التي تعتمد على الجهد . إن تركيز النظر بهذا الأسلوب يتضمّن جهاداً كبيراً حتى وإن كانت العيون مغلقة؛ إن مثل هذه الممارسة ليس لها مكان في البهاغافاد غيتا، التي تعالّم الطريقة البسيطة والسهلة.

والنقطة الثالثة هي بأنّ الحالة من التوازن يجب أن تؤسّس بين النفس الخارجي والداخلي. يعني هذا التوازن بأنّهم يجب أن يتدفّقوا بانتظام، ويجب أن يوقف عن التدفّق، في تناوب الاتجاهين، للوصول أخيراً إلى حالة التعليق.

هناك عدّة طرق لتحقيق هذه الأهداف الثلاثة. في بعض الممارسات، تسود سيطرة الحواس، في الأخرى سيطرة الفكر، وفي غيرها سيطرة الذات. لكن الممارسة التي يشير إليها المولى في هذا الآية هي واحدة وتعمل على كلّ هذه الأوجه بشكل متزامن وتؤدّي إلى الحالة المشروحة في الآية التالية.

الآية الثامنة والعشرون

الحكيم، الذي تحكم بحواسه وعقله
وفكره، والذي ينشد التحرّر، وعنه
رحلت الرغبة والخوف والغضب،

هو حقاً متحرر أبداً

"الحكيم" (موني): أنظر الفصل الثّاني، الآية 56 والآية 59.

"تحكم بحواسه وعقله وفكره" من قبل "بمعرفته أنه خلف نطاق الفكر" (الثّالث، 43).

"الذي ينشد التحرّر" تعني بأنّ كلّ جهوده متجهة نحو التحرر. يتبع من دون انحراف الطريق الأكيد الذي سار فيه من قبل "الباحثون القدماء عن التحرر" (الرّابع، 15). يكرس الروتين الكامل من حياته إلى ممارسة التأمل والنشاط المتوازن.

كنتيجة لهذه الممارسة الثابتة، يصبح بشكل طبيعي جداً متحرراً من الرغبة والخوف والغضب. "عنه رحلت الرغبة والخوف والغضب" تشير بأنّه لم يقم بأي عمل لإبعادها عنه – لقد رحلوا عنه من تلقاء ذاتهم.

تصف الآية الحالي حالة مثالية لدرجة أكبر من الإدراك مما هو مشروح في الآية 26. هناك يرد التعبير "متحرر من الرغبة والغضب" يشير بأنّ الإنسان قد تركهم؛ أما التعبير في الآية الحالي فهو، "وعنه رحلت الرغبة والخوف والغضب" يشير بأنّهم تركوه.

ويعود السبب إلى أنّه وصل إلى حالة حيث يتم فيها اختبار الذات بأنها منفصلة عن النشاط، وهكذا يجد ذاته "حقاً متحرر أبداً". هذه هي الحالة الزهد المثالي الذي يتم اكتسابه في الوعي الكوني. هاهو اكتمال فلسفة الزهد – كلّ شيء قد انفصل عن الذات، التي اكتسبت بالتحرر حالة مثالية من عدم التعلق.

هذا ما يؤشّر إلى قمّة الزهد على ما يبدو. ولكن السؤال المطروح هو: هل هذا هو كلّ ما يمكن أن تقدمه فلسفة الزهد؟ إذا كان كذلك، عندئذ تكون الفلسفة غير كاملة، لأنه لا يمكن للوجود بابتعاده عن كلّ شيء أن يعطي الاكتمال إلى الحياة. هذا الاستفسار الملحّ يتم الإجابة عليه في الآية القادمة، التي يؤمن للاكتمال المطلوب للحياة وتظهر بأن الاكتمال هو الذروة الحقيقية لفلسفة الزهد.

الآية التاسعة والعشرون

إن من يعرف أنني المتمتع باليغيا والتقشف،
وأنني الرب العظيم لكل العالم،
وصديق كل الكائنات، يصل إلى السلام

هاهو المجد الحقيقي للزهد. إنه يكتشف "المتمتع" العظيم: يطوّر إلى التوحيد مع الله.

"أنني": الذي هو ولادة وأعمال قدسية (الرّابع، 9)؛ الذي هو الملجأ لأولئك المتحرّرين من التعلق والخوف والغضب، وإلى كينونته يجيء أولئك الأتقياء بتقشّف الحكمة (الرّابع، 10)؛ الذي يظهر منفعة البشر وبذات الطّريقة يقتربون مني (الرّابع، 11)؛ والذي أكون المؤلف للنظام الرباعي في الخليقة، ويبقى الثابت غير فاعل رغم ذلك (الرّابع، 13)؛ الذي لا تورطه الأعمال والذي هو من دون اشتياق إلى ثمار العمل؛ وبمعرفته يحرّر الناس من عبودية العمل (الرّابع، 14).

"اليغْيا": الأعمال التي تدعم الحياة والتطور. هذه ما تم التعامل معه بالتفصيل في الفصل

الرّابع، الآيات 24 إلى 33.

"التقشف"': وسائل التنقية. إنّ أداء اليغْيا يعتبر أيضاً بأنه تقشّفاً. تصف الآية 10 من الفصل الرّابع الحكمة من ناحية التقشّف، وبالتنقية منها يبلغ الفرد الوعي الأعلى.

"إن من يعرف أنني المتمتع باليغيا والتقشف": يراني بأني أقبل اليغْيا والتقشّف التي يقدمها؛ وبعد أن فصل ذاته من حقل النشاط، يتم إعطاء نشاطه إلى الطبيعة، التي هي للمولى. لهذا السبب يقول المولى: "إن من يعرف أنني المتمتع باليغيا والتقشف".

"إن من يعرف أنني... الرب العظيم لكل العالم": بعد أن رفع وعيه إلى مستوى وعيي؛ ما معناه، بعد أن بلغ وعي الله. إن معرفة الله ممكنة فقط عندما يصل الفرد إلى حالة وعي الله، هذا ما تم إيضاحه في التفسير عن الآية 38 الفصل الرّابع.

"وصديق كل الكائنات": الصديق هو مصدر البهجة. إنه يجلب السعادة المساندة للحياة. إنّ غاية خليقة المولى هي تمدد السعادة. يتمتّع البشر بحبّه الذي يعم الخليقة، كلّ في مستواه الخاص للوعي. هكذا، سكون "الرب العظيم لكل العالم" أيضاً الصديق المساند للحياة، المنعم بالسعادة على كلّ الكائنات. إن من يعرفه هكذا ويجد ذاته قريبة منه، يكسب الاكتمال: "يصل إلى السلام"، يقول المولى.

لكي لا يهرب عقل أرْجونا من الحقائق الحالية للحياة إلى المفهوم المجرّد للصديق البعيد جداً لكلّ الكائنات، ولكي يتمكن أن يرى المولى العظيم لكلّ العالم قريباً منه، ويتكلّم معه، يظهر المولى كريشنا بأنّه هو بذاته ذلك المولى. إنه بسبب استسلام أرْجونا الكامل له فقط يكشف ذاته بالكامل.

هذا الفصل، الذي، يفتح حكمة زهد العمل، ينتهي بشرح الطبيعة القدسية للمولى كريشنا، إنها كاملة وودودة ومسالمة جداً. هذا هو مجد حكمة الزهد التي تخص البهاغافاد غيتا استثنائياً. إنها لا يترك الإنسان في الانفصال الجاف والقاحل ومن دون دعم إنها تحمل الزهد إلى الإدراك المباشر إلى السلطة العليا والخير الأسمى والسعادة العليا التي توجد في الارتفاع إلى مستوى الربوبية، للتواصل المباشر بالله. هذا الإنجاز الخارج عن نطاق التصديق البشري في حياة الإنسان هو بركة الزهد. هاهي دعوة المولى إلى الجنس البشري: نالوا ملكوت السماء من خلال طريق العمل أو خلال طريق زهد في العمل. عليك الاختيار.

هكذا، في أوبانيشاد البهاغافاد غيتا المجيدة،

وفي علم المطلق، وفي نصوص اليوغا،

وفي الحوار بين المولى كريشنا وأرْجونا،

ينتهي الفصل الخامس، بعنوان: يوغا العمل

والزهد في العمل، كارما سانياسا يوغا.

الفصل السادس

نظرة على التعاليم في الفصل السادس

الآية 1. يعكس أداء العمل الصحيح في حالة عدم التعلق، الحياة الخارجية والداخلية للإنسان المدرك.

الآيات 2 إلى 10. إن اختلاف الطريق ليس هامّ طالما يتم اكتساب التوحيد بالقدسي. ما هو مهم هو أن نعرف بأنّ كلّ طريق يبدأ من مستوى النشاط وينتهي في الصمت الأبدي للكينونة المطلقة المطلق، الذي يطوّر إلى وعي الله. تقسم هذه العملية إلى ثلاث مراحل: من حالة اليقظة إلى الوعي التجاوزي، من الوعي التجاوزي إلى الوعي الكوني، من الوعي الكوني إلى وعي الله.

الآيات 11 إلى 28. الممارسة للارتفاع من حالة وعي اليقظة إلى الوعي التجاوزي.

الآية 29. الممارسة للارتفاع من الوعي التجاوزي إلى الوعي الكوني.

الآيات 30 إلى 32. الممارسة للارتفاع من الوعي الكوني إلى وعي الله.

الآيات 33 و 34. كيف يمكن للعقل، المتردّد، أن يكون ثابتاً على الطريق؟

الآيات 35 و 36. من الصعب التحكم بالعقل مباشرة، لكن من خلال الممارسة وعدم التعلق يصبح خاضعاً.

الآيات 37إلى 36. ما هو قدر الإنسان الذي يبدأ بإخلاص على الطريق لكن لا يقدر على الوصول إلى الهدف في هذه الحياة؟

الآيات 40 إلى 45. الموت لا يعيق التطور. في حياته القادمة يواصل الإنسان تطوّره من المستوى الذي اكتسبه في هذه الحياة. إذا يفشل في كسب الكمال في حياة واحدة، فسوف يكسبه في الأخرى؛ ولكن عندما يوضع في هذا الطريق، لن يخطئَ أحداً الهدف.

الآيات 46 و 47. يحثّ الباحث وضع نفسه على طريق التأمل التجاوزي، ويكسب توحيد العقل مع الذات القدسي، في الوعي التجاوزي، ويدرك بأنّ الذات هي منفصلة عن النشاط في الوعي الكوني، ويرتفع لله من خلال الولاء والتكريس، ويحقق التوحيد الكامل أخيراً به.

ملخص سريع

يقف هذا الفصل كحجر العقد في قنطرة البهاغافاد غيتا. يوضّح بالتفصيل ما سيكون مسمّى اليوغا الملكي لمولى كريشنا، الذي يجلب التنوير بسهولة إلى كل إنسان في كل عصر.

تكمن عظمة موضوع هذه الفصول الستّة أولاً في تفسير الحياة في أوجهها المنوّعة وبعد ذلك في تركيب كلّ هذه الأوجه في أحادية وعي الله.

إنه الموضوع القدسي الذي يشرح الحقيقة، التي تتخذ المعاني المتجددة باستمرار مع نمو وعي الإنسان. إنه يعطي الأهمية إلى الحياة في كل مستوى من مستويات الوعي ويجلب الاكتمال في كلّ خطوة لتطور الإنسان إلى أن يكسب الاكتمال الأبدي.

يظهر الفصل الأول البطل العظيم الذي شلت قواه من جراء حالة عميقة من التعليق، التي جعلته غير قادر على التصرّف. وبتقديم هذه الحالة القصوى، إنه يطلب بشكل صامت العلاج الشافي لكلّ الآلام والحزن في حياة الإنسان في أي وقت كان.

أعطى فصل الثّاني رؤية الحياة الكاملة بكشف المراحل النسبية والمطلقة للوجود. واقترح الممارسة التي يمكن فيها لكلّ المشاكل في المرحلة النسبية للحياة أن تحلّ بجمع قيمة الوعي المطلق إلى وعي الحالة النسبية.

شرح فصل الثّالث صلاحية العمل في جعل حالة التوحيد دائمة، هذه الحالة التي يتم اختبارها في حالة وعي المطلق المكتسب في الحالة التجاوزية.

جلب فصل الرّابع معرفة حالة عدم التورط، أو الزهد، الذي يتم اختباره عندما تصبح حالة التوحيد دائمة.

يظهر الفصل الخامس هذه حالة من عدم التعلق لتكون مشتركة في طرقي السانكهيا والكارما يوغا.

يصف الفصل السادس الممارسة التي تجلب هذه حالة من عدم التعلق، وبذلك يكمل التعاليم عن العمل وعن الزهد المذكورة في الفصل الثالث والفصل الخامس.

يخدم هذا الفصل السادس كأنه تفسير للآية الخامسة والأربعون من الفصل الثّاني، التي تتضمن التعاليم المركزية للبهاغافاد غيتا: "كن من دون الغونات الثلاثة". إنها تطوّر تقنية بسيطة من التأمل التجاوزي

التي تؤدّي إلى حالة من الوعي التي تحافظ في جميع الأوقات على الكينونة تلقائياً وبالتالي على التساوي والرصانة للعقل والسلوك في حقل النشاط تؤمن هذه التقنية الأساس العملي لكل من السانكهيا واليوغا ولطرق الحياة المختلفة جداً المرتبطة بهذه الطرق، والتي هي للناسك ورب البيت. إنهما يتوقّفان عملياً على أن يكونا طريقان مختلفان. ولكن حتى ولو اعتبرا مختلفان، يظل ممكناً القول بأنهما يتطوّران على أرضية مشتركة ويصلان إلى الهدف المشترك هذا هو مجد التعاليم العملية للفصل السادس.

آيات الفصل السادس

١٨	١٧	١٦	١٥	١٤	١٣	١٢	١١	١٠	٩	٨	٧	٦	٥	٤	٣	٢	١
٣٦	٣٥	٣٤	٣٣	٣٢	٣١	٣٠	٢٩	٢٨	٢٧	٢٦	٢٥	٢٤	٢٣	٢٢	٢١	٢٠	١٩
							٤٧	٤٦	٤٥	٤٤	٤٣	٤٢	٤١	٤٠	٣٩	٣٨	٣٧

الآية الأولى

قال المولى المبارك:

إن من يؤدي العمل الواجب فعله،
دون الاعتماد عل ثمار العمل،
هو سنياسي وهو يوغي. إنه ليس
الذي لا يستعمل النار ولا يقوم بالعمل

تلخص العبارات الأولى هذا الآية، "من يؤدي العمل الواجب فعله" و "دون الاعتماد عل ثمار العمل" تعاليم الحديث الكامل إلى حد الآن. تشير في الوقت ذاته أنّ الممارسة التي سيتم شرحها في هذا الفصل سيجعل الإنسان قادراً على عيش التعاليم التي تحتويها هاتان العبارتان. هذه الممارسة ستمكّن البشر لغرس تلك الحالة العالية للوعي القدسي التي يجب أن تكون طبيعية للإنسان والتي تشكّل أساس حياة السنياسي وممارس اليوغا.

إنه واضح من موضوع الحديث أن الذي يجلب الاكتمال إلى الحياة هو ليس طريقة معيّنة للحياة، إنها ليست النسك وليست طريقة رب البيت، لكنها اختبار الحقيقة والمعرفة حولها. هذا واضح أيضاً في عبارات في الآية الحالية، التي تصف حالة الوعي المشتركة بين ممارس يوغا و السنياسي: "ن من يؤدي العمل الواجب فعله، دون الاعتماد على ثمار العمل".

هذا الآية هي متابعة لإجابة المولى كريشنا على سؤال أرْجونا، في الآية الأول للفصل الخامس،

حول علاقة الزهد في العمل ويوغا العمل.

في المراحل المبكّرة من جوابه، أظهر المولى بأنّ الطريقان لهما نهاية مماثلة في حالة التحرر، التي في هدفها هي ذاتها. وبذلك أوضح تفوق يوغا العمل (الكارما يوغا) على الزهد في العمل (سنياسا)، وهذا أفصح عن الحقيقة بأنّ الطريقان متميّزان. في الآية الحالية، يضع المولى الأسس بأنّ، في حين قد يكون هناك بعض نقاط الاختلاف بين طريق السنياسي وممارس الكارما يوغا، هناك على الأقل عامل واحد مشترك يجلبهما سوية؛ الحالة المنفصلة للعقل فيما يتعلق بثمار العمل أثناء النشاط يعتبر المولى هذا ليكون المعيار لكل من السنياسي وممارس اليوغا، لكل من حالة الزهد وحالة التوحيد.

في القول بأن حالة التوحيد هي متساوية مع حالة الزهد قد يبدو متناقضاً، لكن حقيقة هذا القول تصبح واضحة في حالة الوعي الكوني. في هذه الحالة، يصبح توحيد العقل مع الكينونة، الوعي الذاتي، دائماً؛ هذه هي حالة التوحيد المثالي. في هذه الحالة أيضاً يتم اختبار الذات بأنها منفصل عن النشاط؛ هذه هي حالة الزهد المثالي. هكذا يتعايش الزهد والتوحيد معاً في الحالة ذاتها للحياة.

إنّ الحالة العقلية المنفصلة عن ثمار العمل هي نتيجة اختبار الذات بأنها منفصلة عن النشاط هذا بدوره ينتج عن التوحيد الذي يأتي من ممارسة اكتساب وعي الغبطة التجاوزي من خلال الطريقة التي أعطاها المولى إلى أرْجونا في الآية الخامس والأربعون للفصل الثّاني.

يقول المولى إلى أرْجونا: "العمل الواجب فعله". بهذا القول يقصد حماية تعاليمه من سوء فهما حول العمل بما يتعلق بعد التعلق. وإلا قد يرتكب الإنسان المضلّل جريمة قتل أو سرقة وإدّعاء

بأنه يتصرّف من دون التعلق بثمار العمل.

لا يستند مذهب الكارما يوغا على الأسلوب الذي يفكر به الإنسان. إنه مستند على حالة الوعي، حالة الكينونة. وغايته في أن يسمح بتغلغل الكينونة إلى طبيعة العقل وجعلها دائمة هناك وبذلك تصبح دائمة في الحقل الكامل للفكر والكلام والعمل، في الحقل الكامل لحياة الإنسان. هذا ما سيتم جلبه بشكل طبيعي جداً بممارسة التأمل التجاوزي ويليه النشاط غير الإجباري ومن دون إجهاد.

إنّ غاية كل من الكارما يوغا والسنياسا هي في تثبيت الإنسان في حالة التكامل الكامل للحياة. إن عدم التعلق بثمار العمل، الموصوف هنا بأن خصائص كل من السنياسي وممارس اليوغا، هو حالة عقلية معيّنة، ليست على مستوى الفكر بل على المستوى الكينونة.

سيكون من الخطأ تصنع مزاج لعدم التعلق بثمار العمل أثناء نشاط سوف يكون نفاقاً مطلقاً في المحاولة للتفكير، من مستوى الفكر أو بتصنع المزاج، فكرة الشعور: "أنا أقوم بهذا العمل في سبيل الله، أو من أجل الواجب، وليس لي رغبة بثماره؛ وأنا، حقاً أقوم بالعمل، لكن في الحقيقة لا أقوم به؛ أنا البرهمان، والعمل هو أيضاً البرهمان، وثمار العمل هي أيضاً البرهمان، وحتى الثمار هي لا شيء سوى ذاتي الخاص، وتلك الذات هي أنا. ما هي الحاجة إذاً، للتفكير بشأن ثمار العمل؟ هذه الطريقة التفكير ليس لها علاقة بمذهب عدم التعلق في الكارما يوغا أو السنياسا، وكل من يحاول أن يعيش عدم التعلق بمثل هذا التفكير يكون مضلّلاً لذاته فقط وبالرغم من ذلك ولعدّة قرون تم إساءة فهم مذهبي الكارما يوغا والسنياسا بهذه هذا الطريق فقط

إن السنياسا والكارما يوغا لا يستندان على أيّ أسلوب للتفكير، ولا على تصنع المزاج في

المستوى الواعي للعقل؛ إنهما يستندان على الاستقرار الداخلي للعقل في حالة التنوير. والطريق إلى هذا هي من خلال التأمل التجاوزي. ومن دون التأمل صحيح ونيل حالة الوعي التجاوزي، وفي النهاية الوعي الكوني، سيكون عمل الفرد دائماً الوسيلة للعبودية؛ لا يمكن لأية كمية من التفكير أن تساعد الإنسان على التحرر من التأثير الملزم للعمل.

إنها مسألة مؤسفة في الوقت الحاضر، أن يعتبر الإنسان النشيط في العالم، والذي لم يكسب الوعي التجاوزي، نفسه ممارس الكارما يوغا، وذلك بكل بساطة لأنه يتبع حياة النشاط، ويقوم بأداء بعض أنواع العمل ويفكّر بشأنها من ناحية الله أو بطريقة آخر خاصّ. لكي يكون الفرد ممارساً للكارما يوغا، عليه أولا أن يكون ممارساً لليوغا. إنها حالة الوعي الصافي التجاوزي وبالتماشي مع النشاط هي التي تؤلف الكارما يوغا. من خلال ممارسة التأمل التجاوزي، يكون العقل منغمس جداً في الوعي الصافي، أو الكينونة، ما لا يمكن حجبه بالرغم من عدد أعمال إنسان، وبالرغم من كثافة اختباره في الحياة. تجعله حالة الكينونة سوية مع النشاط ممارس للكارما يوغا.

إنّ اختبار الكينونة هو المطلب الرئيسي الأول للكارما يوغا، كما هو للسنياسا. فيما يتعلق بحالة الوعي، إن السنياسا والكارما يوغا هما ذاتها.

"لا يستعمل النار": تطبخ النار الغذاء. وحسب التقاليد، من غير المتوقع للسنياسي أن يطبخ الغذاء خشية أن تشدّه إلى حاجات الجسم. لذلك في أن يكون من دون النار ترمز إلى حياة السنياسي. وكذلك، النار هي التي تدمّر. ما هو الذي يدمّر الهدوء الأبدي للبحر؟ إنها الرياح التي تدفع الأمواج. تظهر الكينونة غير الظاهرة والأبديّة بشكل أمواج في الحياة الفردية بواسطة الرغبة. لهذا السبب تعتبر الرغبة بأنها النار لمن اختار حياة الصمت.

في هذه الآية، لا يصوّر المولى حياة السنياسي من ناحية عدم التعلق أو عدم الرغبة، بل يصورها من ناحية النشاط في الحرية.

الآية الثانية

إن ذلك الذي يدعى سنياسيا
هو أيضاً يوغا، يا ابن باندو،
لأنه لا يصبح يوغي من
لا يتخلى عن حافز الرغبة.

"حافز الرغبة" هي ترجمة الكلمة السنسكريتية" سنكلبا"، الذي يعطي فكرة البذرة التي تنبت في الرغبة.

يبرز المولى كريشنا هنا نقطة أساسية جداً لتلميذ اليوغا: يجب استئصال "سنكلبا" لكي يصبح الفرد ممارس لليوغا.

لقد وضع المولى أسس السنياسا والكارما يوغا على قاعدة متساوية فيما يتعلق بنتائجها: "إن الزهد ويوغا العمل كليهما يؤديان إلى السمو" (الفصل الخامس، الآية الثانية)؛ "إنما من هو ثابت حقاً بأحدهما يجني ثمار الاثنين معاً" (الفصل الخامس، الآية الرابعة). في هذه الآية وكما في الآية السابقة، يضع الطريقين على ذات الأسس، وهو يفعل ذلك بالتشديد الكبير: "ذلك الذي يدعى سنياسيا هو أيضاً يوغا". "يثبت المولى ذلك بكشف الصفة الوحيدة التي تجعل الإنسان سنياسي أو ممارس للكارما يوغا. يقول: "لا يصبح يوغي من لا يتخلى عن حافز الرغبة".

إن اليوغي هو الذي يكون عقله متّحد مع القدسي، وفي تلك الحالة من الوعي التجاوزي، يكون حافز الرغبة مستأصلاً.

وهنا يطرح السؤال: إذا كان التخلي عن السنكلبا هو ضروري قبل أن يصبح الإنسان ممارس لليوغا وإذا كان أيضاً خاصية السنياسي، كيف يمكن لأي فرد من حيث الممارسة أن يصبح سنياسي أو يوغي؟ لأن الحياة، سواء نعيشها ضمن العائلة أو في التنسك، هي ملئ بالسنكلبا والرغبات. إنّ الجواب هو بأنه يجب على الإنسان أن يخلق حالة عقلية لا يكون فيها سنكلبا؛ وبما أننا نرى بأنّ حديث المولى موجه إلى الإنسان في العالم، يجب أن يكون ممكناً لكلّ شخص أن يخلق مثل هذا الحالة العقلية.

إن مبدأ التقنية التي تجعل العقل متحرراً من السنكلبا تم إعطاءه إلى أرْجونا من قبل المولى في الآية الخامس والأربعون للفصل الثّاني وسيتوسع في شرحه في هذا الفصل. في أثناء التأمل، يمرّ العقل بحالات الاختبار التي تصبح أدق بتقدم تدريجي إلى أن يتم تجاوز المستوى الألطف. بهذه الطريقة يتجه العقل إلى حالة الوعي التجاوزي ويخرج بالكامل من مجال السنكلبا. هذه هي حالة اليوغا. وهي أيضاً حالة السنياسا، حيث يتخلى العقل عن كلّ شيء ويُترك وحده لوحده. هكذا تكون تقنية التأمل التجاوزي، التي تساعد العقل على تجاوز السنكلبا، التقنية لكي نصبح يوغي أو سنياسي.

كلما تتقدّم الممارسة ، يصبح الوعي التجاوزي دائماً في حالة الوعي الكوني، وفي هذه الحالة يكون الفرد قد تخلى عن حافز الرغبة بشكل دائم.

تعالج الآية التالية نشاط الطامح وصفاء الممارس المتمم لليوغا فيما يتعلق بالحالة العقلية

من دون السنكلبا.

الآية الثالثة

يقال بأن العمل هو وسيلة الوصول
لرجل الفكر الذي يرغب في الصعود
إلى أعلى مراتب اليوغا؛ ولكن الإنسان
الذي وصل إلى أعلى مراتب اليوغا،
له وحده، يقال بأن السكون هو الوسيلة

"وسيلة": المسلك أو الطريق أو الطريقة.

"رجل الفكر": هذه ترجمة للكلمة السنسكريتية "موني". الموني هو الذي يسلك طريق الاكتمال من خلال الفكر. إن ممارسته هي في الحقل العقلي بدلاً من حقل النشاط الجسماني. ولكي نوضّح ذلك، يجب أن نوضّح بأنه من أجل أن يسجل العقل اختبار ما من الضروري أن يكون هناك نشاط ما في الجهاز العصبي. يندرج ذلك في إطار العلاقة بين العقل والجهاز العصبي بأن أي اختبار يمكنه أن يحدث من الطرف الأول أو الآخر. إن الهاتا يوغا هي مقاربة للإدراك الذي يدرّب الجهاز العصبي المادي وبالتالي يكيّف العقل لكسب حالة الوعي التجاوزي وفي النهاية لكسب الوعي الكوني. ومن الناحية الأخرى، إن ممارسة التأمل، المشار إليها في هذه الآيات، هي مقاربة للإدراك الذي يدرّب العقل وبالتالي يكيّف الجهاز العصبي للتسبّب بحالة الوعي

التجاوزي وفي النهاية إلى الوعي الكوني. هذه المقاربة العقلية هي طريق الموني.

باستعمال الكلمة "موني"، يريد المولى أن يوضح بأنّ العمل هو ليس وسيلة إنسان العمل فقط، بل هو أيضاً وسيلة الإنسان الذي يسلك طريقة المقاربة من خلال المعرفة.

"يرغب في الصعود إلى أعلى مراتب اليوغا" تعني بأنّه لم يبلغ بعد الحالة العقلية التي يكون فيها من دون السنكلبا، كما شرح ذلك في الآية السابقة.

"يقال بأن العمل هو وسيلة": العمل وسيلة غرس الحالة العقلية الخالية من السنكلبا. هذا ما يبدو متناقضاً، ما يشبه الآية 18 في الفصل الرّابع. قال المولى هناك: "من يرى عدم العمل في العمل". هنا يبدو وكأنه يقول: اخلق الهدوء بواسطة العمل. هناك معنى عميق في تعبير المولى: "يقال بأن العمل هو وسيلة". هذا ما يكشف السرّ الكامل لطريق اليوغا، الطريق لخلق الحالة العقلية الخالية من السنكلبا.

يمكننا تفسير هذا التعبير على مستويات مختلفة. أولاً، إنه يعني بأنّ المولى يريد الطامح أن يؤدّي العمل الصحيح طبقاً للدهارما الخاصة به، وهكذا ينقّي ذاته، ومن خلال زيادة النقاوة، يحافظ على ثبات العقل. هذا التفسير يرتبط بالمستوى السطحي للحياة وتكمن قيمته في الإلهام الذي يؤدي إلى الطريق المستقيم من الحياة.

ويكشف التفسير التالي المعنى الأعمق لكلمات المولى. إنه يريد الطامح أن يورط نفسه في الأشكال المرهفة من النشاط؛ يريده أن يجلب العقل من المستويات السطحية جداً للنشاط على المستوى الحسّي المشترك للعمل والاختبار إلى المستويات الأدق للتفكير، وفي النهاية يتجاوز المستوى الألطف من التفكير، للوصول إلى الوعي التجاوزي، الحالة العقلية الخالية من

السنكلبا، الحالة حيث يكون الفرد في "الصعود إلى أعلى مراتب اليوغا".

وبذلك، ومن خلال النشاط، يتم اكتساب الوعي التجاوزي. وعلاوة على ذلك، وبصعود العقل، إذا جاز التعبير، على سلّم النشاط من الحالة النسبية لوعي اليقظة إلى صمت الحقل التجاوزي للوعي المطلق، ومن ثم يعود من هناك إلى نشاط حالة اليقظة، مثبتاً الانسجام الأبدي بين صمت المطلق ونشاط النسبي. هذا هو الوعي الكوني، الذي يصبح فيه الوعي التجاوزي، الحالة التي فيها "الصعود إلى أعلى مراتب اليوغا" دائماً. وبالتالي، هذا التعبير للمولى له معناه أيضاً على مستوى الوعي الكوني. يشكّل الوعي الكوني بدوره الأساس للحالة العليا لليوغا في وعي الله، حيث تسود الوحدة الأبديّة للحياة في نور الله. إن من يصل إلى هذه الحالة يكون قد صعد إلى اليوغا في المعنى الدقيق لهذا التعبير.

بعد أن عرّف النشاط بأنه وسيلة صعود إلى اليوغا، يتّجه المولى إلى أهمية ذلك "السكون" الذي يعمل كوسيلة عندما يرغب الفرد في "الصعود إلى اليوغا".

"الإنسان الذي وصل إلى أعلى مراتب اليوغا": إن إنسان الذي ارتفع عقله من حالة وعي اليقظة إلى الحالة التجاوزية للوعي، التي يكون فيها عقله في التوحيد الكامل مع القدسي. تصبح هذه الحالة من اليوغا في الوعي التجاوزي دائمة في الوعي الكوني من خلال زيادة السكون، أو من خلال تغلغل الكينونة في طبيعة العقل. لهذا السبب يقول المولى بأنّ السكون هو الوسيلة عندما يتم اكتساب الصعود إلى اليوغا في الوعي التجاوزي. وأيضاً، يكون السكون وسيلة الصعود من اليوغا في الوعي الكوني إلى اليوغا في وعي الله. في حالة الوعي الكوني، يعطي السكون اختبار الذات بأنها منفصلة عن النشاط وفي وعي الله، يتحوّل هذا السكون إلى نور الله، الذي يذوب فيه اختبار ثنائية الذات والنشاط

هذا الصمت الأبدي لوعي الله هو المرحلة المتقدّمة للصمت الذي تم اختباره في حالة الوعي الكوني. إنه الصمت الحيّ لتلك الوحدة للحياة التي تشكّل أساس النشاط الكوني، وفي الوقت ذاته، تفصل الله بالكامل من النشاط الكوني. إنّ الصمت الذي تم اختباره في الوعي الكوني، والذي يفصل الذات من النشاط، هو على مقياس أصغر بشكل لانهائي، لما هو عليه في مستوى الوجود الفردي. يشكّل الأول أساس النشاط لكلّ الخليقة، ويشكل الآخر أساس النشاط الفردي. يكمن الاختلاف الأساسي بين الاثنين في ما يلي: في الوعي الكوني يتعايش كل من الصمت والنشاط على ذات المستوى؛ بينما يكون مستوى وعي الله متحرراً بالكامل من الثنائية؛ إنه الصمت الكامل الحيّ للحياة الأبديّة، وتتخلّل الأحادية في كلّ نشاط كما تتخلل الماء في كلّ موجة. إن وعي الله هو الإدراك الصافي في وحدانية الكينونة. عندما يتطوّر إدراك الذات في الوعي الكوني إلى إدراك الله في وعي الله، فهو يتطوّر على مستوى الصمت؛ إنّ هذه العملية بالكاملة هي إحدى تحويلات الصمت. في كلّ خطوة من خطوات التطوّر، تتغيّر نوعية الصمت. لهذا السبب يقول المولى: "لكن الإنسان الذي وصل إلى أعلى مراتب اليوغا، له وحده، يقال بأن السكون هو الوسيلة"

هكذا يكون هناك ثلاث حالات للصمت: في الوعي التجاوزي وفي الوعي الكوني وفي وعي الله. في الوعي التجاوزي، يكون صمت مجرد من أيّ أثر للنشاط وفي الوعي الكوني، يتعايش صمت الإدراك الذاتي مع النشاط وفي وعي الله، يتحوّل تعايش النشاط والصمت إلى وحدانية وعي الله. هذا الصمت من وعي الله هو الحالة الأكثر تطوّراً للصمت. إنها كلّ الحياة على المستوى الكلي القدرة للوجود. إنه الصمت الكلي العلم والقدير والكلي الوجود للربوبية. إنها حالة مختلفة جداً من الصمت، التي ليس لها شيء مشترك على غرار صمت الوعي الكوني أو الوعي التجاوزي.

إن أي إنجاز يتم من قبل ممارس اليوغا المتفوق، الثابت في الوعي الكوني أو وعي الله، يكون بقوّة الصمت، الصمت الأبدي للمطلق الكينونة، الذي هو مصدر كلّ القوانين الطبيعة غير المعدودة التي تخلق الحياة في الكون وتحافظ عليها. وكون الحياة الفردية لممارس اليوغا هو متحدة بذلك العلي، فهو يجد بأن ذلك الصمت الكلي الوجود ينسب كلّ شيء له.

وباستعمال العبارة، "له وحده"، يوضح المولى بأنّ كلّ شيء سيحدث من دون عمل – سيعمل الصمت كوسيلة له "لمن صعد إلى اليوغا"، لكن له فقط وليس لغيره. عندما يكسب الإنسان الوعي التجاوزي، يكسب جهازه العصبي حالة اليقظة المريحة المرادفة له، ويكون قادراً على عكس الحياة الأبدية على مستوى ذلك الصمت الكلي الوجود. لهذا السبب، في هذه الحالة، يقوم الذكاء القدسي بفعل كل شيء له. عندما يصبح الوعي التجاوزي دائماً ويكسب حالة الوعي الكوني، يبقى الجهاز العصبي آلة للقدسي بشكل دائم: يتم تثبيت الإدراك الذاتية بشكل دائم في كل نواحي الحياة. تتواجد هذه الحالة المباركة في بالمعنى الأعمق في وعي الله.

في الآية القادمة، يزيد المولى في توضيح التعبير: "يقال بأن العمل هو وسيلة". إنه يظهر كيف يتم اكتساب حالة عدم العمل من خلال وسيلة العمل.ومن ثمّ، وفي الآية التي يتلي، يوضّح التعبير: "السكون هو الوسيلة"، يظهر بأنّ ارتفاع الذات بالذات يتم جلبه "بالسكون".

الآية الرابعة

فقط عندما لا يتمسّك الإنسان بمدركات
الحواس ولا بالأعمال، وفقط عندما يستغني

عن كل حوافز الرغبة، يقال بأنه ارتفع إلى اليوغا

يصف هنا المولى إلى أرْجونا حالة العقل الثابت في اليوغا، حالة التوحيد القدسي. عندما يتقاعد العقل، في أثناء التأمل، من حقل الإدراك الحسّي، ويصبح منقطعاً عن العالم الخارجي. ويكون متجهاً إلى الداخل، وبعيدا عن حقل "مدركات الحواس"، بعيدا عن مجال "الأعمال". كلما يتقدّم العقل في الاتّجاه الداخلي، يبتعد عن حقل الاختبار السطحي. ويتابع عبر حقول التفكير المرهفة جداً، إلى أن يتجاوز في النهاية الحالة المرهفة ويصل إلى الحالة التجاوزية للكينونة. وهنا "لا يتمسّك بمدركات الحواس ولا بالأعمال" بأية حالة.

إنّ حالة الكينونة هي واحدة للوعي الصافي، إنها خارج حقل النسبية بالكامل؛ لا يوجد هناك عالم الحواس أو عالم المدركات، ولا يوجد أثر للنشاط الحسّي، ولا أثر للنشاط العقلي. لا يوجد هناك الثالوث للمفكّر وعملية والتفكير الفكرة؛ الفاعل والفعل والمفعول به؛ للمختبر وعملية الاختبار وغرض الاختبار. إنّ حالة الوحدة التجاوزية للحياة، أو الوعي الصافي، حالة اليوغا، المتحررة بالكامل من كلّ أثر للثنائية. في هذه الحالة من الوعي التجاوزي يقال عن الإنسان "بأنه ارتفع إلى اليوغا".

هنا تقف الذات بجانب ذاتها، متنورة بذاتها، ومكتفية بذاتها في امتلاء الكينونة. وهنا "يستغني عن كل حوافز الرغبة"، حيث لا يكون هناك ثنائية ولا يمكن أن يكون هناك بذرة للرغبة. لكن حالة اليوغا في الوعي التجاوزي لا تكون دائمة. عندما يخرج العقل من التأمل، سيتمسك مرة أخرى بمدركات الحواس وبالأعمال، حتى ولو لم يكن التمسك قوياً كما كان من قبل، إلا أن حافز الرغبة سيلعب دوره مرة أخرى. فقط عندما يصل الإنسان إلى حالة الوعي الكوني، حيث يكون مطمئناً بشكل دائم وثابت في الذات بحزم وإلى الأبد، ستكون الظروف، التي تذكرها هذه الآية للفرد الذي "ارتفع إلى اليوغا" مكتملة بشكل دائم. من الطبيعي أن

تكون هذه الظروف مرضية أيضاً في وعي الله، التي هي اكتمال الوعي الكوني. هكذا، وكما أظهرت الآية السابقة، لا ينطبق التعبير "يقال بأنه ارتفع إلى اليوغا" فقط على الوعي التجاوزي بل ينطبق أيضاً على الوعي الكوني ووعي الله.

الآية الخامسة

دع الإنسان يرفع ذاته بذاته،
لا تدعه يحقّر ذاته.
إنه هو وحدها حقاً صديقاً لذاته،
وهو وحده عدواً لذاته.

هذه هي التعاليم الفريدة التي تظهر المبدأ الأساسي للتطوّير في أيّ مجال من مجالات الحياة، الروحية أو العقلية أو المادية. إن كلّ فرد هو المسؤول عن تطوّره الخاص في أيّ حقل.

في الآية السابقة تبين لأرْجونا معنى الإدراك؛ ويأمره المولى الآن لوصول إلى تلك الحالة.

"يرفع ذاته": إنّ الكلمة المستعملة باللغة السنسكريتية الأصلية هي "أضهارت". إنه تعني رفع أو ارتفاع أو يرفع أو يمجّد، للتخليص من العبودية. وباستعمال الكلمة، يلهم المولى أرْجونا لرفع ذاته من مستوى الإدراك الحسّي وحقل الفكر والنشاط إلى حالة الإدراك الذاتية. إنه لا يلهم أرْجونا فقط لغرس حالة الوعي الذاتي التجاوزية، لكنه يأمره بطريقة مباشره للقيام بذلك؛ "يرفع ذاته بذاته". ليس المطلوب لمساعدة من الخارج. يملك الإنسان في ذاته كلّ شيء يحتاج للارتفاع إلى أيّ علو للكمال. لا يحتاج لأي شيء في العالم كي يرفع الذات؛ لا

يجب تبني أية طريقة، لا يريد لأي وسيلة. إنّ الذات ترتفع بالذات وحدها.

وقد يتم طرح السؤال: كيف يمكن للإنسان أن "يحقّر ذاته" في حين أن الذات هي خارج متناول أيّ شيء خارج ذاته؟ ألم تذكر الآيات 13 إلى 30 من الفصل الثّاني بأن المقيم في الجسم هو خلف أيّ تأثير للزمان والمكان؟

من أجل أن نفهم ذلك يجب أن نتذكّر الآية السابقة. عندما يصل العقل إلى الوعي التجاوزي، ويكون في حالة النقاوة المثالية؛ ويحقق المنزلة الكونية. في الآية الحالية، يشجّع المولى أرْجونا على الارتفاع إلى تلك الحالة، وفي الوقت ذاته يريده أن لا يسقط منها عندما يحققها. لأنه عندما يخرج العقل من الحالة التجاوزية لاختبار، مرة أخرى، مدركات الحواس في العالم، يستعيد منزلته الفردية المحدودة ويسقط من ذلك العلو من الوجود الكوني. ولكي يحذّره من ذلك، يقول المولى: "لا تدعه يحقّر ذاته"، يعني أنّه، بعدما يحقق حالة الوعي الذاتية، يجب أن يستمرّ بالارتفاع إلى حالة الوعي الكوني، كما هو مشروح في تفسير الآيات 3 و 4.

يشير التعبير، "إنه هو وحدها حقاً صديقاً لذاته"، بأنّه فقط في حالتها الصافية للوعي التجاوزي يكون العقل مساعداً لذاته. وعندما يخرج من تلك الحالة للكينونة، يتصف وكأنه عدوه الخاص لحرمان ذاته من منزلتها الكونية؛ لكن عندما يواصل الممارسة ويرتفع إلى الوعي الكوني، عندئذ يتصرف كأنه الصديق الخاص في الحفاظ على تلك المنزلة الكونية.

تنير هذه التعاليم النطاق الكامل للبحث للحقيقة. لا يوجد أي شيء في العالم الخارجي ذو علاقة بهذا البحث. لذلك، يقول المولى، ليس هناك من صديق للذات إلا الذات. لا يوجد أي ثقافة عملية أو طريقة معيّنة للحياة تفضي بشكل خاص للإدراك الذاتي؛ ولا يفضي أو يعارض أي إحساس للانفصال أو التعلق إلى الإدراك الذاتي. إن الزهد عن العالم، أو طريقة حياة الزهد، لا تساعد

خصيصاً في كشف الذات، لأنها تكشف ذاتها بذاته ولذاته. من خلال التأمل يتم خلق حالة توجد فيها الذات غير مغطّاة، متجلّية بطبيعتها الصافية والأساسية لا يظللها أي شيء

لا يكشف التأمل الذات – يجب أن نكرّر، إن الذات تكشف ذاتها بذاتها ولذاته. لا تستطيع الرياح أن تفعل أي شيء للشمس؛ إنها تزيل الغيوم فقط، ونجد الشمس مشرقة بنورها الخاص. إنّ شمس الذات هي ذاتية السطوع. يُخرج التأمل العقل فقط من غيوم النسبية. وتشرق الحالة المطلقة للذات أبداً في مجدها الخاص.

تنطبق تعاليم المولى في هذا الآية على كل مستوى من مستويات التطور. هذا ما هو واضح في الآيتين السابقتين والتاليتين. قد يكون مثيراً للملاحظة في هذه النقطة بأنّ التطوّر الأكمل للذات هو من خلال ثلاثة مراحل؛ من حالة وعي اليقظة إلى الوعي التجاوزي، ومن الوعي التجاوزي إلى الوعي الكوني ومن الوعي الكوني إلى وعي الله. إنّ تعاليم هذه الآية قابلة للتطبيق بشكل متساوي في كلّ من هذه المراحل لتطوير الفرد. في المرحلة الأولى، تتطوّر الذات بواسطة نشاط التأمل التجاوزي وتدرك الذات. في المرحلة الثانية، من الوعي التجاوزي إلى الوعي الكوني، تكون حالة الذات مكملة بنشاط الذات لكي تحافظ على الذات في طبيعتها الحقيقية حتى في وسط النشاط في المرحلة الثالثة والنهائية، من الوعي الكوني إلى وعي الله، يجب أن تذهب الذات وحده وعلى مستوى الصمت ومجردة من أيّ نشاط لهذا السبب قال المولى في الآية الثالثة: "يقال بأن السكون هو الوسيلة". وفي الآية الحالي، يقول: "دع الإنسان يرفع ذاته بذاته".

الآية السادسة

إن من أخضع ذاته بالذات
وحدها، يكون صديقاً لذاته،
ولكن من لم يخضعها
سيتصرف بعدائية مثل العدو

إنّ امتلاك العقل، أي الذات في وجهتها النسبية، لحالة الإدراك الذاتي أو الوعي التجاوزي، يتم وصفه هنا بأنه إخضاع: لقَ أخضعت الذات الأدنى للذات الأعلى. من خلال هذا الإخضاع، يكسب العقل الفردي منزلة العقل الكوني، أو الوعي الصافي. ويصبح هذا الذكاء الكوني عندئذ أساس لكلّ

الحياة العملية؛ فهو يدعم ويعطي القوّة إلى كلّ الحقول النسبية.

يصل العقل، في أثناء التأمل، إلى حالة الكينونة التجاوزية، وبخرجه من التجاوزي إلى حقل الحياة النسبية، يبقى مشبع بالكينونة. وبالممارسة الثابتة للتأمل التجاوزي، يوجد نقطة حيث يصبح إشباع العقل بالكينونة دائماً ويستمرّ من دون توقف في خلال كلّ الاختبارات في العالم النسبي، والنتيجة هي في اختبار الذات بأنها منفصلة عن النشاط، وفي تحييد التأثير الملزم للعمل. فيكون العقل الواعي للإنسان، الذي يتصرّف في العالم، ومن ثمّ يتصرّف بحرية، مدعوماً ومحمياً بالكينونة. هكذا تكون الذات، التي تم إخضاعها بالذات، صديقة للذات.

إنّ الذات الأدنى والذات الأعلى تعودان إلى الحقيقة الواحدة التي لا تتجزأ، التي تشمل للوجهتين التجاوزية والنسبية للحياة. مثل الإخوة الذي تربطهم الصلة الطبيعية للدمّ، إنها تدعمان بعضهما البعض في كلّ طريق. هذه وجهة واحدة من علاقتهما. لكن هناك وجهة أخرى: عندما يظهر الاختلاف بين الإخوة، يمكن أن يصبحوا أعداء لدودين. هذا يحدث عندما لا تخضل الذات الأعلى من قبل الذات الأدنى.

إذا لم يبدأ الإنسان في التأمّل ولم يدرك الذات بشكل واعي، وإذا لم يصل عقله إلى عالم الكينونة التجاوزية، عندئذ لم يكن العقل قد حقق منزلة الذكاء الكوني أكان ذلك بشكل مؤقت أو بشكل دائم. هذا يعني بأنّ ذاته الأدنى ليس متآلفة مع الذات الأعلى، وليس هناك تنسيق بين الاثنين. لم تقبل الواحدة للأخرى. يقفان متقابلتان لبعضهما البعض في طبيعتهما الأساسية، لأن الأولى تجاوزية والثانية نسبية. وفي حقل النسبية يتواجدان كالأعداء. إنّ الذات الأدنى تتصرّف دائماً من خلال الحواس، تشجّعهم وتتمتّع بتنوع الاختبارات الموضوعية، وهكذا تمنع الذات الأعلى من أن تكون فعّالة في الحقل النسبي للوجود وتسمح لها في البقاء، إذا جاز التعبير، منحصرة في حقل المتجاوز. وبالمقابل، تتصرّف الذات الأعلى أيضاً

كالعدو للذات الأدنى. إنها لا تحمي الذات الأدنى من القبضة السريعة للحياة المتغيّرة باستمرار للوجود النسبي، لكن تسمح لها في البقاء ضمن دورة الولادة والموت. لا تؤمن الذات الأعلى الطاقة غير المحدودة والحكمة والإبداع والسعادة التي هي وحده ستعطي السلام والوفرة إلى الذات الأدنى.

إن إخضاع الذات الأدنى بالذات الأعلى وإخضاع الذات الأعلى بالذات الأدنى يعطيان الشيء ذاته. يمكن أن نفهم ذلك بأي من الطّرق طالما الإخضاع يدلّ على توحيد الاثنان، أو اندماج الواحدة بالأخرى. إن اندماج الذات بالذات يحدث في حالة الوعي التجاوزي ويصبح دائماً في الوعي الكوني، تجد الذات الأدنى ذاتها واحدة مع الذات الأعلى. هذه هي الحالة التي فيها تدعم الذات الأعلى والذات الأدنى بعضهما البعض بشكل حميم جداً بحيث لا تتواجدان مستقلتان عن بعضهما البعض.

تشرح الآية القادمة بإسهاب الظروف الداخلية والخارجية للإنسان المدرك، لمن تمكن في "الإخضاع".

الآية السابعة

إن من أخضع ذاته ومن هو في سلامٍ عميق،

تكون ذاته المتجاوزة ثابتةٌ في الحر والبرد،

في المتعة والألم وفي الشرف والعار.

في الآية الرابعة من هذا الفصل، ميّز المولى بين عالم النشاط الدنيوي وعالم الكينونة. في الآيتان الخامسة والسادسة، اظهر الطريق لتثبيت التنسيق بين الاثنان. في الآية الحالي، يصف ظروف العقل في هذه الحالة، كيف يشعر الفرد في داخله عندما يتم تثبيت التنسيق بين الحياة الداخلية والخارجية للكينونة. يقول المولى بأنّ الفرد يشعر بالسلام إلى الأبد، مونه مغموراً بمجد العلي. في هذه الحالة تتخلل الحياة كلها، بكلّ أزواجه المضادة، بمجد الكينونة التجاوزية. هذه الحالة من السلام الأبدي في وعي الغبطة لا يمكن أن يهزّها أيّ شيء مهما كان.

تؤكّد هذه الآية الطبيعة الحازمة للفكر الثابت في الآية التالية، تتطور الفكرة وتتوسّع إلى وصف ممارس اليوغا الموحّد.

الآية الثامنة

إن ذلك اليوغي الذي يقال عنه موحّد
هو مطمئن بالمعرفة والاختبار، لا يهتز،
سيّد حواسه، إن من هو متساوي
في اختبار التراب والحجار والذهب.

يظهر المولى وجهتين للإدراك، إنهما الوجهتان لكي يصبح الفرد مارس لليوغا. الوجهة الأولى هي في اكتساب المفهوم الفكري الواضح للحق من خلال الفهم الصحيح للحقيقة التي يتم الوصول إليها بالإصغاء والتفكير والتمعّن والتمييز بشكل فكري بين أوجهها المختلفة. أن هذا ما يرضي العقل فقط، على أية حال. أما الوجهة الأخرى هي بمعرفة الحقيقة بالاختبار المباشرة، التي ترضي القلب. هذا ما يتم اكتسابه من خلال التأمل التجاوزي.

يقول المولى بأنّه عندما يكون العقل راضياً بالمفهوم الفكري الواضح جداً للحقيقة، ويكون القلب راضياً بالاختبار المباشرة لطبيعتها السعيدة والأبديّة، عندئذ يكسب إنسان طمأنينة أبديّة. وبذلك فقط يصبح قوياً في حالته الخاصة للحياة. تتصرّف مثل هذه الطبيعة التي "لا تهزّ" بشك دائم في حقل الحواس وكأنه "سيد الحواس" وليس كعبد لها. " يقال عنه موحّد"، وهو مارس لليوغا الذي تميّز حياته بحالة من التساوي للعقل من خلال كلّ الاختبارات في حقل التنويع.

هذه الفكرة من التساوي في الحياة ستتكرر لعدة مرات في أثناء الحديث. إن تكرار هذا المبدأ في الفواصل القصيرة لا تشير إلى أهميتها الجوهرية فقط، بل إلى صلته بحالة أرْجونا. وفي الوقت ذاته يطمئنه بأن، الطريقة التي يتبنّاها العقل كي يصبح ثابتاً في الحقيقة – سواء كانت طريقة العمل أو الطريقة بالزهد – عندما تصبح ثابتة، يكون تغلغل الكينونة في طبيعة العقل هو ذاته ويجلب معه الرؤية المتساوية ذاتها. وبالرغم من أنّهم قد يختلفون في نمط الحياة وأسلوب النشاط، إلا أن أولئك المدركون لهم هذه الرؤية المشتركة: إنهم يمتلكون دائما الفهم المتساوي والرؤية المتساوية

وبعدما تكلّم عن الحالة الداخلية العقلية للإنسان المدرك وطبيعتها في أثناء اختبار العالم الخارجي، يصف المولى، في الآية التالية، سلوكه في المجتمع تجاه الآخرين.

الآية التاسعة

متفوق مَن له فكر متساوي من بين مؤيّدي
الخير والأصدقاء والأعداء، بين غير المبالي
وغير المتحيز وبين الممتلئين بالكراهية
وبين الأقرب، وبين القديسين وكذلك الأشرار.

"فكر متساوي": بسبب هذه الحالة الداخلية للطمأنينة الأبديّة، يبقى عقل ممارس اليوغا في صمت. واستناداً على هذا الصمت، يكون فكره متساوي. هذا لا يعني بأنّه يتصرّف مع كلّ شخص بطريقة مشابهة. لا يخلق ممارس يوغا الإرباك في الحقول المختلفة للعلاقة في الفشل في إدراك الاختلافات المستحقّة. لكن بين كلّ تنوع العلاقات واستناداً على وحدانية الحياة، لا يتردد فهمه. يبقى في "الفكر المستوي".

إن الإنسان صاحب الرؤية المتساوية في حين يختبر المدركات المذكور في الآية السابقة والتي تميز ممارس اليوغا. إن الرؤية المتساوية التي تم وصفها في تلك الآية تعود إلى ممارس اليوغا، سواء وصل إلى حالته من خلال طريق السانكهيا أو الكارما يوغا. تضع الآية

الحالي المعيار لممارس اليوغا الذي هو "متفوق".

بعد تكريس هذا الفصل حتى الآن إلى وصف كلّ ما يمكن لممارسة التأمل أن تحققه للإنسان، يوضّح المولى، في الآيات التالية، تفاصيل الممارسة.

الآية العاشرة

دع اليوغي يجمع ذاته منفرداً في الاختلاء،
مخضعاً لعقله وجسمه،
لا يتوقع شيئاً، ولا يمتلك شيئاً.

"يجمع ذاته" تعني بأن يتأمل. لقد تم ذكر الأسلوب الذي فيه يجمع اليوغي ذاته في الآية 27 من الفصل الخامس وهو مفصّل في الآيات الخمسة التالية من آيات الفصل الحالي.

"اليوغي" لا تعني ممارس اليوغا المتمم هنا. إن ممارس اليوغا المتمم لم يعد يحتاج مواصلة الممارسة الضرورية للوصول إلى الحالة الأعلى، لأنه تمم واجبه وبلغ هذه الحالة. ولأن ضرورة الممارسة قد تم شرحها، تعني كلمة "يوغي" في هذا السياق الشخص الطامح إلى اليوغا. في الوقت ذاته تشير كلمة "يوغي" إلى الفرد الذي وصل إلى حالة التوحيد. لذلك، نفهم الكلمة بشكل أفضل هنا بالإشارة إلى الإنسان الذي أدرك حالة الوعي الذاتي، أو السمادي، لكنه لم يحقق حتى الآن الوعي الكوني – نيتيا سمادي، أو جيفان موكتي. يجب أن يكون مثل هذا اليوغي مصمّماً على الممارسة لكي يصبح الوعي الذاتي مستمراً وثابتاً في طبيعة العقل إلى

الدرجة التي عندما يكون فيها العقل خارجاً في حقل الاختبار النسبي لا يكون أبداً خارج حالة الكينونة. هذه هي حالة الوعي الكوني، حالة ممارس اليوغا المتمم. للوصول إلى الوعي الكوني، يجب أن يتأمّل ممارس اليوغا في الصمت وبعد ذلك يخرج إلى نشاط في الآية الحالي، يريد المولى التأكيد بأنه عندما يتأمّل ممارس يوغا يجب أن يفعل ذلك دائماً في ظل الظروف التالية:

1. باقٍ في الاختلاء
2. منفرداً
3. أخضع عقله وجسمه
4. لا يتوقّع شيئاً
5. لا يمتلك شيئاً.

إن "الاختلاء" هو أساسي لأن عملية التأمل التجاوزي، الذي هو الطريق المباشر للعقل للوصول إلى وعي الغبطة التجاوزي، هي عملية حسّاسة. يجب أن يسمح في الذهاب في طريقها دون إعاقة. إذا لم يكن مكان التأمل في الاختلاء، هناك إمكانية كبرى للإزعاج، في أثناء التأمل يشغل العقل ذاته في المستويات الأعمق لعملية التفكير؛ وإذا تعرض للإزعاج ما يجعل يخرج فجأة إلى المستويات السطحية للإدراك الحسّي، سيختبر تغايراً كبيراً بين الحقول المرهفة والسطحية للإدراك. هذه التغاير المفاجئ سيتلف صفاء العقل وسيزعج الجهاز العصبي.

"منفرداً": إذا لم يتأمّل الإنسان منفرداً، سيعرقل الشعور بأن شخص ما موجود حوله أو يراقبه سلاسة عملية التجاوز. إن أيّ من هذا التأثير الذي يبطئ تقدم العقل نحو وعي الغبطة، سيجلب الإجهاد غير الضرورية إلى العقل وينتج إجهاداً مرادفة في الجهاز العصبي.

"مخضعاً لعقله وجسمه": إنّ الكلمة "مخضعاً" لها الاهتمام الخاصّ. "يخضع" العقل باختبار السعادة. عندما يختبر العقل، في أثناء التأمل، الحالات المرهفة جداً للفكر، يختبر انجذاباً متزايداً في كلّ خطوة. تحفظ هذه السعادة المتزايدة العقل بشكل غير متأرجح في عملية التأمل. عندما يخضع العقل بهذا الأسلوب، يبقى الجهاز العصبي، وبإتباعه لنمط العقل، غير متأرجحاً. هكذا يكون "عقله وجسمه" "خاضعان" بطريقة طبيعية أكثر.

من الخطأ الاستنتاج هنا بأنه يجب على اليوغا أن يبذل جهود ثابتة ونشيطة من السيطرة لكي "يخضع عقله وجسمه".

"لا يتوقع شيئاً": عندما يقول المولى بأنّ الطامح يجب أن"يجمع ذاته منفرداً في الاختلاء"، يريد في ذات الوقت تحذيره ضدّ أيّ ميل للتوقّع. يجب أن لا تحتوي هذه العملية لجمع الذات للفرد أيّ عنصر من التوقّع لبعض خطوات متقدمة للملية، أو في الحقيقة، أيّ اختبار معيّن. يجب أن تكون خالية من أيّ توقّع للنجاح في الوصول إلى الهدف. يظهر هذا التعبير معنى الآية 47 من الفصل الثّاني كما تنطبق على التأمل: "لقد تحكمت بالعمل وحده، وليس على ثماره أبداً".

إنّ التحذير تجاه "التوقع" هو هامّ جداً. عندما يكون العقل منشغلاً، في أثناء التأمل، في اختبار الحالات المرهفة من عملية الفكر في الطّريق إلى التجاوز، يوضع في طريق زيادة الانجذاب. وإن أيّ ميل أو تمنّي للتوقّع يؤدي فقط لانحراف العقل عن هذا الطريق. من الطبيعي أن لا ينجذب العقل بهذا الانحراف عن طريق زيادة السعادة ويتعرض للإجهاد. و"التوقع"، لذا، سيميل إلى جعل العقل بائساً فقط، وستكون النتيجة بتوتّر الجسم أيضاً. لهذا السبب تم هنا إظهار المبدأ "لا يتوقع شيئاً" في أثناء التأمل.

"لا يمتلك شيئاً": إن التأمل هو العملية التي تأخذ العقل من وعي الامتلاك إلى وعي الكينونة.

من ناحية الامتلاك، إنها عملية تصبح من دون امتلاك يتم ترك الذات بذاتها. يفقد العقل وعيه للبيئة المحيطة والجسم، ويترك اليوغي تماماً وطبيعياً من دون أيّ وعي الامتلاك يتكلّم المولى عن أن يكون "لا يمتلك شيئاً" للإشارة إلى أنه لا شيء يساعد التأمل، لأن التأمل يتقدم على أساس الميل الطبيعي للعقل في الذهاب إلى حقل السعادة الأكبر، وفي الوقت ذاته، تترك العملية الفرد في حالة يكون فيها كلّ شيء متخلياً عن ذاتها.

يحمل هذا التعبير أيضاً بأنه يجب على الفرد أن يجلس في التأمل مستعداًّ لفقد كلّ شيء. عندما يبدأ بفقدان وعي الأغراض الخارجية، يجب أن لا يبدأ الفرد بندب خسارته. وعندما يبدأ اليوغي تأمله، يجب أن لا يحاول التمسّك بأيّ شيء. مع تحرّر عقله يجب أن يذهب إلى الكينونة ويكون فيها – يصحو في ذاته ويكون مفقوداً في العالم. وكنتيجة لذلك، سيكون مملوكاً من الذات، في وسط امتلاك العالم. تظهر العبارة، "لا يمتلك شيئاً"، حالة الكينونة.

عندما يقول المولى: "لا يتوقع شيئاً، لا يمتلك شيئاً"، إنها لتظهر أرجونا بما حدث فعلاً للعقل في أثناء التأمل. سيكون أمراً خاطئاً في محاولة عدم التوقّع أو التشوق للرغبات، عدم التشوق للامتلاك عندما يجلس الفرد في التأمل؛ لأنه وبالمحاولة، سينشغل العقل في فكرة الامتلاك وفي الأغراض الأخرى للرغبة من أجل أن ينسيهم إن محاولة النسيان تعود إلى تذكر ما يرغب الفرد أن ينساه. لا يجب القيام بذلك لأن عملية التأمل لا تتقدّم على أساس نسيان العالم الموضوعي المادي السطحي للامتلاك، لكن على أساس التمتع بالحقول الأدق من الاختبار. تستند محاولة النسيان على الكراهية والإدانة، بينما يرتكز الاختبار التلقائي للحقول الأدق للفكر أثناء التأمل على بأنّ القبول الطوعي الذي هو الميل الطبيعي للعقل في الطّريق إلى السعادة الأكبر، على طريق إدراك الله.

تظهر هذه الآية أسس التأمل – الممارسة التي تقود العقل بسهولة إلى الوعي التجاوزي ومن

هناك، ومن خلال التغلغل التلقائي للكينونة في النشاط، إلى الوعي الكوني. لا يجب أن نخطئ في تعاليم نمط التصرّف للحياة ككل. لا تدعو هذه الآية لانسحاب رهباني لليوغي من الحياة. ولا يجب أن نفهمها وكأنها التعاليم التي تفرض على اليوغي أن يبقى دائماً بعيداً عن المجتمع، منفرداً، لا يتطلّع إلى أي شيء ولا يمتلك أي شيء.

إذا لم نقم بالتمييز بين وقت التأمل بذاته والوقت المستهلك خارج التأمل، عندئذ قد يتم إساءة فهم هذا الآية والآيات القادمة.

تعطي الآيات التالية تفاصيل أخرى عن الممارسة.

الآية الحادية عشر

في مكانٍ نظيف، وضعاً مقعده بثبات
غير مرتفع جداً وغير منخفض جداً،
واضعاً العشب المقدّس وجلد غزال
وثوب قماش الواحد فوق الأخر.

"مكان نظيف" يعني أمّا بأنّ المكان نظيف طبيعياً أو جعل نظيف وخالي من الغبار والحشرات؛ بأنّه، إذا أمكن، في محيط لطيف، أو على الأقل ليس قبيح وغير سار. يجب أن يكون كل من المكان والمقعد مفضي إلى التأمل. يجب أن يشعر المتأمل بالراحة واللطف.

الآية الثانية عشر

جالسٌ هناك على المقعد، موجّهٌ عقله
في اتجاه واحد، ومخضعاً نشاط حواسه وأفكاره،
دعه يمارس اليوغا من أجل التنقية الذاتية

يريد المولى توضيح النقطة الأولى بأنّه يجب تأدية التأمّل في وضعية الجلوس وليس في الاضطجاع أو في الوقوف. الاضطجاع يجعل العقل خاملاً؛ والوقوف يؤدي إلى الخوف من السقوط عندما يغطس العقل في العمق في الداخل. إن الحالة العقلية الطبيعية هي مطلوبة لبدء التأمل. يجب أن لا يكون العقل خاملاً ولا كثير النشاط عندما يكون خاملاً، يميل إلى النوم، ويفقد القدرة على الاختبار. أما عندما يكون كثير النشاط، فيبقى في حقل الاختبار السطحي، وإذا جاز التعبير، يرفض الدخول إلى حقل الاختبار المرهفة، كما يكون شخص ما كثير الحركة على سطح الماء لا يغرق. يكون التأمّل في ترك العقل يغطس في الذات. لا تبدأ عملية الغطس إذا كان العقل كثير الحركة، كما يجب أن يكون عندما يكون في وضعية الوقوف. لذلك يقول المولى إلى أرْجونا بأنّه يجب أن يجلس لكي يبدأ التأمل.

"موجّهٌ عقله في اتجاه واحد": إن التوجيه يكون بفاعلية أكثر بالسماح للعقل في أن يغطس إلى حالات مرهفة أكثر فأكثر من عملية التفكير.

"مخضعاً نشاط حواسه وأفكاره": تنشأ الاختبار كلّها عن ترابط العقل بأغراض الاختبار من خلال الحواس. في أثناء التأمل، يبدأ العقل بربط ذاتها مع الحقول المرهفة للحواس وبهذه الطريقة يستمرّ باختبار المستويات المرهفة أكثر فأكثر لغرض الاختبار إلى أن يدرك في النهاية الحالة المرهفة للغرض، ربطاً ذاتها مع المستوى المرهف للحواس، وبعد ذلك يتجاوزه، ويصبح ثابتاً في حالة الكينونة. وبهذه الطريقة يتم إخضاع نشاطات العقل والحواس بشكل تدريجي.

في حالة الوعي المطلق، يكون العقل خالياً من كلّ أنماط النظام النسبي وبالتالي يكسب حالته الأكثر نقاوة. هذه هي حالة اليوغا. يقول المولى: "يمارس اليوغا من أجل التنقية الذاتية". وبذلك هو يعني بأنّ ممارسة كسب هذه الحالة هي وسيلة كسب تنقية الجسم والعقل والنفس.

عندما يختبر العقل الحالات المرهفة لغرض التأمل، يصبح هادّاً جداً وصافياً جداً. وفي الوقت ذاته تصبح الذات صافية بشكل تماثلي، ويميل هذا التنفس الرفيع والخفيف إلى إرجاع الجهاز العصبي إلى وظيفته الطبيعية؛ يعاد تصويب أي وظيفة شاذّة إلى الحالة الطبيعية. عندما يكسب العقل الوعي التجاوزي، يصل إلى حالته أكثر نقاوة. وفي الوقت ذاته، يكسب الجهاز العصبي بالكامل حالة اليقظة المريحة. في هذه الحالة، يصبح الجسم آلة حيّة متناغمة مع الطبيعة القدسية. هذه هي الحالة الأكثر نقاوة للجسم.

أما بالنسبة إلى تنقية الروح، أو الذات، الحالة الصافية للروح هي الكينونة، التي هي الوعي الصافي الكوني غير المحدود. عندما يصل العقل من خلال ممارسة التأمل إلى هذا الوعي، تجحد الروح الفردية المقيدة بالزمان والمكان والسببية، طبيعتها الكونية غير المحدودة. وبالممارسة، تصبح هذه الحالة دائمة ويتم اختبار الذات بالكامل بأنها منفصل عن النشاط هذه هي الحالة الأكثر نقاوة للذات، أو الروح.

هكذا تكون ممارسة اليوغا – التي هي التأمل التجاوزي – يؤدّي إلى التنقية الذاتية.

إنه لأمر ممتع ملاحظة بأنه في الآية الحادية عشر من الفصل الخامس ينسب تأثير التنقية الذاتية للعمل المؤدّى من قبل اليوغي. تصبح هذه التعاليم هامّة من خلال ممارسة اليوغا.

الآية الثالثة عشر

ثابت، يحافظ على الجسم والرأس
والرقبة بوضع مستقيم وثابت،
موجّه نظره إلى أمام أنفه،
دون أن ينظر في أيّ اتجاه.

إنّ فنّ التواجد بثبات يتم شرحه هنا. عندما يكون كل من الرقبة والرأس مستقيم بخط جالس مع العمود الفقري، ويكون مجرى التنفس سالكاً، ويكون كل من الشهيق والزفير سلس وغير مقيّد. هذا ما يزيل إمكانية أيّ حركة غير طبيعية للجسم.

بعد أن أظهر المولى طريقة استكانة الجسم، يوضّح كيف يتم استكانة الحواس. إن البصر هو الحاسة الأكثر نشاطاً من الحواس، وإذا كانت هذه الحاسة هادئة ستتبعها تماماً الحواس الأخرى بشكل طبيعي. تعمل حاسة البصر مثل كلّ الحواس الأخرى، من خلال العقل. يتضمّن نشاط العقل التنفس. لذلك ولكي ينسّق العقل بين الحواس والتنفس، يتم أخذ الانتباه "إلى أمام أنفه"، النقطة التي يلتقي فيها التنفس والخطّ الطبيعي للبصر. إنّ تأثير ذلك هو لتثبيت التنسيق بين نشاطات العقل والحواس والتنفس ولإزالة أيّ حالات شذوذ لهذه الوظائف. إنها تهدّئ العقل وتوجه ه في نقطة واحدة؛ وتهدّئ الحواس وتنقّي التنفس.

"موجّه نظره إلى أمام أنفه" تعني توجيه نظره وإطلاقه، عدم مواصلة النظر أو التحديق.

"دون أن ينظر في أيّ اتجاه" تعني أولاً، لا ينظر هنا وهناك؛ وثانياً، لا يثبّت الفرد نظره بشكل حاد حتى في الاتجاه الأمامي للأنف؛ وثالثاً، إغلاق العيون.

إن التعاليم المعطاة هنا قد أسيء فهما عموماً وتم تفسيرها بالتركيز على رأس الأنف. يقول شانكرا بأنّه إذا كان المقصود هنا تثبيت النظر على رأس الأنف، سيترك العقل على الأنف لكن من دون الله.

إنّ الوضعية المشروحة هي خالية من أيّ إجهاد على الجسم أو العقل أو الحواس أو التنفس.

تهيّئ هذه الآية الأرضية التي منها يغطس العقل في الكينونة. إنها تعطي التقنية التي بها يجمع الفرد انتباهه من التعددية في العالم الخارجي إلى الحالة الهادئة والساكنة، في حين يبقى أيضاً في حقل الاختبار الخارجي. من هنا تقود عملية التأمل العقل إلى الداخل.

الآية الرابعة عشر

كونه متعمق في السلام ومتحرر
من الخوف، ومستقر في نذر العفة،
ومخضع للعقل، واهباً أفكاره لي،
دعه يجلس موحداً ومدركاً
لي بأني المتجاوز.

"كونه متعمق في السلام" تعني بأنّ العقل يتجه في طريق الانجذاب المتزايد، جالباً الطمأنينة الأكبر في كلّ خطوة ويملأ كيان الفرد بالصمت والسلام الأعمق. هذه هي الحالة التي لا يكون فيها أي عنصر مقلق. إنها ليست حالة النوم العميق، لأن في النوم العميق يكون الإحساس بالوجود مفقوداً. إنها الحالة التي يكون فيها السلام عميقاً والإحساس بالوجود غير مفقود. إنها حالة الوعي الصافي، التي ينتقل فيها العقل من حقل الاختبار الحسّي إلى حالة الذات، و حالة السلام العميق.

"متحرر من الخوف": على طريق زيادة السعادة في أثناء التأمل لا يوجد أي احتمال للخوف. تعلن الأوبانيشاد بأنّ الخوف يجيء مع الإحساس بالثنائية. والتحرر من الخوف تعني التخلّص من حقل الثنائية. أظهر الآية السابق العقل مجمعاً من حقل التنويع؛ وفي هذا الآية، إنه يكسب التحرر من إحساس الثنائية. يبدأ العقل، أثناء التوجه الداخلي للتأمل، بفقدان الإحساس بالثنائية، ويبدأ بالابتعاد عن حقل الخوف. وعندما يبدأ، تنهي هذه العملية الثنائية وتسبّب الوعي التجاوزي، الذي لا يوجد فيه ليس أي إمكانية للخوف.

"مستقر في نذر العفة": هذا لا يعني بأنّ الممارسة الموصوفة هنا هي فقط لأولئك الذين نذروا العفة. في السياق الحالي، لا يدور المولى حول أيّ وجهة سطحية لطريقة حياة الطامح، فيما إذا كان قد أخذ ولم يأخذ أي نذر للعفة. يعطي كلّ تعبير في هذه الآية التعمق في حالة العقل أثناء التوجه الداخلي للتأمل، وبهذا المعنى يجب فهم هذه الكلمات "مستقر في نذر العفة".

تتجه كلّ طاقات الإنسان الذي اتخذ نذر العفّة إلى الأعلى دائماً، وبتحويل المجرى الكامل للجسم والعقل والحواس نحو المستويات الأعلى للتطور، ومن دون أي فرصة لطاقته للتدفّق نزولاً. وعلى نفس النمط، وعندما يتعمّق عقل المتأمل في الداخل، لهذا أيضاً تأثير التوجيه طاقة الحياة إلى أعلى في المجالات المختلفة من جسمه وحواسه وعقله نحو المستوى الأعلى للتطوّر، وفي نفس الوقت عدم إعطاء الفرصة للتدفق النزولي لأيّ طاقة عقلية أو جسمانية أو حسّية. وتقترب كلّ وجهة لفرديته من الوعي الكوني في الحقل التجاوزي للكينونة. لأن التأمل التجاوزي يجلب معه الارتفاع المستمر للعقل نحو وعي الكينونة الأبدية، قد يتم مقارنة ذلك مع نذر العفة، استناداً إلى أن المجرى الكامل لحياة العزوبية يرتفع أبداً نحو هذا الوعي الأعلى.

لذلك، إنه ليس فعل اتخاذ النذر ما يتم التشديد عليه هنا؛ لا بل، إنه في تأمين وحماية التدفق الصاعد لطاقات الفرد على طريق المسعى القدسي. هذا ما يحدث في أثناء عملية التأمل التجاوزي وأيضاً في حياة العزوبية – يصبح الفرد "أودهفاريتاس" ما تعني؛ الذي تتدفّق طاقاته فقط في الاتّجاه الصاعد.

"مخضع العقل": أنه جلب العقل إلى تأثير الكينونة الأبدية. ويحدث هذا في الوعي التجاوزي وكذلك أيضاً في الوعي الكوني ووعي الله. هذه هي النقطة المركزية للآية الحالية؛ أما كلّ عباراتها الأخرى فهي تأتي من هذه العبارة.

لا يعني التعبير "مخضع العقل" بأنّه يجب أن تتم السيطرة على العقل بشكل معاكس لميله الطبيعي وإجباره على الدخول في الاتّجاه التجاوزي. إن تهذيب العقل في محاولة السيطرة عليه، ليس الطريق لتثبيت العقل في الذات. تعطي هذه الآية طريقة بسيطة لإدراك الحقيقة ولا تجعله بأية حال معقّداً أو صعباً. يبيّن "إخضاع العقل" كل من الحالتين الطبيعيتين للعقل هنا؛ الهدوء في الوعي التجاوزي، والميل الطبيعي لتدفّق بحرية في القناة الوحيدة التي تؤدّي إلى الغبطة التجاوزي، لأنه يختبر انجذاب أكبر في كلّ خطوة داخلية في أثناء التأمل. يصبح العقل هادئاً تماماً بشكل طبيعي، مسحوباً إلى المتجاوز بالانجذاب المتزايد وليس مجبراً على ذلك، بصرامة التهذيب أو السيطرة.

"واهباً أفكاره لي" تعني اسلم فكره لي، الذي أكون له المولى الأسمى لكلّ الخليقة. "واهباً أفكاره لي" لا تعني التفكير "بي". إنها تعني اسلم الأفكار التي تخصه. وهذه بدورها لا تعني بأن يتوقّف الفرد عن التفكير. إنها تعني تقبل الأفكار في حالة عدم التعلق، حيث تبقى الذات منفصلة عن عملية تفكير، وتبقى في حريتها الأبديّة، في حين يعطى كلّ النشاط بشكل طبيعي إلى الله، الذي هو أساس حياة الكون بالكامل.

في السياق الحالي، أيضاً، "واهباً أفكاره لي" يمكننا النظر إليها بشكل أفضل بالإشارة إلى وقت التأمل. تشير كلمات المولى بأنّه عندما تظهر الأفكار يجب أن لا يقاومها الفرد، ولا يجب أن يحاول السيطرة على العقل ضدّها أو يحاول الهروب منها؛ بل يجب أن يتعامل معها الفرد بشكل بريء. فلتكن بمشيئة الله. وتابع في تأملك على نحو مريح وغير مكترث للأفكار، كما لو أنك أعطيتها إلى الله.

في أثناء التأمل لا يجب أن يتصنع الفرد مزاجاً في تسليم أفكاره إلى الله، يجب أن يعالجها كما لو أنها مستسلمة إليه ولم يعودوا للفرد؛ فيبقى الفرد بلا مبالاة إليهم بشكل تام.

"دعه يجلس موحداً": دعه يكون في الوعي التجاوزي، أو دع عقله يكون ثابتاً بحزم في الوعي الكوني أو في وعي الله. لا يوجد أي ربط للتعبير "يجلس موحداً" مع النشاط أو عدم النشاط؛ إنما تعني فقط بأنّه في حالات الوعي التجاوزي والوعي الكوني، يكون تغلغل الكينونة في طبيعة العقل كاملة تماماً بحيث يثبّت العقل ويطمر فيها كلياً، وأنه في حالة وعي الله، يتم السيطرة على العقل بالكامل في أحادية الحياة. في حالات الوعي الكوني والوعي الله يبقى هذا الإتحاد من دون تغيير سواء كان العقل نشيطاً أو غير نشيط

"مدركاً لي بأني المتجاوز": يوضح هذا التعبير المعنى الكامل للآية الحالي، لأنه يكشف حالة الاستسلام. يجب أن يكون الاستسلام على مستوى الوعي الصافي، على مستوى الحياة بذاتها، على مستوى الكينونة –وليس على مستوى التفكير أو الشعور أو الفهم.

الآية الخامسة عشر

هكذا جامعاً لذاته أبداً،
يبلغ اليوغي المهذب
بعقله إلى سلام، التحرّر
الأسمى الذي يقيم فيّ

"هكذا جامعاً لذاته أبداً": يشير هذا التعبير إلى الممارسة ويوضح في الآيات الأربعة السابقة. عندما يجلس ممارس اليوغا لتأمّل، يواصل في جمع عقله، بمعنى، أنه يعيده إلى حالة "الإخضاع" التي وصفت في الآية السابق.

إن استعمال المولى الكلمات "جامعاً لذاته"، بدلا من "جامعاً للعقل" هو هامّ جداً. تعني العبارة "جامعاً لذاته" يجمع كلّ أوجه كيانه: الجسم والنفس والحواس والعقل. يحدث هذا عندما يدخل العقل عالم الاختبار المرهف في الطّريق إلى كسب الوعي الصافي. تبدأ الحواس كلّها بالتلاقي وبجمع ذاتها في البحر الصامت للكينونة، ويبدأ نشاط آلية الداخلية للجسم بالغرق في ذلك الصمت، وتجمع النفس ذاتها على ذلك المستوى الصامت للنفس الكونية. تبدأ المكونات المختلفة جميعها للفرد في التواجد سوية على ذلك مستوى صافي للكينونة. هذا يحدث تلقائياً وبشكل متزامن للعقل والحواس والنفس والجسم وهكذا يشير التعبير "جامعاً لذاته" إلى عملية التأمل التجاوزي التي تنتج مباشرة الحالة التي أشار إليه في أمر المولى: "كن من دون الغونات الثلاثة".

تعني "أبدا" بأنّ ما الهم الوحيد لممارس اليوغا في أثناء التأمل هو في أن يبقى جامعاً أو منشغلاً في عملية جمع ذاته. أمّا يبقى جامعاً في حالة الكينونة الصافية كما ذكر في الآية السابقة، أو إذا خسر في أيّة لحظة التركيبة الكاملة لجمع، عليه أن يجمع ذاته ثانية. عليه أن يكون منشغلاً بهذا الأسلوب دائماً. إنّ أهمية الكلمة "أبدا" هي محدّدة بوقت التأمل. إنا لا تمتد إلى الساعات أربع وعشرون الكاملة ليوم اليوغي.

"اليوغي المهذب بعقله": وضع هذا التعبير مباشرة بعد "جامعاً لذاته" يعطي بعد النظر في تقنية "الجمع". كيف يمكن لليوغي أن يجمع ذاته عندما يفقد حالة التجمع في أثناء التأمل؟ بواسطة "تهذيب عقله". بعقل منتظم وسلس ولطيف ومنسجم في وظيفته، وبالتالي تكون أعماله سهلة وهادئة. إنّ العقل سهل ويتهذب طبيعياً بين "الجمع" وحالة التجمّع وثانية بين حالة التجمّع و"الجمع". هذا يعني بأنّ عندما يجنح العقل عن طريق التأمل، يعيده اليوغي بشكل هادئ من دون أيّ اهتزاز، ومن دون تسبّب الإجهاد. تنمي الممارسة التي

تعالج كلّ الحالات أثناء التأمل، بطريقة حسّاسة تهذيب العقل، الذي يتوقّف بعدئذ عن التجوّل بشكل غير عاقل وبشكل غير ضروري في الحقل الخارجي للنشاط

"يبلغ السلام": عندما يكون العقل مجمّعاً، أثناء التأمل، يدخل في اختبار الحالات المرهفة من الفكر. وباختبار الانجذاب المتزايد في كلّ خطوة، يصبح مطمئناً أكثر فأكثر، وهذا ما يجلب السلام إلى العقل.

"التحرر الأسمى": بعد أن أستعمل كلمة "سلام"، يريد المولى إيضاح طبيعة هذا السلام لكي يميّزه عن مثل ذلك السلام الذي قد يكسبه الإنسان خلال النوم، عندما يرتفع عبء الفكر لفترة، أو خلال الرضا في الحقول المختلفة للحياة. يضيف بأنّ هذا السلام هو التحرر الأسمى. إن الفرد الذي يبدأ التأمل بأسلوب صحيح وتحت إشراف شخص مؤهل، سيطوّر في ذاته بالتأكيد حالة السلام الملازم والتحرر الأبدي في حين يقود حياة نشيطة في العالم.

"الذي يقيم فيّ": لا يتواجد التحرر الأسمى في أيّ قوّة ذات سيادة، أو قوّة الطبيعة، لكن فيّ، أنا المولى العظيم لكلّ الخليقة. استناداً إلى كينونتي، يتواجد هذا الكون الهائل للعناصر الضخمة والمتضاربة إلى الأبد وبشكل تلقائي، في حين أبقى غير متورط هذا "التحرر الأسمى الذي يقيم فيّ"، يقول المولى، وتنمو هذه الحالة العقلية غير المتورطة بواسطة "تهذيب العقل" كلما ينمو العقل في "السلام" ويحقق وعي الله.

تجدر الإشارة، بأنّ هذا الآية تعلن نتيجة الممارسة الّتي ستكون السلام والتحرر، في حين تعلن الآية 28 بأنّها ستكون بهجة لانهائية. لم يتم الإشارة هنا هذه البهجة لأنه، وكما ستظهر الآية 28، إنها نتيجة الحياة "المتحررة من العيب"، وهذه يحدث من خلال الممارسة التي وصفت في الآية الحالية.

الآية السادسة عشر

إن اليوغا حقاً هي ليست
لمن يأكل كثيراً ولا لمن
لا يأكل أبداً، يا أرْجونا،
وليست لمن ينام كثيراً
ولا لمن يبقى صاحياً

"يأكل": تشير هاتان الكلمتان إلى إطعام الحواس بمدركاتها. لا يجب إعطاء الحواس كل ما هو ممتع لها بشكل مفرط إلى حد التخمة، ولا يجب أن تكونوا محرومة جداً لاختبارها.

"ينام" تعني الحالة التي لا تكون فيها حواس الاختبار نشيطة، في حين تدلّ كلمة "صاحياً" إلى الحالة المعاكسة. إنها تتضمن هنا إذا خلد الإنسان للنوم كثيراً أو حافظ على التيقظ كثيراً، عندئذ سيجد صعوبة في الارتفاع فوق حالات اليقظة والنوم؛ والارتفاع فوقهما هو أمر أساسي جداً ليوغا.

إنه لأمر بديهي ومشترك بأن كلما زاد نقص. حتى الغذاء، الذي هو مصدر الطاقة، يخلق الخمول وعدم الكفاءة عندما يتم تناولها بكمية كثيرة جداً أو قليلة جداً. هنا يحذّر المولى من مغبّة

الزيادة في كلا الاتجاهين. وفي الحالتين يصبح العقل خاملاً ويخفق في الوصول إلى الحالات الأدق للاختبار أثناء التأمل. وببقائه في حقل الاختبار السطحي، يميل إلى الهمود. هذه مضيعة للوجود البشري الثمين، الذي هو من أجل التوسّع في السعادة وإدراك الحالة المتكاملة للحياة، حالة التحرر الأسمى التي تم الإشارة إليها في الآية السابقة.

تدعو الآية الحالية لوضع روتين طبيعي ومريح في الحياة اليومية من أجل النجاح في ممارسة اليوغا.

الآية السابعة عشر

لمن اعتدل في الغذاء والاستجمام،
واعتدل في الجهد في العمل،
واعتدل في النوم واليقظة،
له اليوغا التي تبدد كل حزن.

هذا هو المبدأ العريض الواجب إتباعه من قبل الفرد الذي يتمنّى عيش حياة السلام والسعادة الداخلية متكاملة مع النشاط الناجح في العالم الخارجي. يجب أن يعطى الجسم الراحة التي يحتاج، ويجب أن يلتزم الفرد بالنشاط، لكن ليس إلى حد حالة الإنهاك يجب أن يؤخذ الاستجمام بالنسبة المستحقّة، على أن لا يكون لمدة صغيرة جداً ولا لمدة طويلة جداً. يعني المولى بأنّ الحياة يجب أن تجري على نحو منتظم، بالمقدار الملائم من النشاط وبإعطاء كلّ شيء قيمته العادلة. يجب أن يتجنّب الفرد الإفراط في كلّ الأشياء ويكون منتظماً في التأمل، وسيؤدّي ذلك إلى حالة السلام الداخلي والحرية من العبودية كما تم وصفها في الآية الخامس

عشر.

"اليوغا"، التوحيد، إنها ليست الحالة التي يثبت فيها العقل في الوعي القدسي. إنها في الوقت ذاته حالة الحياة الفردية حيث تكون كلّ وجهة من أوجه الكينونة في الانسجام المثالي مع الحياة القدسية ومع الحياة في الطبيعة. يمكن أن تصبح هذه الحالة دائمة فقط عندما يثقّف الجهاز العصبي الجسدي بما فيه الكفاية للحفاظ عليها. فيكون العقل، كما هو منصوص في التفسير في الآية الخامسة عشر، متناغماً مع العقل الكوني، أو ذكاء الله، في حين تكون وظيفة الجسم قد وضعت ذاتها في التناغم مع وظيفة الطبيعة الكونية. ترتفع الحواس إلى العلو الكامل من قدرتها، لكي تختبر وتتمتّع بالمدركات على مستوى المسرحيّة القدسية. لكن من أجل أن يعمل كل من الجسم والأعضاء والحواس بالطريقة الأكثر طبيعية، و بالتوافق التامّ مع قوانين الطبيعة، من الضروري جداً أن يكون روتين الحياة معتدلاً، وذلك بكلّ ما يرتبط بالغذاء والنشاط على أن تبقى ضمن حدود الاعتدال، والحفاظ على خير الأمور أوساطها.

"اعتدل في النوم واليقظة": في معناه العميق يشير هذا التعبير بأنّ الفرد هو معتدل فقط في حالات النوم واليقظة. هذا يعني بأنّ حالة اليقظة، أي حالة المعرفة والاختبار للعالم الموضوعي، يتم الحفاظ عليه بشكل أولي بواسطة الحواس، في حين يكون العقل مدعوماً بشكل أولي بالكينونة. وفي الحالة النوم، ينسحب الجسم والحواس بالكامل من النشاط لكن العقل لا يؤخذ بالنوم: بالرغم من أنه منفصل عن كلّ النشاط يبقى مستيقظ في إدراكه. هكذا يكون الفرد قد "اعتدل في النوم واليقظة" بمعنى أنه لا يستغرق كلياً فيهما.

"اعتدل في الغذاء": من أجل أن يكون الفرد معتدلاً في الغذاء من الضروري إبقاء الجهاز العصبي بالكامل يعمل بشكل اعتيادي. مع التأمل المنتظم في الصباح والمساء، يتم المحافظة على

وظيفة آلية الجسم الداخلية بحالة طبيعية، ويكون الفرد بالطبيعة قد "اعتدل في الغذاء والاستجمام".

يعني "الاستجمام" الراحة التي تؤدي إلى إعادة خلق الوظيفة الطبيعية الجهاز العصبي بالكامل لكي يكون قادراً على العمل في قدرته القصوى. عندما يتم وضع بعض آليات الجسم في نوع معيّن واحد من نشاط، تصبح متعبة ويفق الإنسان كفاءته في ذلك النشاط أما عندما يعمل في النوع الآخر من النشاط، تصبح الآليات الأخرى فاعلة، وترتاح الآليات المتعبة، بذلك تستعيد كفاءتها. هذا ما يسمى بالاستجمام. إن أشكال الاستجمام تلك والتي ترتكز على تغيير النشاط في الحقل الخارجي للحياة لا تعيد خلق الجهاز الكامل في وقت واحد ولا تجدّد الكفاءة إلى الحدّ الأقصى. يعيد التأمل التجاوزي خلق الجهاز العصبي، وينتج حالة اليقظة المريحة للجهاز العصبي بالكامل ويجدّده، هكذا يكمل غاية الاستجمام.

"اعتدل في الجهد في العمل" تعني بأنه ليس على الفرد أن يزيد في إجهاد نفسه عندما يعمل. يدلّ ذلك أولاً، بأنّه يجب أن يكون الفرد قوياً بما فيه الكفاية كي لا يتعب – وبكلمة أخرى، يجب أن يكون الفرد نشيطاً ويقظاً ومتحرراً من الكسل؛ وثانياً، يجب أن يكون الارتباط بالعمل بالتوافق مع الدهرما الخاصة بالفرد، ومتساوق مع قوانين الطبيعة، وإلا ستقدم الطبيعة احتجاجها الصامت ضدّ الجهد، ويكون الفرد مرغماً على بذل "الجهد في العمل" بإفراط تكمل الممارسة المنتظمة للتأمل التجاوزي كل من هاتان الحاجتان لأنها تزوّد طاقة أعظم وتنتج انسجاماً في الطبيعة.

لا يجب أن يُفهم من ذلك بأن العبارة "اعتدل في الجهد في العمل" هي المطلب الرئيسي لليوغا. ينمو الاعتدال مع تقدّم الممارسة. لا الشّيء يمكنه أن يتحقق من دون تحوّل الطبيعة الحقيقية للإنسان وبيئته المحيطة. ومع تقدّم ممارسة التأمل، تحوّل بدون جهد طبيعة الفرد

الداخلية وتأثيره على بيئته المحيطة. هذا ما يجعله "معتدل في الجهد في العمل" بشكل تلقائي.

إن كلّ الظروف المشروحة في هذه الآية يؤكّد على الاعتدال، الذي يتم بفاعلية أكثر من خلال الممارسة المنتظمة للتأمل التجاوزي. لذلك يمكن اعتبار التأمل تجاوزي الشكل الأكثر فاعلية للاستجمام.

"اليوغا التي تبدد كل حزن": لقد قيل في وقت سابق بأنّ الحالة التجاوزية للوعي هي حالة اليوغا. هذه بلا شك هي حالة الغبطة، لكن كيف يمكن لهذه الغبطة التي تكمن في الحالة التجاوزية أن تساعد في إنهاء الحزن والمعاناة في الحقل النسبي للحياة؟ بأخذ الغبطة التجاوزية وإعادتها إلى حقل الوجود النسبي، تبدأ الغبطة بالسيطرة على المجال الذي يسود فيه الحزن والمعاناة. يوضّح التعبير "اليوغا التي تبدد كل حزن"، بأنّ النقاط المختلفة التي تظهرها هذه الآية بما يتعلق بالتصرف تشكّل الجزء الأساسي للممارسة المصمّمة لتحويل الوعي الصافي التجاوزي إلى الوعي الكوني.

تشرح الآية الحالية النمط العامّ للتصرّف الذي سيسمح وحده للغبطة التي يتم اختبارها في التأمل أن تتغلغل في المرحلة النسبية للوجود. إن غايتها الشاملة هي في أن تحذّر الطامح من إعطاء أهمية أكثر من اللازم على أي وجهة واحدة للحياة النسبية. وإذا أخذ الفرد كل شيء بنسبته المستحقّة، ستبقى كلّ أوجه حياته من دون إجهاد. إن هذا المستوى المنسجم للوجود هو الذي يضع الأسس التي يمكن العيش عليها بالكينونة القدسية في العالم. سيتم توضيح ذلك بشكل أكثر الكلمة "موحّد" في الآية التالية.

الآية الثامنة عشر

عندما يثبت عقله، المستقر بالكامل،
في الذات وحدها، وعندما يتحرّر
من شهوة اللذة، عندئذٍ يقال إنه موحّداً.

هذا هو الوصف للحالة العقلية التي يتم الوصول إليها من خلال الممارسة التي تم شرحها في الآيات السابقة.

"عقله المستقر بالكامل": يشير هذا إلى الوعي التجاوزي، حيث يصبح العقل بحراً غير محدود وصامت من الوعي الصافي من دون أية موجة للفكر. كما يمكن قول ذلك بما يتعلق بالوعي الكوني، حيث لا يهزّ هدوء البحر بالرغم من أمواج الفكر والاختبار.

قد يدور الجدل بأنّ الطبيعة الحقيقية للعقل هي في أنه يصبح مستقراً جداً في أيّ غرض من الاختبار، ألم يذكر ذلك في الآية السابع والستّون للفصل الثّاني بأن فكر إنسان يرتحل مندمجاً بالحواس "مثل سفينة في مهب الرياح"؟ وبما أنها هذه هي الحالة، ألم يصبح العقل، المسحوب بقوة الحواس، مستقراً جداً في اتصال الحواس بمدركاتها ويتمتّع بالسعادة التي يستمدها منها؟

ولعدم إعطاء الفرصة لهذه الحجج ولتجنّب إساءة الفهم، يقول المولى: "ثابت في الذات وحدها". هذا التعبير له معناه على مستويين: على مستوى الوعي التجاوزي وعلى مستوى الوعي الكوني. على المستوى التجاوزي لا يوجد شيء هناك سوى الذات وحدها. إنّ طبيعة الذات هي الوعي الصافي والذكاء الكوني والوجود الكوني والحياة الكونية والكينونة الأبديّة

والغبطة المطلقة. إنه تجاوزي وسرمدي ولا يفنى. إنه "أصغر من الأصغر" إنه الصمت. تعبر كلمة "الذات" عن الحقيقة التجاوزية المتعذرة وصفها للحياة. يفقد العقل، وبمجيئه إلى هذا الحقل، فرديته ويكسب طبيعته الحقيقية بأنه الكينونة الصافية.

على مستوى الوعي الكوني، يعني التعبير "ثابت في الذات وحدها" بأنّه وفي وسط كلّ التصرف، في النشاط أو الصمت لحالات اليقظة والحلم والنوم، يدرك الإنسان الذات بأنها منفصلة بالكامل عن حقل النشاط وهكذا يبقى ثابتاً في الذات وحده. تخفق الاختبارات المختلفة للحياة في حجب هذه الحالة من الوجود الكوني والاكتمال التام الذي يكسبه العقل.

بعد أن تم توضيح الصفة الراسخة والثابتة للعقل في حالة الطمأنينة الأبديّة، يتّجه المولى إلى القيمة العملية لمثل هذه الحالة العقلية؛ إلى المبدأ أو إلى حالة العقل التي ليس لها استعمال عملي في الحياة اليومية هي أقل أهميّة في العالم أخبر المولى أرْجونا بأنّ اليوغا التي يشرحها هنا قد أعطية إلى الحكّام الأوائل من العالم، وبذلك يضعها على مستوى عملي جداً. علاوة على ذلك، وفي كل جوانب الحديث، وفي نهاية كل شرح له طبيعة روحانية ومجرّدة جداً، يقول المولى ما يربط به الحياة العملية. وهنا يقول: "يتحرّر من شهوة اللذة".

"يتحرّر من شهوة اللذة" تعني الاكتمال. تنشأ شهوة اللذة من النقص في القناعة، الذي قد تكون بسبب عدم نيل ما تدركه الحواس، أو بسبب عدم قابلية الحواس على اختبار البهجة المتوفر. لكن عندما يثبت الإنسان في الحالة الموصوفة في هذا الآية، ويكون في القناعة إلى الأبد، و لن تترك هذه الحالة من القناعة الدائمة أي فرصة لأيّ شهوة للذة.

هذه الحالة من التحرر "من شهوة اللذة" هي على مستوى ذلك الاكتمال التام للحياة حيث تكون كينونة الفرد موحّدة مع الكينونة الكونية. إنها على مستوى "الحرية الأبديّة في الوعي

القدسي"؛ على مستوى "الحفاظ على وعيك في الذات"؛ على مستوى التوحيد والمعرفة. إنها تكمل التطلّعات المعبرة بالآية الخامسة والخمسون من الفصل الثّاني والآية الثامنة والثلاثون من الفصل الرّابع، وترضي مستوى النيل المعطى في الآية الثامنة من الفصل الخامس.

هذه الحالة على المستوى حيث تجتمع طريق السانكهيا وطريق الكارما ويوغا لإيجاد الاكتمال في الهدف المشترك، كما أظهر ذلك في بالآية الخامسة من الفصل الخامس.

"موحّد": في الآية الثامنة، كانت هذه الكلمة تستعمل للدلالة على المساواة في الرؤية؛ تعطى هنا، وكما في الآية الرابعة عشر، معنى أوسع بكثير. إنها تستعمل من ناحية الكينونة الشاملة وتحيط بحقل العقل كامل، بصمته ورغباته ونشاطاته، الحقل الكامل للحياة الذي يقع بين طرفي الحياة؛ العبودية والحرية الأبديّة، وبين الإنسان الفردي والقدسي الكوني. إنها تدلّ على الحياة في الوعي الكوني، التي تشمل النسبي والمطلق.

الآية التاسعة عشر

قنديل الذي لا يومض في مكان

خالٍ من الريح، هكذا يكون اليوغي

المخضع لأفكاره من خلال

ممارسة التوحيد مع الذات

يمكن مقارنة هذه الآية مع الآية التاسعة والستون من الفصل الثّاني، التي تقول بأنّ في ليل كلّ الكائنات، يكون الإنسان المسيطر ذاتياً يقظاً. لكن التشبيه في الآية الحالي أكثر عمقاً،

لأن التعبير في الفصل الثاني كان ضمن سياق الحواس وسيطرتها، في حين يمثّل القنديل في المكان الساكن "الفكرة"، القائمة بذاتها، متحررة من تأثير الحواس.

هذا ما يوضح السبب للاختلاف بين أحاديث الرجال المتنورين في الأوقات المختلفة. عندما يخرج مثل هؤلاء الرجال لشرح الحقيقة، يعتمد أسلوبهم من التعبير وعمق الفكر على الوقت والظروف المحيطة. يعتمد حديثهم على نقاوة وعي أولئك الذين يستمعون إليهم. في هذه المرحلة، أصبح وعي أرْجونا صافياً بما فيه الكفاية ليفهم بالضبط، حالة "اليوغي المخضع لأفكاره من خلال ممارسة التوحيد مع الذات"

قد نلاحظ بأنّ الاختبار الموضوعي هو بسبب ربط العقل بالجسم من خلال الحواس. وعلى سبيل المثال، إذا كان الفرد يتأمّل بالفكرة، يكون اختبار الحالات السطحية والمرهف لتلك الفكرة بسبب ربط العقل بحاسة النطق.

في أثناء التأمل، يستمرّ غرض الاختبار في أن يكون محسوساً في حالاته المتضائلة، لكن عندما يتم تجاوز الحالة المرهف للاختبار، يكون العقل خالياً من تأثير الجسم وتأثير الحواس التي كان يختبر من خلالها. طالما يتأثّر العقل بالحواس ومدركاتها، يظل مثل القنديل الذي يومض نوره في الريح، لكنه عندما يخرج من تأثيرهما يصبح ثابتا، مثل "القنديل الذي لا يومض في مكان خالٍ من الريح"

طالما يكون العقل مرتبطاً بالغرض، يظل في صفة عقل الاختبار؛ لكن عندما يتضاءل اختبار الغرض إلى نقطة الاختفاء، يتوقّف العقل عن أن يكون عقل الاختبار. فيصبح العقل الواعي وعياً. ولكن في أثناء هذه العملية من التحول، يكسب أولاً الحالة الصافية لفرديته الخاصة.

إنه لأمر ممتع أن نرى أن الآية لا تتكلّم عن العقل لكنها تتكلم عن "الفكر" كما وأن يكون ثابتاً. إن الكلمة السنسكريتية المستعملة هي تشيتا، وهي تلك السمة للعقل التي هي مجموع الانطباعات الهادئة والصامتة، أو بذور الرغبات. إن تشيتا هي مثل الماء من دون الأمواج. إنه يدعى "مناس" أو عقل، عندما تظهر الأمواج.

عندما يكسب العقل هذه حالة للتشيتا، أو "الفكر"، يقف ثابتاً، "مثل القنديل الذي لا يومض في مكان خالٍ من الريح". يحمل فرديته في الفراغ – الامتلاء المجرّد حوله – لأنه لا يوجد هناك شيء كي يختبره. فيبقى غير ملموس، ويصحو في ذاته.

فلنتخيّل موجة صامتة على بحر هادئ، جاهزة لتوسّع والدمج مع صمت العمق. تدمج الحالة الفردية الصافية للعقل والفردية الصافية للأنا، المشروحة في هذا الآية، بشكل مباشر مع الوعي الذاتي التجاوزي؛ هذا ما يبديه المولى بعبارة "التوحيد بالذات": يكون العقل متوحد مع الكينونة القدسية.

يتم تعريف هذه الحالة من التوحيد القدسي، أو اليوغا، في أوجهه المختلفة في الآيات الأربعة التالية، التي يليها ستّة آيات مكرّسة إلى تحويل الوعي التجاوزي إلى الوعي الكوني. وبعدها ثلاثة آيات تكشف جوهر الطريق من الوعي الكوني إلى وعي الله، الذي فيه يصل اليوغي إلى ذروة الإنجاز.

الآية العشرون

تلك (الحالة) التي فيها ينكفئ الفكر

المستقر من خلال ممارسة اليوغا،
والتي فيها، وبرؤية الذات بالذات
وحدها، يجد الطمأنينة في الذات.

تصف هذه الآية الخطوة المتقدمة للممارسة. لقد أخذت الآيات السابقة العقل إلى الحالة التي يقف فيها الفكر – الفكر الحازم – بذاته، ثابت وغير متحرك تقول الآية الحالي بأنّه عندما يكسب هذا الفكر الثابت، بالممارسة المستمرة، الاختبار الواضح لفرديته، يبدأ بالانكفاء. تبدأ عملية الانكفاء بتوسّع الفردية، وعندما تحدث هذا يبدأ الفكر، الذي فقد فرديته، بكسب الكونية، ويبدأ بكسب المنزلة غير المحدودة للكينونة. في دمجه مع الكينونة، يدرك الكينونة كأنها ذاته الخاص ويكسب وعي غبطة – يجد اليوغي "الطمأنينة في الذات".

إن الذات، كما قيل عنها في التفسير في الآية الثامنة عشر، لها طبيعة تجاوزية؛ قبل أن يتجاوز العقل كلّ اختبار، فهو لا يدرك الذات. في عملية تجاوز كلّ اختبار، ينكفئ العقل من اختبار التعدّدية ويكسب اختبار الأحادية في طبيعته الفردية الخاصة. ومن ثمّ، يتجاوز منزلته الفردية، ويتوسّع إلى الكينونة الكونية. هذه الحالة للكينونة، حالة الوعي التجاوزي يتم الإشارة إليها بالكلمات، "برؤية الذات بالذات وحدها".

إنّ الكلمة "وحدها" هي هامّة، لأنها تؤكّد بأنّ الذات التجاوزية بذاته تشكّل محتوى كينونتها وبأنّ لا شيء في الوجود النسبي يمكن أن يدركاها. إن نقاوتها وأبديّتها وسموها، هي بأنه حتى الوجهة المرهفة للحياة الفردية، الفكر الحازم، تكون غريبة عنها وتمنع من الدخول فيها. يجب أن يستسلم الفكر من وجوده لكي يجد مكانه في الكينونة الأبدي للذات.

هذا المجد لطبيعة الذات. بعد أن عاد إلى بيته، يجد المسافر السلام. إنّ كثافة السعادة هي أعلى من الذروة. فتزيل غبطة هذه الحالة إمكانية أيّ حزن، أكان كبيراً أو صغيراً. في نور الشمس الساطع لا يمكن للظلمة أن تخترقه؛ لا يمكن للحزن أن يدخل وعي غبطة، كما لا يمكن لوعي الغبطة أن يعرف أيّ مكسب أكبر من ذاته. تترك هذه الحالة من الاكتفاء الذاتي الفرد صامداً في ذاته، مكتملاً في الطمأنينة الأبديّة.

تشكّل الآية الحالي بداية جملة طويلة التي تتتوّج في الآية الثالثة والعشرون. ولا نجد في أي مكان آخر غير البهاغافاد غيتا جملة بهذه الطبيعة المتمددة. ويعود ذلك لأن هذه الآيات الأربعة تقدم اليوغا، التي هي حالة التوحيد القدسي، بمجدها الكامل. تكشف الآية الحالية حالة التوحيد القدسي في الوعي التجاوزي. إنّ الآية التالي تصوّر التوحيد في الوعي الكوني، والثالثة من ناحية المكسب الأسمى الذي هو وعي الله، والرابعة من ناحية إزالة المعاناة.

الآية الواحدة والعشرون

وبمعرفة ذلك الذي هو بهجة لانهائية،
والذي يقع خلف الحواس،
ويكتسبه الفكر وفيه يثبت،
هو حقٌّ لا يرتعش

لكي نعرف لماذا لا تستطيع الحواس اختبار "بهجة لانهائية"، من الضروري أن نفهم أصل الحواس ومدركاتها. تبدأ الخليقة بالبركريتي أو الطبيعة، التي تظهر ذاتها في الغونات الثلاثة، الساتفا والرجس والطمس. ومع استمرار عملية الخلق، تظهر الغونات الثلاثة في "مهات تطفا"، مبدأ العقل الكلي. ويتابع هذا الظهور في "أهام تطفا"، مبدأ العقل الغريزي، والذي بدوره يظهر في الطانمترات الخمسة الذي منه تنهض الحواس الخمسة. ومن ثمّ، ومع استمرار عملية الظهور، تظهر الطانمترات الخمسة في العناصر الخمسة، التي تتجمع لتشكل الخليقة الموضوعي بالكامل.

إنّ مدى الاختبار الحسّي هو محدّد بحقل الخليقة الناتج عن هذه العناصر الخمسة. فتمكّن الحواس الفرد على اختبار بهجة العالم الموضوعي فقط تتواجد غبطة الحياة الأبديّة بعيداً عن الحواس وما بعد الفكر مباشرة. يمكن إدراكها لكن لا يمكن إدراكها بالحواس.

يقول المولى بأنّ البهجة اللانهائية لها طبيعة تجاوزية؛ هي معروفة فقط عندما تسلّم الوجهة المرهفة للنسبية، الفكر، ذاته إلى الذات التجاوزي، كما شرح ذلك في الآية السابقة. عندما تكون هو معروفة، يكون الفرد مأسوراً به حيث لا يستطيع الفرد أن يخرج أبداً من تأثيرها بالكامل.

"يكتسبه الفكر": بالرغم من أن البهجة اللانهائية تجيء باستسلام الفكر، إل أنه يقول "يكتسبه الفكر". عندما يصبح ولي العهد ملكاً، يزول ولي العهد من الوجود، لكن وبالرغم من إنّه يمكن القول بأنّ ولي العهد "اكتسب" الملوكية. بهذا المعنى نقول بأن حالة الذات التجاوزية يتم "اكتسابها بالفكر".

"لا يرتعش": في حالة الوعي التجاوزي لا يوجد أي إمكانية للنشاط، لكن الممارسة المستمرة لتجاوز حقل النسبية تثقّف العقل لكي يبقى ثابتاً في الغبطة، ثابتٌ حتى في حقل النشاط

تُظهر هذه الآية المواصفات الأساسية لليوغا في الوعي الكوني: "بهجة لانهائية"، "يقع خلف الحواس"، "يكتسبه بالفكر"، "وفيه يثبت، هو حقٌ لا يرتعش".

تعطى تفاصيل هذه الحالة في الآيات 24 إلى 29.

الآية الثانية والعشرون

بعد أن اكتسب ما يحسبه أكثر من أي ربح،

ثابت بما هو لا يحرك حتى بالحزن الكبير

هذا هو مجد الحالة السامية لليوغا؛ الحالة السامية للتوحيد القدسي في وعي الله، الوحدانية المباركة للحياة التي فيها "يحسبه أكثر من أي ربح". هذه هي تلك الحالة التي فيها يجد انفصال الذات عن النشاط، كما يتم اختبارها في الوعي الكوني، إتمامه في وحدة الحياة، وفي نور الله، الذي لا يعرف أي ثنائية. تصبح الحياة مطمئنة في هذه الحالة "لا يحرك" بكلّ الحزن والمعاناة الذي يستمرّ في الوجهة النسبية للحياة.

إنّ مجد هذا حديث للمولى هو موجود في الكلمات، "ثابت بما هو لا يحرك حتى بالحزن الكبير". حتى عندما يقدّم هنا المولى الحالة السامية للحياة، "بعد أن اكتسب ما يحسبه أكثر من أي ربح" فهو يبقيه ضمن مدى القلب البشري، الذي هو عرضة إلى الحزن. في الحقيقة، إنه يتوسع في التعريف الحقيقي لهذه الحالة المباركة أكثر للتوحيد القدسي، أو اليوغا، إلى مستوى المعاناة البشرية. هذا ما يشير إلى كيف أن تلك المراحل من الحياة في المقارنة الأكثر تطرّفاً للإلوهية تتعانق بشكل حميم مع هذه الحالة المباركة للتوحيد القدسي. تتوسع الآية التالي في هذه النقطة.

يتم التعامل مع تفاصيل حالة وعي الله في الآيات 30 إلى 32.

الآية الثالثة والعشرون

دع ذلك الانشقاق للإتحاد بالحزن
يكون معروفاً باسم اليوغا (التوحيد).
يجب أن تمارس هذه اليوغا
بالتصميم الصارم وشجاعة القلب.

تظهر هذه الآية التعاليم الروحية للمولى من ناحية التوحيد في "الانشقاق". إنه يظهر بأنّ اليوغا هي كونية؛ إنها موجودة أيضاً في حقل "الانشقاق". فهو يقول بأنّ انشقاق العقل عن الحزن هو أيضاً توحيد، وبأنّ هذا التوحيد (يوغا) يجب ممارسته بتصميم وحزم العقل. يريد المولى بأن يمارس كلّ شخص هذا التوحيد؛ أولئك الذين يمكنهم ممارسته باسم التوحيد يجب عليهم أن يفعلوا ذلك؛ أما أولئك الذين لا يستطيعون ذلك، يجب عليهم أن يفعلوا ذلك باسم الانشقاق. إنّ كلمة توحيد هي لأولئك الذين يمكن أن يتصوره بأنه غبطة مطلقة ويتمنّون تملكه حتى إلى حدّ أن يكونوا هو. أما كلمة انشقاق فهي لأولئك الذين لا يستطيعون تصوّر هذه الغبطة أو لا يستطيعون التفكير بأنهم قادرين على التطلّع إليه. لكن كلمة انشقاق هي متآلفة جداً في حياتهم مع الحزن وسيتمنّون عدم الوصول إليها. لذلك دعهم يبدؤون هذه الممارسة لكي تضع حدّاً للحزن. يجب أن يتم أخذ العقل من عالم المعاناة، لأنه ليس هناك حاجة للمعاناة في الحياة عندما يكون هناك هذا المركز من السعادة في داخل الذات الفردية.

إن كيفية مواصلة كل فرد ممارسة هذه اليوغا التي تنهي كلّ معاناة الفرد هي مشروحة في الآيات الخمسة التالية.

لقد تم تكريس الآيات 20 إلى 23 إلى تعريف اليوغا. إنّ غاية تعريف اليوغا في الآيات أربعة هي كي تظهر بأن اليوغا كافي لإنجاز كلّ الأهداف الأربعة للحياة كما هي مشروحة في الكتب المقدّسة الهندوسية. فهي تصرح بأن غاية الحياة هي في الاكتمال في: 1. الدهرما، 2. أرتها، 3. كاما، 4. نوشكا.

1. الدهارما هي الواجب الطبيعي للفرد، الذي يتضمّن كلّ القيم الأخلاقية الحسنة والعمل الصحيح والحرية والعدالة والشرعية – كلّ المبادئ التي تؤيّد وتدعم الحياة. يتم تحقيق كل هذه المبادئ بالكامل عندما يدرك الإنسان ذاته. لأنه بمعرفة الذات واختبارها، يبلغ الإنسان مستوى الحياة الذي هو أساس كلّ المبادئ الأخلاقية، العمل الصحيح، والذي منها يكون قادراً على إكمال قوانين الطبيعة ويكون

عادلاً لكلّ الخليقة. تظهر الآية 20، التي تصف توحيد العقل والكينونة، بأن كلّ تطلّعات الدهارما قد اكتملت.

2. تكتمل أرتها في الآية 21. تعني كلمة "أرتها" الثروة والعمل والفائدة والمنفعة والمكافأة والربح. وباختبار الغبطة الأبديّة، تصبح مثل هذه التطلّعات كلها مرضية بالكامل، إن الغاية الوحيدة للأرتها بكل أوجهها هي في تخزين الكمية الأكبر من وسائل السعادة.

3. الكاما أي الرغبة. تهدف الرغبة بشكل طبيعي نحو السعادة وإزالة المعاناة. ترضى كلّ التطلّعات على هذا المستوى عندما يدرك الإنسان الغبطة الأبديّة للذات. عندما يتوقف الفرد عن البحث ويتوقف عن الرغبات للسعادة الأكبر، عندئذ يكون الفرد مكتملاً من وجهة نظر الكاما. وفي وصف مثل هذا الاكتمال، تقدم الآية 22 قمّة إدراك الكاما. إنها تعطي الأمان من الحزن الكبير وتقدم السعادة السامية.

4. موكشا التحرر. تعلن الآية 23 التحرر من كلّ الألم والحزن من خلال اليوغا، أو التوحيد الأسمى، كما تم وصفها في الآية 20.

تشكل هذه الآيات، 20 إلى 23، الأعمدة الأربعة لصرح اليوغا. إنها لتذكّر الإنسان في كلّ جيل بأنّه ليس من الضروري أن يعاني في الحياة، وبأن هدف الحياة هو سهل المنال وبأن كلّ التطلّعات هي سهلة التحقيق. والطريق لذلك هي في التوجه الداخلي للعقل، وبتحديد مكان الكينونة الكونية الخفية، والشعاع الواحد من نورها الأبدي يكون كافياً لتبديد كلّ ظلام الجهل وينشر بركات الله الكلي القدرة.

في التعريف عن اليوغا تؤمن هذه الآيات الطريق الملوكي إلى الاكتمال على كلّ مستوى من الحياة البشرية. محظوظون هم أولئك الذين يأخذون هذا الطريق السريع، والذين يمارسون التأمل التجاوزي.

يجب أن نوضح في هذه النقطة بأنّ غاية اليوغا لا تنتهي في إدراك الذات في الحالة التجاوزية (الآية 20). وبالرغم من أن هذا هو النيل النهائي للتوجه الداخلية للتأمل، وبالرغم من أنّه يعطي المعنى الكامل لليوغا على أنّه يجلب التوحيد الكامل مع الوعي القدسي، فهو ليس كامل. إن الغاية الشاملة لليوغا لم تتحقق لغاية الآن. ما لم يستمر الوعي القدسي المكتسب في الحالة التجاوزية، في الحفاظ على ذاته في جميع الأوقات، وبطريقة طبيعية، وبصرف النّظر عن الحالات المختلفة في اليقظة أو الحلم أو النوم، وبصرف النّظر عن ارتباط العقل في النشاط أو في الصمت، تكون غاية اليوغا غير منجزة. يجب أن تتطوّر اليوغا، أو التوحيد القدسي المحقق في حالة الوعي الذاتي، أو آتمانانداً، إلى الوعي الكوني، أو برهمانانداً، التي هي أيضاً حالة اليوغا. هذا ما يؤدي في النهاية إلى وعي الله، ذروة اليوغا، حيث لا يوجد هناك أي أثر للحزن أو المعاناة.

الآية الرابعة والعشرون

وبالتخلي من دون أي تحفظ،
عن كل الرغبات التي منها يولد
حافز العمل، وبتحكّم بقرية الحواس
من كل جهة بالعقل وحده.

وبشرح الحالات الثلاثة لليوغا لغاية الآن، يشرح المولى، في هذه الآية وفي الآيات الأربعة التالية، كيف تتحول حالة اليوغا في الوعي التجاوزي إلى حالة اليوغا في الوعي الكوني.

هذه هي روعة تعبير المولى أنه في كلّ هذه الآيات الخمسة بالتتالي هو ليس قادر على تطوير موضوع كسب الوعي التجاوزي فقط، لكنه قادراً على تطوير موضوعاً ثانياً: وهو تطوير الوعي الكوني عندما يكون الوعي التجاوزي مكتسباً. إنّ التقديم المتوازي لهذين الموضوعين هي تعاليم بحد ذاته. يظهر أولاً بأن الطريق إلى

الوعي الكوني يشمل الطريق إلى الوعي التجاوزي، وثانياً بأن الوعي الكوني يتطوّر بشكل متزامن مع نمو الوعي التجاوزي في العقل.

"حافز العمل": إن المحفّز الذي ينتج الرغبة في الجهاز العصبي، يجلب إلى العمل حواس الإدراك وأعضاء العمل. هذا المحفّز هو معارض لعملية كسب تلك الحالة من اليقظة المريحة للجهاز العصبي المرادفة للوعي التجاوزي. لهذا السبب، عندما يوضّح المولى العملية الكاملة لجعل الوعي التجاوزي دائماً، يؤكّد الحاجة لمنع العملية المعارضة من التدخّل. يجب أن نأخذ في الاعتبار، على أية حال، بأنه وبالرغم من أنّ المولى يعطي هذا التحذير فهو لا يدعو لممارسة السيطرة على الرغبة. إنه يصرّح بالمبدأ بأنّ الرغبات لا تساعد على الطريق لأنها تحفّز الجهاز العصبي إلى النشاط الخارجي وهذا يتعارض مع نشاطه الداخلي، الذي يعطي اختبار الحالات المرهفة للفكر في حين يتقدم العقل نحو حالة الوعي التجاوزي.

عندما يقول المولى: "بالتخلي من دون أي تحفظ، عن كل الرغبات التي منها يولد حافز العمل، وبتحكّم بقرية الحواس من كل جهة بالعقل وحده" فهو يعني انشغال العقل في عملية التأمل التجاوزي وتركه يدخل إلى اختبار الحقول المرهفة للتفكير.

وعندما يصبح العقل متآلفاً مع وعي الغبطة في حقل المتجاوز، من الطبيعي جداً أن ينسحب بشكل تلقائي بذلك الاتجاه المسموح له المضي فيه من بدون تأخر. يقول المولى: "بالعقل وحده"، يعني بأنّ الفرد لا يستعمل أيّ نوع من التقشّف أو السيطرة القويّة لغلق أبواب الحواس. ستضع الحواس ذاتها بشكل تلقائي فقط لكي تتبع العقل في تقدمه إلى المتجاوز. في التوجه الداخلي الهادئ للعقل أثناء تأمل، يتم ترك الرغبات بشكل تلقائي. هنا يقول المولى فقط بأنه يجب على الفرد أن يترك العقل يتبع طريقه المألوف إلى المتجاوز في الأسلوب الأكثر طبيعي وأكثر عادي.

"قرية الحواس": المكان حيث تسكن الحواس. هذا هو بنية الجهاز العصبي. إنّ الجهاز العصبي الكامل هو القرية، والحواس الفردية هم القرويّون والعقل هو صاحب الملك هكذا، عندما يقول المولى: "يتحكم بقرية الحواس من كل جهة بالعقل وحده"، فهو يريد إظهار المبدأ بأن: يتحكم صاحب الملك ويؤثر على القرويّين، لكي يعيد توجيه القرية لكي يتقد نشاطها، نشاط الجهاز العصبي، بالتوافق مع قوانين الطبيعة، في حين يحافظ إدراك الذات على حالته الطبيعية في أبديّة الكينونة. هذا ما يضع شمولية الحياة في حالته الطبيعية أكثر: تبقى الكينونة المطلقة والحقل النسبي للنشاط منفصلة ومتكاملة أيضاً في الحياة الفردية في حالة الوعي الكوني.

إنّ الممارسة هي عقلية كلياً، لكنّها تؤثّر مباشرة على الجهاز العصبي بالكامل، الذي من خلاله تعمل الحواس. تجدر الإشارة بأنه عندما يبدأ المولى التعاليم حول كسب الوعي الكوني يتكلّم عن الجهاز العصبي، الوجهة الطبيعية للحياة، ويؤكّد على الحاجة لإعادة توجيهه. لكن الجهاز العصبي البشري هو في مثل هذا التعقيد الفائق والنقاء بحيث إنّه من غير المحتمل إعادة توجيهه من خلال المقاربة الجسدية. يتم حلّ هذه الصعوبة بالتشدد الذي يضع المولى على الكلمات "العقل وحده". بذلك يحذّر الطامح لعدم جعل أيّ محاولة للسيطرة على الحواس مباشرة، أو للتأثير على الجهاز العصبي بأيّ وسائل جسدية. إنّ إعادة توجيه الجهاز العصبي هي ضرورية لكي لجعل حالة الوعي التجاوزي دائمة، لكنّ يجب أن يتم جلبها بعملية عقلية. إذا حاول الطامح أن يسيطر على الحواس على مستواها الخاص، أو إذا حاول السيطرة عليهم بعملية عقلية معاكسة لميولها الطبيعية، ستكون النتيجة بالإجهاد. إنّ الممارسة التي يتم تعليمها في هذه الآية هي بالتأكيد خالية من أيّ إمكانية للإجهاد.

"بتحكّم بقرية الحواس من كل جهة": يشير هذا التعبير إلى تقنية السيطرة على كلّ الحواس مرة واحدة وفي نفس الوقت، من دون تعرضها لأيّة مقاومة بشكل منفرد على مستوى الحواس بذاتها، ومن دون مهاجمة ميلها الطبيعية لقيادة العقل نحو مدركاتها. هذه الوجهة للتعاليم لها القيمة العليا. عندما تدور الحواس

إلى الداخل أثناء التوجه الداخلي للتأمل، وإلى الخارج أثناء التوجه الخارجي للتأمل، عندئذ يكون قد تم إعادة توجيهها بطريقة طبيعية أكثر بحيث يكون نشاطها متوافق بشكل تلقائي مع قوانين الطبيعة.

ستكون عملية إعادة التوجيه هذه متوتّرة إذا كانت الحواس مقيّدة. فقط إذا تم خلق حالة يكون للحواس فيها النشاط الحر الداخلي والخارجي متحركاً بطبيعتها الخاصة للتمتّع بها، من الممكن للإنسان أن يدرك بأن الكثافة الأكبر للسعادة تكمن في الاتجاه الداخلي. وبهذا الإدراك، تتعزّز عادة البقاء تحت تأثير غبطة الكينونة، للتسبّب بالوعي الكوني.

الآية الخامسة والعشرون

دعه ينكفئ بشكل تدريجي من خلال
الفكر المتحلي بالصبر؛
بعد أن ثبّت العقل في الذات،
دعه لا يفكر مطلقاً.

توضّح هذه الآية الكلمات "ينكفئ" (الآية 20) و"التخلي" (الآية 24). إنها تؤكّد بأنّ عملية الانكفاء يجب أن تكون تدريجية وتضيف "المتحلي بالصبر" لكي توضح بأن لا يجب القيام بأي شيء لتعجيل أو تعديل هذه العملية. عندما تبدأ، يجب أن يسمح لها في المضي بمفردها.

إنّ النقاط حول الصبر والتدرج هي مهمة جداً. إذا أصبح الإنسان غير صبور ويحاول دفع العقل إلى المتجاوز، يظهر العديد من الأضرار. إنّ كثافة الفكرة هي كبيرة جداً في ذلك المستوى المرهف للتفكير حيث أنّ العقل

ينزلق خارج الفكرة ويوشك أن يفقد اختبار الحقل النسبي. إذا لم يتم التشويش على العملية ويسمح لها بالمضي وحدها بطريقة بريئة جداً، عندئذ ينزلق العقل إلى الذات. أما إذا، من الناحية الأخرى، تم تطبيق الضغط أو القوة بأية طريقة لتفحص العقل أو للسيطرة على العملية، سيرمى العقل خارج المسلك الذي وضع فيه بشكل طبيعي ويختل توازنه بالهياج والشعور بعدم الراحة. لهذا السبب يجب أن يتم السماح للعملية بأن تحدث بشكل هادئ وبصبر، ومن دون أيّ قلق أو عجلة.

لا يجب على الفرد أن يبذل جهداً لكي يتجاوز. يعيق الجهد، من أيّ نوع، عملية التجاوز فقط يمضي العقل بشكل طبيعي نحو الذات لأنه في ذلك الاتجاه يكون مجذوباً بالسعادة المستمرة التّزايد. لذلك يقول المولى بأنّه يجب أن يسمح للعقل أن يجيء في ذلك الاتجاه بشكل طبيعي وبريء.

"الفكر المتحلي بالصبر" لها معنى باطني، بعيداً عن معناها الواضح في الدعوة للصبر من ناحية الفكر. وهو في أنّ الفكر يجب أن لا يعمل أثناء العملية. لا يجب أن يتم مراقبة ما يحدث أو تحليله أو تفحصه بدقّة بواسطة الفكر. ليس هناك أي حاجة للتفحص الدقيق للعملية. من الضروري أن يكون الفكر فقط سريع التقبل والتقدير ولا يكون على الإطلاق مميّزاً أو على حذراً. عليه فقط أن يقبل اختبار كما تجيء.

"دعه ينكفئ بشكل تدريجي": كي يصبح العقل، عندما يغطس في المستويات الأعمق لعملية الفكر، صافياً بشكل متزامن من أجل أن يختبر حالات مرهفة أخرى ويمضي داخلياً بأسلوب بريء إذا دخل الإنسان الواقف في الضوء اللامع بسرعة وفجأة إلى كهف مظلم؛ قد لا تستطيع عيونه رؤية ما يوجد داخل الكهف؛ لكن إذا دخل ببطء، تعتاد عيونه على الكثافة المنخفضة للضوء، ويكون قادراً على الرؤية. عندما ينكفئ العقل في أعماقه الداخلية، يذهب من المستوى السطحي إلى المستويات المرهفة للاختبار. لذلك من الضروري للعقل أن لا يسرع إلى الداخل بشكل مفاجئ، لكن عليه الذهاب بشكل تدريجي وبصبر.

ومرة أخرى، عندما تبدأ فردية الفكر بكسب حالة الكينونة، من الضروري جداً بأن تكون العملية بطيئة. في هذه الحالة فقط تكون الغبطة ضمن مدى الاختبار.

"دعه لا يفكر مطلقاً": يقول المولى بأنّه عندما يثبت العقل في الذات يجب أن يحاول الفرد أن لا يفكّر، لأن الحالة التجاوزية للوعي تقع وراء قدرة العقل على التفكير. وأيّ محاولة للتفكير في تلك الحالة سوف لن تنجح. هذه هي الحالة التي يتمتع بها الفرد بأن يكون فيها فقط إنها ليست في المستوى الذي يتواجد فيه الفكر. يخبر المولى الطامح عن طبيعة هذه الحالة لكي لا يتوقّع أن تجيء أي أفكار جيدة في تلك الحالة.

يقول المولى: "لا يفكر مطلقاً". هذه الحالة من عدم التفكير هي النتيجة الطبيعية لثبات العقل في الذات؛ ويصل إليها فقط في أثناء التأمل. هذا لا يعني بأنّه يجب على الإنسان أن لا يفكّر بأيّ شيء عندما يكون خارج التأمل، لأن عادة عدم التفكير ستجعل حياته خاملة وعديمة الفائدة.

عندما يخرج العقل من الذات، خارج حالة التجاوز في أثناء التأمل، ويكون منشغلاً بالفكرة؛ ماذا يجب القيام به في هذه الحالة سيتم توضيحه في الآية التالية.

"دعه ينكفئ بشكل تدريجي من خلال الفكر المتحلي بالصبر": يقدّم هذا التعبير أيضاً التعاليم المهمة في الطّريق إلى الوعي الكوني عندما يكون الوعي التجاوزي مكتسباً. عندما يكسب العقل، خلال ممارسة التأمل التجاوزي، التآلف مع حالة الكينونة، يبدأ الفرد بالشعور كما وأنّه غير متورط في حين يقوم بالنشاط ينمو هذا الاختبار لعدم التعلق بالكثافة مع الممارسة. هذا ما يعني به المولى في قوله "ينكفئ بشكل تدريجي"، في سياق كسب الوعي الكوني. ويضيف بأنّه أثناء هذه العملية، يجب أن يكون الفكر "متحلي بالصبر" لكي لا يترجم الاختبار بشكل عاجل وخاطئ. يجب أن نلاحظ بأنه عندما يتم إدراك إحساس عدم التعلق بواسطة الفكر، يصبح النشاط أكثر تأثيراً ومثمراً في العالم الخارجي. وفي غياب التفسير الصحيح لهذا التعبير لعدم التعلق، قد يصبح الفرد محيّراً، وقد تصبح هذه البركة العظيمة للحياة مطلوبة.

"بعد أن ثبّت العقل في الذات، دعه لا يفكر مطلقاً": عندما يكسب العقل الوعي الذاتي التجاوزي بشكل دائم، لن يكون مطلوباً منه البدء بأيّ نشاط عقلي، هذا المطلب الذي دلّت عليه الآية السابقة. عندما يثبت العقل بشكل دائم في الذات، تكون غاية تعاليم الآية السابق قد أنجزت: وتم اكتساب الوعي الكوني.

يظهر التعبير، "دعه لا يفكر مطلقاً"، الميزّات الضرورية للوعي الكوني. أولاً، لا يتم الحفاظ على هذه الحالة من الحياة على أساس التفكير أو الشعور: يتم معيشتها بشكل طبيعي على مستوى الكينونة. ثانياً، تكون الذات في هذه الحالة قد فصلت ذاتها بالكامل عن حقل النشاط بحيث، حتى ولو كان العقل يتقبل الأفكار، تبقى الذات متحررة بالكامل عن عملية التفكير. هذه هي تلك الحالة للحياة التي تم الإشارة إليها في الآية 3: "لكن الإنسان الذي وصل إلى أعلى مراتب اليوغا، له وحده، يقال بأن السكون هو الوسيلة".

تصف الآية السابقة قيمة النشاط العقلي أثناء التوجه الداخلي للتأمل. تظهر الآية التالية كيف يوجّه النشاط العقلي عندما يخرج العقل من الحالة التجاوزية للوعي.

الآية السادسة والعشرون

كلما يشرد العقل المتقلّب
غير الثابت عن ذلك الانطواء،
دعه يعيده تحت سيطرة الذات وحدها.

"الانطواء": إنّ الكلمة في النصّ هي "نياميا"، التي تعني بعد أن نظم أو هذّب. وهنا تعني بعد أن عاد إلى الذات.

هذا هو فنّ التأمل الناجح. من الطبيعي أنه عندما غاص العقل إلى الذات ويخرج إلى الحقل النسبي ثانية، يجب عليه أن يعود إلى وسيلة التأمل لكي يبدأ بالغطس ثانيةً. في المراحل المبكّرة للتأمل، على أية حال، يوجد عموماً أنه بالتوجّه الخارجي للتأمل، يجيء العقل ببعض الأفكار. لذلك يقول المولى بأنّه يجب على العقل أن يرجع من الفكرة الغريبة إلى وسيلة التأمل، وبالتالي يعود مرة أخرى إلى القناة الثابتة، ويختبر الحالات الأدق من الوسيلة على نحو

طبيعي، ويجيء ثانية إلى المتجاوز.

يقول المولى: وجّه العقل نحو الذات. من المستحيل أن يكون ذلك باقتراح الصعوبة. لسوء الحظ بالنسبة لطلاب البها غافاد غيتا، فقد صرّح المفسرين بأنّه من الضّروري أن يتم السيطرة على العقل وأن يتم تهذيبه، ما يشير ضمنا إلى أنّ المقاربة الكاملة هي عسيرة وصعبة. لكن، وعلى أية حال، لا يوجد أي فكرة للسيطرة أو الانضباط للعقل في تعاليم المولى. من الصدق، أنه استعمل صفتين لتصف "العقل": "المتقلّب" و "غير الثابت". لكنّ يجب أن نتذكّر بأنّ المولى يصف هنا عملية قيادة العقل إلى الذات، في حين تنطبق هذه الصفات على العقل عندما يكون خاضعاً للتوجّه الخارجي للتأمل. إنه صحيح جداً للعقل للدخول في حالة مترددة عندما يخرج من حقل الأحادية التجاوزية، مثلما يبدأ الموج في الظهور على السطح الساكن للبحر. لذلك عندما يكون العقل أحياناً على الفكرة الغريبة أثناء التأمل، يجب أن ينظر إلى ذلك بأنه التوجّه الخارجي للتأمل، إذا كانت عملية التأمل صحيحة. يجب أن لا يعتبر ذلك دليلاً بأن طبيعة العقل هي بأن يكون "متقلّباً" و"غير ثابت"، مع ذلك افترض المفسّرون بأنّه كذلك

إذا لاحظ الفرد بأن العقل يخرج بالأفكار حتى عندما لا يكون قد وصل إلى الكينونة التجاوزية، بل عندما يكون في الطّريق إليها فقط في أثناء التوجّه الداخلي للتأمل، لا يجب أن ينسب هذا ثانية إلى الضعف الفطري للعقل. قد يكون ذلك بسبب الجهاز العصبي الواقع تحت الإجهاد، أو قد يكون بسبب ضعف التوجيه الصحيح. يمكن أن يكون ذلك نتيجة لعدم الكفاءة من ناحية المعلّم أو من ناحية التلميذ، لكن عادة ما يكون النقص من ناحية المعلّم.

لذلك يعلّم المولى بأنه إذا حدث أن يكون العقل مشغولاً بشيء خارجي، يجب على الفرد أن يعيده بشكل هادئ إلى القناة التي تؤدّي إلى الذات. إنها طبيعة العقل في الذهاب إلى حقل السعادة الأعظم. عندما يبدأ العقل، أثناء التأمل، باختبار الحالات الأدق من غرض الانتباه،

يبدأ باختبار الانجذاب المتزايد في كلّ خطوة. لا يوجد هناك فرصة له للذهاب إلى أيّ مكان إلا في الاتجاه الذي يؤدّي إلى المتجاوز.

هذا ما يصح على نظام التأمل التجاوزي، الذي هو الموضوع الرئيسي لهذه الآيات.

تكمن أهمية هذا الآية فيما يتعلق بالوعي الكوني في تأكيدها على ضرورة المناوبة بين التوجه الداخلي والتوجه الخارجي للعقل. هذا ما يسمح لتغلغل الكينونة إلى طبيعة العقل لكي يصبح نشاطه كلّه مدعوماً وغنياً بالقيمة القدسية، ولكي تصبح أخيراً الحياة كلّها قدسية في الوعي الكوني.

تكشف الآية التالية طبيعة الوعي الكوني من ناحية السعادة العليا وتلخّص الميزّات الرئيسية للطريق.

الآية السابعة والعشرون

تجيء السعادة السامية إلى اليوغي
الذي يستقر عقله بعمق في السلام،
ويستكن فيه أي حافز للعمل،
ومن هو من دون أي عيب،
وأصبح واحداً مع البْرَهْمان

صرح المولى بتصريح مماثل حول السعادة السامية في الآية الحادي والعشرون؛ لكن من الآية الرابع والعشرون فصاعداً، فقد كان مصمّماً على وصف الطريقة التي فيها يتم نيل السعادة السامية. في أثناء التأمل، وبينما يختبر العقل الأوجه الأدق لغرض التأمل، يتجاوز في النهاية الاختبار المرهف، وبعد ذلك لا يوجد هناك أي نشاط هذا ما يعني به المولى عندما يقول بأن "حافز العمل" (الرجس) هو "مستكن". هذا هو حقل المتجاوز، حالة الوعي الصافي، منزه وبلا خطيئة. هنا يتوقّف العقل الفردي عن أن يكون؛ ويكسب منزلة الذكاء القدسي. بعد أن تجاوز حدود إرادة العقل الفردي ورغبته، يكون ثابتاً بالكامل في السلام العميق وينجز السعادة السامية.

تهمد مقدرة الاختبار عندما يفقد العقل فرديته. لن تعرف حالة الكينونة أي عرفان؛ إنها الحالة التي تتجاوز كلّ معرفة أو اختبار. لكن إذا كان الأمر كذلك، كيف يمكن القول بأنّ العقل يختبر السعادة السامية؟ أولاً، يجب الملاحظة أن المولى يستعمل الكلمة "أوبايتي"، التي تعني "تجيء إلى"؛ ولم يستعمل كلمة "يختبر". على أية حال، حتى إذا استعمل كلمة "يختبر"، يمكن أن تعتبر صحيحة. للعقل القدرة للاختبار عندما يكون على حافة التجاوز، في نقطة التلاقي بين النسبية والمطلق. في هذه النقطة يختبر العقل طبيعة وعي الغبطة المطلق. هذا ما تم إظهاره في الأوبانيشاد، حيث يذكر بشكل محدّد بأنّه يتم اختبار الحقيقة بالعقل وحده. إن اختبار الحقيقة بالعقل هو دائماً في نقطة التلاقي: عندما يكون على وشك التجاوز في نهاية التوجه الداخلي للتأمل، وبخروجه من التجاوز في بداية التوجه الخارجي للتأمل.

"بعمق في السلام": أنظر الآيات 7 و 14 و15 من هذا الفصل والآيات 70 و 71 من الفصل الثّاني. يعني المولى السلام الذي لا يمكن حجبه حتى بالنشاط – السلام الأبدي الذي يتم اكتسابه

عندما "يرى الفرد في العمل عدم العمل" (الفصل الرّابع، 18)؛ "السلام الأسمى" (الفصل الرّابع، 39)؛ "السلام الدائم" (الفصل الخامس، 12).

لقد تم شرح طبيعة "الحافز للعمل" (الرجس) في تفسير الآية 45 من الفصل الثّاني.

"الذي هو من دون عيب": الذي هو ثابت في النقاوة المطلقة للكينونة، المنفصلة بالكامل عن حقل النشاط وبما أن أعماله هي بالكامل بالتوافق مع قوانين الطبيعة، فهي خالية من العيب.

"وأصبح واحداً مع البْرَهْمان": اكتسب الوعي الكوني.

إنه لأمر ممتع أن نرى كيف تصف هذه الآية حالة الوعي الكوني بذاتها وتصف الطريق الذي يصل إليها. إنها توضح بأنّ السعادة السامية يتم اكتسابها في الوعي الكوني وبأنّ هناك ثلاثة متطلبات لاكتسابها: يجب أن يكون العقل "بعمق في السلام" و "الحافز للعمل" يجب أن "يستكن" ويجب أن يكون الفرد "من دون عيب".

إن تعاليم الآيات الثلاثة السابقة، التي شرحت بالتفصيل طبيعة الطريق إلى الوعي الكوني، هي ممثّلة بالعبارات الفردية في هذا الآية. "يستقر عقله بعمق في السلام" تشير إلى الآية 24؛ "يستكن فيه أي حافز للعمل" تشير إلى الآية 25؛ "من هو من دون أي عيب" تشير إلى الآية 26.

تتفتح زهرة الحكمة القدسية لهذه الآية إلى الزهرة الكاملة في الآيات الخمسة التالية.

الآية الثامنة والعشرون

هكذا يجمع ذاته أبداً، اليوغي،
المنزه عن العيب، يبلغ
بسهولة الاتصال مع البْرهمان،
الذي هو الفرح اللانهائي.

يظهر المولى هنا بشكل واضح تماماً بأن إدراك الوعي الكوني ليس في صعب أبداً . إنه سهل المنال.

"هكذا يجمع ذاته أبداً" تعطي التعبير للنقاط الظاهرة في الآيات الأربعة السابقة.

"أبداً" لا يبيّن هنا استمرارية الوقت. بل تعني بانتظام، كجزء من الروتين اليومي. إنها مرتبطة بمباشرة بكلمة "هكذا"، التي يشير بأنّه حينما يجمع اليوغي ذاته، يجب عليه أن يفعل ذلك بهذا الأسلوب المعيّن.

"منزّه من العيب": لابدّ أن يكون لأيّ اختبار حالة مطابقة في الجهاز العصبي. إن الحالة الأكثر طبيعية للجهاز العصبي البشري هي تلك التي يمكن أن تدعم "الاتصال مع البْرهمان"، الذي هو الحقيقة الكليّة الوجود. يجب أن تكون بالضرورة حالة النقاء الأقصى والمرونة القصوى، ويكون هذا ممكناً فقط عندما يكون الجهاز العصبي صافياً كليّاً. تتطلب مثل هذه النقاوة بأنّ لا تكون وظيفة الجهاز العصبي، بأية طريقة، متناقضة مع قوانين الطبيعة. أما التأثير الذي ستنتجه فيجب أن يدعم كلّ الحياة، ويكمل الغاية الكونية.

إنه لأمر ممتع الملاحظة بأن النصف الأوّل للآية 15 تحتوي النصّ ذاته الموجود في الآية الحالية، باستثناء اليوغي "المهذب بعقله"، والذي يصفه هنا "المنزه من العيب". يجلب هذا الاختلاف

المهم النتائج المختلفة بشكل مقابل: في الحالة السابقة، كانت النتيجة "السلام" و "التحرر"؛ وفي الحالية هي "الفرح اللانهائي".

من الواضح، في هذه المقارنة، أنه إذا لم يتخلّص الجهاز العصبي من العيب، بالرغم من أنّه قد يعطي اختبار السلام والحرية فهو لا يستطيع التسبّب بالفرح اللانهائي.

إنّ الممارسة المتكرّرة "لجمع" الذات والوصول إلى الوعي التجاوزي تستمر في تنقية الجهاز العصبي حتى يصبح صافياً جداً بحيث يكون قادراً على التسبّب في حالة الوعي الموصوفة بأنها "الاتصال بالبرهمان".

"يبلغ بسهولة": لأن الممارسة سهلة وطريقة الحياة الموصوفة هي أيضاً سهلة ومريحة. إنّ الممارسة هي سهلة لأنها تمثّل حركة العقل في الاتّجاه الذي يتبعه بشكل تلقائي تماماً، الذي هو نحو الغبطة. إن هذه التعاليم للطريق السهل تذكّر وتدعم تعاليم الآية 40 من الفصل الثّاني، حيث أعلن المولى عن هذه الطريقة بأنها خالية من أيّ مقاومة.

لقد تم التوضيح بأن ممارسة التأمل التجاوزي، وبقيادتها للعقل إلى الوعي التجاوزي، تجلب النقاوة أيضاً إلى كلّ أوجه الحياة وتضعها في التناغم مع الطبيعة. تحقق هذه الممارسة الواحدة كلّ هذا. إن الممارسة بحد ذاتها هي بتوافق مع الطبيعة الحقيقية للعقل، وهذا ما يجعل "الاتصال بالبرهمان" سهلاً.

"الاتصال بالبرهمان": لقد تم ذكر هذا في تفسير الآية 20 بأنه في الحالة التجاوزية للوعي، يصبح العقل الكينونة. وعندما يتم الحفاظ على الكينونة بطريقة طبيعية حتى عندما يكون العقل خارجاً في الحقل النسبي، يكون "الاتصال بالبرهمان" مدركاً. إن مثل هذا الاتصال

يعني الانسجام بين المطلق والحالات النسبية من الوعي. ومع الممارسة التي وصفت في الآيات السابقة، ومع الأسلوب السهل للحياة، يقول المولى أن هذه الحالة المتطورة جداً من الوعي يتم بلوغها "بسهولة" والنتيجة هي "الفرح اللانهائي".

يجب الملاحظة بأنّ "الاتصال" الذي هو الفرح اللانهائي، هو ليس البرهمان بذاته. إن البرهمان، الذي هو كتلة كلية التواجد للغبطة، لا تظهر أيّ نوع من الغبطة. قد نشبّهها بكتلة الطاقة – المادة – التي لا يظهر أيّ نوع من الطاقة. تشدد هذه الآية على مجد "الاتصال"؛ فهي لا تظهر طبيعة البرهمان.

إن البرهمان هو ذلك الذي لا يمكن التعبير عنه بالكلمات، بالرغم من أنّ الأوبانيشاد تستعمل الكلمات لتعليمنا عن طبيعته. في حقل الكلام، يقع البرهمان بين عبارتين مضادتين. إنه المطلق والنسبي في الوقت ذاته. إنه الخالد الأبدي في حين هو المتغيّر باستمرار. لقد قيل بأنه هو هذا وذلك كلاهما معاً. يقال عنه بأنه سات تشيت آناندا ولكنه يتضمّن ما هو ليس "سات"، وما هو ليس "تشيت" وما هو ليس "أناندا". إنه خلف الكلام والفكر، وبالرغم من ذلك يقع المدى الكامل للفكر والكلام ضمنه. "ضمنه" و "من دونه" هي فقط عبارات، ومثل أي عبارات أخرى حول البرهمان، فهي لا تفي بالغرض لا إلى البرهمان ولا إلى المتكلّم ولا إلى المستمع. يعيش الإنسان البرهمان بسهولة لكنه لا يمكن التكلّم عنه، بمعنى أن الكلمات لا تكفي للإحاطة بذلك الامتلاء غير المحدود للكينونة التجاوزية وامتلاء الحياة النشيطة في نفس الوقت. تتكلّم الآية 29 من الفصل الثّاني عن ذلك بأنه "لغز"، لأنه لا يمكن تخيّله كأي شيء بشكل فكري؛ ولا يمكن إدراكه كأي شيء بشكل عاطفي.

تعطي هذه الآية وتعبيرها "بسهولة" معنى إضافي للآيات السابقة حول البرهمان: "هذه هي حالة البرهمان، يا بارتا". بعد بلوغها، لا يضلّل الإنسان. وبثباته بذلك، وحتى وفي اللحظة

الأخيرة، يحقق الحرية الأبديّة في الوعي القدسي؛ "تتوحد ذاته مع البرهمان، ويتمتّع بالسعادة الأبديّة"؛ وفي كونه واحد مع البرهمان، يحقق الحرية الأبديّة.

إن البرهمان هو قيمة حياتنا، وهو الحقيقة حوله بأنّه يمكن معيشته "بسهولة".

إنّ مجد هذه الآية هو أيضا مجد البهاغافاد غيتا. إنّه المجد الأبدي لهدف المسعى البشري بأن يبلغ الفرد ذلك "بسهولة ويتصل بالبرهمان، الذي هو الفرح اللانهائي".

الآية التاسعة والعشرون

من ثبتت ذاته في اليوغا،
ومن تتساوى نظرته في كل مكان،
يرى الذات في كلّ الكائنات،
وكلّ الكائنات في الذات.

تصوّر هذه الآية حالة البرهمان، وفي الوقت ذاته، تعطي المعنى العملي إلى "الاتصال" الذي تكلمت عنه الآية السابقة.

يتم التعبير عن طبيعة البرهمان في عبارتين وضعتا سوية: "الذات في كلّ الكائنات، وكلّ الكائنات في الذات" المطلق والنسبي، الواحد ضمن الآخر. هذا ما يجعل البرهمان يبدو غامضاً. حتى ولو أخذا منفصلان، النسبي والمطلق، التنويع في الخليقة والوحدة التي تقع تحتها، كلّ واحد منهما يتعدى قدرة على العقل كي يدركه؛ وكم يكون ذلك أكثر صعوبة عندما يوجدان

متكاملان في البرهمان! هذا هو مجد حديث المولى الذي يمكننا فهم هذا الغموض بشكل واضح ويظهر لنا كيف نعيشه، "بسهولة".

تعتمد نوعية الاختبار على حالة وعي الفرد. إذا كان العقل مبتهجاً، يكون كلّ شيء وكأنه مبتهجاً؛ وإذا كان العقل حزيناً وبائساً، يكون مظهر الفرد كئيباً. عندما تصبح حالة الكينونة متغلغلة في طبيعة العقل أثناء التأمل، يجعل هذا التغلغل العقل قدسياً. وعندما يصبح هذا التغلغل دائماً، يبدأ العقل في عيش الأحادية في كل أنحاء الحقل الكامل للتنويع. ويتم عندئذ إدراك الحقل الكامل للتنويع في نور الأحادية القدسية الداخلية. عندما يصبح العقل مملوءاً بالكينونة القدسية، تكون الرؤية بشكل طبيعي كاملة ومتساوية. فتكون ثابتة وغير مشوّه بتنويع الحياة في العالم. هذه هي رؤية الإنسان الذي اكتسب "الاتصال" مع البرهمان.

يجب أن لا يغيب عن نظرنا بأن المساواة في الرؤية هي نتيجة "الاتصال بالبرهمان". ويجب أن لا نعتبرها الطريق إلى إدراك البرهمان. إذا حاول الإنسان غير المدرك أن يزرع مساواة الرؤية في حياته، سوف يخلق التشويش فقط له وللآخرين. تؤدّي مثل هذه المحاولات إلى مزاج غريب وسلوك أغرب. و تقع المسؤولية في ذلك على أولئك المفسرين الذين استنتجوا من هذه الآية مدلول تصنع المزاج من أجل فهم الحقيقة ومن أجل معيشتها.

إنّ مجد هذه الآية يفوق الوصف. إنها تظهر بشكل مشرق جداً، البرهمان المتعذر وصفه، وفي الوقت ذاته، تضعه بشكل واضح إلى مستوى الرؤية البشرية. هذا ما جعل البهاغافاد غيتا "خلاصة" الأوبانيشاد.

تأخذ الآيات الثلاث التالية هذه الرؤية المباركة إلى إتمامها في وعي الله.

الآية الثلاثون

إن من يراني في كل مكان، ويرى
كلّ شيء فيّ، لا أكون مفقوداً له
ولا يكون مفقوداً لي.

عندما يكسب الإنسان وحدانية الرؤية الموصوفة في الآية السابقة، وعندما يفيض امتلاء الكينونة من خلال العقل إلى حقول الإدراك، وعندما تسود الأحادية الروحية حتى على مستوى الحواس، وعندما تعم وحدانية الله في حياة، عندئذ يتم بلوغ تلك الحالة التي يكون فيها الإدراك لكل شيء مهما كان، هو الإدراك للكينونة الظاهرة . عندئذ يجد وعي الإنسان العلاقة المباشرة مع المولى، ومع الكينونة الظاهرة، والتي تصبح حقيقة الحيّة له على ذلك المستوى القدسي الأسمى من الوعي. ومن ثمّ لم يفقد هو ومولاه أحدهما الآخر.

تثبت هذه العلاقة المباشرة للإنسان مع الله أولاً على مستوى الكينونة وبعد ذلك تكون على مستوى الشعور؛ ومن هناك تدخل إلى حقل التفكير وبعد ذلك تجد طريقها إلى المستوى الحسّي للاختبار. وهكذا يعمّ الله كلّ مستويات حياة الإنسان. فيعيش الإنسان في كنف الله. تكون حياته بالعشق والغبطة والحكمة في وعي الله. يعيش في عالم الوجود الكوني. يتنقل على الأرض وهو يعيش في أرض الله، في أرض الكينونة القدسية بعيداً فوق الرؤية البشرية وأبعد بكثير من الفكر البشري.

إن الطريق لغرس هذه الحالة المباركة هي في تجاوز الفكرة التي باستمرار التفكير بها لها قيمتها الخاصة – فهي تملأ العقل بفكرة لطيفة – لكنها تخفق في خلق الحالة المطلوبة. إن تجاوز الفكرة هو شيء ثمين أكثر بشكل لانهائي من التفكير.

لذلك دع العقل يتجاوز الفكرة ويدخل عالم النقاوة المطلقة الذي هو مقام الله. إن التفكير في هذا الموضوع هو هدر للوقت على المستوى السطحي للحياة. تبعد الفكرة العقل عن ذلك العالم المبارك. إن التفكير بالخبز لا يعطي طعم الخبز ولا يملأ المعدة. إذا كنت تريد الخبز، عليك الذهاب إلى المطبخ وتتناوله بدلا من أن تجلس خارجاً تفكر به. نبقى نفكر بالله، أو نحاول تحسسه، فقط طالما نفتقر إلى معرفته، وطالما لا نعرف كيف نخترق الحقل الظاهري للاختبار وندخل عالم الغبطة التجاوزية، الملكوت الصافي لله.

تدون السجلات التاريخية عن المشاركة المباشرة للقديسين والحكماء مع الله وتكشف حياتهم المباركة، لكن سرّ نجاح مثل هذه الحياة تكمن في تجاوزهم لحقول الفكر والعاطفة والاختبار. يكمن سرّ إدراك الله في تجاوز فكرة الله. إن الفكرة التي تبقى فكرة تحجب وعي الله. وعلى نفس النمط، تخفي العواطف الغبطة المباركة. تجد فكرة الله اكتمالها في انطفائها الخاص. ويجب أن تتوقّف العاطفة أيضاً لكي تترك القلب كاملاً في المحبّة غير المحدودة لله.

إنّ حالة الوعي التي تعرف مجد المولى العظيم لكلّ الكائنات هي قدسية. و تتطور من خلال الممارسة الثابتة والمنتظمة للتأمل واختبار الكينونة التجاوزية، التي تجلب الوعي الكوني في النهاية، الحالة التي ينضج فيها القلب والعقل بالكامل. هذا التطوّر الكامل لسعة القلب والعقل يجعل الإنسان قادراً على فهم وعيش الكينونة القدسية. فتكشف العلاقة المتواجدة بين المطلق غير الظاهر والكينونة الظاهرة ذاتها. ويجيء الله الشخصي لكي يتم اختباره على

المستوى الحسّي. ويصبح الحقيقة الحيّة للحياة اليومية. فيعكس كلّ غرض في الخليقة نور الله من ناحية الذات الخاصة بالفرد.

يدعو الفلاسفة هذا الاختبار بالاختبار الباطني، لكنّه لا يفوق غموضاً من عمل الساعة نسبة للطفل. على مستوى واحد من الوعي إنه اختبار عادي، وعلى مستوى آخر يكون غامضاً، وأيضاً على مستوى ثالث فهو مستحيل. تعتمد كثافة إدراك الله في ناحيته الشخصي وغير الشخصي على مستوى الكينونة، أو نقاوة الوعي (الآية 28). إنه من غير المحتمل تخيّل وعي الله من خلال أيّ حالة الوعي لا تكون وعي الله بذاتها؛ لكنّه من الممكن لكلّ شخص، وبأي مستوى من الوعي البشري، الارتفاع إلى إدراك وعي الله من خلال ممارسة التأمل التجاوزي التي هي الطريق البسيط والمباشر للوعي الصافي النامي.

إن الإفراط السلس لتأكيد المولى في هذه الآية يعبّر عن مجد الحياة. لقد كان ويكون وسيستمرّ في أن يكون مصدر الإلهام والنور المهدي إلى الكثيرين من الباحثين المتحمسين عن الحقيقة، وإلى الكثيرين من المكرسين المتحمسين لله. لقد أعطية إلى مثل هؤلاء الناس للتمتّع بمحبّة القدير وللحماية التي يقدمها لهم. هذا هو حظّهم السعيد؛ إنهم يتشاركون بحياتهم مع الله. إن الوحدانية التي يعيشونها بشكل مباشر ومن اللحظة إلى لحظة هي الأحادية لوحدانية المطلق، ووحدانية الحياة الأبديّة في تعدّدية الخليقة – تظهر الوحدانية العظيمة الممثّلة بالقدسي، الله الشخصي الكلي القدرة.

إنّ تأكيد المولى في هذه الآية يعاد صياغته في الآيات التالية بحقيقة أعمق ومجد أعظم.

الآية الواحدة والثلاثون

من هو ثابت في الأحادية،

يعبدني مقيماً في كل الكائنات،

وبأية طريقة يعيش فيها،
فذلك اليوغي يعيش فيّ.

إن العيش من خلال المراحل المختلفة لحياة الإنسان على الأرض في حين البقاء في عبادة الله هي الصفة لمستوى معيّن من الوعي. ومن أجل أن يوضح بأنّ الأساس هو ليس في الفكرة عن الله، يقول المولى: "وبأية طريقة يعيش فيها". بأنّ هذا هو الامتلاء للحياة في الله الذي لا يعرف أي اختلاف، بغض النظر عن انشغال العقل أو الحواس، ومهما كانت الأنماط المختلفة للنشاط عندما ينظر الإنسان إلى الأشياء من خلال النظارات الخضراء، وفي كل ما يرى يكون الأخضر موجوداً. وبالنسبة للمكرس، وفي كل ما يفعل يرى الله موجوداً في وعيه؛ إن الله في نظره وفي كينونته.

إنّ للكلمة "يعبدني" أهمية عظيمة. إنها تظهر الولاء والتكريس والاعتماد والاستسلام من الصعب فهم هذا الأمر من المستوى العادي للوعي، أما لتوضيح طبيعة وعي الله فالأمر ما زال أصلب. لكن قد نكسب فكرة ما بإيضاح الاختلاف بين مستويات الوعي.

يجد الطفل بهجة في الألعاب؛ ومع نمو وعيه يستبدلها بالكتب؛ وكلما يطوّر أكثر يبدأ في الاهتمام بمهنته في العالم. وكلما ينمو وعيه، يرتفع إلى المستويات المختلفة من الاهتمام والفهم وبنفس الطريقة، عندما ينمو وعي الإنسان إلى المنزلة الكونية، يصبح المستوى الأسمى للخليفة الحقل الطبيعي لاهتمامه. يبدأ الله، الذي هو الكينونة الظاهرة على المستوى الأعلى للخليقة، بسحبه لذاته العليا؛ فيبدأ بالارتفاع إلى وعي الله. وببقائه في عالم جنسه، يبدأ بالعيش في عالم الله. وعندما يثبت بشكل دائم في هذه الحالة المباركة، فهو متضمّن في هذا التعبير المحبب للمولى: "بأية طريقة يعيش فيها، فذلك اليوغي يعيش فيّ".

ومن أجل أن يوضح طبيعة العبادة، يضيف المولى على كلمة "يعبدني" العبارة "مقيماً في كل الكائنات". يحتجز إحساس العبادة الشخص المكرس إلى الله الذي يعبده؛ فيظهر العلاقة الشخصية. ويصبح ما هو غير

شخصية وكوني، من وجهة نظر الوعي البشري العادي، حميماً وشخصياً في هذه الحالة من الوعي؛ لأنها في مستوى الانسجام بين المطلق غير الظاهر والكينونة الظاهرة، التي هي الرب لكلّ الخليقة. سيكون أمراً خاطئاً أن نفهم من كلمات المولى هنا بأنّ اليوغا يحاول رؤية الله الشخصي في كلّ الأشياء. إن هذا الأمر ليس غير عملي فقط بل إنه يؤدّي إلى الإجهاد، على أقل تقدير. يتم عبادة الكينونة القدسية من خلال الطريقة الأكثر طبيعية للمعيشة، المستندة على وعي الله. إن محاولة رؤية الله هنا وهناك وفي كل مكان هو من فعل الخيال البعيد عن حقيقة هذه الآية وبعيد أيضاً عن التطبيقات العملية للحياة.

عندما ينمو الوعي الفردي إلى الوعي الكوني، تنمو هذه الحالة من امتلاء الوعي القدسي وتتطوّر إلى وعي الله. إنها في هذه الحالة الثابتة لوعي الله يكون المولى "معبوداً ومقيماً في كل الكائنات". وبالتالي تكون كل فكرة زهرة على أقدام الله، وتكون كلّ كلمة صلاة ويكون كلّ عمل تقدمة إليه. تغنّي الكتب المقدّسة مجد الله في مجد مثل هذا المكرس، الذي يقول عنه المولى "يعيش فيّ".

بعد أن أظهر بأنّ الإنسان المدرك يبلغ مستوى وجود الله، يثبت المولى، في الآية التالية، المساواة لمثل هذه الرؤية للإنسان في الحياة.

الآية الثانية والثلاثون

إن من يرى كل شيء بنظرة
متساوية بالمقارنة مع الذات،
سواء كان سروراً أو ألماً،
يعتبر اليوغي الأعلى، يا أرْجونا.

تظهر هذه الآية القيمة العملية لوعي الله وتوسع كرامة هذا التنوير إلى كلّ شيء حول الإنسان المدرك

عبّرت الآية 29 عن حالة الإدراك من الناحية غير الشخصية للكينونة؛ و عبّرت الآية 30 عن ذلك من الناحية الشخصية. وكشفت الآية 31 الله الشخصي في الاتصال العميق بالإنسان المدرك وأبقت رابط الولاء والتكريس حياً للحفاظ على تلك الحالة المباركة للتوحيد معه. تحلل الآية الحالية رابط الولاء، إذ أنه لا يمكن إيجاده عندما يكتمل التآلف بينهما. في حين يخدم الولاء كالرابط للحفاظ على التوحيد، ويبقى ذلك بدرجة ما على المستوى الشكلية. إنّ شكلية العبادة هو السرور الذي يتخطى قلب المكرّس وكينونته بالكامل، التي تعطي المعنى إلى حياته وتمجّدها على كلّ المستويات؛ لكن البهجة من مثل هذا الولاء هي بهجة التوحيد على مسافة قريبة. وكلما ينمو التوحيد بكمال أكثر، تجد وصلة العبادة، للوقار والولاء، الاكتمال في انطفائها الخاص، ويترك المتعبد والمعبود سوية في الوحدانية المثالية، في وحدانية الأحادية المطلقة. عندئذ يكون هو وإلهه واحداً في ذاته. وتكون ذات الفرد هي ذات الله؛ ورؤية الفرد من ناحية ذات الله، وسروره وألمه من ناحية ذات الله.

"بالمقارنة مع الذات": من ناحية ذاته الخاص. في الحالة الموصوفة في الآية السابقة، وصل التوحيد بين المكرس والله إلى مثل هذا الامتلاء الذي فيه تكون حياته هي حياة الله. فهو يعيش الله في كل مكان وفي كلّ شيء. يرى كلّ شيء من ناحية الله. تصبح هذه الحالة السامية للإتحاد مع الله أكثر تمجيداً في الآية الحالي، حيث يقول المولى: "بنظرة متساوية بالمقارنة مع الذات". هنا لا يمكن أن لا نجد الاختلاف بين المكرس والله، الذي كان حيّ في الحالة الموصوفة في الآية السابقة. ويصبح توحيد المكرس مع الله، الذي كان الطلب الذي يسمح بعبادة الله، توحيداً بكثافة أكثر. وأصبح الآن إلهه واحداً مع ذاته؛ وتسود فيه الأحادية القدسية السامية. ويشع في فرديته، المجد الأبدي للقدسية بتألق، وفي مثل هذا الامتلاء الذي لا يتواجد فقط على مستوى كينونته بل يتغلغل في شعوره وتفكيره ورؤيته وفي الحقل الكامل لاختباره. وتصبح رؤيته، التي كانت متلونة بولائه إلى المولى، صافية الآن من ناحية ذاته الخاصة، تتخلّلها كينونته الأبدية الخاصة؛ في تلك الكينونة يستقرّ مجد الله، يؤازره ويحافظ على الحرية الأبديّة التي اكتسبها المكرس المحبّ فيه.

في ذلك التحرير المثالي يقود حياة الامتلاء والوفرة. تكون رؤيته هكذا بحيث تحمل بشكل طبيعي كلّ الأشياء على حد سواء في تشابه ذاته الخاصة، لأنه هو بذاته والرؤية التي عنده هما التعبير عن الذات.

يستعمل المولى الكلمات "سرور أو ألم" ليظهر بأن الأزواج الأضداد – وفي الحقيقة التنويع الكامل للخليقة الذي تقدمه له فرديته – تخفق في تقديم اختلافاتها إلى رؤية اليوغي. هذه هي رؤية الحياة في الشمولية. إن أزواج الأضداد، مثل السرور والألم، والتي تقدّم المقارنات الكبيرة على المستويات الأدنى من التطور، تخفق في تقسيم المساواة في رؤيته. ومن أجل جعل مثل هذه الرؤية أكثر فهماً على المستوى العادي للوعي، من الممكن مقارنة ذلك مع رؤية الأبّ المتساوية إلى الألعاب المتنوعة التي، في رؤية وعي طفله غير المتطور، سيكون فيها اختلافات عظيمة.

يظهر هذه الآية علو الإدراك الذي يدرك الوحدانية العليا للحياة من ناحية ذات الفرد الخاصة. لا يكون تنويع الحياة قادراً على الإنقاص من هذه الحالة من الأحادية العليا. إن الفرد الذي وصل إليها هو مؤيد للكلّ ولكلّ شيء، لأنه الحياة الأبديّة. فهو يردم الهوة بين النسبي والمطلق. إنّ المطلق الأبدي هو فيه في مستوى العالم الظاهري الفاني. إنه يعيش لإعطاء المعنى إلى أنشودة الأوبانيشاد "بورنامدا بورناميدام" – ذلك المطلق كامل، وهذا النسبي كامل. إن من يعيش هذه الحقيقة العليا في حياته اليومية "يعتبر اليوغي الأعلى"، يقول المولى. تصل اليوغا في هذه الحالة إلى كمالها؛ ولا يوجد مستوى من التوحيد أعلى من هذا الذي اكتسبه. يقف ثابتاً على المستوى النهائي للوعي.

قد يكون مفيداً إلى أولئك الذين يحبّون الانشغال بالميتافيزيقيا في التوحيد مع الله بأن الحالتين من التوحيد قد صوّرتا بشكل واضح في السياق الحالي. أما الوصف في هذه الآية فهو فقط حالة أكثر تقدماً من التوحيد من تلك الآية السابقة. إن التوحيد حيث ما زال المكرس يتمسّك بسيادة إلهه يعبر بشكل طبيعي جداً إلى التوحيد العميق أكثر بكثير معه. ولا يتأثر مبدأ التوحيد. إنها ليست مسألة يمكن التقرير بها بالتخمين الميتافيزيقي أو الفهم اللاهوتي. وما لم يرتفع وعي الفرد فعلاً إلى ذلك المستوى من وعي الله،

يبقى الوصف أو الفهم للاختلاف بين الحالتين من الإتحاد بعيداً عن الحقيقة بشكل دائم، وكما قيل، لا يمكن للحقيقة حول الحالة الأكثر تقدماً من الوعي أن يتم تقييمها بشكل صحيح من المستوى الأدنى.

محظوظون هم الذين يعيشون في الإتحاد مع الله. إنهم يشردون الإنسان على الأرض، ويعجّلون تطور كلّ الخليقة. إنهم فوق محدودات الدين أو العرق. سواء هم يلعبون مع الله أو يتمسكون به كواحد مع كينونتهم الخاصة، أنها النقطة الّتي ستحلّ بينهم وبين الله. يعيشون في التكريس لله أو يصبحون متّوحدين، يصبحون واحد مع المعشوق – إنها مسألة بينهم. فليتم التقرير بذلك على ذلك المستوى من التوحيد. لا تحتاج رؤية الواحد إلى استثناء الآخر. إنها خطيئة أمام الله في رفع الاختلافات في مبدأ الإتحاد. دع أتباع كلتا المدرستين للفكر المتطلّع لنيل أهدافه الخاصة وبعد ذلك يجد في ذلك الوعي بأن وجهة النظر الأخرى هي صحيحة أيضاً في مستواها الخاص.

الآية الثالثة والثلاثون

قال أرْجونا:

هذه اليوغا الموصوف من قبلك

بأنه تتميز بالمساواة، يا مادهوسدانا،

أنا لا أرى فيها التحمّل الثابت،

بسبب التردّد.

فهم أرْجونا تعاليم المولى التي تتعلّق بغرس وعي الله. الآن يعرض النقطة التي تنشأ عن حثّ المولى في الآية 26 حول "العقل المتقلّب وغير الثابت". إنّ السؤال هو بأنّه إذا كان العقل في الحقيقة "متقلّباً" و "غير ثابت"، كما قال المولى بنفسه، وكيف يمكن المحافظة على "الرؤية المتساوية" في وحدانية وعي الله؟

لا يدلّ سؤال أرْجونا على أيّ شكّ حول إمكانية غرس وعي الله، حتى مع العقل المتردّد. الذي يشكّ في تحمّله الثابت عندما يتردّد العقل.

تلك كانت قصّة العديد من الرائين والمكرسين لله. بعد أن أحسّوا الومضات العرضية للتألّق القدسي، يصبحون بؤساء لأنه ليس موجوداً بشكل دائم. لكنّهم يتغيّبون عنه عندما يتردّد انتباههم فقط لأنهم زرعوه على مستوى الانتباه. من الخاطئ الاعتقاد بأن التحمّل الثابت لوعي الله مستند على الانتباه. إذا لا يمكن تحمّله، يكون هذا فقط بسبب النقص بالكينونة. لأن أساس وعي الله هو تلك الوحدانية من الحياة التي تنمو على الأسس الصلبة للوعي الكوني. هذا ما سيوضّح المولى في الجواب إلى سؤال أرْجونا. تكمل الآية التالية ذلك السؤال.

الآية الرابعة والثلاثون

لتردّد العقل، يا كريشنا،

العنيف والقوي والصلب؛

أعتبره صعب السيطرة

مثل الريح.

لقد تم قبول طبيعة الحواس من قبل المولى في الفصل الثّاني بأنها "متأرجحة"و "عنيفة" وقوية" و "صلبة". إنها في طبيعة الأشياء أن العقل، على مستوى الحواس، لا يكون ثابت أبداً. يذكّر أرْجونا المولى بهذه الحقيقة.

ليس هناك سبب للتفكير بأن أرْجونا نسي تعاليم المولى الأساسية بأنّه من السهل غرس وعي الله، بصرف النّظر عن تأرجح العقل في حقل الحواس وبغض النظر عن تأثير الحواس في سحب العقل إليها. إنه خائف فقط من خسارته عندما يكون العقل مسحوب بالحواس. لذلك يريد أن يعرف بعض الطرق التي يمكن أن تجلب العقل تحت السّيطرة وبالتالي تمكّنه من غرس وعي الله والتمتّع بمساواة العقل فيه. إن سؤاله هو حقاً حول سيطرة العقل على مستوى الحواس، وهو فيما يتعلق بهذا المستوى الذي يعطى فيه جواب المولى.

إن سؤال أرْجونا في هاتين الآيتين قد أسيء فهمهما على نحو واسع، فقد فسرت بأن وعي الله هو صعب المنال بسبب الطبيعة المتردّدة للعقل. وقد نتج عن هذا التفسير أمّا في تقييد الحماس لغرس وعي الله أو في قيادة الباحثين لممارسة الطرق الشاقة للسيطرة على العقل وتثبيت الانتباه. هذه الحالة التافهة في الحقل السامي لإدراك الله جاءت فقط بسبب فقدان مبدأ واحد أساسي: بأن وعي الله مستند على مستوى الكينونة في الوعي الكوني وليس على أيّ تفكير أو فهم أو ثبات واستمرارية من الانتباه.

يجب الملاحظة بأنه عندما يؤكد المولى، في الجواب إلى سؤال أرْجونا، على الحاجة للممارسة، ومثل هذه الممارسة هي من أجل نمو الوعي التجاوزي إلى الوعي الكوني وبعد ذلك إلى وعي الله، وليس على الإطلاق من أجل كسب القدرة على الحفاظ على الانتباه.

الآية الخامسة والثلاثون

قال المولى المبارك:

لا شكّ، أيها المسلم الجبار،
أنه من الصعب التحكم بالعقل
إنه يتردّد، لكن بالممارسة
وعدم التعلق يمكن احتوائه،
يا ابن كونتي.

يقبل المولى صعوبة التحكم بالعقل على مستوى تجواله، لأن طبيعة الحياة هي بأن العقل يجب أن يعالج أشياء متعددة. إذا تم تحويل العقل في اتجاه واحد فقط، سوف تعاني المراحل الأخرى للحياة. إنه يتجوّل للضرورة، وهذا ما يجعل الأمر صعباً على العقل في البقاء ثابتاً في مكان واحد. ومن غير الطبيعي المحاولة في إبقائه ثابت. لا يعود الثبات إلى الحقل النسبي للحياة. لهذا السبب يقبل المولى "بأنه من الصعب التحكم بالعقل".

هو لا يجب أن يغيب عن الرؤية، على أية حال، بأنه حتى عندما يكون العقل متردّداً ومتجوّلاً يمكن "احتوائه" باختبار السعادة. تمكّن هذه الحقيقة حول طبيعة العقل المولى ليظهر لأرْجونا طريقة إبقاء العقل "محتوياً" أينما يكون، وليظهر له الشّيء الذي سيعطي ثبات العقل حتى عندما يستمر في التردّد.

وبالقول بأنّ العقل يتم "احتوائه" من خلال الممارسة وغير التعلق، لا يعني المولى بأنّ العقل سيوقف التجوّل وسيبقى ثابتاً بشكل دائم، لأن ذلك سيكون غير عملي في الحياة اليومية. إنه يعني فقط بأنّ الممارسة وعدم التعلق ستؤمن الحقل الثابت للكينونة الكلية الوجود، استناداً إلى أن العقل سيتم احتوائه بشكل دائم في غبطة طبيعته الأساسية الخاصة.

"الممارسة وعدم التعلق" تعني الممارسة المنتظمة للتأمل التجاوزي والروتين المريح والسهل في الحياة اليومية بعد التأمل. إن الممارسة هي ليست من أجل كسب القدرة على بقاء العقل ثابت. إنها من أجل غرس الكينونة. تساعد حالة عدم التعلق الكينونة كي تتغلغل في طبيعة العقل.

"عدم التعلق" يبيّن طريقة الحياة البسيطة والسهلة وغير المقيّدة مع الإحساس الصحيح بالقيم، ولا تعطي أي أهمية إلى أيّ شيء؛ لأن التعلق يحدّد الحياة بوضع الضواغط على وجهة معيّنة واحدة. لا يعني عدم التعلق الامتناع عن مسؤوليات الحياة، لكن بإعطاء كلّ أوجه الحياة العملية حقّها، في حين يتم الحفاظ على الذات بشكل متزامن بأنها منفصلة عن النشاط يحدث ذلك مع نمو الوعي التجاوزي إلى الوعي الكوني. إنّ حالة عدم التعلق هي المقصودة هنا وليس ممارسة كسب تلك الحالة.

تجلب "الممارسة" العقل للاتصال بالكينونة التجاوزية، في حين تساعد الحياة غير المقيّدة "لعدم التعلق" الكينونة لكي يتم عيشها في حقل النشاط، ما يؤدي في النهاية إلى وعي الله ذلك التحمّل الثابت الذي كان موضوع اهتمام أرْجونا الرئيسي في الآية 33 والذي هو هدف كلّ اليوغا.

إن الوعي الكوني هو الحالة الكاملة لعدم التعلق. يجب أن تستمرّ الممارسة في تلك الحالة من عدم التعلق من أجل كسب وعي الله والحفاظ عليه. تعني الممارسة في هذه المرحلة الولاء والتكريس.

الآية السادسة والثلاثون

للإنسان غير المنضبط، اليوغا
هي صعبة المنال، هذا ما أعتقد؛
لكنّ يمكن اكتسابها من خلال
الوسائل الصحيحة من قبل الإنسان
المنضبط الذي يسعى.

تشير "اليوغا" في هذه الآية إلى حالة اليوغا في وعي الله، نسبة لسؤال أرْجونا، الذي يجيب عليه المولى هنا، والذي يتعلّق بهذه الحالة.

إن "الإنسان غير المنضبط" في هذا السياق هو الذي ليم يهذب ذاته طبقاً لتعاليم الآيات 24 و 25؛ وهو الذي لم يكسب الوعي الكوني.

يسمّي المولى ثلاثة شروط هنا للنجاح في اليوغا: "الوسائل الصحيحة" و "المسعى" والحياة "المنضبطة".

"من خلال الوسائل الصحيحة" تشير العبارة إلى "الممارسة وعدم التعلق" في الآية السابق.

يشير التعبير "الإنسان الذي يسعى" بأنّ حالة اليوغا في وعي الله ليست للناس الخاملين والكسالى: إنها لناس المسؤولية وأصحاب الطبيعة الديناميكية. بذلك يطرد المولى خوف أرْجونا من خسارة وعي الله عندما يكون العقل مشغولاً في الحقول المختلفة من الحياة (الآية 33).

"المنضبط": تعني الإنسان الذي يملك الإحساس صحيح للقيم، الذي لا يربك نشاط الحياة النسبية مع الذات، أو الكينونة المطلقة. إنها تعني الإنسان الذي أدرك الوعي الكوني.

لا يجب الاعتقاد بأنّه يجب على الفرد أن يجهد لكي يبقي حياته منضبطة. هناك طريقتين لتهذيب كلب. الطريقة الأولى هي صعبة، والثانية هي سهلة. ملاحقة الكلب، ومحاولة الإمساك به وبعد ذلك ربطه عند الباب – هذه هي إحدى طرق السيطرة على الكلب. وعدم ملاحقته، وعدم محاولة الإمساك به، وعدم محاولة ربطه عند الباب؛ وبالأحرى، ترك الكلب حراً لذهاب إلى أيّ

مكان يريده، فقط ضع بعض الغذاء خارج الباب، أي شيء يحب الكلب أكله. ستجد الكلب دائماً عند الباب في الكثير من الأحيان وكلما ترغب بذلك هذه هي الطريقة البسيطة من كسب السيطرة على الكلب من دون التحكم به. نريد تهذيب العقل، والطريقة السهلة هي ليست في محاولة كبته. إنه ينجذب بحقول السعادة الأعظم؛ ولذلك وبقيادته نحو حقل السعادة الأعظم في الحياة، سنجده يبقى هناك بسبب رغبته الخاصة للتمتّع بتلك السعادة. تثبّت ممارسة التأمل التجاوزي، في جلبها للطمأنينة من خلال اختبار الكينونة، الوعي الكوني بشكل طبيعي وبالتالي تعطي النمط المهذّب إلى الحياة. هذه هي الطريقة البسيطة لكسب الحالة المنضبطة للعقل.

في هذه الآية، لا يدعو المولى إلى أيّة طريقة معيّنة، أكانت بسيطة أو صعبة؛ إنه يظهر فقط مبدأ النجاح في اليوغا: في الحاجة للانضباط في الحياة. إن المبدأ الذي يعرضه المولى غير قابل للجدل: "للإنسان غير المنضبط، اليوغا هي صعبة المنال". يكون العقل غير منضبط عندما لا يكون مطمئناً وفي الوقت ذاته، يكون الحقل الكامل للحواس مفتوحاً أمامه للاستكشاف. ويصبح منضبطاً عندما تكسب الطمأنينة من خلال الاختبار الدائمة للغبطة المطلقة التجاوزية في الوعي الكوني. تشير الكلمة "المنضبط" بأنّه، حتى وإن كان العقل مرتبط بنفسها مع الحواس للتمتّع بمدركاتها، إنه لا يفقد التساوي التي أصبحت دائمة من خلال إدراك الذات بأنها منفصل عن النشاط

الآية السابعة الثلاثون

قال أرْجونا:

إلى أي هدف يصل إليه، يا كْريشْنا،
من لم يتقن اليوغا، ويسعى بالإيمان،
وأيضاً ينقصه الجهد، وعقله تائه عن اليوغا؟

تكمن جذور هذا السؤال في تعاليم المولى في الآيات 24 إلى 28، التي تعلن عن نيل الوعي الكوني من خلال الممارسة، خلال "الجهد".

إن المحفّز الفوري على السؤال، على أية حال، يعطى بكلمات الآية السابقة: "يمكن اكتسابها من خلال الوسائل الصحيحة من قبل الإنسان المنضبط الذي يسعى". وبالتالي إن الشروط الثلاثة التي عرضت لكسب المساواة القدسية العليا للعقل جعلت الأمر يبدو إلى أرْجونا كما وأنّ أمامه طريق طويل لاجتيازه. أخبره المولى في وقت سابق "في هذه اليوغا لا يضيع أي جهد ولا يوجد أي عقبة. حتى التقدّم القليل من هذا الدهارما يريح من الخوف الكبير" لذلك عندما يضع المولى ثلاثة شروط أمامه الآن، يريد أرْجونا التأكد فيما إذا كان هناك أيّة فائدة في البدء على هذا الطريق أم لا، مع العلم بأنّه قد لا يستطيع الفرد الوصول إلى الهدف في هذه الحياة.

كما يتضمن أيضاً معنى أخرى في هذه الآية. عندما يسمع أرْجونا عن الشروط الثلاثة لنيل حالة اليوغا في وعي الله، يريد أن يعرف إذا كان هناك أيّة طريقة مختصرة. يريد أن يعرف كيف يمكن للبعد عن الإيمان أن يساعد الإنسان على هذه الطريقة، وذلك لاعتقاده بأنّه من الممكن أن يكون أسهل للنجاح في إدراك الله من خلال الإيمان وحده. إن مثل هذا السؤال من أرْجونا، الإنسان العملي جداً، لم يكن مفاجأة. إنه لم ينشأ عن أيّ أمنية لتفادي الجهد من ناحيته: فهو ينشأ عن الصفة العملية جداً في فهمه. حكماء هو أولئك الذين يفهمون طبيعة الطريق من البداية حتّى النّهاية قبل أن يدخلون فيها، وأكثر حكمة هم الذين يسلكون الطريق المختصر

للوصول إلى الهدف. يعكس سؤال أرْجونا جديته واليقظة الكبيرة التي بها يتابع حديث المولى.

يسأل أرْجونا: "إلى أيّ هدف يصل إليه؟ ما هو مصيره، وإلى أين يذهب؟ ينبع قلقه بهذه المشكلة من معرفته للكون. إن تصاريحه هي بداية الحديث حول الدهارما وحول أسلافه وحول الجحيم والسماء وحول تركيب المجتمع وهي تكشف معرفته الدقيقة حول الحياة والعالم إن الإنسان بمثل هذه التعاليم من الطبيعي أن يكون متلهّف لفهم هدف الطامح على طريق اليوغا. وعنده الأسباب الكثيرة كي يسأل، لأن المولى يتكلّم معه حول نيل تلك المناطق المجرّدة للوعي التي تبدو بعيدة جداً من الحياة العادية والعملي في العالم – أو الحاجة الملحة في ساحة المعركة.

في الآية التالية يجعل سؤاله أوضح.

الآية الثامنة والثلاثون

مضلّل في الطريق إلى البْرَهْمان،
من دون موطئ قدم بعيداً عن كِلا
الطرفين ألا يتلاشى مثل الغيم المبعثر؟

"مضلّل على الطريق إلى البرهمان" تعني السقوط في الممارسة المنتظمة للتأمل التجاوزي التي تطوّر الوعي الكوني. إنّ السؤال حول الإنسان الذي بدأ الممارسة لكنه ولأسباب مختلفة غير

قادر على الاستمرار فيها. تشير الكلمة "مضلّل" بأنّ سبب التخلّي عن الممارسة يتوقّف على الطامح. لا يوجد هناك شيء من جانب الله أو على الطريق إليه قد يشجّع أو يدفع الطامح لإيقاف ممارسته. إذا فعل ذلك، يمكن أن يكون ذلك فقط نتيجة لضلاله الخاص. وهذا، بدوره، قد يكون بسبب قلة المعرفة حول الهدف أو للشكّ في قدرته الخاصة لوصول إليه؛ أو قد يكون بسبب قلة التقدير الصحيح لقيمتها. قد يكون كلّ هذا بسبب قلة التوجيه الصحيح. مهما كان السبب، إذا أوقف الإنسان الممارسة يمكن أن يكون ذلك فقط بسبب ضلاله. استعمال أرْجونا هنا كلمة "مضلّل" فهو يكشف فهمه العميق لتعاليم المولى. وبالرغم من أنّه يسأل السؤال حول الإنسان الذي يسقط من الممارسة، فهو يتمنّى أن يظهر بأنّه يعتبر مثل هذا الإنسان مضلّلاً.

"من دون موطئ قدم": يدرك أرْجونا للمستويات المختلفة للوعي والحالات المختلفة من الحياة التي تقابلها. إنه مدرك أيضاً بأنه عندما يتطوّر وعي الإنسان من مستوى إلى آخر، تصبح حياة المستوى السابق عديم الفائدة إليه. إن سؤاله هو عن الفرد الذي، وكنتيجة لفترة معينة من الممارسة، أرتفع فوق مستوى الوعي البشري العادي لكنه لم يصل بعد إلى الوعي الكوني، الذي يضمن التحرر والذي هو الأساس لوعي الله. إن مثل هذا الإنسان فقد موقعه على المستوى البشري لكن ليس له موطئ قدم على المستوى القدسي. فهو ليس هنا وليس هناك هذا ما يظهره أرْجونا بالكلمات "بعيداً عن كِلا الطرفين"، وعقب ذلك يقدم صورة فظيعة من الإبادة بالكلمات "يتلاشى مثل الغيم المبعثر".

يريد أرْجونا أن يفهم مصير الإنسان المضلل الذي سقط في الممارسة. يبدو السؤال بسيطاً ولكن، في الحقيقة، هو معقد جداً، لأنه يمكن أن يكون هناك مستويات غير معدودة من الوعي بين وعي الجاهل ووعي المتحرّر بالكامل، الإنسان المدرك وفيما يتدارك أرْجونا في الآية

القادمة، يمكن أن يجيء الجواب الدقيق فقط من المولى الذي يعرف المدى الكامل للحياة وكلّ الإمكانيات المتواجدة بين الجهل والحالة المدركة للوعي.

الآية التاسعة والثلاثون

أنت القادر على تبديد هذا شكّ
عندي بالكامل، يا كريشنا. حقا،
لا أحد غيرك من يستطيع
تبديد هذا الشكّ

بعد أن استمع إلى المولى، اقتنع أرْجونا حتى الآن بالعمق الذي لا يقاس لحكمته. الكلمات "لا أحد غيرك" تشير إلى أن أرْجونا، حتى وبينما يرفع السؤال يشعر بأنّ هذا ليس الوقت المناسب له، كون ساحة المعركة هي ليس المكان للمناقشة الماورائية. لكنّه يبرّر سؤاله بالإشارة بأنّه إذا لم لا يسأله الآن فقد لا يكون عنده فرصة أخرى، لأنه لا يوجد أحد آخر يمكنه الإجابة عليه. يبدو بأن الحديث في الآيات 28 إلى 32 أقنع أرْجونا بالحكمة غير المحدودة الموجودة عند أقدام المولى كريشنا.

عندما يظهر المريد تقديره لحكمة المعلم، عندئذ تتدفّق الحكمة من المعلم في جوّ أكثر حسّاسية من اللطف والمحبّة. ويظهر هذا بوضوح من الكلمة الأولى لجواب المولى كريشنا في الآية التالية ومن الفيض الكبير للمعرفة التي يفصح عنه ردّاً على هذا السؤال لأرْجونا.

الآية الأربعون

قال المولى المبارك:

يا بارتا، ليس هناك فناء له
في هذا العالم أو فيما بعد؛
ما من أحد في الاتجاه العلوي،
يا بنيّ، يذهب في طريق سوء الحظ

إذا بدأ شخص ما بغسل الثياب ولسبب ما استطاع أن يشطفه مرّة فقط، يكون قد نجح على الأقل في إزالة بعض الأوساخ، وبالرغم من أنّ الثوب ليس نظيف جداً، بالتأكيد إنه لم يتسخ أكثر. عندما يبدأ الإنسان ممارسة التأمل، وحتى إذا تأمّل فقط لبضعة أوقات وتجاوز فقط مرّة أو مرّتين، ومهما كانت نقاوة العقل التي اكتسبها فيكون كذلك

الآية الواحدة والأربعون

بعد أن بلغ عوالم المستقيمين
وسكن هناك لسنوات غير معدودة،
من ابتعد عن اليوغا يولد في بيت
الأتقياء والمشهورين.

"من ابتعد عن اليوغا" تعني أمّا من لا يستطيع أن يكمل ممارسة التأمل خلال مدة حياته وبالتالي لم يبلغ الوعي الكوني، الذي يضمن التحرر، أو من فقد الاهتمام وترك ممارسة اليوغا بعد وقت ما.

تأتي النقاوة من التأمل بالنسبة لمدة الممارسة. تؤدّي النقاوة المتزايدة إلى مستوى أفضل

وأسعد من الوعي هنا، والتي تستمرّ فيما بعد.

أثناء التأمل، يصل العقل إلى حالة الوعي التجاوزي ويصبح خالياً من أيّ ظلّ للنسبية. ويبلغ إلى منزلته الحقيقية للوجود الكوني، غير ملطّخ بأيّ ظلّ للجهل. هذه هي الحالة المنقّية للعقل، التي هي خالية بالكامل من تأثير الخطيئة. بعد بلوغها، يكسب العقل منزلة الكينونة الكونية بشكل تام، ومع عودته إلى حقل النسبية، تجلب له الطمأنينة في المجال الكامل للفكر والكلام والعمل. هذا ما يجعل، بشكل طبيعي، سلوك الإنسان مستقيماً في كلّ أوجه الحياة، وكنتيجة لذلك يبلغ عوالم المستقيمين، التي يقال بأنها تتضمن طبقات مختلفة من الوجود العلوي الأرقى من البشر.

عندما يموت الناس مستقيمين الذين لم يكونوا قادرين على كسب الوعي الكوني، يدخلون أحد الطبقات العلوية، لأن الحياة البشرية هي البوّابة إلى كلّ هذه الطبقات. هنا تكون الحياة أطول وأسعد بكثير لأن هذه الطبقات تقابل المستويات الأعلى من الوعي. إنّ الحدّ الأعلى من وعي هو الكينونة المطلقة، الذي له الحياة الأبديّة. في الطرف الآخر، حيث تكون النقاوة أقلّ، تكون الحياة قصيرة بشكل لانهائي. يقرّر مستوى النقاوة مدة الحياة على كلّ طبقة وأيضاً درجة السعادة.

يصف أوبانيشاد طايتيريا الدرجات المختلفة للسعادة التي تتمتّع بها الكائنات المختلفة في الخليقة. يتم اكتساب كلّ هذه الطبقات المختلفة للحياة طبقاً لمبدأ العمل ونتائجها. إنّ درجة الأحقية في هذا العالم هو المعيار لتحديد أي من هذه الطبقات العلوية للحياة يتم الوصول إليها.

هكذا يكون عالم الأحقية هو عوالم السعادة الأعظم، حيث تتمتّع الكائنات بالانسجام والحرية

أعظم بكثير مما يتمتّع به الإنسان على الأرض. لكنّهم لن يتابعوا القيام بممارسة اليوغا. ولذلك عليهم العودة إلى الأرض. وبعودتهم إلى هنا، يولدون في بيت "الأتقياء والمشهورين"، الذين يؤمنون الجوّ المناسب لليوغا. فيستأنفون ممارستهم ويبلغون التحرر النهائي.

الآية الثانية والأربعون

أو يولد في عائلة فعليّة
يوغية موهوبة بالحكمة،
ولكن مثل هذه الولادة على
الأرض هي صعبة المنال

أراد المولى أن يؤكد على أرْجونا بأنه من السهل أن "يولد في بيت الأتقياء والمشهورين" من الولادة في "عائلة يوغية موهوبة بالحكمة". هناك سببان لهذا: ليس فقط أن مثل هذه العائلات اليوغية هي نادرة في العالم، لكن يحتاج الفرد أيضاً بلوغ درجة عالية من النقاوة قبل أن يولد في الجوّ المقدّس للعائلة اليوغية. وبالولد في ذلك الجوّ يكسب الفرد الفرصة كي يدرك بسرعة وعي الله.

الآية الثالثة والأربعون

هناك يستعيد ذلك المستوى من التوحيد
الذي وصل إليه بالفكر في جسده السابق،
واستنادا إلى هذا، يا بهجة الكوروس،
يكافح أكثر للكمال.

"هناك": في جوّ "العائلة اليوغية الموهوبة بالحكمة" (الآية 42)، أو "في بيت الأتقياء المشهورين" (الآية 41).

"يستعيد": يبدأ حياته من "ذلك المستوى من التوحيد الذي وصل إليه بالفكر في جسده السابق". قد نفهم ذلك في هذا المثال. لنفترض بأن قطعة قماش تحتاج لنقعها مائة مرة في الصباغ قبل أن تتلوّن بالكامل، وبعد نقعها لعشرة مرات تم إغلاق المصبغة. وتؤخذ قطعة القماش إلى مصبغة أخرى. يمكن للمصبغة الثانية فقط أن تبدأ من المرة الحادية عشر للنقع. هكذا، وبالرغم من أنّه لم يتم تلوين القماش بالكامل بالعملية المستمرة في مصبغة واحدة، إلا أن درجة اللون التي تم التوصل إليها في المصبغة الأولى تقرّر نقطة البداية في المصبغة الثانية. عندما يبدأ الإنسان بالتأمّل، تبدأ الكينونة بالنمو في طبيعة عقله. إذا توقف عن الممارسة في هذه الحياة، أو يموت جسده، بعد درجة معينة من تغلغل الكينونة، عندما يستأنف ممارسته، سيقوم بذلك من ذلك المستوى من نقاوة الوعي الذي حصل عليه خلال ممارسته السابقة. إن درجة النقاوة المكتسبة في هذه الحياة لن تفقد بسبب موت الجسم.

الآية الرابعة والأربعون

بتلك الممارسة السابقة نفسها
يندفع بشكل لا يقاوم.
حتى الطامح إلى اليوغا
يتجاوز الفيدا.

"بتلك الممارسة السابقة نفسها": بممارسة التأمل في الحياة الماضية. تشير الكلمة "بنفسها" بأنّ قوّة تلك الممارسة السابقة بنفسها هي كافية لوضع الإنسان على هذا الطريق من اليوغا. تصبح الطبيعة داعمة له، وتصقل الظروف نفسها لمصلحة استئنافه للممارسة.

"يندفع بشكل لا يقاوم" تعني بأنّ، سواء قام بجهد واعي لبدء الممارسة أو يُسحب بشكل غير واعي إلى التأثير المتراكم للممارسة المنجزة في حياته السابقة، يستأنف التأمل.

يعني المولى بأن الإغراءات الناتجة عن أي وجهة أخرى من الحياة لن تكون قادرة على منعه من استئناف طريقه. لا يمنع شيء، ولا حتى الوعد بالمكاسب المختلفة من الشعائر والطقوس الفيدية. يضع نفسه بشكل ثابت على طريق اليوغا، وكونه مصمّماً عليها، يبلغ الهدف بسرعة.

"يتجاوز الفيدا": يتجاوز حقل النسبية ويصل إلى الوعي التجاوزي. يعني المولى بأنّ "الطامح" المبتدئ في اليوغا، يتجاوز حقل الحياة النسبية لأنه، وكما أظهر في الآية 40 من الفصل الثّاني، ليس هناك صعوبة للعقل في الوصول إلى الوعي التجاوزي المطلق. هذا هو الأمل الكبير لطالب اليوغا، سواء كان متعلّماً أو غير ذلك

الآية الخامسة والأربعون

لكن اليوغي الذي يكافح بحماس،
النقّي من كلّ خطيئة والكامل من
خلال الولادات العديدة، وعلى ذلك
يصل إلى الهدف التجاوزي.

كانت الآية الحالية السبب لسوء الفهم والإحباط الكبير، للعديد من الناس الذين استنتجوا بأنّ المولى يعلن هنا المبدأ القائل بأنّ النيل يتطلّبون العديد من دورات الحياة. ونتج ذلك عن الفشل في فهم المعنى الحقيقي لكلمة "ولادة". تعني كلمة ولادة أخذ الجسم الجديد. إذا حلّلنا ماذا يحدث عندما يكسب العقل الفردي إلى المنزلة الكونية في الوعي التجاوزي، نجد بأن الفرد يتوقف عن الوجود – فيصبح وجوداً صافياً. في الخروج من المتجاوز يتم استعادة الحياة الفردية. تعني الولادة هذه الاستعادة للوجود الفردي. إن الفشل في فهم لغة نصوص كتاب اليوغا هو نتيجة للنقص في اختبار حالة اليوغا ولقلة معرفة التفاصيل التي تتعلّق بممارسة اليوغا. والتي من الصعب أن تظهر في هذه الحالة من سوء الفهم.

لقد تم الإشارات إلى ثلاث حالات من يوغا: اليوغا في الوعي التجاوزي، في الوعي الكوني وفي وعي الله. يظهر التعبير "الكامل" بأن الآية الحالي تشير إلى وعي الله. يقول المولى: "الكامل من خلال الولادات العديدة". بهذا يعني الكامل من خلال الممارسة المستمرة للكسب المتكرر للوعي التجاوزي وبذلك يولد من جديد في العالم لعدة مرات إلى أن يتم اكتساب الوعي

الكوني. هذه الحالة من الوعي الكوني، التي يقول المولى أنها تتحقق "بسهولة" تشكل الأسس الصلبة التي ينمو عليها وعي الله.

وعلى هذا النمو لوعي الله من حالة الوعي الكوني، يقول المولى: "سيدرك ذلك مع الوقت، بذاته وفي داخل ذاته" يجب أن نلاحظ بأنّ تعبير المولى "مع الوقت" لم يحتوي أي اقتراح على الإطلاق للعديد من دورات الحياة. وهكذا لا يوجد على الإطلاق أي سبب للافتراض بأن التعبير "العديد من الولادات" يعني العديد من دورات الحياة. إنّ التعاليم هي بأنه بممارسة التأمل التجاوزي يكون الفرد مستعداً لكسب الوعي التجاوزي، وبأنه من خلال الممارسة الثابتة من كسب الوعي التجاوزي، يرتفع الفرد إلى الوعي الكوني "من دون تأخير" وبعد ذلك إلى وعي الله.

قد نفسّر "العديد من الولادات" بالمعنى السطحي للتعبير بأنه العديد من الحياة، لكن من الواضح أنّ هذا المعنى سينطبق فقط على أولئك الذين لم يصلوا إلى "كمال اليوغا" في هذه الحياة نتيجة "لافتقار الجهد" ولأن "عقلهم ابتعد عن اليوغا". حتى هؤلاء، يقول المولى، يبلغون الهدف التجاوزي بشكل تدريجي في تنقية أنفسهم من خلال الممارسة في العديد من دورات الحياة. هذا هو مجد اليوغا، التي عندما تبدأ سيكون لها التأثير. إذا لم تجلب الاكتمال الكامل في هذه الحياة، بسبب قلة الممارسة، سيكون لها تأثيرها دورات الحياة المستقبلية، فتعيد الإنسان إلى ممارستها وفي النهاية إلى التحرر.

"الهدف التجاوزي": هدف الوعي التجاوزي. عندما يصبح الوعي التجاوزي دائماً في الوعي الكوني، يكون الهدف الذي يليه وعي الله.

الآية السادسة والأربعون

إن اليوغي هو متفوق على المتقشف؛
هو يعتبر متفوقاً حتى على رجال المعرفة.
إن اليوغي هو متفوّق على رجال العمل.
لذلك كن يوغياً، يا أرْجونا.

في هذه الآية، ينكر المولى قيمة كلّ عمل، وكلّ الإجهاد وكلّ الجهد من أجل التنوير. يجهد الإنسان المتقشّف كل من الجسم والعقل. في حين تنقّي ممارسة اليوغا الجهاز العصبي على نحو لطيف، وتزيل كلّ الإجهاد وتؤدّي إلى الوعي التجاوزي. لذلك إن التقشّف أدنى من اليوغا من كلّ وجهة نظر.

إنّ إنسان المعرفة في هذا السياق هو الذي له معرفة نظرية حول الغونات الثلاثة، والذات والله، لكنه لم يختبرها بشكل مباشر. وبالتأكيد هو أدنى من اليوغي، الذي يعرف طبيعتها من خلال الاختبار المباشرة.

إنّ الطريق من خلال النشاط يسلكه الفرد الذي يكافح لتنقية الجسم والعقل والنفس بالأداء الطقسي للعمل المستقيم، بالصدقة وباختبار الشعور الصحيح للواجب، بأيّ نوع من العمل الذي

يستهدف تنقية عقله ويصل إلى التنوير. إن هذه الطريقة الثانية هي أدنى من اليوغا، التي تنوّر العقل بطريقة سهلة ومباشرة.

إنه لأمر حقيقي أن كلّ مثل هذه الممارسات لها التأثير المنقي، وبالتالي تساعد العقل في النمو بالساتفا. ويصبح أكثر صفاء بهذه الطريقة، ويصل العقل في النهاية إلى منزلة الذات. إنّ نظرية كلّ هذه الطرق هي صحيحة، لكنّها أدنى من اليوغا. إنها لا تتطلب الوقت الطويل فقط، بل إنها محصورة ضمن الحقل الذي يقول عنه المولى "العمل هو الوسيلة" في حين أن اليوغي الثابت في الحقل الذي يقول عنه المولى "السكون هو الوسيلة" هذه حالة متطورة جداً وأكثر تقدماً للحياة.

لا يتواجد تفوق اليوغي فقط في إدراكه السريع والسهل للأسمى، لكن يتواجد أيضاً في إدراكه لمجد الأسمى الأكمل، مجد الكينونة الظاهرة في الوجود المطلق لله. هذا هو مجد وعي الله في حياة الإنسان، إنه التفاخر خلف نطاق البراعة التي يصلها من خلال التقشّف أو المعرفة أو العمل.

الآية السابعة والأربعون

ومن كلّ اليوغيين، أعتني بمن هو
موحد بالكامل ومن يعبدني
بالإيمان، ذاته الكلّية مستغرقة فيّ

هذا هو الشرح للحالة الأعلى للتطور. يقول المولى: "كل اليوغيين". يعني بذلك بأنّ هناك

أنواع مختلفة من ممارسي اليوغا، الغيانا يوغي، والهاثا يوغي، وكارما يوغي، وهكذا. لكلّ من هؤلاء أربعة مستويات للمنال: المستوى الأول هو إدراك الوعي الذاتية (الآيات 10 إلى 18)؛ والثاني هو إدراك الوعي الكوني (الآيات 24 إلى 29)؛ والثالث هو إدراك وعي الله (الآيات 30 إلى 32)، والرابع هو إدراك كلّ الخليقة في وعي الله (الآية 32). عندما يقول المولى: "من كلّ اليوغيين ... ذاته الكلّية مستغرقة فيّ"، يشير إلى الإنسان الذي أسّس في داخل ذاته الرابط طبيعي ودائم من التوحيد مع المولى، رب كلّ الكائنات ومع الخليقة بالكامل. هذا يحدث على المستوى الذي يكون فيه التعبد مكتملاً.

إن تغلغل حالة الكينونة إلى طبيعة العقل، وفي مثل هذا الامتلاء وبشكل دائم جداً بحيث لا يوجد اختبار للنسبية يمكنه حجبها، يميّز الوعي الكوني. إن من وصل إلى هذه الحالة هو مطمئن أبداً في ذاته. لكن مع أن هذه الطمأنينة هي إيجابية وفعلية، إلا أنها مجرّدة كلياً في طبيعتها الأساسية، لأنها، مع ذلك، هي الإشارة لتغلغل الكينونة التجاوزية في طبيعة العقل. هذا التغلغل لا يتسبّب بأن يتم اختبار الكينونة على مستوى الحواس. لا تستطيع العين رؤية الكينونة، ولا يستطيع اللسان تذوقها، لا تستطيع الأذن سمعها ولا الأيدي أن تمسّها. هي عملية الولاء في الإيمان التي تسبّب هذا.

إن التعبد والولاء هو دائماً على المستوى الشخصي. لذلك، عندما يقول المولى: "من كلّ اليوغيين" و "من يعبدني بالإيمان" يعني الفرد الثابت في الوعي الكوني، والذي يربط ذاته بالتعبير الظاهر للوجود الكوني، إلى الوجود الكوني الذي جعل الفرد في الله، لأجل الولاء والعبادة. فتتمتّع العيون بالكينونة المجردة الأبديّة التي جعلت ظاهرة – تتمتّع بها كلّ الحواس كمدركات اختبارها. هذا هي طريقة الولاء التي تمجّد الفرد الذي اكتسب الوعي الكوني وتمكّنه للتمتّع بالمتجاوز، العلي، على مستوى الحواس. يسجّل التاريخ الديني الأفراد – مثل

شوكافيدا، والملك جاناكا وآخرون – الثابتون في الحقيقة، والذين تكرّسوا إلى المولى وتمتّعوا به بكلّ وسائل الاختبار وبالحواس والعقل والفكر والنفس. إن مثل هؤلاء الكائنات المحظوظة، يقول المولى عنهم "موحد بالكامل".

هذه الآية التي تنهي أيّ سوء فهم حول الحالة الأعلى للتوحيد. يظهر المولى بأنّ فيه ترتاح "الذات الكلية المستغرقة" لليوغي الأعلى. هذا هو التفسير من جانبه، لكن التعبير الذي يعطيه إلى تلك الحالة من جانب المكرس يختلف: يعبده المكرس "بالإيمان". هذا هو مجد التوحيد مع المولى. يعانق المولى المكرس ويجعله واحداً مع ذاته، ويجذب المكرس إلى المولى في العبادة. هذه هي حالة الوحدانية حيث يؤيد كلّ واحد لآخر.

هذه هي الثنائية والأحادية في التوحيد العظيم.

هكذا، في أوبانيشاد البهاغافاد غيتا المجيدة،
وفي علم المطلق، وفي نصوص اليوغا،
وفي الحوار بين المولى كريشنا وأرْجونا،
ينتهي الفصل السادس، بعنوان:
يوغا التأمل، ودهيانا يوغا.

الملحق

يتضمن الملحق ما يلي:

التقليد المقدس

تدون هذه الأبيات الأسماء المحببة علينا للمعلمين العظماء للتعاليم المقدسة للحكمة الفيدية؛

نارا ينم بادمابهافم فاسيشتم

شاكتيم تشا تاتبوترا برامشارم تشا

فياسم شوكم غودابادم مهانتم

غوفيندا يوغيندرا ماتهاسيا بادما

بادم تشا هستاملكم تشا شيشيم

تم تروتكم فارتيكاكرامانيام

أصمد غورون سانتا مانتوسمي

شروتي سمريتي بورانانم

آلايم كاروناالايم

نامي بهاغافات بادم

شانكرم لوكا شانكرم

شانكرم شانكراتشاريم
كيشافام بادراينم
سوترا بهاشيو كريتو فانديه
بهاغافانتوه بوناه بوناه

يادفاريه نكهيلا نيليمبا باريشد
سيدهيم فيدهاتيه أنيشم
شريمات شري لاسيتم جغادغورو بادم
ناتفاتما تريبتيم غاتاه
لوكاغيان بايود باتم دهورم
شري شانكرم شرمدم
براهماننداسراسفاتيم غوروفرم
دهيايامي جيوتيرمايم

التأمل التجاوزي:

المبدأ الرئيسي

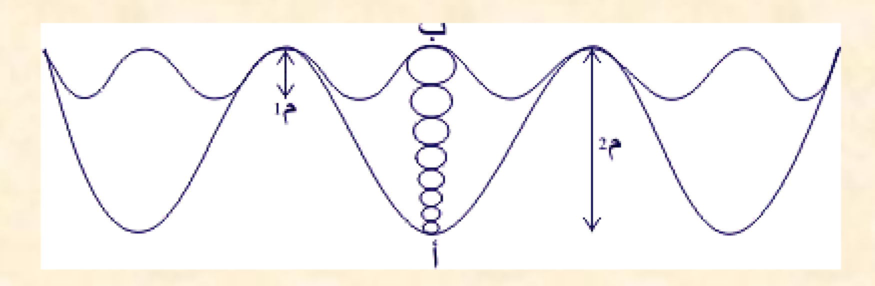
عندما تتّصل موجة البحر بالمستويات الأعمق من الماء، تصبح أكثر قوّة. وعلى نفس النمط، عندما يتوسّع العقل الواعي لاعتناق مستويات أعمق من تفكير، تصبح موجة الفكر أكثر قوّة.

تزيد القدرة الموسّعة للعقل الواعي قوّة العقل وتؤدّي إلى الطاقة والذكاء الإضافية. يبدأ الإنسان، الذي يستعمل عموماً جزءً ضئيلاً فقط من العقل الكليّ الذي يمتلكه، باستعمال إمكانيته العقلية الكاملة.

قد تعرّف التقنية بأنها تدير الانتباه إلى الداخل نحو المستويات المرهفة للفكرة حتى يتجاوز العقل اختبار الحالة المرهفة للفكر ويصل إلى منبع الفكر. هذا ما يوسّع العقل الواعي وفي نفس الوقت يجلبه للاتصال بالذكاء الخلاق الذي هو المسبّب لكلّ فكرة.

تبدأ نبضة الفكرة من المركز الخلاق الصامت في الداخل، كما تبدأ فقاعة الهواء من قاع البحر. وكلما ترتفع، تصبح أكبر؛ وعند وصولها إلى المستوى الواعي للعقل، تصبح كبيرة بما فيه الكفاية لكي يتم إدراكها كفكرة، ومن هناك تتطوّر إلى الكلام والعمل.

يأخذ انعطاف الانتباه إلى الداخل العقل من اختبار الفكرة في المستوى الواعي (ب) إلى الحالات الأدق من الفكرة حتى يصل العقل إلى مصدر الفكر (أ). يؤدّي هذا التوجه الداخلي للعقل إلى توسّع العقل الواعي (من م1 إلى م2).



إنّ التقنية الموصوفة هي التأمل التجاوزي.

ممارستها بسيطة. ليس هناك شروط مسبقة لبداية الممارسة، باستثناء تلقي التعليمات الشخصية من أستاذ مؤهل.

يجب الملاحظة بأن التأمل التجاوزي لا يرتبط بالتمعن ولا التركيز. تحتجز عملية التمعن والتركيز كلاهما العقل على مستوى التفكير الواعي، في حين يأخذ التأمل التجاوزي العقل بشكل منهجي إلى منبع الفكر، الذي هو الحقل الصافي للذكاء الخلاق.

القانون الكوني، القانون الأساسي للخليقة

يبدو أن الخليقة المتغيّرة باستمرار بالتنوع اللانهائي ترقد على نوع من الطبقة المستقرّة للوجود. ويبدو أن إيقاع الطبيعة يتوافق مع نمط محدّد. ويبدو بأن العدد اللانهائي للمجرات في البنية الواسعة للفضاء الكوني يتحرّك طبقاً لمخطط محدّد. يبدو أن الخلق والتطور وفناء كلّ الأشياء تتبع إجراء محدد. تتغيّر الأشياء، لكن التغيير المستمر بحد ذاته يبدو بأن نوع من الأسس التي لا تتغير.

إن الهيدروجين والأوكسجين هما من الغازات. يتجمعان ليكونان الماء، H2O. تتغيّر نوعيات الغاز إلى نوعيات الماء، لكن الهيدروجين والأوكسجين يبقيان كما هما. كذلك، عندما يتجمّد الماء ويتحوّل إلى ثلج، تتغيّر نوعيات الماء إلى نوعيات الثلج، لكن الهيدروجين والأوكسجين، المكونان الأساسيان، يبقيا من دون تغيير. هذا يعني بأنه، في حين أن هناك قوانين ما مسؤولة عن تغيير نوعيات الغاز إلى الماء والماء إلى الجليد، هناك أيضاً قوة ما أو قانون ما، الذي يحتفظ على سلامة الهيدروجين والأوكسجين.

إن القانون الذي لا يسمح في تغيير الهيدروجين والأوكسجين إلى أي شيء آخر، هو بذاته القاعدة الثابتة للقوانين المسؤولة عن تغيير الغاز إلى السائل والسائل إلى صلب. إنّ القانون الكوني هو ذلك القانون الذي يحافظ على سلامة المكون الأساسي والنهائي للخليقة — الكينونة المطلقة. وفي بقاء الكينونة كما هي، استناداً إلى القانون الكوني، الذي يسبّب

بوجود القوانين المختلفة المسؤولة عن الطبقات المختلفة من الخليقة. وبالرغم من أن هذه القوانين المختلفة للطبيعة هي المسؤولة مباشرة عن الحفاظ على تطور الكون، فقاعدتها هي القانون الكوني الأبدي في طبقة الكينونة.

عندما يتجاوز العقل الحالة المرهفة للفكرة في أثناء التأمل التجاوزي، ويبلغ حالة الوعي الذاتية، أو الكينونة الصافية، يبلغ مستوى القانون الكوني. وبخروجه من تلك الحالة، يكون وضعه مثل الشخص الذي يدخل مكتب الرئيس ويخرج محملاً بكل وعوده الحسنة؛ فيبدأ الأتباع جميعهم بأن يكونوا في حالة تعاطف معه ويقدّمون له دعمهم الكامل بدفع نشاطاته نحو نهايتها الناجحة.

عندما يخرج العقل من حقل الكينونة، أي طبقة القانون الكوني، إلى الحقل النسبي للنشاط، الذي هو تحت تأثير قوانين الطبيعة غير المعدودة، يتمتّع تلقائياً بدعم القانون الكوني، وهذا يجعل ممكناً إنجاز كل التطلّعات والاكتمال الأقصى للحياة.

هكذا تكون حياة الإنسان الذي ارتفع إلى الوعي الكوني، ثابتة إلى الأبد على مستوى القانون الكوني وتتلقى الدعم التلقائي من كلّ قوانين الطبيعة.

الأنظمة الستّة للفلسفة الهندية

تكون المعرفة حقيقية فقط عندما تكون مقبولة على ضوء كلّ من الأنظمة الستّة للفلسفة الهندية. إن حقيقة كلّ عبارة في البهاغافاد غيتا يمكن فحصها والتثبت منها بهذه الطريقة. يتم تحليل الآية الثاني للفصل الأول فيما يلي لتظهر كمال شرح فياسا. يتم تقديم الأنظمة الستة في تسلسلها الكلاسيكي.

النظام الأول، نيايا، وهو يحلّل صواب إجراء كسب المعرفة. بعد الوصول الصحيح إلى غرض التحقيق من خلال نيايا، يتّجه الفرد إلى النظام الثاني، فايششيكا، الذي يبيّن المعايير لتحليل النوعيات الخاصّة التي تميّز الغرض عن الأغراض الأخرى. عندما يميّز فايششيكا غرض التحقيق من دون أيّ شكّ، يعدد النظام الثالث، سانكهيا، المكوّنات المختلفة للغرض. ثمّ يعرض النظام الرابع، اليوغا، الطريق للإدراك المباشر للغرض. وتكون معرفة أنماط نشاط الجسم ومكوّناتها جاهزة بالنظام الخامس، كارما ميمانسا. وبعد أن تحلل هذه الأنظمة الخمسة الأوجه المختلفة لغرض التحقيق من وجهة نظر الوجود النسبي، يظهر النظام السادس،

فيدانتا، بأن الحقيقة النهائية للغرض التي تقع تحت كلّ مراحله المختلفة، هي مطلقة في الطبيعة. هكذا يكون واضحاً أنّ الأنظمة الستّة وبأخذها سوية، تجعل المعرفة كاملة بمعالجة كلّ الأوجه الممكنة للغرض.

يجب الملاحظة أن كلّ نظام من هذه الأنظمة الستة هو شامل جداً في ذاته وأنه يبدو كافياً لإعطاء المعرفة الكاملة للتحرر. وهكذا أبهر العديد من العلماء بنظام معيّن واحد وغابت عنهم قيمة الأنظمة الأخرى. لذلك يبدو بأنّ الكمال الحقيقي لكلّ نظام قد سلب الفلسفة الهندية من شموليتها وجعلها ضعيفة. ومن أجل أن تكون كاملة، تتطلّب المعرفة الدعم من كلّ الأنظمة الستّة.

يظهر التحليل التالي كيف تعطي الكلمات المختلفة للآية الثاني في فصل الأول التعبير إلى كلّ من الأنظمة الستّة بالتفصيل.

وسيتذكّر بأنّ الآية ترد كما يلي:

عندما رأى الأمير دورْيودْهانا

جيوش البانْدافا منتظمين في

وضع قتالي، اقترب من معلّمه

وقال له هذه الكلمات

الأنظمة الستة للفلسفة الفيدية هي:

نيايا

فيشيشيكا

سانكهيا

[يوغا]

[كارما ميمانسا]

[فيدانتا]

نيايا

نيايا، علم الاستنتاج الذي شرحه غوتاما، فهو يقدم ستّة عشر نقطة التي يتم بها فحص مسار كسب المعرفة:

1. وسائل المعرفة الصحيحة (برامانا)

هناك أربعة وسائل للمعرفة الصحيحة:

أ. الفهم (براتياكشا)لقد أعطي الدرس عن الفهم بكلمة "رأى".

ب. الاستدلال (آنومانا). "رأى ... وضع قتالي": رأى الجيش في وضع قتالي، استدل دورْيودْهانا بأنّه حان وقت المعركة، وهذا ما جعله يقترب من معلمه.

ج. المقارنة (أوبامانا). هذه وسيلة لكسب المعرفة للشيء بمقارنته بغرض آخر معروف جداً. هنا تم استعمال كلمة "أمير" بالإشارة إلى دورْيودْهانا.

د. الشهادة الشفوية (شابدا). "هذه الكلمات": إنّ كلمات الأمير هي موثوق بها.

2. جسم المعرفة الصحيحة (براما‌يا)

إنّ غرض المعرفة هو ما كان الاستتار حوله أي من تم التقارب منه، وفي هذه الحالة، "المعلم".

يجب أن نلحظ هنا بأنّه عندما يعلّم فياسا درس البراما‌يا، يقدّم المعلم على أنه غرض المعرفة، الذي هو مصدر كلّ المعرفة.

3. الشكّ (سامشايا)

"اقترب من المعلم" كانت من أن إزالة الشكوك وكسب الوضوح.

4. الغاية (برايوجانا)

تعرض الكلمات "منتظمين في وضع قتالي" غاية الجيش.

5. المثال (دريشتانتا)

يعطي دورْيودْهانا الدرس عن دريشتانتا. في الآية السابقة، سأل دهريتاراشترا عما يقوم به أبنائه. وبما أن دورْيودْهانا هو الأكبر سناً، تؤخذ أعماله كمثال لأعمال كلّ أبناء دهريتاراشترا المائة.

6. المبدأ المؤسّس (سيدهانتا)

إنه مبدأ مؤسّس بأن المعلم يتم التقرب منه دوماً من قبل مريده. "اقترب دورْيودْهانا من معلمه".

7. أجزاء الحجّة المنطقيّة (أفايافا)

"رأى... اقترب ... قال".

8. عملية الاستنتاج (تاركا)

"اقترب دورْيودْهانا من معلمه" لكي يكسب القرار الموثوق الذي لن يترك أي إمكانية للخطأ أو الافتراض. إنّ الدرس عن الاستنتاج المعطى هنا هو عملي جداً.

9. فنّ استنباط الاستنتاج (نيرنايا)

عندما رأى الجيش، حكم دورْيودْهانا على الحالة وتصرّف فوراً بناء على ما استنتج: "اقترب من معلمه".

10. المناقشة (فادا)

تشمل المناقشة تفاعل الجانبين المعارضين لهدف الوصول إلى استنتاج حاسمة. إنّ الدرس عن المناقشة الذي يتم تعليمه في هذه للآية له طبيعة مثالية جداً. عندما رأى شخص واحد كلا الجانبين "اقترب من المعلم"، العارف للحقيقة، لإيجاد الحلّ. في تعاليم درس المناقشة، وتفاعل الجانبين المعارضين، تعلم هذه الآية في الوقت ذاته درس الانسجام.

11. الجدل الانفعالي (جالبا)

إن الجدل الانفعالي هو المجادلة من أجل النصر، في التقابل للمناقشة من أجل الوصول إلى الحقيقة. في الآية الحالية، يعطى الدرس عن الجدل الانفعالي بالعبارة "قال له هذه الكلمات". إنّ ساحة المعركة هو المكان للعمل، لكن بدلا من أن يقوم بالعمل، انشغل دورْيودْهانا بالكلام وعلى مسافة أبعد، كان الجيش المعارض صامتاً، وأمام هذا الصمت "قال دورْيودْهانا هذه الكلمات". لذلك في هذه الآية، يتم التحريض على العمل مقابل الكلام، والكلام يتحدى الصمت. هذا هو الدرس عن الجدل الانفعالي بمظهره الأقصى.

12. الاعتراض التافه (فيتاندا)

لقد وضعت هذه الآية "الجيش" من جهة و "الكلمات" من جهة أخرى وبالتالي تقلّل من كرامة الجيش. هذا هو هدف الاعتراض التافه – من أجل إزلال الطرف الآخر. إن جمال هذه الآية بأنها تعلّم الدرس عن الاعتراض التافه من دون استعمال لغة الاعتراض التافه.

13. المغالطات (هيتفابهاسا)

إن المغالطات هي من خمسة أنواع:

أ. عدم الحسم (سافيابهيتشارا) – الاستنتاج الذي يمكن الاستخلاص منه أكثر من نتيجة. تتركنا هذه الآية في الحيرة حول ما قاله دورْيودْهانا، بالرغم من أنّها تستعمل الكلمة "هذه"، التي تشير إلى الوضوح.

ب. التناقض (فيرودها) – حيث يتناقض الاستنتاج مع الاقتراح المنوي تثبيته. تجاه "جيوش البانْدافا منتظمين في وضع قتالي"، ُن الشيء المعقول الّذي سيثبته دورْيودْهانا هو بأن القتال يجب أن يبدأ. لكن بدلا من أن يبدأ في القتال، "اقترب دورْيودْهانا من معلمه".

ج. المرادف للسؤال (براكاراناساما) – حيث يكون الاستنتاج وكأنه يثير السؤال ذاته المنوي الإجابة عليه. إنّ الدرس عن هذه المغالطة يوجد في "هذه الكلمات". إنّ الكلمة "هذه" هي محددة في صفتها، لكن استعماله هنا هو بأنها تثير السؤال حول وضوح "الكلمات".

د. غير المثبت (سادهياساما) – حيث لا تختلف النتيجة المعطاء من أجل تثبيت الاستنتاج عن ما يراد تثبيته فهي بحد ذاتها تحتاج للبرهان. إن سبب اقتراب دورْيودْهانا إلى معلمه هو الحاجة إلى البرهان أو التبرير، لأنه كان من الممكن لدورْيودْهانا في وقت المعركة أن يكون عنده السبب للذهاب إلى القائد العام وليس إلى معلمه.

ه. التأخّر (كلاتيتا) – حيث أنّ يقدم السبب بعد انقضاء الوقت. تم استشارة المعلم لكي يعطي حكمه على صواب العمل. قد يكون من المنطقي أن يقترب دورْيودْهانا من معلمه قبل المجيء إلى ساحة المعركة.

14. المراوغة (تشالا)

إن المراوغة هي من ثلاثة أنواع:

أ. الشفوي (فاكتشالا) – افتراض كلمة لها معنى مغاير لما ينوي قوله المتكلّم. إن تسلسل الكلمات في النصّ الأصلي هي بحيث أن كلمة "أمير" (راجا) يمكن أيضاً أن تؤخذ لتأهيل "الكلمات". وبذلك يمكن أن تعني بأنّ دورْيودْهانا تكلّم كلمات أميرية، وبأنّه تكلّم مثل الملك – ما يشير ضمناً إلى أنّ ليس ملكاً لكن تكلّم مثل الملك يعطي استعمال كلمة "الأمير" بالإشارة مع "كلمات" تعطي التعاليم عن المراوغة الشفوية.

ب. التعميم (سامانياكتشالا) – التحدّي لإمكانية البيان بسبب استحالة الحالة الكاملة. لم تكن كلمات دورْيودْهانا فيما سبق موثوق بها كتلك التي يقولها الأمير، لذلك يمكن أن يؤخذ استعمال كلمة "أمير" بسخرية. وعندئذ قد تعني بأنّ دورْيودْهانا قد سخر منه هنا. هذه هي التعاليم عن النوع الثاني للمراوغة.

ج. المجازي (أوبراكتشالا) – إساءة فهم الكلمة المستعملة مجازياً بأخذها حرفياً. وبما أن دورْيودْهانا لم يكن حاكماً حقيقياً، قد ينظر إلى كلمة "أمير" (راجا) بالإشارة إليه بأنها مجازية. عندما يتم أخذها حرفياً، فهي تعطي الدرس عن هذا النوع من المراوغة.

15. الجدل العقيمة (جاتي)

هذا يعني الجدل المستند على الخصائص المماثلة والمتباينة فقط هناك تشابه لطبيعة "دورْيودْهانا" و "الأمير". وهناك تباين في طبيعة "الباندافا و" جيوشهم ... المنتظمين في وضع قتالي" لأن الباندافا هم مسالمون في طبيعتهم.

16. الخلاف على المبادئ الأولية (نيغراهاسطانا)

ينشأ هذا عن الأفكار الخاطئة أو عن النقص الكامل للفهم. يتم الاقتراب من المعلم عندما يحتاج الفرد لبعض التوضيح، وتكون الحاجة للتوضيح من أجل إزالة الخطأ أو سوء الفهم. إن الدرس بما يتعلق بالخلاف على المبادئ الأولية هو مثبت من قبل "المعلم"، الذي به تذوب كل الخلافات.

هذا هو كمال تعاليم نيايا غوتاما في البهاغافاد غيتا: حتى أن الدرس عن عدم الانسجام يتم تعليمه من مركز كلّ الانسجام، وبذلك لا يترك طالب النيايا على المنبسط الجاف للسبب.

فيشيشيكا

يحلل نظام فيشيشيكا، النظام الذي شرحه كاندا، النوعيات الخاصّة (فيشيشا) التي تميّز الغرض عن الأغراض الأخرى. في الآية الحالية، تظهر كلمة "أمير" النوعية الخاصّة التي تميّز دورْيودْهانا عن الرجال الآخرين. "معلمه" تحدد المعلم الذي يتبعه، و"هذه" تحدد "الكلمات" وهاتان الكلمتان تؤدّيان غاية مماثل.
هنا نأخذ درساً عامّاً عن فلسفة فيشيشيكا.
طبقاً للفيشيشيكا، هناك تسع مواد رئيسية تشكّل قاعدة الخليقة. والنوعيات الخاصّة لكل من هذه المواد هي المسؤولة عن النوعيات المختلفة لتعدد الأغراض في الخليقة. إنّ المواد الأساسية التسع هي: التراب (بريتيفي) والماء (آباس) والنار (تيجاس) والهواء (فايو) والأثير (آكاشا) والزمن (كالا) والاتجاه (ديك) والروح (آتمان) والعقل (مناس).
إنّ المواد الأربع الأساسية الأولى تتميّز عن بعضها البعض بصفاتها الخاصّة للبرامانوس، أو الذرّات. هناك أربع نوعيات خاصّة: الرائحة (غاندا) والذوق (راسا) والشكل (روبا) واللمس (سبارشا). تمتلك التراب كلّ هذه الصفات الأربعة، وتمتلك الماء الذوق والشكل واللمس؛ وتمتلك النار الشكل واللمس؛ ويمتلك الهواء المس فقط

1. **التراب (بريتيفي)**

إنّ الدرس على عنصر التراب هو معطى بالكلمة "دورْيودْهانا". فالرائحة هي متلازمة مع التراب، لذلك يتلازم العطر الأميري مع دورْيودْهانا، الأمير، أو سيد التراب.

2. **الماء (آباس)**

إن الذوق هو الصفة الأساسية لعنصر الماء. إنّ حاسة الذوق توجد في اللسان، الذي هو أيضاً عضو الكلام. لذلك يمكن القول بأن كلمة "قال" هي لإعطاء الدرس عن عنصر الماء.

3. **النار (تيجاس)**

تعطي كلمة "رأى" الدرس عن عنصر النار، لأن حاسة البصر تتعلّق بعنصر النار.

4. **الهواء (فايو)**

تعطي كلمة "اقترب" الدرس عن عنصر الهواء، لأن اللمس هو النوعية المتلازمة لعنصر الهواء. تتتوّج عملية الاقتراب بالاتصال.

5. **الأثير (آكاشا)**

المادة الخامسة الأساسية هي الأثير، وتتميّز بالصوت. لذلك أعطي الدرس عن الفضاء بكلمة "كلمات".

6. **الزمن (كالا)**

يشار إلى الزمن بمثل هذه المفاهيم بالتسلسل والتزامن والسرعة والبطء. "رأى ... اقترب ... قال" تعطي الدرس عن كلّ هذه المفاهيم.

7. الاتّجاه في الفضاء (ديك)

يشار إلى الاتّجاه بالعبارات مثل: هنا وهناك وبعيداً وقريباً وفوق وتحت. أعطي الدرس عن الاتجاه بالكلمات "جيوش ... منتظمين في وضع قتالي" و "اقترب".

8. الروح (آتمان)

طبقاً لمعادلات الفيشيشيكا، إن وجود المادة الثامنة الأساسية، الروح، يشار إليها بنفس الحياة الصاعد (برانا)، ونفس الحياة النازل (أبرانا)، وإغلاق الجفون (نيميشا) وفتح الجفون (أنميشا) والحياة (جيفانا) والنشاط العقلي (مانوغاتي)، والتغيّر الداخلي في حقل الحواس (إندريانتارا-فيكارا)، والمتعة (سوكها) والألم (دوهكا)، والرغبة (إكتشا) والجهد (براياتانا)

يعطى الدرس عن الروح بما يلي:

يلتقي نفس الحياة الصاعد مع النازل الصعود لتوليد الكلام: "قال هذه الكلمات".

يرتبط الإغلاق وفتح الجفون بالرؤية: "رأى".

يشار إلى الحياة في دورْيودْهانا بالكلمات "رأى ... اقترب ... قال".

النشاط العقلي ملازم للتسلسل "رأى ... اقترب ... قال".

السرور ملازم إلى "اقترب من معلمه".

الألم ملازم في "رأى جيوش الباندافا ... في وضع قتالي". يتم تعليم الدرس عن الألم من دون الاستعانة بأيّ إشارة واضحة للألم.

يشار إلى رغبة دورْيودْهانا بالكلمة "هذه" يستعمل فياسا، في إعطاء الدرس عن الرغبة، التعبير الذي يشير إلى مبدأ الرغبة من دون تحديد أيّ رغبة معيّنة خشية أن ينسحب العقل من النقطة المركزية قيد الدرس. هذا هو المثال لدقّة فياسا العظيمة للغة في تعاليمه للأنظمة المختلفة للفلسفة الهندية.

يعطى الدرس عن الجهد بالكلمة "اقترب". بالنسبة لكل فرد، تحتاج عملية الاقتراب إلى الجهد، وبدرجة أكبر بالنسبة للأمير، الذي يستخدم القوّة لاستدعاء أي كان وفي أي وقت كان.

من الواضح أنّه من أجل التحقق من النوعيات الخاصّة للروح، يتوجب "الاقتراب" من الروح. في الآية قيد الدرس، إن "الاقتراب" هي نتيجة لنوع من النشاط العقلي الذي يتبع لنشاط الحسّي في كلمة "رأى". وعلى نفس النمط، من أجل الاقتراب من الروح، من الضروري الذهاب من اختبار حقل النشاط الحسّي إلى حقل النشاط العقلي لحين تجاوز النشاط العقلي المرهف، ويقترب الفرد من الحقل الصافي للكينونة، الذي هو الوعي الصافي، الأساس لكلّ نشاط فقط من خلال هذه العملية، المعروفة بالتأمل التجاوزي، يمكن للعقل أن يدرك بشكل حميمي الحقول المرهفة للوجود النسبي، التي يشير إليها كاندانا بأنها تشكل النوعيات الخاصّة للروح، وهذا ما يكمل غاية تعاليم فيشيشيكا.

9. العقل (مناس)

المادة التاسعة الأساسية، العقل، هو العضو المسؤول عن إعطاء المعرفة إلى الروح عند اتصال الروح بالحواس وأغراضها. إنّ الدرس عن العقل معطى بالفكرة الذي تقع بين "رأى" و "اقترب" و"قال".

السانكهيا

تعني السانكهيا ما يخصّ التعداد. إنها نظام الفلسفة الذي شرحه "كابيلا"، والذي يشرح بأن معرفة الغرض لن تكون كاملة من دون معرفة مكوّناته. في تحليل الحياة والخليقة، تضع السانكهيا خمسة وعشرون عنصر كالأساس الكامل للخليقة وعملية التطور الكوني. يمكن التحقق من التعاليم المتعلّقة بهذه العناصر بالاختبار المباشر من خلال ممارسة التأمل التجاوزي، التي فيها يجول العقل عبر كلّ المستويات السطحية والمرهفة للخليقة وصولاً إلى حالة الوعي التجاوزي الصافي.

1. بروشا

بروشا، أو الروح الكونية، هو الحقيقة التجاوزية التي تجيء إلى الاختبار المباشرة في أثناء التأمل التجاوزي في النقطة التي فيها يتم تجاوز المستوى المرهف للخليقة ويبقى الوعي التجاوزي الصافي وحده. تشكّل بروشا أساس الوجهة الشخصية للحياة. إنه الشاهد الصامت الأبدي لكلّ ذلك الذي كان والذي يكون والذي سوف يكون.

في الآية قيد النّظر، نجد التعاليم حول بروشا في الكلمة "باندافاس". يشير التعبير "جيش الباندافاس" بأنّه في حين يعود الجيش إلى باندافاس، إلا أن الباندافاس بأنفسهم قد لا يشكّلون بالضرورة جزء من الجيش؛ قد يبقون، إذا جاز التعبير، غير متورطون. بالرغم من أنّ كلّ الطبيعة تعمل طبقاً لإرادته، يبقى بروشا الشاهد الصامت على نشاطه.

2. براكريتي

براكريتي، أو طبيعة، إنها الجوهر الأساسية الذي انبثقت منه كل الخليقة بالكامل. إنها تكوّن الغونات الثلاثة، الساتفا والرجس والطمس. الذين هم المسؤولون عن كلّ التغيير ويشكّلون أساس التطور.

في حين يمثل الباندافاس بروشا في الآية الحالية، يمثّل الجيش "براكريتي" علاوة على ذلك، تمثل العبارة "الجيش ... المتأهب وضع القتال" براكريتي في وضع تظهر مكوناتها المختلفة، وفي استعداد لكي للقيام

بالعمال. من دون أن يذكر الغونات الثلاثة بشكل محدّد، ينقل فياسا طبيعة براكريتي بالكامل. طالما تظل الغونات الثلاثة في حالة من التوازن، فلا يقدّمون أنفسهم كثلاثة، ولا يظهرون أيّ نشاط، ولا توجد عملية الخلق والتطور؛ عندما يبدءوا بالنشاط، يظهرون في كلّ تعدد التبديلات والتجمعات.

3. مهات

مهات هو تلك الحالة الأولى للتطور حيث يبدأ الجوهر الأساسي السابق وغير المتميز، براكريتي، بالتحرّك إلى الظهور، ويبدأ بأخذ اتجاها معيّناً. إنها الإرادة الكونية في العمل، التي ترضي الحافز للظهور الذي خلق نتيجة لاضطراب التوازن المثالية من الغونات الثلاثة.

إنّ الدرس عن مهات تم إعطاءه بالكلمة "اقترب"، التي تصوّر الحركة الأولى في الحالة المقدّمة في الآية – الحركة في الاتجاه المعيّن.

4. أهامكار

أهامكار هو المبدأ المسؤول عن التفرد عن مهات.

ستوجد تعاليم أهامكار في كلمة "له" التي تقدّم مثال مبدأ التفرد، إنها تفرد المصطلح العام "المعلم".

5. مناس

مناس هو العقل الكوني الذي يؤمن الغرض الدافع لمبدأ التفرد، أهامكار. في حالة المناس، يصبح حافز براكريتي إلى الظهور محدد بشكل واضح.

إنّ الدرس على مناس تم إعطاءه بالعبارة "هذه الكلمات"، الذي يعطي الشكل المؤكّد إلى الحالة المخلوق بالحركة الأولى , مهات، المشار إليها بالكلمة "اقترب".

6 إلى 15 إنديريات

تدعى المبادئ العشر القادمة إنديريات، أو حواس وهي: الحواس الخمس للإدراك (غيانندريا) و أعضاء العمل الخمسة (كرماندريا). إنهم يربطون بين العقل والعالم الظاهر للأجسام.
إنّ الدرس على حواس الإدراك تم إعطاءه بالكلمة "يرى"، يأخذ حاسة البصر كممثل لحواس الإدراك الخمسة.
وقد تم إعطاء الدرس على أعضاء العمل بالكلمة "تكلّم"، وهنا تم أخذ عضو الكلام كممثل لأعضاء العمل الخمسة.

16 إلى 20 الطانماترات

تشكّل الطانماترات الحقائق الأساسية الخمس، أو جوهر أجسام الحواس الإدراك الخمسة. يظهرون أنفسهم في العناصر الخمسة التي تكون الأجسام الحواس والتي تؤمن الأساس المادي للكون الموضوعي بالكامل. وهكذا يظهر جوهر الصوت (الطانماترا شابدا) نفسه في الأثير، وجوهر اللمس (الطانماترا سبارشا) في الهواء، وجوهر الشكل (الطانماترا روبا) في النار، وجوهر الذوق (الطانماترا راسا) في الماء، وجوهر الشم (الطانماترا غنضا) في التراب.
يتم تأمين الدرس على الطانماترات بالكلمة السنسكريتية "طو"، والمحذوف في الترجمة، وتعني "فقط من بعد" الرؤية. يرسم هذا التعبير الخطّ الفاصل في سلسلة الأحداث. وعلى نفس النمط ترسم الطانماترات الخطّ الفاصل بين الخليقة الذاتية والموضوعي. في عملية التطور، كلما يزيد تأثير الطمس، تصل الخليقة الذاتية إلى نهايتها وتبدأ الخليقة الموضوعية. تتواجد الطانماترات، وبتشكيلها لأسس العناصر الخمسة، في الحقل الأكثر سطحي للأوجه الذاتية للخليقة.

21 إلى 25 المهبهوتات

إن المهبهوتات الخمسة، أو العناصر التي تتكون منها الخليقة المادية هي: الأثير (أكاشا) والهواء (فايو) والنار (تيجاس) والماء (أباس) والتراب (بريتريفي).
لقد تم التوضيح عن الدرس المهبهوتات عندما تم التعامل مع فايشاشيكا.

تجدر الإشارة بأنّ التعاليم الكاملة للسانكهيا من كابيلا، يمكن التحقق منها بالاختبار المباشرة خلال التأمل التجاوزي، لأنه ومن أجل الوصول إلى حالة الوعي التجاوزي يجب أن يعبر العقل كلّ المستويات السطحية والمرهفة للخليقة.

اليوغا

إنّ غاية اليوغا هي في كسب المعرفة بالإدراك المباشر. اليوغا هو العلم العملي للحياة المفتوح للاختبار المباشر، ليس فقط لحقل الكينونة المطلقة لا بل كلّ المستويات المختلفة للخليقة النسبية أيضاً.
إن الكلمة الأولى من الآية في النصّ الأصلي، "دريشتفا" (وتعني حرفياً "بعد أن رأى")، تعطي الدرس عن غاية اليوغا والطريق لوصولها إلى الاكتمال.
يقسم بتنجلي في شرحه عن اليوغا، الحياة إلى ثمانية مجالات من أجل التعامل معها بالعمق الكامل في موضوع اليوغا.

1. إن حقل الخليقة كامل الموجود خارج الفرد لكنه يتأثّر بشكل دائم بأفكاره وأعماله. إنّ حالة اليوغا، أو الانسجام المثالي، توجد ثابتة في هذا الحقل عندما تكون حياة الإنسان مدعومة بشكل طبيعي بالصفات الخمسة للتقيد بها (ياما):

أ. الصدق (ساتيا)

ب. اللاعنف (أهيمسا)

ج. عدم الاشتهاء (أستيا)

د. العفّة (براهماتشاريا)

ه. عدم القبول بمقتنى الغير (أباريغراها)

إن هذه الصفات ممثّلة "بالباندافا"، الأبناء الخمسة المستقيمون للباندو.

2. التركيب الطبيعي للجسم الفردي والجهاز العصبي. توجد حالة اليوغا ثابتة في حقل الجسم والجهاز العصبي عندما تكون حياة الإنسان مدعومة بشكل طبيعي بالقواعد الخمسة للحياة (نياما):

أ. التنقية (شوتشا).

ب. القناعة (سانتوشا).

ج. التقشّف (طباس).

د. الدراسة (صفاضيايا).

ه. الولاء إلى الله (إشفرا برانيدهانا).

إن هذه الصفات الخمس هي أيضاً ممثّلة "بالباندافا".

3. الأطراف المختلفة للجسم، مجال الوضعيات (آسانا). توجد حالة اليوغا ثابتة في مجال أطراف الجسم عندما يكون هناك العمل المتقنة لكلّ الأطراف بالتنسيق الجيد مع بعضها البعض. في هذه الحالة، يكون الجسم قادراً على البقاء في وضعية ثابتة لأيّ مدة من الوقت.

يعطى الدرس عن الآسانا "منتظمين"، لأنه وفي حالة اليوغا، حالة الوعي التجاوزي، تكون كلّ أطراف الجسم في التوافق المثالي مع بعضها البعض، تكون يقظة بالكامل، لكنه لم يوضع في العمل بعد.

4. مجال التنفس الفردي، مجال تمارين التنفّس (براناياما). في حالة اليوغا، يرتاح نشاط التنفس تلقائياً.

يعطى الدرس عن البراناياما "جيوش البانْدافا منتظمين في وضع قتالي". البانداڤا أو الأبناء الخمسة للباندو، تمثّل الأنفس الخمسة – برانا وأبرانا وفيانا وأودانا وسمانا – التي تعمل في الأجزاء المختلفة من الجسم. وتمثّل العبارة "جيوش البانْدافا منتظمين في وضع قتالي" ثبات الأنفس الخمسة كلها في حالة اليوغا.

5. مجال الحياة الذي يقع بين الحواس وأغراضها. إنّ حالة اليوغا في هذا المجال هو ملحوظ بالاكتفاء الذاتي الكامل من ناحية الحواس لكي لا تستمر متجهة إلى الخارج نحو أغراضها. تعني اليوغا هنا الاختلاء من حقل أغراض الحواس.

يعطى الدرس على استدارة الحواس عن أغراضها (براتياهارا) بالكلمة "رأى" (وتعني حرفياً "بعد أن رأى")، الذي يظهر بأنّ رؤية دورْيودْهانا، وبعد أن سقط نظره على جيوش البانداڤا، وعقب ذلك انسحب.

6. مجال الحياة الذي يقع بين الحواس والعقل. إنّ حالة اليوغا في هذا المجال هي ملحوظة بانسحاب العقل من عالم الحواس.

يعطى الدرس عن الثبات العقل (دهارانا) بالتعبير "منتظمين"، الذي يشير بأنّ العقل ثابت، وبأنّه لن يرتبط بالحواس.

7. مجال الحياة الذي يقع بين العقل والكينونة. إنّ حالة اليوغا في هذا المجال هي ملحوظة بتلطيف النبضات العقلية إلى أن يتم تجاوز الحالة اللطيفة من النشاط العقلي ويكسب العقل حالة الوعي الصافي، الوجود المطلق، أو الكينونة الأبدية.

يعطى الدرس عن هذه العملية من التأمل (ضيانا) بالكلمات "اقترب من معلمه". يمثّل المعلم حالة الكينونة.

يكشف الفحص المعمق لشرح بتنجلي لليوغا بأنّ العملية الفعلية لبلوغ حالة اليوغا لا تعود فقط إلى الضيانا، أو التأمل، الذي يظهر وحده بأنه يعطي النتيجة المباشرة في السمادي، أو الوعي التجاوزي، لا بل يعطي أيضاً النتيجة المباشرة إلى كلّ الأطراف الأخرى لليوغا الثمانية الأطراف. يقدّم كلّ طرف المبدأ الذي يقع تحت الممارسات الذي تجلب حالة اليوغا في مجال الحياة الخاصّ بذلك الطرف.

لقد تم تفسير هذه الأطراف المختلفة لليوغا ولمئات السنين بشكل خاطئ، بأنها خطوات مختلفة في تطوّر حالة اليوغا، إنما في الحقيقة كلّ طرف هو مصمّم لخلق حالة اليوغا في مجال الحياة الذي يتعلّق به. ومع الممارسة المستمرة لكلّ هذه الأطراف، أو وسائل، بشكل متزامن، تنمو حالة اليوغا بشكل متزامن في كلّ من مجالات الحياة الثمانية، وفي النهاية تصبح دائمة.

يبدو من الضروري الإشارة هنا بأن حتى السمادي، التي هي حالة اليوغا بمعنى الوعي التجاوزي، تعمل كوسيلة للحالة الأسمى لليوغا، الوعي الكوني. في حالة الوعي الكوني، يصبح الوعي التجاوزي ثابتاً بشكل دائم في طبيعة العقل، أو نقول بالمصطلحات الهندية، كشانيكا سمادي (سمادي المؤقت) يصبح نيتيا سمادي (سمادي الدائم). بهذا المعنى وضع مهاريشي بتنجلي السمادي سويّة مع الأطراف الأخرى السبعة، أو الوسائل، لليوغا.

من أجل وصل مبدأ ضيانا بالممارسة، قد نذكر بأنّ الممارسة الأكثر قيمة في مجال الضيانا هي النظام البسيط للتأمل التجاوزي. يعود التأمل التجاوزي إلى مجال الضيانا، لكن وفي نفس الوقت يتجاوز ذلك المجال ويسبّب حالة الوعي التجاوزي، السمادي. بعد اكتساب هذه الحالة يعود الانتباه إلى مجال الضيانا، الذي هو مجال النشاط هذا العبور المنتظم للانتباه من المجال الواحد إلى المجال الآخر يمكّن على الاحتفاظ بالوعي التجاوزي، حتى في أثناء النشاط، أولاً على المستوى المرهف جداً ولاحقاَ في النشاط السطحي للحياة اليومية، لكي يمكن أن يصبح دائماً في النهاية. بهذه الطريقة يشكّل النظام البسيط المعروف بالتأمل التجاوزي، الذي هو نوع معيّن من الممارسة، الأداة العاملة والأكثر فاعلية لهذين المجالين للحياة، الضيانا والسمادي.

8. مجال الكينونة المطلقة، حالة الوعي التجاوزي (السمادي).

يعطى الدرس عن السمادي بالكلمة "الباندافا". في هذه الآية، يشير استعمال الكلمة أن "الباندافا" بأنّ الباندافا يمتلكون الجيش، وبأنهم أسياده، فهم منفصلون عنه. وبنفس الطريقة، في حالة السمادي يتم اختبار الذات على أنها المتجاوز، غير متورطة بأيّ شيء.

كارما ميمانسا

تعني كلمة ميمانسا التحقيق، المراقبة المعمقة. تعتني الكارما ميمانسا بالدراسة المعمقة للعمل، لأن العمل يشكّل القاعدة لوجود وتطور الفرد. تبدأ السوترا الأولى للكارما ميمانسا التي ألفها جايميني التحقيق في الدهارما، التي هي القوة المنيعة للطبيعة التي تؤيّد كامل الخليقة. إنّ المسعى الرئيسي لكارما ميمانسا هو لذلك العمل الذي سيكون تلقائياً في التوافق مع الدهارما. إنّ تأثير كلّ عمل هو بعيد المدى ليكون خلف نطاق الفهم البشري. لذلك إن المعيار الذي نحكم فيه صواب العمل يجب أن لا يكون سوى الشهادة الشفوية (شابدا) للفيدا.

يضع جايميني الأسس الطبيعة الأبديّة للاشابدا بالحجّ المنطقيّة ويزيل كلّ الشكوك التي تتعلّق بها أعطي الدرس على هذا بالتعبير "اقترب من معلمه"، بسبب أن الاقتراب من المعلم هو لإزالة كلّ الشكوك بعد أن وضع أسّس خلود الشابدا، كان من الضروري لجايميني أن يثبت بأنّ الفيدا هي إيحاء قدسي منذ بداية الخليقة. نجد الدرس عن ذلك في الكلمة "عندما" – في بداية الخليقة.

يثبت جايميني أيضاً بأنّ كلمات الفيدا، وبالرغم من أنّها نبضات القدسي، هي ليست ملاحظات أو إيقاعات بلا معنى. لها معنى وبالتالي لها غاية معيّنة مثل أيّ الصوت المنطوق (الكلمة) في أيّ لغة. تعرض كلّ كلمة وكلّ عبارة للآية قيد الدرس درساً عن هذه النقطة.

لأنه اعتبر بأن الفيدا هي السلطة النهائية على الدهارما، كان من الضروري لجايميني أن يبتكر طريقة مؤكّدة للتحقيق من النصوص الفيدية. هذا ما قام به بتحليل محتويات الفيدا كما يلي:

1. فيدهي (نصائح أو أوامر)

أعطي الدرس على هذا بالتسلسل "رأى ... اقترب ... قال".

2. مانترا (الكلمات الدالة)

المانترا هي الكلمات الدالة التي تساعد الفرد على تذكّر الخطوات المختلفة لياغْيا. "المعلم" (أتشاريا) هو المؤتمن على معرفة المانترا وهو موجود للإجابة على كلّ الاعتراضات المرفوعة أمامه. توجد المانترا لمساعدة في أداء الياغيا: هناك مانترا مختلفة في كلّ خطوة. أثناء عملية الياغيا، يتلي المعلم المانترا، وبموجب ذلك يؤدّي الآخرين عملهم. "اقترب دورْيودْهانا من معلمه" لكي يستلم منه الكلمة الصحيحة (المانترا) للعمل الذي سيقوم به.

3. نمادهِيا (أسماء علم)

أعطي الدرس عن نمادهِيا بالكلمات " دورْيودْهانا" و "باندافا".

4. نيشيدها (المنع)

نيشيدها هي الضدّ لفيدهي.

أعطي الدرس عن نيشادها بالعبارة "اقترب من معلمه" و "قال هذه الكلمات". إنّ الإجراء بموجب النصح (فيدهي) هي بأنّه بعد الاقتراب من المعلم على الفرد أن يخضع في الحال. لكن بدلاً من أن يخضع نفسه، بدأ دورْيودْهانا بالكلام.

5. أرتافادا (الممرات التوضيحية)

تعطي كلمة "الأمير" الدرس عن أرتافادا.

الميمانساكاس، تبعاً لنحويي السانسكريتي، تقسّم الأسماء الفيدية إلى ثلاثة أنواع:

أ. رودهي، الكلمة البسيطة وغير المركّبة مع القبول التقليدي الذي نتعلّمه من المعلّم أو من سلطة أخرى.

أعطي الدرس عن الرودهي بـ "الكلمات".

ب. يوغيكا، الكلمة المركّبة من كلمتين أو أكثر، كلّ واحدة منها لها معناها المستقل وتساهم في المعنى الكامل.

أعطي الدرس عن يوغيكا في العبارة "جيوش الباندافا" (باندافا أنيكام).

ج. يوغارودهي، الكلمة المركّبة، والتي لها معناها التقليدي الخاص.

أعطي الدرس عن هذا بالكلمة " دورْيودْهانا" (دورْ– يودْهانا).

يشير جايميني بأنّ الأسماء ليست مكتفية ذاتياً لكنها تتطلّب الفعل لحمل غاية الكلام تقدّم الأفعال عنصر العمل، الذي يصنّف من قبل جايميني بالتوافق سواء كانت تأثيراته مرئية أو مخفية بشكل رئيسي. تلك الأعمال بالتأثيرات المخفية بشكل رئيسي (أبورفا) تدعو الرئيسية (براضانا)، أما تلك الأعمال بالتأثيرات المرئية بشكل رئيسي تدعو الثانوية (غاونا).

أعطي الدرس عن الأعمال البراضانا بالكلمة "قال"، لأن تأثيرات كلام دورْيودْهانا ليست مرئية في هذه الآية. كما أعطي الدرس عن الأعمال الغاونا بالكلمة "رأى"، لأن تأثير الرؤية يظهر فوراً في "اقترب من معلمه وقال هذه الكلمات".

من أجل السماح للفحص الشامل للنصوص الفيدية بموجب مبادئ التفسير الوارد أعلاه، تدرس الفيدا من ذاويتين: 1) السامهيتا، وهي تلك الأجزاء التي تتعامل مع المانترا؛ 2) البرهمانا، وهي تلك الأجزاء التي تتعامل مع الأداء الطقسية والممرات التوضيحية.

1. السامهيتا

تقسم السامهيتا إلى ثلاثة أقسام:

أ. ريك – وهي الآية المجمعة بمجموعة ويشلر إليها بترتيبها العروضي. أعطي الدرس عن هذا بنوعية الوزن الشعير للآية الحالية.

ب. ساما – وهي الآيات المغنّاة في خاتمة الياغيا. أعطي الدرس عن الساما بالكلمة "عندما". تضع هذه الكلمة الحالة المصوّرة في الآية في نهاية الحدث الآخر.

ج. ياجور – وهي المانترا في النثر. ولها نوعان:

أ. تلك التي تتلى بصوت عالٍ (نيغادا). أعطي الدرس عن هذا النوع للمانترا بكلّ كلمات هذه الآية بما أنها تلية بصوت عالٍ.

ب. تلك التي تلفظ بشكل صامت (أوبامشو). تشير العبارة "هذه الكلمات" إلى الكلمات التي لم تلفظ في هذه الآية. هذا ما يعطي الدرس عن المانترا التي تلفظ بشكل صامت.

2. البرهمانا

يشير شابارا في تفسيره عن سوترا ميمانسا، إلى عشر طرق لتحليل البرهمانا وهي:

1– هِتو – الدافع. أعطي الدرس هذا بكلمة "رأى". إن كلمة "رأى" هي المسبب لدورْيودْهانا للاقتراب من معلمه والتكلّم.

2– نيرفاتشانا – التفسير أو التعبير. أعطي الدرس عن هذا في العبارة "منتظمين في وضع قتالي" فهي التعبير الذي يوضّح ما يرى.

3– نيندا – استنكار. أعطي الدرس عن الاستنكار بحقيقة أن الكلمة "باندافا" تبقى غير مؤهّلة، في حين دعي دورْيودْهانا بالأمير.

4– براشانسا – المديح. أعطي الدرس عن هذا بالعبارة "منتظمين في وضع قتالي" التي تظهر كرامة الجيش.

5- سامشايا – الشكّ تعطي عبارة "اقترب من معلمه" الدرس عن الشكّ، لأن الاقتراب من المعلم هو دوماً من أجل إزالة الشكّ

6- فيدهي – النصيحة. كما شرح في وقت سابق، أعطي الدرس عن هذا بالكلمات "رأى ... اقترب ... قال".

7- براكريا – عمل الفرد. إنّ الآية الكاملة هي مهتمّة بعمل دورْيودْهانا: "رأى ... اقترب ... قال".

8- بوراكالبا – الأحداث الماضية. أعطي الدرس عن هذا بالعبارة "الجيوش منتظمة بوضع قتالي".

9- فياقاضارانا كالبانا – المعنى طبقاً للسياق الحديث. تعلم كلمة "عندما" هذا الدرس.

10- أوباmانا – المقارنة. يساعد هذا على كسب معرفة الغرض بالمقارنة مع غرضٍ آخر معروف. أعطي الدرس عن أوبامانا بالكلمة "أمير"، التي استعملت بالإشارة إلى دورْيودْهانا.

من المهم الملاحظة بأن ممارسة التأمل التجاوزي تكمل مسعى الكارما ميمانسا تلقائياً للعمل بموجب الدهارما. يجلب التأمل التجاوزي العقل إلى حالة الكينونة. الكينونة هي أبدية؛ إنها تشكّل قاعدة الخليقة وبالتالي تؤيّد الكون بأكمله. عندما يكسب العقل حالة الكينونة، يكسب مستوى الدهارما بشكل تلقائي. لذلك إن عمل من قبل العقل المثبت في الكينونة هو تلقائياً بموجب الدهارما. هكذا يجلب التأمل التجاوزي الاكتمال إلى تعاليم الكارما ميمانسا.

الفيدانتا

تعني الفيدانتا نهاية الفيدا، معرفة نهائية من الفيدا. إنّ نظام الفيدانتا معروف كذلك باسم "أوطارا ميمانسا"، وتعني بأنّه التحقيق في الفصل الأخير للفيدا، الأوبانيشاد. في حين أن الكارما ميمانسا لجايميني، أو بورفا ميمانسا (الميمانسا السابقة) كما تدعى أحياناً، تعتبر ذلك الجزء من الفيدا الذي له علاقة بالعمل، تعتبر أوطارا ميمانسا لفياسا (الميمانسا التالية)، أو الفيدانتا، ذلك جزء من الفيدا الذي له علاقة بالمعرفة. إنّ الغاية الرئيسية للفيدانتا هي في تثقيف الإنسان في الحقيقة بأن المعرفة الكاملة للحياة هي ليست سوى الحياة بذاتها كما يتم معيشتها بشكل طبيعي على مستوى الكينونة.
من وجهة النظر الكونية، توضّح الفيدانتا علاقة الحقيقة غير الظاهرة المطلقة (البرهمان) مع الوجهة النسبية الظاهرة للحياة بتقديم مبدأ "مايا". تعني الكلمة مايا حرفياً ما هو غير موجود. هذا ما يكشف مميزات المايا: إنها ليست أيّ شيء جوهري. وحضورها هو مستنتج من التأثيرات التي تنتجها. قد نفهم تأثير المايا بمثال النسغ الذي يظهر بشكل الشجرة. إن كلّ ألياف الشجرة هي ليست سوى النسغ. النسغ، وفي بقائه كما هو، يظهر بشكل الشجرة. وعلى نفس النمط، ومن خلال تأثير المايا، يبقى البرهمان برهماناً، ويظهر بشكل العالم الظاهر.
على المستوى الفردي، توضّح الفيدانتا علاقة الذات المطلقة (الآتمان) والوجهة النسبية للحياة الفردية بمبدأ آفيديا. آفيديا أو الجهل، هو ليس شيء سوى المايا بشكل كثيف. إذا أمكن تشبيه المايا بالماء الصافي، تكون الماء المعكرة آفيادا.
تحت تأثير المايا، يظهر البرهمان بأنه إشفارا، الله الشخصي، الذي يتواجد على المستوى السماوي للحياة في الحقل المرهف للخليقة. وعلى نحو مماثل، وتحت تأثير آفيديا، يظهر آتمان بأنه جيفا، أو النفس الفردية.
أعطي الدرس عن البرهمان بكلمة "المعلم". إن المعلم الذي يمتلك الحكمة الكاملة للحياة، هو ثابت في براهمي–ستهيتي، حالة البرهمان أو الوعي الكوني.

أعطي الدرس عن المايا في هذه الآية بكلمة "راجا" التي تعني "أمير" أو "ملك". أي الملك الشرعي وليس دورْيودْهانا.

أعطي الدرس عن إشفارا أيضاً بكلمة "راجا"، أو الملك يستخدم الملك السلطة الأعلى على المستوى البشري.

أعطي الدرس عن آتمان بالكلمة "باندافا". تعبر العبارة "جيوش الباندافا" بأن الباندافا هم ليس بالضرورة جزء من الجيش بالرغم من أنّهم أسياده. وعلى نفس النمط، إن آتمان هو منفصل عن عالم النشاط ولا ترتبط به.

أعطي الدرس عن آفيديا بالكلمات "رأى ... اقترب ... قال". إن آفيديا، أو الجهل، هي أسا لكلّ نشاط في الحياة الفردية.

أعطي الدرس عن جيفا بكلمة دورْيودْهانا، من يقال عنه أنّه رأى واقترب وقال. إن جيفا هي التي تشارك في النشاط

إنّ شرح المعرفة حول الحياة في الفيدانتا هو مثالي جداً بحيث لا يقدر المستوى العادي للذكاء البشري على فهمه. لذلك، وكشرط أساسي لكسب معرفة الفيدانتا، يجب أن يرتفع مستوى الوعي. لكي يصبح قادراً على فهم الفيدانتا، يجب أن يعيش الفرد حياته على مستوى الصفات الأربعة:

1. فيفاكا (التمييز)

يتم تعليم الدرس عن هذا بعبارة "رأى الجيوش" و "اقترب من معلمه". إنه من خلال قوّة التمييز قرر دورْيودْهانا، عندما رأى الجيش أن يقترب من المعلم ويقدم له الحالة قبل الاقتحام النهائي في المعركة.

2. فايراغيا (عدم التعلق)

يوجد الدرس عن ذلك في الكلمة "باندافا". كان البادافا في ساحة المعركة، في حين أن التعبير "جيوش الباندافا" يصوّرهم بأنهم منفصلين عن الجيش، كما وأنهم غير متورطين معهم. هذا ما يوضح بأنّ تعاليم فايراغيا، طبقاً لهذه الآية، لا تتضمّن ترك النشاطات والمسؤوليات في الحياة. يكفي بأن أن يبقى غير متورط بأملاكه. إن التخلي عن الأملاك هو ليس المعيار لعدم التعلق.

3. شاتساماباطي (الكنوز الستّة)

أ. شاما – السيطرة على العقل. أعطي الدرس عن ذلك بالعبارة " رأى الجيوش" و "اقترب من معلمه". لو لم يملك دورْيودْهانا هذه الصفة للشاما، لما كان لهم الحضور العقلي كي يقترب ويستشير معلمه.

ب. داما – السيطرة على الحواس. أعطي الدرس عن ذلك بالتعبير "جيوش ... المنتظمين بوضع قتالي". إنّ جيش الحواس هو منتظم وقادر على العمل، لكنه غير نشط بعد. يشير ذلك إلى أنّ يقظة الحواس لا تضعف مبدأ السيطرة على الحواس.

ج. أوبراتي – الامتناع. تعطي عبارة "اقترب من معلمه" درس عن الامتناع. إنها تقترح بأن الطريق إلى حالة التنوير هي امتناع حقيقي – الامتناع عن الجهل والعبودية. لقد سيء فهم هذه الكلمة بشكل عام كي تفهم بالامتناع من النشاط

د. إنّ الوجهة العملية للامتناع هي التأمل التجاوزي، لأن هذه الممارسة هي الطريق المباشر إلى الوعي التجاوزي، حالة التنوير. بعد كسب الوعي التجاوزي بالتوجه الداخلي للتأمل، يخرج العقل للانشغال في النشاط هذه عملية المتكررة لكسب الوعي التجاوزي وبعد ذلك الانشغال في النشاط تؤدّي إلى جعل حالة التنوير دائمة. لذلك إنه لأمر واضح بأن التعاليم عن أوبراتي، أو الامتناع، من المستحيل أن تتضمّن الوقوع في عدم النشاط أو التخلي عن جملة وتفصيل.

ه. تيتيكشا – التحمّل. أعطي الدرس عن ذلك بالعبارة "الجيوش ... منتظمين في وضع قتالي". إنّ الجيش، الذي من واجبه أن يحارب، يتحمّل عدم نشاط إنّ جوهر التحمّل هو في أخذ كلّ الأمور كما يأتي.

و. شرادا – الإيمان. أعطي الدرس عن الإيمان بالعبارة "اقترب من معلمه".

ز. ساماضانا – التوازن العقلي. إن الحالة غير المتأرجحة "للمعلم" المقدمة في هذه الآية تعطي الدرس عن التوازن العقلي.

4. موموكشوتفا (الرغبة للتحرر)

أعطي الدرس عن ذلك بالعبارة "اقترب من معلمه".

يخدم هذا التحليل للآية الثانية للفصل الأول كالمثال الذي يظهر أنّ كلّ آية للبهاغافاد غيتا هي صحيحة وأن حقيقتها قابلة للإثبات على ضوء الأنظمة الستّة للفلسفة الهندية. وفي نفس الوقت لقد تم التبيان بأن أهداف كلّ الأنظام الستة هي مكتملة من خلال ممارسة التأمل التجاوزي.

شانكراتشاريا ناغار

ريشيكيش

جي غورو ديف

مهاشيفاراتري

18 شباط / فبراير 1966

كلمة الختام

"إذا تم إتّباع هذه التعاليم ستتحقق الفعالية في الحياة. سيكون الإنسان مكتملاً على كلّ المستويات وستكتمل أيضاً الحاجة التاريخية للعصر".

– مهاريشي ماهش يوغي



تفسير البهاغافاد غيتا لمهاريشي ماهش يوغي